العدد ٨٣ - محرم ١٤٠٣هـ - نوفمبر ١٩٨٢م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

● لماذا التطرف الديني ؟
خالد محمد خالد

● من الحوار الحضاري إلى المذبحة
د. محمد جابر الأنصاري

● في الانتحار..
الدكتور عبد السلام العجيلي



أشهر الجميلات في الشرق والغرب



بيبسى

إجعَل نهارك عيد مَع

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٨٣ - محرم ١٤٠٣هـ - نوفمبر ١٩٨٢م

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تلكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات:
داخل قطر ١٠٠ ريل قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار:

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

مكاتب توزيع الدوحة

● السودان :
مؤسسة دار التوزيع
ص ب : ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر :
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى زنقة دينان وزنقة سان سانس .
ص ب : ٦٨٣ - الدار البيضاء

MOROCCO
SOCHEPRESS
P.O. BOX NO. 83
CASABLANCA

● سوريا :
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكه - تجاه ثانوية فايز منصور
ص ب : ٤٩٠٢ - دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع للاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة

● تونس :
الشركة التونسية للصحافة .
٣ نهج المغرب
ص ب : ٤٤٠ - تونس

TUNIS
SOTUPRESSE
3 RUE DU MOROC
B.P.N. 440 - TUNIS

● السعودية :
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان
ص ب : ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة جدة :
ص ب : ٩٥٠ - جدة
مكتبة ومطبعة خياط
المدينة المنورة

● الكويت :
دار الكويت للصحافة .
ص ب ٢٣٩١٥ صفاة
الكويت

● لبنان :
الشركة العربية للتوزيع .
ص . ب : ٤٢٢٨ - بيروت

● الجزائر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر

ALGER
S.N.E.D
20 RUE DU LIBARTE
ALGER

● ليبيا :
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب : ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب : ٣٢١ - بنغازى

● الأردن :
وكالة التوزيع الأردنية
ص . ب : ٣٧٥ - عمان

● البحرين :
دار الهد :
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب : ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان :
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر :
ص . ب : ١٠١١ - مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية :
مؤسسة سبا العامة للصحافة والانباء .
ص . ب : ١٤٣٠ - صنعاء
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب. ٧٣٩٧ صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب : ٤٢٢٧ - المحافظة الأولى
عدن .

● الامارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثانى بن محمد
ص . ب : ٧٩١ - ابوظبى .

- جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
- الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
- المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع على بن على Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـــــذا العـــــدد

● الدكتـور ماهـر حسـن فهمي يكتـب عـن الشوقيـات فـي الذكـرى الخمسـين لوفـاة أميـر الشعـراء (ص ١٦)

● خـالد محمـد خـالد يكتـب عـن التطرف الديـني ومغـزاه (ص ٢٤)

● « الدوحـة » تنتقـل إلى بيـت شكسـبير في مدينـة « ستراتفـورد » ببريطانيـا حيث ولـد الفنـان العبقـري (ص ٧٦)



د. محمـد منـدور



يوسـف الخطيـب



د. ماهر حسن فهمي



هارون هاشم رشيد

● من الحوار الحضاري إلى المذبحة ! ..... د. محمد جابر الانصاري ٦

● لمن تلد النسـاء ؟ ... « قصيدة » ..... يوسف الخطيب ١٠

● المستشرق اليهودي والحقد على الاسلام ..... د. توفيق الطويـل ١٢

● الاستيطان حرب على الأرض والماء والانسان ..... ابراهيم السمان ١٤

● أصول الشوقيـات ..... د. ماهر حسن فهمي ١٦

● وقفة مع الفكـر الديني ..... خالد محمد خالد ٢٤

● الساخر العظيم ..... محمود السعدني ٢٧

● أنا والشعـر .. ياقطـر « قصيدة » ..... هارون هاشم رشيد ٣٠

● التحضر فى المجتمع القطـري ..... أحمد العناني ٣٤

● عمامة جريئة بين الأمة والحكومة ..... فتحي رضـوان ٣٦

● فى الانتحـار ..... د. عبد السلام العجيلي ٤٠

● مشاكل البيئة المصاحبة لمشروعات التصنيع والتعمير .... د. محمد عاطف كشك ٤٢

● البروفسور « يوفال نعمان » رئيس حزب سياسي جديـد يتبنى أشد الأفكار تعصبا ..... عصام شريـح ٤٦

● شرلوك هولمـز بين الحقيقة والخيال ..... جمال الكناني ٥١

● الدلالة القومية للفلكلور العربي ..... محمد ابراهيم الفحـام ٥٦

● نداء العاشـق ... « قصيدة » ..... حسن طلب ٥٨

● الوجـه الآخـر ... « قصة » ..... كلثم جبر ٦٠

● محمد عبد الملك فى مجموعته القصصية الثالثه ..... عبد الله خليفة ٦٢

● رينوار بين جمال الطبيعة وبهجة الحياة ..... جمال قطب ٦٦

● باريس : عاصمة النور والفن والسياسة والحرية ..... جمال الغيطاني ٦٨

● لقطات من الكون المثيـر ٧٤

● « الدوحـــة » فى بيت شكسبير .....
مجدي نصيف ٧٦
● مرايـا الزمـان ... « قصيدة » .....
محمد ابراهيم ابو سنه ٨٣
● من دير ياسين إلى صبرا وشاتيلا .. اختلف أسلـــوب المذابح والهـدف واحـد .....
حمدي الكحلوت ٨٤
● بين أطلال ياميت .....
درويش مصطفى الفار ٨٨
● عاصفة حول انقاذ يهود أوربا من النازية .....
د. عاصم الدسوقي ٩٠
● جلباب صغير اخضـر ... « قصة » .....
ابراهيم أصلان ٩٦
● دمون ... « قصيدة » .....
د. محمد فوزي مصطفى ٩٧
● الميلاد فى أزمنة الموت ... « قصيدة » .....
محمد صالح الخولاني ٩٨
● مع الفنان غازي الخالدي .....
نادر اصفهاني ١٠٠
● الكشف عن الحلقات المفقودة فى نسب الانسان .....
د. عبد المحسن صالح ١٠٤
● فنانون هواة ينافسون الفنانين المبدعين .....
مريم آل سعد ١١٠
● أوراق خضراء ١١٥
● خيوط العنكبوت ... « قصة » .....
عبد الرحيم أبو عوف ١٢١
● مذكرات نابغة النصابين .....
كمال النجمي ١٢٤
● لوحة الغلاف الاخير : الحرم الابراهيمي فى الخليل .....
يوسف الخطيب ١٢٧
● قصة سيجارة وفنجان قهوة .....
د. عز الدين فراج ١٢٨
● دائرة المعارف القرانية « البيع » .....
محمد البهي ١٣١
● سجاد الحرانية : التجربة والاصول .....
صبحي الشاروني ١٣٢
● رسائل الى المحرر ١٣٨
● من تراثنا المعاصر : اشهر الجميلات .....
د. محمد مندور ١٤٠
● العلم هو المستقبل .....
لبنى الريدي ١٤٦
● المخرجون يثرثرون بمشاكلهم في افلام مثيرة .....
رءوف توفيـــق ١٤٨
● ضحكات الشهـــر .....
صلاح الليثي ١٥٤
● دوحة القراء ١٥٦
● استراحـة الدوحـــة .....
رؤوف ١٦٠

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبدالقادر حميدة
المدير الفني : أحمد فاضل
المحرر العام : كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج : مرزوق بشير
التحرير : النور عثمان أبكر
عبدالله جابر
مريم آل سعد
نادية رزقت
ممدوح عبدالرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا
الاشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتير التحرير الفنيان : أحمد عبدالله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي
التصوير : أمين بدوي الحامدي

أيـــن يقـف فكـرنـا .. وأيـــن وصـــل واقعنـــا ؟

من الحـــوار الحضـــاري .. إلى المـذبحـــة

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

هل تذكرون «حكاية» الحوار الحضارى مع اسرائيل التى دعا اليها بعض كتابنا وأدبائنا الكبار .. عفا الله عنهم ؟

لابد ـ أمام المذبحة ـ أن نذكرها ونتذكرها بوضوح ، وبصوت مرتفع لأنها أحد أسباب المذبحة .. أحد أسبابها المعنوية والأخلاقية الهامة .

نعم .. فاسرائيل لم تتجرأ على العرب بهذا الشكل ، ولم تسترخص الدم العربى بهذه الوحشية ، إلا بعد أن وجدت عقولا عربية كبيرة وأقلاماً عربية شهيرة تمد اليها اليد بسخاء وكرم تتقبل طابعها العدواني التوسعى كما هو ، وعلى علاته ، وتتقبل مفهومها الصهيونى للسلام ، ثم تصوره على أنه حوار حضارى متمدن ، وعلى أنه انعطاف تاريخى الى غير ذلك من شعارات لا تقل زيفاً عن شعارات المزايدين بالقضية الفلسطينية على الطرف الآخر ...

نعم .. فاسرائيل قد هزمت العرب عسكرياً بشكل كاسح سنة ١٩٦٧ وكان بامكانها حينئذ الوصول الى أى مخيم فلسطينى ، والى أى مدينة عربية ، وذبح من شاءت من المدنيين العزل ؛ ولكنها لم تجرؤ وقتها على اقتراف ذلك ، لأن العرب لم يكونوا قد انهزموا من الداخل .. بعد . لم يكونوا قد انهزموا بعد فى الارادة والفكر والقلب والضمير .

وأمام الهزائم العسكرية والسياسية يضطر السياسيون والعسكريون للتلاؤم مع الظروف لاصلاح ما يمكن اصلاحه حسب اجتهادهم. وهذه مسألة أخرى تخرج عن نطاق بحثنا الأدبى هذا ..

ولكن الأدباء وأهل الفكر لهم شأن آخر وواجب آخر ، فهم بعد تشخيص أسباب الهزيمة ، عليهم أن يرفضوها ويهيئوا السبل المعنوية والفكرية والأخلاقية للتصدى لها ، ودفع الأمة لتجاوزها .

ولكن ما حدث ، بالنسبة لهذا النفر من الأدباء ، أن الهزيمة المعنوية الذاتية قد تحققت كاملة لديهم ، فقاموا بمباركتها تحت شعار الحوار الحضارى والتبادل الثقافى ولم يفرقوا بين تكتيك أهل السياسة المرتبط بظروفه وحساباته المرحلية وبين واجب أهل الفكر القائم على الحقائق الثابتة والقيم الراسخة والنظرات البعيدة ، والمواقف المبدئية قبل كل شىء .

نموذج من فرنسا

عشية انهزام فرنسا أمام الألمان عام ١٩٤٠ قرر المارشال بيتان ـ كعسكرى وسياسى ـ أن يهادن الألمان ليتجنب المزيد من الخسائر فى الأرواح الفرنسية ، والمزيد من التخريب فى الأراضى الفرنسية على غير طائل فى حينه .

ولكن .. تصوروا لو أن الأديب والمفكر الفرنسى جان بول سارتر ـ مثلا ـ حذا حذو بيتان ، ودعا الى الحوار الودى مع النازية وقابل هتلر أثناء زياراته لباريس ، ليتحدث معه فى «السلام» ؟!!

أى هوة سحيقة كان سيقع فيها سارتر لو فعل ذلك ؟ لا بل ان مجده الأدبى والنضالى قد تأسس على أنه رفض ذلك بشدة وقوة ، ولولا هذا الموقف لما انتشرت فلسفة سارتر «الوجودية» ولما التفت اليها أحد . فالأفكار والفلسفات هى مواقف تاريخية قبل كل شىء ، وليست مجرد براعة ذهنية وبيانية وفنية منفصلة عن واقع الأمة واعمق تطلعاتها وآلامها . وللحقيقة التاريخية ، فان بعض الأدباء الفرنسيين الصغار الذين هادنوا العدو النازى فى كتاباتهم ـ أثناء الاحتلال وتحت ضغط الظروف ربما ـ قد جوبهوا باقسى الأحكام من حكومة فرنسا المحررة بعيد الحرب ؛ ولم يشفع لهم أنهم أهل كلمة فحسب وأنهم لم يستخدموا السلاح لصالح العدو أو أنهم «مضطرين» الى غير ذلك من الأعذار والتبريرات .

ومعيار الحكم ، بالنسبة لأهل الكلمة ، فى هذه الظروف هو الحديث النبوى المأثور : «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، وإن لم يستطع فبقلبه . وهذا أضعف الايمان» .

فالأديب ، على أضعف الايمان ، يمكنه أن يلوذ بالصمت والسكوت لأن صمته فى مثل هذه الظروف فيه بعض المعانى لمواطنيه ، أما أن ينطق ويعمل بطريقة عكسية ومضادة لجوهر رسالته ، فهذه هى الهزيمة المعنوية الداخلية التى أشرنا اليها والتى جرأت العدو علينا أكثر مما جرأته هزائمنا العسكرية السابقة .

وبعد المذبحة الجسدية التى تعرض لها إخوتنا فى صبرا وشاتيلا ، والمذبحة المعنوية التى أصابتنا ، نتيجة لذلك ، من الخليج الى المحيط ، فلابد أن نقرر أن شعار الحوار الحضارى مع العدو والتبادل الثقافى مع الفكر الصهيونى كانا من أسباب إزالة ذلك «الحاجز النفسى» الذى منع حكام اسرائيل من ذبح العرب بهذه الطريقة من قبل .

لقد زال هذا الحاجز لديهم تماما وأصبحوا طليقى اليد والنفس فى تحقيق هدفهم الأساسى الدفين ، والذى أصبح ظاهراً الآن : وهو إزالة كل وجود عربى من هذا العالم .

أجل .. ذلك هو «الحاجز النفسى» الوحيد الذى أزيل بسبب هذه الدعوة .. إنه الحاجز الذى منع اسرائيل من ذبح العرب طوال هذه الفترة . أما الحاجز النفسى الآخر الذى تحدثوا عن إزالته ، فليفتحوا أعينهم اليوم جيداً ، إن كانوا مايزالون قادرين على الرؤية السليمة ، ليروا كم جثة عربية عزلاء معلقة عليه فى صبرا وشاتيلا ، لعلها تتحول الى أجراس تقرع الضمائر الغافية وتوقظها من نومة أهل الكهف .

وصحيح أن هذه المذبحة هى المحصلة الصارخة لوضع العرب جميعاً ولتقصيرهم الشديد فى مختلف المجالات ، ولكن هذا لا يلغى المسئولية عن كاهل رجال الكلمة الذين باركوا نتيجة التقصير ، ولم يروا فيها ظرفاً سياسياً محدوداً باطاره ، وإنما انطلقوا يفلسفونها للأمة حواراً حضارياً وانفتاحاً ثقافياً قبل ظهور أية بوادر مقنعة من جانب العدو ، بل مع ظهور بوادر مهينة واستفزازية من جانبه قد يتحملها السياسى لكن يستحيل قبولها على الأديب .

أين الحقيقة

فى أكتوبر ١٩٨٠ وافق عدد من رجال الثقافة والأدب بمصر على الاجتماع برئيس اسرائيل اسحاق نافون . ولا يهمنا الآن تعداد أسماء هؤلاء السادة ، ولكن ما يهمنا حقاً هو محصلة ذلك اللقاء الذى وصفه د. حسين نصار فى مقاله بالأهرام عدد ٣٠/١٠/١٩٨٠ بعنوان «الرئيس الاسرائيلى والكاتب المصرى» .

يقرر كاتب المقال ـ وأحد المشاركين فى اللقاء ـ أن هؤلاء الكتاب ختموا اجتماعهم: «بالاشادة بالرئيس اسحق نافون الذى يشعرون فيه بالاعتدال وحب السلام والرغبة فى الفهم والتفاهم . (لقد تحقق ذلك كاملا فى صبرا وشاتيلا !!) ـ وبعد العشاء قال أحد كبار معاونيه للوفد ان الحديث كان رائعاً ، وأن كل كلمة قالها الكتاب وصلت الى قلب الرئيس ، فقلنا لأنها صادرة من قلوبنا» .. !!

«صادرة من قلوبنا» .. ؟؟

ما هذه التى صادرة من قلوبهم ؟

الآن عرفناها . بعد صبرا وشاتيلا عرفناها جيداً بوضوح الدم المتدفق والعيون الجاحظة والرقاب المقطوعة

من الحوار الحضاري .. إلى المذبحة

للنساء والأطفال .

هذه «الصادرة من قلوبهم» لم تكن سوى أصداء هزيمتنا المعنوية التى أزالت «الحاجز النفسى» لدى العدو ليفتك بنا كيف شاء .

والآن .. بعد المذبحة .. ما رأى هؤلاء السادة الأفاضل من أهل الكلمة ؟

نعتقد أنهم مدينون للحقيقة بكلمة . إن لم يكن للأمة فللحقيقة المجردة على أضعف الايمان .. الحقيقة المجردة التى يصرخ بها اليوم الأوربى والأمريكى واليابانى مستنكراً بل يستنكرها قسم كبير من الاسرائيليين لنفسهم ، فالمسألة تجاوزت الاقليميات والحساسيات والاتجاهات من كل نوع .

فلينطق هؤلاء السادة ليقيموا ما حدث ، خاصة وأنهم من شهوده ومن المشاركين أدبياً وأخلاقياً فى حدوثه من بداية حكاية الحوار الحضارى .. الى .. نهاية المذبحة ، إن كانت قد انتهت ..

إن مسئولية الأديب الأخلاقية والمعنوية أكبر بما لا يقاس من مسئولية السياسى . فالناس ـ كما قلنا ـ يغفرون للسياسى أحياناً تراجعاته ، ويتفهمون انحناءه للظروف الوقتية ، من أجل تغيير الأمر الواقع مستقبلا ، كما فعل النحاس باشا عندما وقع اتفاقية ١٩٣٦ ووصفها بأنها معاهدة الشرف والكرامة ، ثم ألغاها تجاوباً مع موقف شعبه عام ١٩٥١ لأنها أصبحت ـ مع التجربة المرة ـ مخلة بالشرف والكرامة .

أما الأديب فانه قبل كل شىء «موقف» .. موقف أخلاقى وضميرى وفكرى وتاريخى . والمواقف ليست مناسبات ظرفية عابرة وليست وظائف رسمية يؤديها الأديب بحكم إدارته لهذه المؤسسة أو عضويته فى ذلك المجلس ، ثم يغيرها عندما تتغير الظروف والحسابات .

وسارتر كما أشرنا كان موقفاً قبل أن يكون صانع رواية ومؤلف فلسفة ..

وبيرتراند رسل كان موقفاً قبل أن يكون رياضياً كبيراً وفيلسوفاً مبدعاً ، وغسان كنفانى كان موقفاً قبل أن يكون كاتباً وروائياً ..

والفن لا قيمة له إن لم يدعمه موقف واضح فى الحياة . هكذا علمنا أولئك السادة أنفسهم من دعاة الحوار الحضارى مع اسرائيل .

هكذا علمونا عندما كانوا معلمين ومرشدين لعالم عربى واسع وقبل أن يتحولوا الى مجموعة ترجمات بالعبرية ، يعلوها الغبار ، فى بعض المكتبات الجانبية باسرائيل ...

مسئولية الجمهور

إن أى فنان أصيل من شيمته دائماً أن يفكر بجمهوره الذى أحبه وارتبط به حتى عندما يحدث تعارض وقتى بين اعتباراته الشخصية ومشاعر جمهوره العريض من أبناء شعبه وأمته .

فهل فكر هؤلاء السادة الأدباء فى جمهورهم العريض وفى مشاعره وأحاسيسه ، احساسه بالكرامة خاصة ، عندما اندفعوا فى مسألة الحوار الحضارى والثقافى مع اسرائيل قبل أن تتضح النتائج العملية لمفهومها فى السلام ، وقبل أن يأخذ الحل العادل الشامل مداه الكامل ؟؟

وها هى النتائج العملية الآن أكثر من واضحة .. فما هى الحكمة أو الفائدة المترتبة على مواقفهم تلك التى خلخلت الوجدان العربى وزادت العدو تطرفاً فى عدوانيته ؟

هل يمكن أن يوضحوا لنا كيف حدث ذلك ، وكيف انخدعوا وتخدروا وهم أهل المعرفة والتحليل والوعى ؟

هل يمكن لأستاذنا توفيق الحكيم أن يكتب لنا اليوم ـ مرة أخرى ـ عن «عودة الوعى بعد المذبحة» ؟ أم أنه مايزال مكتفياً وسعيداً بعودة وعيه الحالى إليه بعد خروجه من تحت تأثير سحر عبد الناصر ، كما قال ؟

ألا يخامره أى شك الآن أنه ربما فقد وعيه أو بعض وعيه من جديد تحت تأثير السحر الأسود لمناحيم بيغن وبقية كهان الهيكل ؟!

أما الأستاذ نجيب محفوظ فكم كان رقيقاً ومهذباً فى رسالته الى الاسرائيليين بمناسبة عرض «ثرثرة على النيل» على أحد مسارح اسرائيل بالعبرية فى ابريل ١٩٨٢ .

قال سيادته : «أرجو أن تكون هذه المسرحية رمزاً للصداقة وسبيلا الى تحقيق السلام الشامل فى الشرق الأوسط . فان أعجبتكم هذه المسرحية فالفضل فى ذلك يرجع الى العالم الاسرائيلى سوميخ الذى أوصى بها ، والى الأستاذ الذى ترجمها ، والى الفنان الذى قام بتمثيلها . أما إذا لم تعجبكم فاللوم كان يقع على المؤلف . لذلك فابادر بالاعتذار» .

لا نظن أن الأستاذ نجيب محفوظ قد خاطب جمهوره المصرى والعربى ـ قط ـ بمثل هذه الرقة والعذوبة رغم كل «العشرة» الطويلة بينهما ورغم كل الاعجاب الذى أحاطه المصريون والعرب بفن نجيب محفوظ . ولاشك أن الكاتب مخلص فى دعوته للسلام الشامل العادل ، ومخلص فى استمالة الاسرائيليين لهذا السلام بأسلوبه الرقيق المهذب . ولكن هل يعتقد الآن الأستاذ محفوظ أنه وضع تهذيبه ورقته فى مكانهما ولدى أهلهما ؟ أو كما قال المتنبى : «وإن أنت أكرمت اللئيم .. تمردا» ؟

وأياً كان الأمر ، فان الاسرائيليين قد شهدوا مسرحية «الثرثرة» بالعبرية على مسرحهم ثم مروا بها مرور الكرام وهم فى الطريق الى حربهم بلبنان بلا سلام شامل ولا عادل ولا هم يكترثون ..

وأما نحن فقد أكلنا «المذبحة» على مسرح صبرا وشاتيلا ـ وبالعبرية أيضاً ـ فهل بادر أحد من الاسرائيليين بالاعتذار للأستاذ محفوظ ، رداً على اعتذاره المهذب لهم عن مسرحية «الثرثرة» ؟ على الأقل من باب التكافؤ فى الحوار الحضارى العتيد ؟ وشر البلية ما يثير السخرية فى زمن المذابح .

وحتى لا نقصر عرضنا لموقف الأستاذ محفوظ من خلال هذه المفارقة الفاجعة ، مفارقة الثرثرة ـ المذبحة التى فاجأته بها اسرائيل ـ فانا نورد تصريحه بالنص لمجلة أكتوبر العدد ٢٨٧ بتاريخ ١٩٨٢/٤/٢٥ ، ص ٧٩ :

قال الأستاذ : «اننى من أنصار السلام ومن دعاته . وان السلام اسم من أسماء

الله تعالى ، لأن السلام هدف وغاية ، وهو منحة من الله يجب أن نتمثل بها . كما أتى من دعاة التطبيع للعلاقات لأن مفهوم التطبيع يتمثل المعنى الحقيقى للسلام . ولابد لنا من السير فى مجال التطبيع وبلا تردد ، خاصة بعد نهاية ابريل . والتطبيع الثقافى أمر هام لأن فيه تلاقى الفكر فى إطار من النقاء والصفاء ، عند ذلك تذوب سحب التقاتل والصراعات التى تثير جواً من القلاقل وفقدان الثقة» .

وبعد تذكير الأستاذ محفوظ ان الله سبحانه له تسع وتسعون صفة ، السلام إحداها . ومن صفاته أيضاً ، كما لا يخفى عليه ، القوة والعزة . وهذه الصفات الالهية جميعاً جوهرها واحد ـ كما قال علماء الكلام ـ ولا يمكن أن تكون احداها نقيضة للأخرى . فهل الاستاذ على ثقة أن السلام الذى يتحدث عنه هو السلام الوارد فى صفات الله عز وجل ، وهل السلام الذى يتحدث عنه متفق مع صفات الله الأخرى ؟ نقول بعد تذكيره بهذا نود أن نعترف أن دعوته للتبادل الثقافى ، وبلا تردد ، هى موقف صريح واضح لا لبس فيه . وفيها شجاعة الوقوف أمام التاريخ بالحق أو الباطل .

ولكن .. حبذا لو انسحبت شجاعة الموقف هذه على مذبحة صبرا وشاتيلا ليقول لنا رايه فيها .. كانسان فقط .. لا كصاحب اتجاه عربى أو اقليمى ، يسارى أو يمينى ، لأنه فيما يبدو لم يكن عنده شىء يقوله عندما سئل عن رأيه فى القصف الاسرائيلى الشامل للمدنيين فى بيروت قبيل خروج المقاومة منها ، رغم الموقف المشرف لعدد كبير من الأدباء والفنانين المصريين من القضية ..

فهل مازال يعتقد أن السكوت عن جرائم اسرائيل مازال من ذهب حتى بعد المذبحة التى أثارت قسماً لا يستهان به من جمهوره الاسرائيلى نفسه الذى شهد مسرحيته «ثرثرة على النيل» ؟

نقول له هذا ليس من باب الاحراج ، لأنه أمام اللحم البشرى الممزق فى مخيمات اللاجئين ، يسقط الاحراج وتسقط المجاملات ، وتسقط اختلافاتنا جميعاً وترهاتنا جميعاً وأمجادنا جميعاً .. ولكن لأنه تحدث وسجل مواقف فكرية بالنسبة للانفتاح الثقافى على اسرائيل ذاتها صاحبة المذابح .. فهل له رأى فى هذه المذابح أم لا ؟ وهل يرضى أن يدخل التاريخ كأديب تحدث عن الانفتاح والتبادل وسكت عن الذبح ؟ نحن لا نرضى له ذلك ، حرصاً على روائعه الثلاثين أو الأربعين فى التراث العربى . فهذه كلها لن تترجم الى العبرية . وإن ترجمت فلن يقراها أحفاد شارون . لن يقراها إلا أحفاد الناجين من صبرا وشاتيلا يوم تبدل الأرض غير الأرض ويخلصنا الله من هذا الوضع الأليم الذى يقودنا الى هذا التجادل المرهق والمؤسف .

ولكن لا مهرب من أن نقول له بصراحة ومحبة ان حكمه كان خاطئاً تماماً ـ هو وزملاؤه الآخرون ـ بالنسبة لفهم طبيعة الكيان الاسرائيلى والفكرة العنصرية الصهيونية التى تجسدها اسرائيل . والذى نعرفه عن الأستاذ نجيب محفوظ أنه تقدمى علمى يمتد بصلة الى الطليعة الوفدية المستنيرة المناضلة ، فكيف يتلاءم ذلك والتحاور مع فكر عنصرى يمينى فاشى يرفضه التقدميون فى اسرائيل نفسها ؟

إننى أطلب منه فقط أن يضع أقواله فى الدعوة الى «تلاقى الفكر .. فى إطار من النقاء والصفاء لتذوب سحب التقاتل والصراعات ..» أن يضع هذه الأقوال تحت صور المذابح فى صبرا وشاتيلا ليرى معناها كاملا ، وليرى مفعول حديثه عن «النقاء والصفاء» فى نفوس الاسرائيليين وهل ذابت «سحب التقاتل والصراعات» من نفوسهم أم أن الذى ذاب حقاً هو أوهام الداعين للحوار الحضارى قبل حل المشكلة الأساسية والجوهرية التى تدور حولها سحب التقاتل والصراعات ؟

مصر .. قيادة وشعباً

ومن لطف الله بهذه الأمة ، وبما تبقى لديها من أحاسيس أن مصر العربية ، قيادة وشعباً ، قد أوقفت هذه الدعوة الى هذا الحوار الحضارى المشئوم وأوقفت «السير فى مجال التطبيع وبلا تردد» على حد تعبير الأستاذ نجيب محفوظ ، وأخذت تزيد الاقتراب من أمتها العربية ، وتتصلب بكرامة فى وجه المعتدى ، بما يبشر بانبثاق فجر جديد إن شاء الله .

وإذا كنا قد أدنا تحت إلحاح الواجب الأدبى اجتهاد ذلك النفر من الأدباء ، فلابد بالمقابل أن نشيد بمواقف الفنانين والأدباء الذين وقفوا بشرف مع اخوانهم الصامدين الفلسطينيين طوال المحنة ، ومايزالون ، معبرين عن الروح الحقيقية لأرض الكنانة.

كما نشد على أيدى أولئك الحاملين لشرف القلم ، المدافعين دائما عن عروبتهم واسلامهم وكنانتهم العزيزة دون تراجع ولا تلون من خالد محمد خالد الى اسماعيل فهمى الى لطفى الخولى الى أحمد عبد المعطى حجازى الى رجاء النقاش الى يوسف ادريس وسواهم من هذا الحشد الكريم الذى يمثل وجهنا الحقيقى الذى نصبو اليه .

وكم كان بودنا لو لم يحوجنا الأمر لطرح هذه المشكلة الأدبية . ولكن بعد هذه المذبحة الجسدية والمعنوية لم يعد من الجائز السكوت عن خطأ أياً كان ، خاصة فى نطاق الثقافة والفكر لأن الانحطاط يبدأ من هنا ، والصعود ينطلق من هنا .

فهل نلتقى جميعاً ، خاصة مع الاخوة الذين اختلفنا معهم حول مبدأ «عفا الله عما سلف» لنعمل معاً من أجل المستقبل حتى لا نتعرض لمزيد من المذابح والاذلال والدمار ؟ وحتى لا يبقى أدبنا وفكرنا فى هذه الحالة المخيفة من التشتت والتحلل والافلاس ؟ ولكن بشرط أن تكون المبادىء واضحة والمنطلقات بينة .

حبذا لو نوّرنا أساتذتنا الكبار الذين نريدهم أن يبقوا لنا أساتذة . وأن يبقوا كباراً .

د. محمد جابر الأنصارى

هـذه مقاطـع من قصيـدة طويـلة للشـاعر العربي الفلسطيني الكبير يوسـف الخطيـب وسـوف تظهـر هذه القصيـدة الرائعـة بصورتهـا الكاملـة فى ديـوان جـديد للشـاعر الكبيـر يصـدر قريبـاً :

لِمَنْ تَلِدُ النساء..؟!

شعر: يوسف الخطيب



(١)

سُدًى تتبرَّجُ الكلماتُ يابيروتُ
ليس يموتُ
عصف النارِ ، والأعصار
غير الظلم .. والظلمة ..
وتبقَيْنَ البشارةَ .. والمجيءَ ..
ولهفةَ الميلادِ .. والعُرْيَ المضيءَ ..
ووحدك العذراءُ ..
فامتلئي بأبكارِ الرؤى نعمه ..
سُدًى تتغيَّثينَ مناهلَ الصحراءِ
لا وعدٌ على بريَّةِ الأحقافِ
غير مدافن الأسلافِ ..
لا برقٌ يشقُّ أنوثةَ الغيْمَه
هنا التأمَتْ « صلاةُ الغائبِ العربيِّ »
ثم قرأْتُ فاتحتي
لأضرحة .. الشهامةِ .. والفداءِ ..
عليهما الرحمَهْ ..
أسيدتي .. كأن حريق هذا الكهفِ
يصقل منك حدَّ السيفِ
يُنْشِبُ من لهيب أضَالعِ الشهداءِ
كل أظافرِ النقْمَهْ
كأن غداً يدقُّ رتاجَ هذا البابِ
يغسلُ حُرْقَةَ الأهدابِ فى فَرَحٍ
ومن قُزَحٍ
يُفسِّرُ في دهاليزِ الدُّجَى حُلُمَهْ
كأن جِراحَ من سَقَطُوا
تصيرُ براعِمَ الرمَّانِ
أشعلها بجبهَتِكَ الصباحُ
وحُمِّت الأقداحُ بين عرائشِ الكَرْمَه
وأُقسم بالندي ، والشمس ، يابيروتُ
إذ يتضرَّج النَّعْمَانُ في دَمِهِ
فمن فَمِهِ
يشع التوأمان .. الجرحُ .. والبسمه ..
وأحدس أن قلبي الآن ذو نبضين
أصباه .. وأنضجه .. العذابُ ..

كان لـذعَ النار طعمُ قصائدِي
وتفتّحَـتْ في رأسِيَ الحِكْمَـهْ ..

أقول لَكُمْ ..
« إذا كان الإمَـامُ بلا وضُـوءٍ
« لن تَجُـوزَ صلاتُها الأمَّـهْ ..

أقول لكم ...
« تبارَكَ شعبُنَـا العربيُّ ، بعْدَ اللهِ
« غيْرُ جبينه من يحملُ الوصْمَهْ ..
.....
.....

(٢)

مَذاقُ النصرِ في قاموسِـكَ العربيِّ
فاكهـةٌ محرَّمَـة
وطعـم القهـر .. كبريتٌ .. وملحٌ ..

وتنحبـس الغيومُ على حلاقيـمِ الثّلومِ
وجرحُ شعبك فاغـرٌ
من ألفِ فاجعةٍ يَسِـحّ

سألتُ اللهَ .. عَفْوَكَ ..
كم تنـزُّ قروحُنـا عَبَثَ الريـاحِ
ولم يَمَسَّ القـومَ قَـرْحُ

أتنهـدم القبـورُ على القبـورِ
ويمّحى بأديمِ هـذي الأرض آدَمُهـا
وما ينهـدُّ للطاغـوتِ صرحُ
.....
.....
ويقوم بين الناس أكثرُ من مسْيَلَمةٍ
وتلتمـعُ الدُّمَى
ويَعُمُّ هذا الكـونَ قبـحُ

لمن تَلِـدُ النسـاءُ إذَنْ ..
إذا لم يغزُ ليلَ القدسِ .. قدّيسٌ ..
ولم يُنجـزْ على الطاغـوتِ رمـحُ

بلى .. حَبِلَـتْ .. فأثقلت الخيامُ
فثمَّ في بطـن الظـلامِ
يهمُّ بالميـلادِ .. تكوينٌ .. وصبحُ ..

تكاد تفيضُ بالآتينَ أرحـامٌ
وتازفُ .. من مخـاضِ القهر .. أيامٌ
وأعـلامٌ مجنّحَـةٌ .. وفَتْحُ ..

لأنّاغيْـثُ رائعةِ المواسِـمِ
حيثُ نسقيها جوارِحَنَـا
سيمرعُ في الربى .. وردٌ .. وقَمْـحُ ..

ستومـضُ ، بعدُ ، أشـواقٌ
وتنهَـلُ من رحيق الشمس أحداقٌ
وبالنهارِ عمـلاقٍ سيصْحُـو ..

ويطلـعُ ، بعدُ ، في قاموسك العربيِّ
أجـراسٌ .. وأقواسٌ ..
وفـوحٌ يغزل الرؤيـا .. وبَوْحُ ..

(٣)

أظنُّ هناك إخباريَّـةً عن نبضِ قلبي
في أضابيرِ المباحِـثِ
أنّ جِنّاً من طيـوفِ القدْسِ تَسْكُنُنِي

أظنُّ هناك تعميمـاً على كل المخافرِ
أنّ وزْنَ حقائبي
أوزانُ أشعارٍ .. وأحلامٌ تؤرّقُنِي

أظنُّ هناك ملصوقاً بجدرانِ المدينةِ
يستحـلُّ دَمِي
وأن سماحَةَ المفتي يُزَنْدِقُنِي

لذلك يشرب العشاقُ خَمْرَ قَريحَتِي
وأهرّبُ الآمالَ ، في الآلامِ
ذَوْبَ الشّوقِ .. في الشّجَنِ

فما هَمّي إذا لونْتُ بالأضـواءِ
احداقَ النجومِ على أساريرِ السماءِ ..
هل الرقابةُ بعدُ تشطُبُنِي ؟! ..

رضيتُ جـزاءَ عصياني ..
ويُعْرَفُ من همُ الشعراءُ
لا من خلعـةِ السلطانِ ..
بل .. من فادحِ الثّمَنِ !! ..

تظلُّ لي السماءُ ، وخَفْقُ أجنحتي
ومزمـاري .. وأغنيتي ..
ومعنى الروحِ تُرْعِشُ هيكلَ البَـدَنِ

لأنّي لم أبعْ ، بمزادهم ، قَلَمِي
وما بَـدّلْتُ جِلْدَةَ وجْهِيَ العَرَبِيِّ ..
لم أسقط .. ولم أخُـنِ ..

ولكنْ ، صُغْتُ نَبْضَ الحَرْفِ ،
وَهْجَ السّيفِ
واستبقيتُ لي عُمْـراً ، وَرَاءَ العُمْـرِ
إنْ وَغْدٌ سيقتلني

.....
.....
.....
.....

يوسف الخطيب
دمشق ـ تموز ١٩٨٢

أضـــــــواء جـــديـــدة

المستشرق اليهودي والحقد على الإسلام

بقلم: الدكتور توفيـق الطويـل

تلقى رئيس تحرير الدوحة هذه الرسالة الهامة من الأستاذ الجليـل الدكتور توفيق الطويـل أستاذ الفلسفة بجامعة القاهـرة وعضـو مجمـع اللغة العربيـة ، وأحد كبار أعـلام الفكـر العربي المعاصـر ، والرسالة تتناول شخصية المستشرق اليهودي « بول كراوس » الذى انتحر فى القاهـرة فى الأربعينات .. وما تزال شخصيته وانتحـاره من الأمور الغامضة ، وهذا هو نص رسالة الدكتور الطويل :

عزيـزي رئيس التحرير :

تحية الله وسلامه وبعد : فقد قرأت فى عدد أكتوبر من مجلة الدوحة تعليقكم على رسالة الدكتور نصار عبد الله ، وفيه تطلعتم إلى مزيد من الضوء على شخصية «بـول كراوس » والتعرف على رأيي فى سبب انتحاره ، وأنا أقرر في مستهل الحديث أن هذا المستشرق اليهودي كان أثناء حياته مثاراً لجدل يتراوح بين تقدير مسرف ، واستخفاف بالغ .. ! ومن بين الذين ناصبوه العداء ونالوا من علمه وخلقه أعضاء بعثات كلية الآداب الى باريس فى عهدها الاول ، إذ قضوا فى باريس عشر سنوات لم يوفق أحد منهم فى الحصول على دكتوراه الدولة ـ التى تتطلب دراسات جادة شاقة فى اليونانية واللاتينية ، فأعادهم الدكتور طه حسين عميد الكلية فجأة الى القاهرة وأساءت الكلية معاملتهم فقررت تعيينهم معيدين أحدث عهداً فى سلم الوظيفة من المعيدين الجدد الذين عينوا بليسانس ذلك العام ..! وأشارت أصابع الاتهام الى «كراوس» الذى كان قد عاد من رحلة الى باريس ، وقيل إنه أوغر صدر الدكتور طه حسين بحديث طويل عن استخفاف هؤلاء المبعوثين بالدراسة ، وانغماسهم فى اللهو والعبث مع الفتيات الباريسيات .. !! وأشهد أن كان بين تلاميذ هذا اليهودى فى ذلك الوقت من كان يسرف فى تقديره ، الى حد أن بعض طلاب قسم الفلسفة بكلية الآداب اتفقوا بعد موته على أن يذهبوا الى مثواه الأخير مشياً على الأقدام ليضعوا على قبره باقة ورد تقديراً له وإعجاباً بعلمه .. !! وأنا أشهد ـ وأنا لم أكن من المقربين اليه المحببين له ـ أن «بول كراوس» كان يلفت النظر بصغر سنه وحدة ذكائه ووفرة نشاطه وغزارة انتاجه وسعة علمه بالتراث العربى الاسلامى ، وأن الله قد وهبه ذاكرة قوية يعرف قيمتها المشتغلون بالدراسات العلمية ، فكان اذا سئل عن نص أورده مستشرق مترجماً فى كتاب بالفرنجية دون أن يشير الى مصدره العربى ، بادر «كراوس» بالعثور على النص فى أصله العربى فى مكتبة الدراسات (العربية) الشرقية التى كان له وحده فضل انشائها فى المكتبة العامة بجامعة القاهرة .. !

أما عن مسألة انتحاره فليس فى سببها يقين لا يرقى اليه شك ، والذى عرفته بعيداً عن الذين يضمرون له الكراهية هو ما أشار اليه الدكتور نصار عبد الله فى رسالته اليك ، مع ملاحظة أن رئيس قسم الجغرافيا كان يتأهب للسفر مع زميلين آخرين لحضور مؤتمر فى القدس ـ ولم يسافر بتكليف من الدكتور طه ـ والمعروف أن الدكتور طه كان إذا أحب أسرف فى حبه فاذا تبين فيمن أحبه خللا أخلاقياً نفر منه واشتد غضبه عليه ، ولم يكن هذا بالأمر الهين على «كراوس» الذى عاش فى حماية الدكتور طه وفى ظل نفوذه ـ عميداً للكلية كان أو مجرد أستاذ بها .

أما عن حبه للعروبة ودفاعه عن قضيتها فانى أميل ـ فى حذر ـ الى رأى الدكتور نصار فى رسالته ، فان «كراوس» كان يبدو ـ وهذه وجهة نظر خاصة ـ حاقداً على الاسلام ، فى وقت كان الحقد فيه على الاسلام يتضمن الحقد على العروبة .. ! إن



طـه حسين



د. توفيق الطويل



د. عبد الرحمن بدوى

ن بحوثه العلمية بحوثاً يبدو منها
صه الشديد على إحياء رسائل كتبها
ة الملحدين فى عصر الالحاد والزندقة
الاسلام ، وإن كنت أنبه مقدماً الى أن
يهتم بدراسة الالحاد ويؤرخ له لا يتحتم
يكون ملحداً أو ميالا الى نشر الالحاد
ن الناس ، إذ ربما كان الدافع الى هذه
راسة علمياً محضاً ، ولكن الحال عند
ا المستشرق اليهودى قد يبدو على غير
ا الوجه ! فقد عنى أشد العناية بائمة
لحدين الذين اعتصموا بالعقل واعتزوا
نطقه ، واستهانوا بالايمان الدينى
ستخفوا به ، فمن أشهر الرسائل التى جد
البحث عنها ونشرها بعد دراستها رسائل
بن الراوندى» وكانت طعناً سافراً فى
سلام وهدماً صريحاً للنبوة وإبطالا
رسالات وسخرية بالمعجزات ، واستخفافاً
عجاز القرآن حتى جعل فصاحة أكثم بن
يفى تفوق فصاحة القرآن .. !! وهكذا كان
ن الراوندى يبطن الزندقة ويقصد الى
زعة الاسلام فى نفوس أهله .
وكان من أحب المفكرين الاسلاميين الى

قلب ذلك المستشرق اليهودى : «محمد بن زكريا الرازى» حقيقة انه كان أعظم أطباء عصره غير منازع ، فيما قال مؤرخو الطب العربى من ادور براون ووليم اوسلو وجاريسون وكاميل وغيرهم ، كما كان أعظم رواد الكيمياء فى عصره حتى عده «الدومييلى» مؤسس الكيمياء علماً تجريبياً طبيعياً ... ولكن «كراوس» قد اهتم به ملحداً شغل نفسه بهدم النبوة استناداً الى قيمة العقل ومنطقه ، وتصدى لهدم الاديان كلها .. ! ـ ربما لأن ذلك خطوة الى زعزعة العقيدة الاسلامية فى نفوس اهلها .. ! ـ ونقد الرازى الكتب المقدسة وابان عن فسادها ، وهاجم إعجاز القرآن الكريم نظماً وتاليفاً ومعنى ... ! وهكذا سار سيرة سلفة الملحد «ابن الراوندى» .

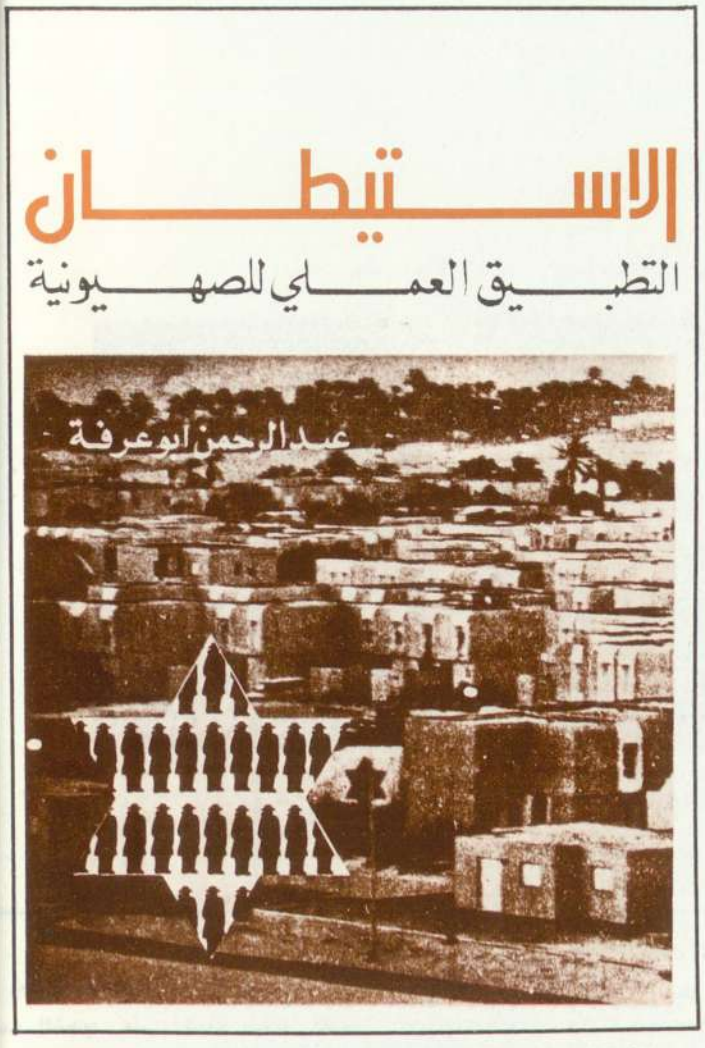
ونشر كراوس رسائل «جابر بن حيان» الذى كان يعده البعض مفخرة العرب فى العلم الطبيعى ورائد مناهج البحث التجريبى العلمى ، فاعتبره «كراوس» شخصية خرافية وليست شخصية تاريخية واقعية ، وان كان هذا ما ذهب اليه المعاصرون من المستشرقين من أمثال الدومييلى وبرتيلووغيرهما . واهتم «كراوس» بأن يثبت الصلة بين كتبه المنحولة وآراء غلاة الشيعة الاسماعيلية ... الخ

ولكن هذا الذى نقوله ـ تصريحاً او تلميحاً ـ لا يرضى صديقنا الأستاذ الدكتور عبـد الرحمـن بـدوي (وهو بجامعـة الكويـت الآن) إذ كان أخلص أصدقاء «كراوس» ، وأقرب محبيه الى قلبه ، وقد ترجم له الكثير من بحوثه ودراساته وهو فيما أعلم لا يطيق أن يسمع عنه كلمة سوء .. !!

هذا بعض ما بدا لي أنه قد يلقى بعض الضوء على شخصية هذا المستشرق اليهودى ، ولعل فيه بعض الانصاف من الحملات الجائرة التى شنها عليه خصومه ـ وما كان اكثرهم .. !

د. توفيق الطويل

إبراهيم السمّان



غلاف كتاب « الاستيطان » الذي صدر مؤخراً حول هذه القضية الخطيرة المتعلقة بالأرض والانسان والمياه

الاستيطان :

حرب على الأرض والماء والإنسان

ليس الاستيطان الاسرائيلى فى فلسطين ، كما يبدو للبعض ، موضوعاً جديداً أو حلقة تضاف اليوم إلى مسلسل الصراع العربي الصهيوني فى القضية المقدسة ، فالاستيطان هو جوهر هذا الصراع منذ أواخر القرن التاسع عشر . وقد عمدت الحركة الصهيونية منذ نشوئها إلى التخطيط المدروس لدعم حركة الاستيطان بمختلف الوسائل الممكنة منتهزة الظروف الاستعمارية التى عاشت فيها فلسطين تحت سيطرة الانتداب .

وقد صدر مؤخراً كتاب جديد عنوانه (الاستيطان) من تأليف الأستاذ عبد الرحمن أبو عرفه . وهو من أبناء مدينة الخليل ومن سكان مدينة القدس المحتلة اليوم . وهو كتاب تناول الاستيطان الصهيوني من مختلف زواياه وميزة صاحب هذا الكتاب هى متابعة هذه القضية الخطيرة عن كثب لأنه عاش مآسى الاحتلال . وهو أول كتاب من نوعه يقوم بكتابته انسان مختص فى داخل الأراضى المحتلة . وقد اعتمد الكاتب فى عرضه هذا الموضوع الأسلوب العلمى فجاءت محتويات الكتاب مدعومة بالأرقام والاحصاءات المستندة الى عدد كبير من المصادر باللغات العربية والانكليزية والعبرية . فهذا الكتاب كما يقول مؤلفه فى مقدمته ، هو محاولة لدراسة ظاهرة الاستيطان لأنها تمثل فى حقيقتها التطبيق العملى للصهيونية .

فالباب الأول من الكتاب يتحدث عن عناصر الاستيطان وهى الأرض والانسان والمياه .. فالأرض باعتبارها القاعدة الاساسية للاستيطان ، كانت هدفاً أولياً للحركة الصهيونية . فمن خلال امتلاك الأرض يمكن تنفيذ « الانقلاب الديمغرافي » المتمثل فى طرد العرب وتوطين اليهود . وبرغم التغطية الاعلامية التى رافقت عمليات الاستيطان الصهيونية الأولى ، والتى استندت الى عبارة « فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض ، فان الصهيونيين يعترفون بعكس ذلك تماماً حيث يقول أحد المسؤولين الاسرائيليين فى محاولة السيطرة على الأراضى « رأينا آثار الحضارة الزراعية الأصلية الجذور التى خلفها النازحون وراءهم ، ولقد تملكنى الهم من ذلك ومن واقعنا الحالى ، فمن أين لنا بطاقات بشرية كافية لمواصلة

هذه الحضارة ولمتابعة تعميقها وتوسيعها ومتى نستطيع حشر الاف اليهود لكى يبقى الجليل على ازدهار ؟

ولقد ركزت المؤتمرات الصهيونية على مبدأ تأميم الأرض واعتبارها أساس الدولة اليهودية . واعتبرت استملاك الأراضى امراً بالغ الأهمية وقد جاء فى المادة الثالثة من دستور الوكالة اليهودية « تستملك الأراضى كملك لليهود وتسجل باسم صندوق رأس المال القومى اليهودى وتبقى مسجلة باسمه الى الأبد ، كما تظل هذه الاملاك ملكا للأمة اليهودية غير قابل للانتقال » وقد مارست حكومة الانتداب البريطانى دوراً هاماً فى نقل ملكية مساحات واسعة من الأراضى الى اليهود .

العنصر الثانى

وأما عنصر الاستيطان الثانى وهو الانسان . فقد كان هدفاً رئيساً من أهداف المخططات الصهيونية . وقد تمثل ذلك فى شقين : الأول جمع أكبر عدد من اليهود فى العالم وتركيزهم فى (اسرائيل) والثانى التخلص من العرب بتهجيرهم وحملهم على ترك أوطانهم بمختلف الوسائل . وقد وصل أمر إخلاء العرب الى حد ارتباطه بوجود الدولة اليهودية ذاتها انطلاقاً من ايمان السلطات المحتلة بحقيقة : أن لا صهيونية بدون استيطان ولا دولة يهودية بدون اخلاء العرب وبدون مصادرة الأراضى » .

ويعدد المؤلف الهجرات الصهيونية المتتالية الى فلسطين اعتباراً من الهجرة الأولى (١٨٨٠ ـ ١٩٠٣) وحتى الهجرة السادسة (١٩٣٩ ـ ١٩٤٨) مع وصف لموجات هذه الهجرة وجنسياتها ومصادرها . ثم هنالك الهجرة اليهودية الى فلسطين بعد الاحتلال . كما يبدى ملاحظات حول احتمالات الهجرة اليهودية الى اسرائيل فى السنوات القادمة وعلاقة ذلك بالاستيطان ، وفى الباب الذى يتناول عنصر الاستيطان الثالث أي (المياه) يتحدث الكتاب عن مصادر المياه الموجودة فى فلسطين واستغلال اسرائيل الضعف العربى العام لتحويل مصادر المياه الخارجية لارواء الأراضى التى تسيطر عليها . كما يبين مشاريع المياه والرى التى قامت بتنفيذها ... وكذلك التجارب التى أجريت لتحلية المياه وزرع الغيوم وتحويل اتجاهها نحو بحيرة طبريا من أجل زيادة كمية الامطار فوق البحيرة .

تناقص متواصل

وأما فيما يتعلق بالمواطنين العرب ، فان الأرقام تشير الى تناقص متواصل فى ساحة الأراضى الزراعية يرافقها تناقص مماثل فى عدد العاملين فى الزراعة وكميات المياه الضئيلة الموردة للمزارعين العرب ، وتوجه عادة لزراعة محاصيل معينة لازمة للاقتصاد الاسرائيلى أما القرى العربية فيتم توريد مياه الشرب اليها فقط بموجب اتفاقيات تنص على عدم استعمال المياه للصناعة أو الرى وان غالبية القرى العربية تعانى من نقص كبير فى مياه الشرب اما بالنسبة للري فالوضع أسوأ بكثير .

ومن أجل تنفيذ مشاريع الاستيطان أقامت سلطات الاحتلال مجموعة من الأجهزة التخطيطية والتنفيذية . وتشعبت أعمال هذه الأجهزة لتشمل شؤون التخطيط والتمويل والادارة . وتوجد اليوم شبكة من المؤسسات والهيئات اليهودية المختصة بموضوع الاستيطان تعمل بصورة متناسقة ضمن السياسة الاستيطانية العامة لاسرائيل . ولكل هيئة مهامها المحددة التى يتم بمجموع جهودها تنفيذ الخطط الاستيطانية .

ويعرض كتاب الاستيطان أنماط الاستيطان ومراحله ومنظماته وأنظمته وأسلوب الحياة فى المستوطنات ، ثم يدخل فى تفاصيل إقامة المستوطنة ابتداء من مرحلة تخطيطها ثم توزيع الأراضى والمنازل والمياه فيها وحقوق وواجبات مستوطنيها .

واما الباب الثالث من الكتاب ، فقد تناول فيه المؤلف تاريخ الاستيطان فى فلسطين ابتداء من الحكم العثمانى عندما كان عدد جميع اليهود فى فلسطين لا يتجاوز خمسة وعشرين ألفاً يقطنون فى التجمعات المدنية .. ثم يتناول الاستيطان خلال الانتداب البريطانى وحجم الاستيطان فى المناطق المحتلة من فلسطين ، وينتهى الكتاب بفصل عن الاستيطان فى سيناء والجولان ..

ولعل أهم ما تتميز به المعلومات التى انطوت عليها هذه الدراسة العلمية الدقيقة هى وسائل الايضاح التى اشتملت على المخططات وجداول الاحصاءات والاشارات الى مصادر المعلومات ومراجعها مع فهارس الجداول والخرائط والأشكال والأسماء .

هذا الكتاب الذى يقع فى أكثر من ثلاثمائة صفحة من الحجم المتوسط يعتبر من خلال ما جاء فيه موسوعة صغيرة غنية بأدق وأحدث المعلومات عن الاستيطان الاسرائيلى بمختلف أبعاده ..

ابراهيم السمان



فى مستوطنة صهيونية فوق الأرض المغتصبة حيث يقوم بعض الصهاينة بتثبيت لافتة تحمل اسم المستعمرة الجديدة

أحمد شوقي في ذكراه الخمسين

أصول الشوقيات

بقلم: الدكتور ماهر حسن فهمي

أمير الشعراء احمد شوقى الذى تحتفل الأمة العربية بذكراه الخمسين ، فقد توفى فى ١٤ أكتوبر عام ١٩٣٢



عندما أصدر «علي مبارك» كتابه «علم الدين» قبل وفاته بقليل (١) ، ك
يهدف الى استغلال فن المقامة فى تصوير حياة وعادات جديدة ،
النفوس لا تحب الحقائق الجافة : «وكثيراً ما تميل الى السير والقصـ
وملح الكلام ، بخلاف الفنون البحتة والعلوم المحضة ، وقد تعرض عـ
فى كثير من الأحيان ، لاسيما عند السامة والملال من كثرة الاشتغال ، و
أوقات عدم خلو البال ، فحدانى هذا الى عمل كتاب أضمنه كثيراً من الفو
فى أسلوب حكاية لطيفة ينشط الناظر الى مطالعتها ، ويرغب فيها رغـ
فيما كان من هذا القبيل ، فيجد فى طريقه تلك الفوائد ، ينالها عفواً بلا عـ
حرصاً على تعميم الفائدة ، وبث المنفعة ، فجاء كتاباً جامعاً ، اشتمل عـ
جمل شتى من الفوائد المتفرقة فى كثير من الكتب العربية والافرنجية
العلوم الشرعية والفنون الصناعية» .

فهدف الكاتب نفعى عملى والعرض الأدبى وسيلة لنقل العلم مثـ
صنع الجاحظ فى كتاب «الحيوان» على سبيل المثال ، على أن هناك لمحـ
قصصية وردت خلال وصف حياة «علم الدين» فى الأزهر ووصف حفلا
الزواج والأعياد والمكاتبات والملاحة والتعليم ، وهو اتجاه لابد منه .
يكتب لجمهور فى بداية النهضة ، بل لقد استعمله الغربيون التعليميـ
حين قصدوا اذاعة آرائهم مثل «روسو» فى كتابه «اميل» .

وهذه المحاولة قد وجهت جيلا الى استغلال المقامة وأسلوب القـص
فى عرض قضايا العصر ، ووجهة نظر الأديب فيها ، مثل «شيطان بنتاءو
لأحمد شوقى ١٩٠١ ، «حديث عيسى بن هشام» لمحمد المويلحى ١٩٠٧
«ليالي سطيح» لحافظ ابراهيم ١٩٠٦ ، «ليالى الروح الحائر» لمحمد لطف
جمعة ١٩١٢ وغيرها .

وإذا كانت اللغة من حيث هى مقدرة ووسيلة وهدف فى آن واحد
وضحت فى كتاب شوقى فان تمكنه منها قد أسعفه فى الاطناب حيث ير
الاطناب وفى تعادل الاقسام حيث يريد والسجع حيث يرغب .



احمد شوقى فى شبابه .. كان عصره امتدادا لعصر احياء الشعر واللغة العربية بعد سنوات طويلة من التدهور

يقول احمد شوقى فى رمسيس الثانى :

كنت كالفلك لا تسكن ، وكالمنية لا تدفع ،
وكالصخرة لا تستخف ، وكالسماء لا تطاول
وكالدهر لا تنام ، وكالنجم لا تعيا ،
وكالسيف لا تروى ، وكالدنيا لا تكرد ،
وكالحياة لا تمل ، وكالصبح لا تخفى ،
وكالشمس لا تستزاد ، وكالسهم لا ترد ،
وكالبحر لا تزخم ، وكالذهب لا تراب ،
وكالليث لا تهاب ، وكالطيب لا تكتم ،
وكالنار لا تدنس ، وكالعارض لا تعارض ،
وكالريح لا تسابق ، وكالطود لا تصادم ،
وكالماء لا تعوض ، وكالهواء لا تستبدل ،
وكالحق لا تغلب ، وكالسعادة لا تعادل ،
وكالسلامة لا تفاضل ، وكالبدر لا تواسم ،
وكالليل لا يدرى ما تاتى ... (٢)

والسجع بالنسبة له ايسر شانا لان محصوله اللغوى الذى يسعفه فى القوافى الشعرية ، هو الذى يسعفه فى السجع ، وهى مقدرة على اية حال تلفت النظر الى تمكن هذا الجيل ، وتروع القارىء وتدفعه دفعا الى مواصلة القراءة لا لكى يستفيد من المحصول اللغوى فحسب ، ولكن لان المحتوى الفكرى نفسه حي نابض بالحياة .

التحدى الحضارى

والقضية الاساسية التى عرض لها هذا الجيل بعمق وجدية هى قضية التحدى الحضارى ، والبحث عن الهوية او الشخصية المصرية ، وسط الدعوات الغربية والاسلامية والعربية والفرعونية ، ودراسة أسباب الضعف وسبل القوة . والحقيقة أن «محمد توفيق البكرى» قد عرض لهذا الموضوع فى كتابه «المستقبل للاسلام» الذى صدر عام ١٨٩٣ ، فدفع غيره الى التفكير فيه .

وقد ذهب بعض الغربيين الى أن طبيعة أرض الشرق بجوها الحار مفسدة للهمم ، فهي نقمة بدلا من أن تكون نعمة . ويتناول البكري هذا الراي مفندا ، فيستشهد برأي (فولتير) ، إذ لو سلمنا به ولو كان سليما ما قامت الحضارات فى الشرق الذى ساد الدنيا زمنا بل ما ضعفت أمة بعد قوتها ، والواقع غير ذلك «فها هى ذى الامم الغربية نفسها وارضها لم تتغير وجوها لم يتبدل ولكن الذى تبدل فيها اخلاق اهلها» . ويستمر فولتير قائلا : كان من عادة «شيشرون» الخطيب الرومانى أن يهزأ بالانكليز حتى انه كتب مرة رسالة لاخيه (فانتوس) الذى كان ضابطا مع قيصر فى غزوته التى غزاها بانكلترا يساله مستهزئا ان كان قد وجد ثمة فلاسفة كبارا او رياضيين عظاما . فهلا علم شيشرون انه نشا بعده فيها اعظم فلاسفة العالم ورياضييه، تحت تلك السماء المظلمة بعينها ؟ هذه كلها امثلة تدل على انه ليس للاقليم اثر يذكر فى ارتفاع الامم وانخفاضها ؟ (٣) .

من الواضح إذن أن الجو لا علاقة له بالتقدم والتاخر ، وان راسمال الاسلام كبير من حيث الأرض الطيبة وعدد السكان ، ولكن الا يعبث المستعمر الاوربى بهذه الأرض ؟ أليس من الجائز ان يستوطنها الدخيل الاجنبى ويستولى على راس المال ؟ هنا يلجا البكرى الى علوم الحياة فيقرر أن الحيوان والنبات والانسان لا يستطيع أن يعيش فى وسط غير مماثل لما نشا فيه ، فلا يمكن للأسماك أن تعيش فى الصحراء ولا للناقة أن تدوم فى الماء ولا للنخيل ان ينبت بين الجليد ، وينقل راى (لوبون) فى كتابه (الفسيولوجيا) حيث يقرر أن التاريخ اثبت مرارا عجز اهل الشمال عن الاقامة الدائمة فى أرض الجنوب ، وهذه هى مصر حكمتها امم كثيرة فاكلتهم وبقى الفلاح المصرى كما هو على أرضه . وكذلك عجز الرومان عن أن يستوطنوا افريقيا مع انهم استوطنوا اسبانيا وفرنسا وجعلوها بلادا لاتينية .

وينتقل الى الفصل الثانى من كتابه فيتناول أسباب انحطاط الأمة الاسلامية ، والحديث كان يدور حول هذه الأسباب ، فقد أرجعها صاحب «السبب اليقين» الى البعد عن تعاليم الاسلام وأرجعها الكواكبى فى «طبائع الاستبداد» الى الظلم ، وأتى الكواكبى فى كتابه «أم القرى» بعدة أسباب اخرى منها الجهالة وسيطرة الاوربيين . ولكن البكرى لا يدخل الى الموضوع مباشرة وإنما يتحدث عن القوانين العامة التى تخضع لها الامم جميعا فى ضعفها وارتقائها ، ففريق من العلماء يرى أن هناك ناموسا طبيعيا تخضع له الامم مثلما يخضع له الافراد . والفرد إذا جاء زمن مشيه مشى وحده وإذا جاء زمن النطق نطق وكذلك المجتمعات الانسانية مسيرة بقانون أزلى وكل مجتمع هو نتيجة حتمية لماض طويل يحمل بذور التحول .

أما الفريق الثانى ومنهم افلاطون

أصول الشوقيات

وأرسطو فيرون الامة كالشمعة المذابة يمكن تشكيلها بالارادة كما فعلت اليابان .

ولكن ما السر وراء تحريك الارادة ؟ يقول «ديدرو» (علة العلل فى ارتقاء وانحطاط الأمم هو العلم والجهل) فالجاهل الآن كالاعزل فى القرون الوسطى ، فمن كان اكثر علماً كان اكثر قوة ، وهذا هو رأى البكرى .

الماضى والحاضر

وتناول الشاعر «احمد شوقى» فى «شيطان بنتاءور» نفس الموقف الذى ينظر الى الماضى ويتطلع الى الحاضر فى حوار بين «هدهد» و «نسر» أما النسر فهو الشاعر الفرعونى بنتاءور واما الهدهد فهو شوقى نفسه ولعله رمز للأول بنسر لأن النسر يعمر ولأنه فى نفس الوقت يدل على الباس ، ومهما كان السبب فى اختيار الهدهد رمزا له فان التاج على راسه يدل على احساسه بمكانته بين شعراء عصره .

«ثم وقفت اتامل قبور الملوك العظام ، واذكر عبث الانام لا الأيام ، واعجب للأهرام ـ وهى من عمل الأسرة الرابعة وبنيان المصرى فى أول عهده بالحياة وبداية دخوله فى الحضارة ـ كيف رسخت فى الأرض رسوخه فى العلم ، ووقفت للدهر وقوفه فى الفن ، وكلما تاملتها جزتنى العبرة عن النظرة ، والعظة عن اللحظة ، فرأيت النعيم كيف يزول ، والحال كيف يحول ، والدولة كيف تدول ، والملك الكبير إلام يئول ... وادمت النظر الى الاهرام ، لا لعظم فى الجرم وفخامة فى البنيان ، ورسوخ فى الأرض وطول زمان فان استعظام رؤية الاجرام من خلائق الصبيان ـ لكن كمرآة أرى فيها قدماء المصريين كما هم فى الأعصر الأول ، ولما يكتملوا دولا لربع ، فلا أرى إلا صوراً واضحة ، واشباحاً لائحة ، ثم انظر فيها المصريين الاحياء وكانما اتاملهم فى مرآة محدبة مقعرة : صور ممسوخة واشباح معوجة ، واعضاء كمختلط الاشلاء من ضياع التناسب ، وما اختلف الزجاج لكن هى الأخلاق تحسن وتقبح ، وتعلى وتسفل وتقوم وتعوج ، وتريك من قوم ما لا تريك من آخرين ، ما ابعد ما بين الأصل والفرع ، وشتان ما بين الوالد والمولود ، ذلك قبيل شاد وساد ، وأجار من البلى الأجساد ، ونشر سلطانه على العباد ، وأخذ لآثاره من بعده ميثاقاً من الآباد ، حياته للموت وموته للحياة ، يعمل للذكر ويهيىء للأحاديث ، ويترك للابناء ، ويعلم أن السير حياة ثانية ، فى هذه الدار الفانية» (٤) .

وشوقى يطرح هنا موقفاً يوازن فيه بين الماضى والحاضر ، الماضى بجلاله ، الماضى الذى نعتز به حين لا نجد فى حاضرنا ما يدعو الى الفخر وسط هذا التمزق والعجز ، كاننا نحيا بالصدفة فلا نحن عملنا للدين ولا للدنيا ، ثم يرجع ذلك الى فقدان القيم التى ظلت تتقلص بمرور الزمن ذهبت مع الأيام ، القيم الخلقية والقيم التربوية ، والقيم السلوكية . وقد ظل يدور حول هذا المفهوم فى شعره طيلة حياته :

قم ناج أهرام الجلال وناد
هل من بناتك مجلس أو ناد
نشكو ونفزع فيه بين عيونهم
إن الابوة مفزع الأولاد

ونبين كيف تفرق الاخوان فى
وقت البلاء تفرق الأضداد
يا نجم سوريا ولست بأول
كم ذا نمت من نير وقاد
اطلع على يمن هنالك فى غد



احمد شوقي عندما كان يدرس الحقوق فى باريس

وتجل بعد غد على بغداد
سترى الديار على اختلاف ربوعها
نطق البعير بها وعى الحادى

وظلت الفكرة الأخلاقية تدور فى شعره دورانا متصلا حتى كانت موضع نقد الرافعي رحمه الله حين قال : إن له بيتاً يدور فى شعره دوران الحمار فى الساقية وهو هذا البيت :

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا
فليس وراءها للعز ركن

ويفسر الأخلاق بانها القيمة الحقيقية لعمل الانسان وسلوكه من أجل امتداد فكره حين يترك شيئاً نافعاً للانسانية :

دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للانسان عمر ثان (٥)

وهو يؤكد كل ذلك حين يطوف بخاطره امجاد الفراعنة فى التاريخ البعيد ومفاخر العرب فى التاريخ القريب ، ويذكر مقولة «الرشيد» لغمامة ظللته ولم تمطر وكان يرجو أن يستدفع الحر بمطرها : «(امطرى حيث شئت فان خراجك سوف يجيىء الي) وفى ضوء هذا الفخر سرى الاسبانيون فى ايام دولتهم حيث زعموا الشمس لا تغيب عن أملاكم ، ثم زالت هذه الكلمة عنهم الى الانكليز فهى اية ملكهم اليوم .

لا حساسية فى العلم

ويعود مفصلا الرأى فى هذا الموقف من زاوية اخرى ، زاوية الباحث عن الهوية ، بين العلم الشرقى والعلم الغربى ، والعادات الشرقية والعادات الغربية والحياة هنا وهناك واختلاف الناس فى ذلك كله : «هكذا العلماء لا يغنى عنهم علمهم ولا تثبت لهم هذه الصفة العالية فى نظر الجماعة ، حتى يجمعوا بين المدارك والهمم وتنقاد بازمتهم الحياة العملية فى الأمم ... فما باله أصبح يحمله من لا يبذله ، وصار يدعيه من ليس يعيه ، وما للمسلمين مختلفين فيه : فريق يرى النافع الرافع منه ما كان مقصوراً على الشريعة ، منحصراً فى فقهها ، والتقى النقى من هذه الفئة من عادى لغات الغربيين ، وهى التى ينهى بها فينا معاشر الشرقيين ويؤمر ، واحتقر علومهم وفنونهم وهى التى نفاضل بها فنفضل ، ونقاوم بها فنخذل ، وتقتلنا كل يوم بلا قتال (٦) . وفريق يهجرون علوم الدين وآداب اللغة العربية الى لغات لم تجربها الفاظ أبائهم ، وآداب لم تقم عليها



صورة نادرة لسعد زغلول اثناء زيارة احمد شوقى فى منزله

حياة أجدادهم ، ولم تؤلف بعد فى بلادهم ، وان أمة لا تجتمع على لغة ، ولا ترجع الى جامعة من الآداب القومية ، ولا رابطة من الأخلاق الملية ، ليست على شىء من الحياة» (٧) .

ومن الواضح أنه من دعاة التوفيق بين المتطرفين هنا والمتطرفين هناك ، فهو لا يغمض عينيه عن الفكر الغربى والعلم الغربى ، لأن الغربيين انتصروا بذلك العلم علينا ، ولأن الأمم تأخذ العلوم وتستفيد من خبرات الدول التى سبقتها دون أدنى حساسية . وهو فى نفس الوقت لا يمكن أن يترك لغة بلاده وآداب دينه وقيم مجتمعه لأن الأمة التى تنخلع من جذورها تصبح بلا أصل وتذوب شخصيتها فى الشخصية الغالبة ، وهو نفس الاتجاه الذى وضح فى شعره ، فهو يستفيد من المسرح الغربى ، لأن الأدب العربى لا يعرف فن المسرح وهو فى نفس الوقت يديرمسرحه على مضامين شرقية (مجنون ليلى ـ الست هدى ـ عنترة ـ اميرة الاندلس ـ علي بك الكبير ـ قمبيز ...) . ثم يلتفت الى شعر الأطفال متأثراً بلافونتين وهو فى نفس الوقت يربى الأطفال على قيم القوة والشجاعة قيم العصر الحديث الذى لا يعرف للضعيف حقا :

فخذ هاك بندقة نارها
سلام عليك إذا تسعر
ففيها الحياة لمن حازها
وفيها السعادة والمفخر

وهو نفس المبدأ الذى ظل يردده طيلة عمره وان كان أصله يرجع الى شيطان بنتاءور «يبقى الحيف ما بقى السيف» (٨).

وهو على أية حال يشكل مرحلة بعد البارودى اتسعت فيها دائرة الشعر السياسى والاجتماعى ، بل نبتت فيها هنا وهناك براعم من الشعر الذاتى مثل (غاب بولونيا ، ومصاير الأيام ، والشعر التاريخى) ، فكان بذلك جسراً عبر عليه الشعر من مرحلة الاحياء الى المرحلة الرومانسية ، بل لقد رأس جماعة أبولو التى أصلت الاتجاه الرومانسى فى الشعر العربى الحديث .

هذا هو الاتجاه الذى خطه فى الأدب وهو قد كان يرى الأدب روح الأمة ووجدان الجماعة ومن هنا كان الأديب صاحب مبدأ ، ومبدأ شوقى أن بناء الانسان أخطر من بناء الآلة وأن ذلك البناء يرتفع بالقيم والسلوك ومعرفة الذات وأهدافها ، ولذلك قال : «احفظوا أنفسكم ، وضيعوا ما شئتم» (٩) .

ومن هنا يناقش ما يراد الناس من المسلمات ويراها من الأوهام فيقول : «قال بعضهم فينا (اتفقوا على أن لا يتفقوا) (١٠) ، فاحفظت عبارتى الأستاذ ـ أى بنتاءور ـ وقال : ما هذا السم فى الدسم ، ومن ذاك الذى يثبط الهمم ، وهذا ومثله من الأوهام ، وانها لتخامر العقول فتعقلها ، وتدخل النفوس فتقتلها.الأوهام داء الأمم ، ومنية الشعوب ، إذا تمكنت من قوم كانت كالفاس فى الأساس ، وكالنار فى الشعار ، وكالحبل فى الخناق ، وكالعلة فى القلب ، لا يخفق معها إلا الى حين ـ قال لكم رجل قولا فوهمتهم فمتم أحياء ... الأمة تصح ثم تعقل ثم تصح ، تتجدد من حيث تبلى وتقوم من حيث تسقط ، وتصح بالعلل (١١) ... يا بنى ان العلم والبيان ، خلقا ليكونا حرب الأوهام ، ونوراً يخرج اليه الأمم من الظلمات ، وان حاملهما مطالب بالعمل والدعوة الى العمل حتى النفس الأخير من الحياة ، فمن ثبط هممكم من علمائكم وعظمائكم فالووا الوجوه عنه ، وانفروا بالاسماع منه ، ومن دعاكم الى حياة فذلك داعى الخير ، فاستمعوا له وانصتوا .» (١٢) ثم يضرب المثل باليابان وكيف استطاعت خلال سنوات أن تقيم حضارة شامخة .

الطريق للنبوغ والخلود

ويعيد الكرة مرة ثانية كأنما لا يمل تكرار عرض مشاهد القيم والمثل العليا وسلوكيات الأمم الفتية فيقول : «والذى يميز علماء الأمم على غيرهم ، ويجرى بهم الى الغايات ، ويكفل لهم السبق ، ويجعلهم أساتذة وقتهم ومصابيح عصرهم ، أنهم يطلبون العلم لذاته ، ثم لأنفسهم ، ثم للأحاديث من بعدهم ، وهذه الثلاثة ما قامت بنفس طالب علم ورزق الحجا والذكاء وفسحة الأجل إلا نبغ فى حياته ، ثم جاوز ذلك الى رتبة الخلود بالذكر بعد مماته ... محب العلم يطلبه لذاته ، وهذا أول

التوفيق فى طريق التحصيل ، وسبب النجاح الأوثق ، لأن النفس حيث رضاها ، وحيث يجعلها هواها ، ومن رضيت نفسه بالعلم قسماً من أول يوم ، وامتلأ فؤاده من حبه ، أقبل عليه ، وضن به ، وانقطع له ، وألفى التعب راحة فى تحصيله ، واستوى عنده السلامة والعطب فى سبيله ، ثم لا يلبث العلم أن يعرفه قدر نفسه ، وأنه ما خلق فى هذا التقويم سدى ، ولا ساد نوعه على هذا الوجود عبثاً ، فتأخذه من ذلك عزة بالحق ، وتنزل نفسه فى عينه منزلتها الحقيقية ، فيطلب العلم لها ، ويستكثر منه لأجلها ، ويجرى فيه الى الغايات فى سبيلها ، لما استقر عنده من أن العلم يحيى النفوس ويهذبها وهذه هى المنزلة الثانية فى العلم يقف عندها سواء العلماء ولا يجاوزها إلا أحاد يسخرهم الاله بهذا الوجود فيعملون فيه العمل العظيم ثم يموتون عن تراث فى الفضل جسيم .. »(١٣)

ولذلك لم يتحدث شاعر عن العلم كما تحدث شوقى حتى جعل المعلم فى مرتبته قريباً من الأنبياء «كاد المعلم أن يكون رسولا» وهو قريب من الحديث الشريف «العلماء ورثة الأنبياء» والمدلول الذى يقصد اليه شوقى مدلول واسع فحرب الأوهام من مهمة العالم والأديب ، أو بعبارة أخرى ان العالم يستطيع أن يقرع الحجة بالحجة وأن يدحض الفرية وأن ييسر سبل الحياة للناس بعلمه ، والأديب له دور حيوى وهو ايقاظ الأمة كلما أوشكت أن تغفو والعالم لا يستطيع ذلك لأن الأديب يخاطب روح الأمة ووجدان المجتمع وارادة الفرد ولذلك يقول : «وما الشعر والبيان إلا عنوان الأمم يستدل بهما عليها» (١٤) . وذلك هو تفسير العبارة المشهورة (الشعر مرآة حياة العرب) . ومادام الشاعر معلماً فلابد أن يكون حكيماً وذلك هو نفس الدور الذى لعبه الشاعر العربى قديماً ومن هنا قال شوقى :

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة
أو حكمة فهو تقطيع وأوزان

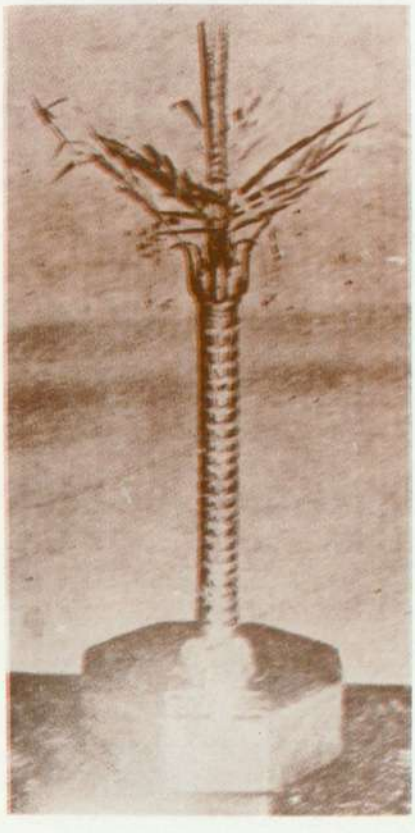
ينابيع الحكمة

والحكمة فى نظره هي البحث عن الحقيقة يأخذها من مخالطة الناس ومن التأمل فى الطبيعة والتاريخ . (١٥) .

ـ « واشتقت الى عبرة مرموقة ، وحكمة من نفسها مسوقة ، أخذها ولو من سوقة » . ولذلك كان يكبر شعر المتنبي ويستشهد به كثيراً ويضمن معانيه فى نثره (١٦) . ويدير حواراً فيه من الحكمة ما ينبىء عن ثقافة الشاعر وخبرته فى سنه المبكرة .

ـ « ما هي الفضيلة ؟ قال : ترك الرذيلة . ـ قال : وما الرذيلة ؟ قال : جاران فى دار ، الجهل والبطالة فى الشباب ...

ـ « من العالم ومن الحكيم ومن الطبيب؟ قال : العالم من لا ينام ، والحكيم من لا يطعم والطبيب من لا يموت ، قال : هذا هو المستحيل ، فما تريد بهذه المبالغة ؟ قال : أردت أن العالم من علم بالنهار وتعلم بالليل ، والحكيم من زهد فى هذه الدنيا وقنع منها بكسرة والطبيب من ترك طباً



نخلة من الذهب .. هدية الخليج الى شوقي فقد أهداها وفتذ أمير البحرين الشيخ عيسى بن حمد ال خليفة (١٨٩٨ : ١٩٣٥) إلى أمير الشعراء أحمد شوقي

يعيش به الناس بعد موته ... ليس للعلم وطن ولا للحكمة دار ، بل العاقل من له على كل أرض مدرسة ، وعلى كل طريق استاذ ، المدرسة تقيم العقل فى طريق العلم ولا تتكفل بوصوله ، كالمعبد يمد السريرة فى الاعتقاد ولا يتكفل لها بكشف الغطاء ، فرب عابد من نفسه وصل ، ومتعلم من نفسه حصل . عرفت صفوف العلم ، فلم أر كالفلسفة يأخذها المرء من نفسه ، ثم من حيث التفت فرأى ، وكلما قيل له فسمع : من حديث المتكلم إن صدقا وإن كذبا ، وصموت الصامت إن بكامة وإن بكما ، ونعيم المنعم وبؤس البئيس ومشية المستكبر وهذيان المهوس وعربدة السكران ومن النمل فى مشاغلها والنحل فى معاملها والذر (الغبار) فى مستثاره والبرق فى مستطاره ، والزهر اقباله وأدباره ، والفلك ليله ونهاره ، والبحر مضطربه وقراره » (١٧) .

وتكتمل الفكرة بوقفة عند الطبيعة يفتتها الى مجموعة صور فاذا كلها تسبح بتمجيد الاله ، كأننا أمام قصيدة الشاعر ميخائيل نعيمة (كحل اللهم عيني بشعاع من ضياك ، كي تراك ، فى جميع الخلق فى نود القبور ..) أو كان ميخائيل نعيمة ينقش قصيدته من محراب شاعرنا شـــوقي (١٨) .

أوسع الدوائر في شعره

ثم ينفذ الى الدائرة الثانية بعد الأولى ، فاذا كانت الأولى خاصة بتاريخ مصر القديم وعظمته ، فان الثانية تختص بتاريخ مصر الاسلامي وجلاله : « أعلم أن المجد والعظم في الدول والامم ينتهيان الى بناة الفسطاط وانهم خير من ورث النيل بعدي ، ظلمت وعدلوا وتطرفت واعتدلوا ، وأسرت وأطلقوا ، واستعبدت واعتقوا ، وخلفت بعدي الحجر ، وخلفوا بعدهم السير ، ذهبت الديانات ودينهم هو الدائم ، وبادت اللغات ولسانهم فى مصر قائم ، وأريبت كل أمة فى وادى النيل ، وذكرهم فيه سالم جميل ، وشقى الغريب فيه بغيرهم ، وغمر من أول يوم بخيرهم ، واستوى السوقة والملك على عهدهم ، وما تساويا من قبلهم ولا من بعدهم (١٩) .

وشوقي شاعر الاسلام في العصر الحديث ، يرى أن كل المثل العليا انتهت الى الاسلام فقومها وأضاف اليها ، ولذلك كانت أوسع الدوائر فى شعره ، فتارة يقدم عظماء الاسلام (دول العرب وعظماء الاسلام ، صقر قريش) وتارة يحيى المدائح



لقطة تجمع بين امير الشعراء احمد شوقي وشاعر النيل حافظ ابراهيم ، الذى وقف على مسرح الاوبرا فى حفل شعراء العرب ليلقي قصيدة بايع فيها شوقي على امارة الشعر .

النبوية فى العصر الحديث بهمزيته ونهج البردة وغيرهما وتارة اخرى يتبنى قضايا المسلمين ويدفع عن الاسلام الطعنات التى توجه اليه (ضج الحجيج ، الخلافة) . وهو في نفس الوقت لا يرى باساً في الاعتزاز بالتاريخ الفرعوني فلا يوجد تناقض بين الموقفين كما يحلو للبعض ان يتصور فذلك تاريخ بعيد له عظمته الباقية، ولا يمكن ان يلغى مجيء الاسلام كل محاولات الانسان الماضيه لاثبات وجوده ، كما أن مجيء الاسلام لم يلغ العصر الجاهلي ، فمازلنا نتمثل بشعره كما كان ابن عباس يتمثل به او يستشهد به فى تفسير القرآن نفسه ، ذلك هو موقف شوقي من الزمان .

الشاعر وقضايا العصر

ثم يعرض للدائرة الثالثة وهي مصر الحديثة ، ومن خلالها يتناول قضايا العصر (مشكلة اللغة ، مشكلة الاستعمار ...) فهو مصري مسلم او مسلم من مصر ، وقضايا مصر هي قضايا كل مصر من الأمصار العربية ، قضايا ثقافية وقضايا اجتماعية وقضايا سياسية وقضايا اقتصادية . والقضية الأولى التى يتناولها هي قضية اللغة العربية . « اللغة رأس مال الأمة فى العلم والعرفان ، والدين رأس مالها فى التربية والاخلاق .. فاجمعوا بينهما فى الدار ، ثم في المدرسة ثم فى الحياة ، تلك المدارس الثلاث الكبر ، فاما الدار فالأستاذ فيها المراة ، اما المدرسة فالمعلم فيها الرجل ، واما الحياة فالمربي فيها الزمن ، فابداوا بالنساء فعلموهن فى الصغر ، يعلمنكم فى الكبر ، وربوهن فى الطفولة يربينكم فى الكهولة » (٢٠) .

ثم يكمل حديثه فى اللغة من زاوية عملية فيقول : « هذه محدثات الغربيين ، تجلب الى مصر فيتهافت الأغنياء على اقتنائها ، ولم يتفق علماء اللغة على تسميتها حتى الآن ، ولعلهم لا يتفقون ، فان القوم اخترعوا الاتوموبيل من كل حجم وشكل ، واتخذوا منها دوارع في البر ، ونحن لا نرضى عمن سماها السيارة ، ولا عمن دعاها بالجوالة . قال النسر : اللسان يابني من حيث هو مضغة ، مراة الصحة ، ومن حيث هو لغة ، مراة الامة ، ولا غرابة في ان تقعد بكم اللغة وتخونكم فى ميسور الامر وعسيره ، فهي إنما تاخذ بنصيب من هذا النقص العام وتتاثر بهذا العجز الشامل ، لأنها للعلم مثل الظل للشبح يتضاءل بتضاؤله ويطول بطوله ، والعلم فى التجارة وفى الصناعة وفى الزراعة مثل ما هو فى الشروح والمتون ، فكلما ظهرت آثاره على هذه الأشياء فى مجموعها ، اتسعت اللغة من مادة ، وازدادت من حياة » .

والقضية كانت مطروحة ومازال ، حول تعريب المصطلحات من ناحية واستخدام العربية لغة للتعليم بجميع مراحله ، ومن الغريب ان يتفق شوقي مع قاسم امين فى عدم الاقتناع بترجمة المخترعات الحديثة وان يضرب كلاهما المثل بكلمة السيارة ، ومن الواضح اننا نستعمل الكلمة الآن كما نستعمل الهاتف وغيرهما مما يؤكد ان الاستعمال هو المحك الحقيقي لبقاء الكلمة او فنائها وان الاشتقاق قد يغني عن التعريب متى وجدت الكلمة الدالة ، ومن الغريب ايضاً اننا فى نهاية القرن العشرين مازال نتناقش حول امكانية اللغة العربية فى التدريس بالكليات العملية بعد قرن كامل من طرح القضية . ومازلنا نعقد المؤتمرات للنظر فى التعريب ونتخذ التوصيات ولا ننفذ شيئاً ، مع ان اسرائيل قد احيت لغتها العبرية الميتة واصبحت لغة العلم والتدريس والحديث والاعلام خلال جيل واحد ، وهذا هو الذى دفع شاعراً مثل حافظ ابراهيم الى الدفاع عن اللغة العربية كانها بحاجة الى دفاع :

رموني بعقم فى الشباب وليتني
عقمت فلم اجزع لقول عداتي

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق اسماء لمخترعات
أنا البحر في احشائه الدر كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي ؟

ثم يطرق موضوع الهوية المصرية والشخصية السوية ، ويتفق في رايه هنا مع راي « البكري » الذى رايناه سابقاً ، فلايتردد طويلا بين الآراء المطروحة ، ولكنه يقرر واثقاً أن البيئة لا تؤثر تاثير التربية : « ايذهب مع القائلين بفعل البيئة في الأمم وتاثير الاقليم في الشعوب ، وسلطان المقام على المقيم ، فيحكم أن جار الليث اسد وجار العير وتد . أم يجاري الذاهبين الى أن اختلاف الطبائع ليس إلا نتيجة اختلاف الأجناس أم يعتمد على راي القائلين بان العقل البشري والنفس ـ مركز القوى المدركة في الانسان ، ومهبط الفضائل او الرذائل ـ ليسا إلا هبتين يشترك فيها اصناف العباد ، وان تفرقوا في اطراف البلاد ، وإنما يصح العقل بالتعليم الصحيح ، وتقوم النفس بالتربية الحقة ؟ على انني الى هذا الثالث أميل ، وعليه في اعتقادي المعول ... » (٢١)

ومن هنا اهتم بقضية تربية المراة « ولا تنشئوا مدرسة واحدة للرجال إلا وقد انشاتم اثنتين للنساء » (٢٢) . وقد كانت قضية المراة مطروحة ، وقول حافظ في نفس الموضوع مشهور (الأم مدرسة إذا اعددتها ، اعددت شعباً طيب الأعراق) ، على ان القضية عند شوقي تتناول موقف الموجه من قضية تربية المراة فلا اختلاف على تعليمها ولا على تهذيبها ، لكن الخلاف حدث عندما دعا قاسم امين الى تحرير المراة . وشوقي في اول الأمر يقف من السفور موقف الحذر (حرصي عليك هوى ومن يحرز ثميناً يبخل) ، ثم يؤيد المراة بعد أن تطورت الحياة نفسها وانتفى الحذر من الطفرة فقال قصيدته :

قل للرجال طغى الأسير
طير الحجال متى يطير

وهو قد كان يعارض قاسماً في حياته ولذلك يسجل بعد مماته :

لقد اختلفنا والمعاشر قد يخالفه العشير
في الراي تختلف العقول وليس تضطغن الصدور

ولكنه ظل إلى نهاية عمره يرى أن العلم بلا وطن ، أما العادات والتقاليد والقيم والاعراف فلها وطنها ، ومن هنا فقد لا يصلح لنا ما يصلح للغربيين من قيم ، ومن هنا أيضاً ظل يبحث عن المثل الأعلى والقدوة الحسنة التي تهدي ولا تضل :

في ذمة الفضلى « هدى » (٢٣)
جيل الى هاد فقير
اقبلن يسالن الحضارة
ما يفيد وما يضير
ما السبل بينة ولا
كل الهداة بها بصير

ويلتفت بنفس المنطق الى تربية النشء: « فان اردتم ببنيكم خيراً ، وضعفت قلوبكم ان تتمادوا في الجناية عليهم ، فربوهم منذ الصغر على الاقدام » . (٢٤) ولذلك كان يقول لابنته مخاطباً من خلالها الجيل الجديد ، حين اتته تساله لعبة ، إن خير ماتحمله يدها في الصغر « بندقية » . وهذا الرمز فيه معنى التدريب على القوة منذ الصغر ، والاقدام في الكبر .

وبنفس المنطق ايضاً يوجه الأمة ، والعاملين فيها فيقول : « فاستبقوا نفوسكم وهذبوها ، وحافظوا على ابدانكم وربوها ، واعدوها ليوم تدعوكم الأوطان لتقربوها ... ياحملة السلاح ، لاتقتلكم في السلم الراح ياحملة العلم ، لا تغلبكم الخمر على الحلم ، يامعاشر الصناع ، من كان الوقت راس ماله ، والصحة سبب رزقه ، والكسب قوت عياله ، فليهجر الخمرة ، فانها مضيعة الوقت ، مضرة الصحة ، افة النشاط »(٢٥)

وهو نفس المعنى الذى عبر عنه في شعره بعد ذلك حين اتجه الى العمال يحثهم على اتقان العمل ، وهجر الخمر لأنها تدمر راس مال العامل ، وهذا الموضوع لهج به النديم في صحفه التي اصدرها ، وقد كانت الخمر من ابشع سيئات الاستعمار ، رخص لحوانيتها في كل مكان .

أيها العمال افنوا العمر كداً واكتسابا
واهجروا الخمر تطيعوا الله أو ترضوا الكتابا
ترعش الايدي ومن يرعش من الصناع خابا

والواقع أن شوقي نفسه كان ضحية من ضحايا الخمر ، ولذلك كان حديثه عنها حديث مكلوم يعرف اضرارها ولا يقوى على الخلاص منها . ومن هنا كان هتافه من أعماقه عل الله أن يغفر له ، فان امله في العفو كبير :

وانت ولي العفو فامح بناصع
من الصفح ماسودت من صفحاتي

ثم ياتي الى لب القضية ، قضية الاستعمار ومقاومته : « دع عنك يابني ماتسميه المحاكم المختلطة وما تدعوه الامتيازات ، ودع القناصل وما تزعم لهم من حول وطول ... وهب ان الملك ادوارد وقيصر والملوك الآخرين ملكوا عليكم البحر بالاساطيل ، ثم ملكوا عليكم البر بالجيوش زاحفة ، اكانوا قادرين على اذلالكم إن كان لكم من انفسكم عزة ، او تفريق كلمتكم إن كان لها منكم جامع ، او تضييع حقكم إن كان له منكم طالب ، ام كانوا ضاربين على ايديكم ان لا تتداولوا اشياءكم فيما بينكم ، وتنشطون الصانع منكم بالاقبال ، وتشجعون التاجر بالتهافت على بضاعته ، فانكم لاتزالون عراة حتى تلبسوا مما حكتم وخطتم ، ولا تزالون حفاة حتى تنعل ايديكم ارجلكم ، ولا تزالون مشاة حتى تركبوا فيما صنعتم ، ولا تزالون تتوسدون الثرى حتى تسكنوا ما بنيتم .. امة عارية ، كل اشيائها عارية . » (٢٦) . وهذا هو محور كل شعره السياسي بعد ذلك .

الشوقيات : ملامح عصر كامل

ثم ينتهي الكتاب بحوار بين الشاعرين « وتقدمت إليه فقلت : سعد النيل بشاعره في الزمان الأول ، قال وسعدنا به يابني ،



احمد شوقى مع ولديه على وحسين فى المنفى باسبانيا

إنه سموال الأنهار ، الوافي على الأدهار ، الجاري بالليل والنهار ، عبد قديما واله ، وقدس وجه الدهر ونزه ، وأوى النبيين في المهد صبيين ، فجرى التابوت فيه بموسى ، وبلغ الفطام لديه عيسى ، ولا يعلم إلا مجريه كيف انفجر ، ثم جرى وانحدر ، ثم كفله الشمس والمطر ، وكم قرية عمر ، وأخرى دمر ، وهيكل نثر ، وديانة قبر ، وكم أفنى من زمر ، ممن نهى وأمر وتكهن وسحر ، وفتح وانتصر ، الا وإنه المنهل العذب ، اقتتل عليه القاهرون فوق البشر ، فانتهى اليه قمبيز بغاراته ، فالاسكندر بفتوحاته ، فقيصر بانتصاراته ، فابن الخطاب بغزواته فسليم بحملته ، فنابليون بتجريدته ، هذا يابني عظه من التاريخ ، لا ينافسه فيه نهر ، ولا يزاحمه عليه بحر ، على أن حظه من الطبيعة أوفر ، وقسطه من نعمائها أكبر ، شمس تزهر ، وأفق أنضر ، ووادٍ أخضر ، وجو لا يستعر ولا يخصر ، ونسيم يخطر ، ومطر يندر ، ورزق بايسر السعي يحضر ، وسهل صعب على العدو ، ولجة تستعصى عليه على ما بها من هدو ، لو وجد من يمنعه من الدنو ، وفوق هذا وذاك هو القائم على الناس بالأقوات ، إذا فاض أحيا ، وإذا غاض أمات ، ولايزال ياخذ من البر للبحر ، فتتسع مصر بفضله من سهل ووادٍ ، وقرى وبـلاد . » (٢٧) .

« مصر هبة النيل » عبارة قالها هيرودوت ثم رددها التاريخ حتى اليوم ، فمصر الفرعونية ومصر الاسـلامية ومصر عبر الزمان يتحكم فيها المكان ، سهل يطمع الطامع إن لم يكن أهلها مستعدين ، والنيل فيها عماد حياتها ، فمهما تطورت الصناعة والتجارة ومهما ظهرمن بترول – وهو ثروة نافدة – سيبقى النيل منبع رزقها الأول ، وهو نبع لا ينفد ، عطاؤه بلا حدود ، المهم أن نعرف كيف نستفيد من كل قطرة ماء فلا نظما ومن كل ذرة طمي فلا نجدب . وهذا هو المحور الذى دار حوله فى قصيدته الخالدة « من أي عهد فى القرى تتدفق ؟ » .

وتظهر ثقافة شوقي وهو فى هذه السن المبكرة ، فمعارضاته التى ظهرت في الشوقيات بعد ذلك لها أصولها فى «شيطان بنتاءور » فى كثير من الأحيان ، وعلى الأخص المتنبي ، الذى اعتبره نبي الشعر فى مقدمة الطبعة الأولى من الشوقيات ، يطول التفاته اليه واستشهاده بشعره كذلك يذكر أبا العلاء فى أكثر من موضع لاعجابه بحكمته (٢٨) ، ولا يكاد يرد ذكر الأعمى حتى يتوارد على خاطره قوائم من مشاهير العميان فيقول : (تراه « شمسون » في الهيكل انبعث ، أم « المعري » قام من الجدث ، أم « يعقوب » ابيضت عيناه ، من الحزن على فتاه ، أم « بشار بن برد » ، قام من اللحد ، أم « أبو العباس الأعمى » أم « دريد ابن الصمة » ، أم الخليفة « القادر » فى أيام محنته ، أم « حسان بن ثابت » فى آخر مدته ، أم « الشطبي » ، أم « طوبيا » النبي ، أم « هومير » الشاعر اليوناني ، أم « ملتون » الشاعر الانكليـزي ، أم « مرصفي » هذا الزمـان ، صاحـب « الوسيلة » والكلم الثمان ... أم « ابن سيده » ، أم « الطليطلي ») ويظل يتتبع العميان حتى يكاد يتستقصى .

هذه الجذور ، امتدت بشكل أوسع وأدق فى الشوقيات ، فكانت باجزائها الأربعة ، ملامح عصر كامل ، فى السياسة والتاريخ والاجتماع كما نلاحظ فى الجزاين الأولين ، ومراثى العظماء فى الجزء الثالث ، ثم ديوان الاطفال في الجزء الرابع ، وبذلك حدد أهدافه من زمن ، وصدح بنبضات عصره ووجدان بيئته ، فكان شاعراً ملتزمـاً التزاماً نابعاً من احساسه بالمسئولية الأدبية وبقيمة فنـه .

د. ماهر حسن فهمي

هوامش

(١) توفى عام ١٨٩٣م
(٢) ص ١٦٢/١٦٣ راجع ايضا ص ٢٢ ، ص ٣٦
(٣) محمد توفيق البكري (تاليف د. ماهر حسن) ص ١٧٧ ومن المؤكد أن جمال الدين الأفغاني كان الرائد أواخر القرن الماضى .
(٤) شيطان بنتاءور ص ١٨/٢١
(٥) من قول المتنبي : ذكر الفتى عمره الثاني
(٦) من قول المتنبي : وتقتلنا المتون بلا قتال
(٧) شيطان بنتاءور ص ٢١٠
(٨) نفس المرجع السابق ص ٤٣
(٩) شيطان بنتاءور ص ١٧٠
(١٠) تنسب للسيد جمال الدين الأفغاني .
(١١) من بيت المتنبي : فربما صحت الأجسام بالعلل
(١٢) شيطان بنتاءور ص ٧٥ وما بعدها .
(١٣) شيطان بنتاءور ص ١٤٠ وما بعدها .
(١٤) نفس المرجع السابق ص ١٨٩
(١٥) نفس المرجع السابق ص ١٨٥
(١٦) نفس المرجع السابق ص ١٨٦
(١٧) نفس المرجع السابق ص ٨٥ وما بعدها .
(١٨) نفس المرجع السابق ص ١٣٢
(١٩) نفس المرجع السابق ص ١٦٧ والحديث للملك رمسيس .
(٢٠) نفس المرجع السابق ص ٢٠٢
(٢١) نفس المرجع السابق ص ٢٠٠ / ٢٠١
(٢٢) نفس المرجع السابق ص ٢٠٣
(٢٣) هدى شعراوي رائدة المراة المصرية
(٢٤) شيطان بنتاءور ص ١٧٩
(٢٥) نفس المرجع السابق ص ٩٧ / ٩٨
(٢٦) نفس المرجع السابق ص ٢٥٦
(٢٧) نفس المرجع السابق ص ٢٢٧
(٢٨) نفس المرجع السابق ص ١٨٥ / ١٨٦

لمـــــــاذا التطـــــــــرف ... الآن ؟

وقـــفـــة مـــع الفـكـر الديـنـي

بقـلم : خـــالد محـــمد خـــالد

منذ ظهرت أحداث التطرف الديني ، وفاجات العالم الاسلامي فى مناسباته المختلفة والمفكرون المسلمون ـ على قلتهم ـ يضربون اخماسا فى اسداس مذهولين واجمين . بعضهم راض قرير العين ، وإن كان يخفي رضاه وراء قناع من التساؤل والدهش والانزعاج .. وبعضهم ينكره إنكارا حقا ويحاول تمحيصه واستشراق ابعاده

غير انه كان من الواضح لكل من يقف ، وينظر ، ويسمع ، ان جوهر الأزمة والمشكلة ماثل فى عجز الفكر الديني عن القيام بمسئوليته عن تجديد نفســه .

لقد ملأ الفكر الاسلامي ذات يوم ارض الاسلام خصوبة وهياها للعطاء العظيم .

وحتى فى العصور والحقب التى كان الاستبداد السياسى يحكم البلاد والعباد ، لم يتوقف هذا الفكر عن العطاء ـ وكان الاجتهاد وما يستدعيه من اختلاف فى الرأي يملأ حياة المجتمع الاسلامي توهجا وذكاء ونورا .. !!

وفجاة وقف الفكر الاسلامي وتجمد ، وسدت الغوغائية أمامه المسالك ، ومضى الفكر يتملق الغوغاء ، ويخاف من الجهر بالحقيقة . والنصف الثاني من القرن العشرين يعطينا البرهان على صدق ما نقول ..

كان هناك قلة من العلماء والمفكرين خرجت على السائد المالوف . وارادت أن تؤدى واجبها فى تجديد الفكر الديني . بيد أن جهادها وجهودها كادا ، أو هما قد ضاعا فعلا في خضم الزبد الراغي والموج المزبد المهتاج .

• • •

واليوم يزداد الفكر الديني جمـــودا ولامبالاة، ويقف أمام التفسيرات الخاطئة للدين موقف الأرنب التى تقف مذهولة أمام الأفعى !! وقد تولد هذه الاستكانة شعورا بمرح اليائس ورضا الخانع ، لكنها فى نهاية الأمر تدفع بالفكر الديني كله إلى الهوة التى يخيل إليه أنه يبتعد عنها !!

والمجتمع الاسلامي الذى كان من واجب الفكر الديني المتجدد أن يقوده تاخذ الحيرة بتلابيبه ، ولا يدري « أشر أريد بمن في الأرض أم اراد بهم ربهم رشدا » .. !!

ولكن أين الرشد إذا كان الفكر الذى هو وسيلته وسبيله قد تاه فى الظلمات ؟!

يقولون : إن باب الاجتهاد مغلق ، ومن ثم فلا سبيل لكي يجدد الفكر الديني نفسه .. متى اغلق هذا الباب ، ومن الذى اغلقه؟ إنها إحدى الطرائف والفكاهات !!

فباب الاجتهاد فى الاسلام مفتوح منذ نزلت آية : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » الى يومنا هذا .. والى الغد .. وإلى الأبد .. !!

ولابد للفكر الاسلامي حتى لا ياتسن

من أن يجد نفسه ويقهر كل عوامل الركود والتخلف .

إن هناك عادات تفشت فى المجتمع الاسلامي حتى صارت طبيعة ثانية له .

من هذه العادات كراهية الذكاء !!

إن كثرة هائلة من العلماء يخافون ذكاء أقرانهم ويحاربونه . ويؤلبون عليهم العامة إذا اكتشفوا للفكر الديني طرائق جدداً .

ولا تصاب أمة فى حاضرها وفى مستقبلها بمثل ما تصاب به نتيجة لمقاومتها الذكاء فيها .

وهذه آفة تجتاح كثيرا من المجتمعات البشرية التى لا تشجع هذا الذكاء إلا حين يكور طريقها الى الرفاهية ، أو إلى المزيد من مخترعات الموت والحرب والدمار !!

ثم هي تحاربه إذا أراد أن ينفخ فى الدين روح الحياة بما يصطنعه من وسائل حرة لتجديد الفكر الديني وترشيده .

بيد أن هذه الآفة ـ محاربة الذكاء ـ لها فى المجتمع الاسلامي طابع الشدة والحسد والاقتيات ..

وإذا كان بعض علماء أوربا فى العصر القديم قد سيقوا إلى السجون والمقاصل لمحاربتهم تفسير الدين بالعلم ، فقد انتهى ذلك اليوم ، وحل بديلا عنه رعاية الجهود التى تتوخى هذه الغاية وتشجيعها .. لكن فى مجتمعنا الاسلامي لاتزال الأحكام بالكفر تطارد الأحياء بل والأموات إذا حاولوا أن يخرجوا الاسلام العظيم من التقوقع الذى يريده له الجاهلون .

• • •

أنا لا أعالج هنا قضية التطرف ، ولو كنت أعالجها لوجب أن نضع فى حسابنا روح العصر الذى نعيشه ، فالتطرف يغطي وجه الأرض .. واختطاف الطائرات والأفراد نظير فدية يفرضها المختطفون أقرب دليل على هذا .. والأعمال الجنونية والاجرامية التي تقوم بها دولة اسرائيل دليل على أننا نعيش فى عصر مخبول ـ التطرف أبرز سماته .

يجب ألا ننسى أننا نعيش فى عصر الذرة بكل ما يكتنفه من أهوال .. وهذا وحده كاف لأن يعيش الناس بغير عقول ماداموا يسمعون ـ مثلا ـ أعظم رواد هذا العصر « أينشتين » يقول : « إن إطلاق تيارات ضخمة من النشاط الاشعاعي قد يؤدي الى إبادة الحياة كلها فوق الأرض »!!

يجب أن ندخل روح هذا العصر التعس الذى يتخذ التطرف فيه شكلا وبائياً سواء من الأفراد أو من الدول فى حسابنا .. إن العواطف ـ كما يقول علماء النفس ـ معدية .. وما يحدث فى أقصى الشمال مساء يوم ، ينتقل الى أقصى الجنوب فى صباح اليوم التالي .

فليكن ذلك فى حساب الذين يعالجون مشكلة التطرف ، ولنعد نحن الى حديثنا عن الفكر الديني ووجوب تجديده وترشيده

قلنا : إن كراهية الذكاء والحقد عليه يلعبان دوراً كبيراً وسيئاً فى قمع الفكر الديني المتجدد .

يقول « برتراند رسل » : « إن الخوف من الذكاء العام هو أحدالأخطار الكبرى فى عصرنا الحاضر ، وهو من الأمور التى يجب أن تعالجها المدارس والجامعات قبل غيرها .. فلو أن المعلمين والمسئولين عن التربية كانوا أشد إدراكاً لنوع الشخص الذى يحتاج إليه العالم الحديث ، لاستطاعوا خلال جيل واحد أن يكونوا الراي الذى يقلب وجه الأرض . ولكن مثلهم الأعلى فى الشخصية الانسانية لايزال عتيقاً ؛ فهم أشد ما يكونون إعجاباً بالصفات التى تكسب صاحبها القيادة فى عصابة لصوص » !!

إن ما ذكره « رسل » عن العواقب الوخيمة لاضطهاد الذكاء الانساني فى محاولته تكوين الرجل المثقف . هو تماما مايصادفنا أثناء اهتمامنا بتكوين الرجل المتدين .

فالمقود لا ينبغى أن يوضع فى أيدي العامة أبداً . بل يجب أن يبقى ويظل فى أيدي قادة الفكر الديني يجددون ويخلقون ويبدعون .

يجب أن تتواكب أهداف الدين مع أهداف الحياة ، لأن كليهما ـ الدين والحياة ـ حق . ولا يعارض حق نفسه أبداً

وفى ظل هذه الحقيقة نستطيع أن ندرك ماذا نريد بتجديد الفكر الديني .

إن ارتفاع الانسان من بداياته الغامضة الى عظمته الماثلة ، لايمكن أن يتهدم وينتكس بقوة الدين ولا بتوجيهاته .. وإنما نحن الذين نريد ذلك بغبائنا !!

ولاضرب لهذا مثلا قريباً ..

خذوا الطريقة التى يدعو بها الوعاظ والعلماء والمؤلفون إلى أخلاقيات الاسلام

سنجد الاهتمام على النواهي الصارمة ، والدعوة إلى انكار الذات وإدانتها .. وكان التدين والحياة الفاضلة لا يتحققان إلا بهذا الأسلوب من الادانة والتحقير ، وإلا بهذا القدر الرهيب من الرعب القاتل .

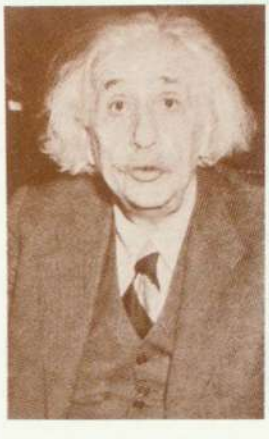
إن إدمان الاحساس بالذنب عمل غير صالح ، ولا يمكن أن يكون طريقاً إلى حياة ناجحة .

وإن الاسلام مهما تكن الكوابح والزواجر التى يقاوم بها التسيب الخلقي ، لايدع هذه الكوابح وتلك الزواجر تعمل بمعزل عن رغبته الصادقة فى تحرير الناس من الخوف ..

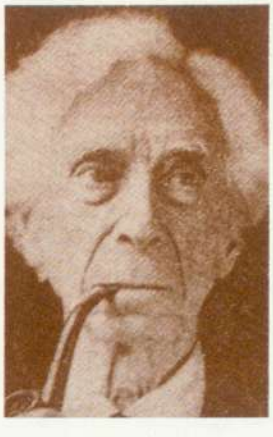
لننظر مثلا قول الرسول عليه السلام : « كل ابن آدم خطاء . وخير الخطائين التوابون » وقوله : « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم آخرين يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » ..



محمد اقبال
طالبنا بأن نتناول المعرفة المعاصرة بروح الاستقلال



اينشتاين
أعظم رواد العصر .. حذر من أهوال عصر الذرة



برتراند راسل
تحدث عن العواقب الوخيمة لاضطهاد الذكاء الانساني

وقوله ، وقد مر واصحابه على أم تضم رضيعها الى صدرها فى حنان رطيب : «اترون هذه طارحة ولدها فى النار ؟؟ . قال اصحابه : كلا يارسول الله .. فقال عليه الصلاة والسلام : والذى نفسى بيده ، لله أرحم بعبده من هذه بولدها » !!

ولننظر قول القرآن العظيم : « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم .. إن ربك واسع المغفرة . هو أعلم بكم إذ انشاكم من الأرض ، وإذ انتم اجنة فى بطون أمهاتكم » .

فقوله سبحانه « إذ انشاكم من الأرض » يشير إلى المؤثرات البيولوجية التى تعمل فينا بوصفنا خلقنا من تراب وطين .

وقوله سبحانه : « وإذ انتم اجنة فى بطون أمهاتكم » يشير إلى قانون الوراثة الذى يعمل فينا عمله النافذ المهيمن .

ويعجبني فى هذا المقام حكمة قالها كاتب أوربي : « كل امرىء منا عربة كبيرة ، يركبها جميع أسلافه » !!!

فهذه النصوص وكثير معها يستطيع الفكر الديني المتجدد أن يقود بها النفس البشرية قوداً جميلا وديعاً الى مرفأ الفضيلة والخلاص .

إن كثيرين من الوعاظ والعلماء يشعرون بغبطة طروب عندما يظنون انهم ادوا واجبهم وحققوا السعادة لأنفسهم بانزال الألم والحسرة بالآخرين .

ثم إننا بحاجة الى طرق للتفكير تتلاءم مع تقدمنا العلمي – غير متزمتة ولا متشككة فى الفكر والعقل ..

إنه لولا التجديد الهائل للتفكير الديني الذى اضطلع به فقهاء الاسلام الكبار وائمته العظام لظل الاسلام يعيش داخل ثياب ضيقة ، وآفاق مغلقة .

ويجب أن ندرك اننا بالحجر على الفكر الديني وعدم تجديده وترشيده إنما نحمل وزر معظم الملحدين والمتشككين الذين يعطون ظهورهم للدين .

يقول الفيلسوف الهندي « رادا كرشنان « إن المثقفين فى هذا العصر الحديث يلخصون الموقف فى هذه العبارة : يعتقد بعض الناس أن الله موجود ، ويعتقد بعضهم انه غير موجود ، والأمر لا يهمنا فى كلتا الحالتين » !!!

ثم يقول : « وكثيراً ما دل الشك وإنكار الله على اننا نمر بلحظة من لحظات الجدل فى تاريخ الدين ، وعلى انهما – الشك والانكار – من الوسائل التى استخدمها الانسان ليستزيد من معرفته بالله ، ويحرر نفسه من الآراء الدينية المعوجة » .

فكم يسدي الفكر الديني للتائهين من صلاح ونور إذا هو عاش فى واقع الحياة وأخذ بايدي الحائرين ، وقدم لهم جوهر الدين كما أراده الله هدى وجمالا للحياة ؟!

كم يعجبني دعاء الأوبنشاد الهندى : « اللهم اخرجني من غير الواقع الى الواقع .. ومن الظلام الى الضياء .. ومن الموت الى الخلود » ..

وعلينا أن ندرك أن العقائد التى تتحدى العلم إنما تتضمن في نفس الوقت ولنفس السبب إقرارها بالافلاس .. بيد انه لابد ايضاً من إدراك أن العلم ليس من حقه اصدار أحكام نهائية فى قضايا وحقائق عالجها الدين ، ولم يصل هو إلى كشفها بعد ..

أجل ، ولا ينبغي أن نضيع تراثنا الروحي فى سبيل قضايا لا يملك العلم دليلا قاطعاً على نفيها .

وإن اتساع خبراتنا العلمية دون أن يقابل ذلك نمو فى الحكمة الدينية دليل على تقهقرنا لا على تقدمنا .

● ● ●

على المسلمين إذن أن يدركوا – قبل فوات الأوان – انهم في حاجة شديدة وأكيدة الى تجديد التفكير الديني وتقديم الاسلام فى أبهائه الواسعة الرحبة العظيمة .

وعلى مفكريهم أن يدركوا روح العصر بنفس القدر الذى يدركون به روح الدين .

يقول الفيلسوف والشاعر المسلم « محمد إقبال » : « ليس أمامنا سوى أن نتناول المعرفة المعاصرة بروح الاجلال والاستقلال والبعد عن الهوى . وأن نقدر تعاليم الاسلام فى ضوء هذه المعرفة ، ولو أدى ذلك بنا الى مخالفة المتقدمين » ..

ويقول فى نبوغ وضوء : « إن النبوة فى الاسلام لتبلغ كمالها الأخير فى إدراك الحاجة الى أنها النبوة نفسها »

أجل .. وهذا هو معنى أن « محمداً » خاتم الرسل ، وأن الاسلام خاتم الأديان . فليس بعد سيدنا « محمد » رسول ، ولا بعد الاسلام دين .. إنما هو الوحي والعقل .. الوحي الذى يتمثل فى كلماته الخالدة ، والعقل الذى يفتح سبلا جديدة للمعرفة فى ميدان التجربة الدينية .

إننا نبحث عن عالم اسلامي جديد . ولابد لهذا العالم الجديد أن ينشأ وينهض وسبيلنا لذلك تجديد الفكر الديني . وتشجيع الملكات الاسلامية على الاجتهاد والابداع ، والكشف عن التخوم المشتركة بين روح الدين وروح العصر .

واللحظة التى ندرك فيها ذلك ، هي اللحظة التى نجد فيها سعادتنا العظمى ، ونجتاز بنجاح أكبر امتحان لنا .

ولقد كانت حركة التجديد والترشيد للفكر الديني الخلاق ازهى ما تكون فى صدر الاسلام .

وحسبنا أن نرى هذا الفكر الثاقب يجد الحرية التى يناقش بها أكثر القضايا إثارة للاهتمام .

فمثلا ، نجد أعلى مناصب الدولة ، وهي « الخلافة » موضوعاً يغدو فيه الفكر ويروح فيرى أهل السنة أن اقامة رئيس لدولة الاسلام « الخليفة » واجب شرعاً .. ويرى المعتزلة انه واجب عقلا .. ويرى الأباضية وهي فرقة من الخوارج انه غير واجب ، لاشرعاً ولا عقلا .. وأن المجتمع إذا استطاع تنظيم نفسه فى مؤسسات تقوم بتوجيه حياته ورعاية مصالحه لم يعد للخلافة مكان .. !!

ومن عجب أن هذا الرأي هو الذى نادى به « ماركس » و « انجلز » عندما ذهبا الى أن المجتمع البشري سيظل يتطور وينمو حتى يستغنى عن الدولة وعن كل مظاهرها وينظم المجتمع نفسه في مؤسسات مدنية بعيداً عن كل مظاهر الدولة من حكومة وجيش وشرطة !!!

فماذا أصاب الفكر الديني فى الاسلام حتى تبلد وتجمد وجفت منابعه ..؟!

هذا الفكر الذى اقتحم بجرأته النادرة وبأمله الباسل كل القضايا الدينية والدنيوية .

ان مستقبل الاسلام رهين بعودة هذا الفكر المتجدد المتحرر والجريء الوثاب .

وعندما يعود من غيبته وغربته سيشهد المسلمون يوم بزوغ فجرهم الجديد .

خالد محمد خالد

مسافر على الرصيف



بقلم: محمود السعدني

الساخر العظيم

عبد الحميد قطامش واحد من أعلام قهوة محمد عبد الله .. وهو بالقطع وحيد زمانه وفريد أوانه ولم أصادف فيحياتى شخصية أخرى من نفس الطراز . وهو واحد من فحول الأدباء وإن كان لم يكتب أدباً . ولكن موهبته الحقيقية كانت فى الكلام .

كان محدثاً ربما لم يخلق مثله ، وهو يمزج الفصحى بالعامية فى مهارة الصائغ العظيم ، فياتى حديثه كانه مسبوكة عظيمة تضم اغلى الجواهر وأندر الاحجار ! وكان حساساً وذواقة وصاحب نكتة ومعقداً الى حد كبير ! كان يبدأ الناس دائماً بالعدوان ، وبعد سهرة واحدة يصبحون من أعز الأصدقاء ! وكان يكره النساء ويحبهن فى آن واحد ، وهو لانه كان شيخاً معمماً فى صباه ، وايضاً لانه كان من طبقة الفقراء ، فقد كان مرفوضاً لدى النساء . ولعل ذلك هو سر حقده عليهن ، وسر شغفه بهن ايضاً ! وقد عاش الشيخ قطامش حياته منفصلا عن زوجته ، وتفرغ لتربية ابنائه ، والسهر طول الليل مع احد الأصدقاء . والطواف فترة الصباح على المحاكم ، فقد كان واحداً من أقدر المحامين على الاطلاق . وكان يكسب كثيراً وينفق قليلا ، ولم يشاهد قط خارج مكتبه أو بعيداً عن نطاق قهوة عبد الله ، إلا نادراً . وكانت له صلات عريضة ، واصدقاؤه يعدون بالألوف ، ومن كل الطبقات ! وكان هذا يتيح له سهرة فى كل ليلة من الزمالك الى سوق السلاح ! ولكنه ابد ألم يتنكر لانتمائه الطبقى ، ولم يقطع صلته باصوله الأولى ، وظل شبح رهيب يطارده طول العمر ، وهو خوفه من العودة الى أيام الفقر الأولى وزمن التعاسة المتناهية !

وكانت تلك الأيام المبكرة من حياته لا تفارق ذاكرته ، وكان يعود اليها فى كل سهرة ، وكان باستطاعته دوماً أن يلوى عنق الحديث الى نشاته الأولى فى ريف الجيزة ، حيث كان اهل قريته يصيبون وجبات الطعام بالصدفة ، ويعيشون بلا مناسبة ، ويموتون بلا سبب ! وكان من الطبيعى أن يكون فلاحاً يعيش مغروزاً فى الطين والبؤس والياس ايضاً ! ولكنه قاتل قتال المستميت لكى يرسله أخوه الى الأزهر . وكان أخوه بينه وبين الأزهر عداء ، فهو نفسه كان طالباً فى معهد القاهرة الدينى وقضى سنوات فى دراسة النحو والفقه والشريعة . ولكنه سئم حياة التلمذة فهجر معهده وعاد الى القرية ليعمل فلاحاً فى الأرض ، ولكنه ظل يتميز عن زملائه فى القرية بلقب «شيخ» واحتفظ لنفسه بالعمامة حتى آخر يوم من حياته ! ولذلك رفض الاستجابة الى رغبة عبد الحميد قطامش ولكنه رضخ في النهاية استجابة لشفاعة بعض الأقرباء وإلحاح عبد الحميد . وفجاة وجد عبد الحميد نفسه طالباً فى الأزهر ، وفى القاهرة ، لا قريب له هنا ولا حبيب ، وليس معه شىء إلا نصف جنيه ، وعليه أن يدبر أموره بهذا النصف جنيه خلال السنة الدراسية ! ولو كتب عبد الحميد تلك الفترة كما كان يحكيها لترك لنا عملا أروع من طفولة جوركى وأكثر ألماً من أيام طه حسين ! واكتفى هنا بلمحة رواها لي عبد الحميد حين

الساخر العظيم

كان طالباً . وفى نهاية العام الدراسى كان عليه أن يعود الى قريته ، ولم يكن معه نقود فقرر أن يذهب الى بلدته سيراً على الأقدام . ولأنه كان يرتدى زى مشايخ الأزهر وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة فقد كان موضع سخرية الأطفال الذين يمر بهم فى شوارع القاهرة ، ولأنه كان مفلساً فقد شعر بالضياع ، ولأنه كان ضائعاً بالفعل فقد بكى عندما وصل الى امبابة فى طريقه الى المنصورية قريته . وسار قطامش فى التراب والغبار واحياناً فى الوحل خمسة عشر كيلو متراً تحت شمس محرقة ورطوبة لزجة حتى وصل اخيراً الى الدار وعندما جلست على المصطبة وخلعت حذائى ، اكتشفت أن الجورب الذى كنت ارتديه لم يكن مكانه فى قدمى» !! وليس هناك صورة اكثر صدقاً وسخرية من تعليق عبد الحميد ! وحكى لي ذات مرة عن قصة غريبة حدثت له عندما كان فى كلية الشريعة ، فقد ذهب ببطاقة توصية حصل عليها واحد من أهل الخير موجهة الى احد باشوات زمان هو محفوظ باشا رشوان . ويبدو أن بطاقة التوصية كانت من رجل مدع لا علاقة له بالباشا ، ولذلك رفض محفوظ رشوان مقابلة عبد الحميد . إلا أنه عاد فقبل مقابلته تحت إلحاح وإصرار واستماتة عبد الحميد ! وعندما وصل عبد الحميد نفسه أمام الباشا راح يحكى ظروفه ، والغريب أنه وهو الشديد اللماضة ، فقد تلعثم وأصيب بالكتمة أمام الباشا العجوز . المهم أن عبد الحميد نطق ببعض الكلمات «وانا طالب علم وأبحث عن أى عمل يعيننى على طلب العلم» !! ولم ينس طبعاً ترديد بعض العبارات المحفوظة مثل جعلك الله يا سعادة الباشا ذخراً للفقراء والمتعلمين !! والقى عليه الباشا نظرة حائرة ثم طلب منه أن يعود فى الغد . ولم ينم عبد الحميد تلك الليلة . فقد تصور نفسه كاتباً منفوشاً كالديك الرومى فى إحدى المحاكم الشرعية أو مستوظفاً فى إحدى دوائر الحكومة ، أو مصححاً للغة فى إحدى دور الصحف . إن نفوذ الباشا باتـع وهو حتماً سيجد له وظيفة تكون حلا لجميع مشاكله فى الحيـاة ، وفى الموعـد المحدد ذهب عبد الحميد مسرعاً الى مكتب الباشـا محفـوظ رشوان . واستقبله السكرتير بلا اهتمام . وناوله مظروفاً صغيراً وقال له «الباشا ترك لك هذا المظروف» . وتناول عبد الحميد المظروف،وأدع الوصف لعبدالحميد قطامش «حملت المظروف على اكف الراحة كأننى أحمل أمنية طال اشتياقى اليها ورحت أهبط الدرج وقلبى يسبقنى وتكاد دقاته المرتفعة تغطى على وقع أقدامى ، وعندما أصبحت فى الشارع لجأت الى أقرب عامود نور لكى أتمكن من قراءة بطاقة التوصية



التى تركها لي الباشا ، وربما هى موجهة الى أحد الوزراء أو أحد العظماء ، ولابد انها بالقطع ستكون بوابة الخير الى عالم الاستقرار والحياة المنشودة . وفتحت المظروف برقة ولم أجد بطاقة توصية ولكن وجدت ورقة مالية من فئة الخمسة وعشرين قرشا ، وانتفض جسمى كله ، وارعشت المفاجأة جلدى ووقفت ساهما ، افكر فيما يجب علي ان افعله . ووجدت نفسى فى حيرة شديدة ، هل اعود الى مكتب الباشا وارد له المظروف والقنه درسا فى احترام أولاد الناس خصوصا عندما يكونون طلاب علم فى الأزهر ؟ أم .. ؟ أم أمضى فى طريقى واحتفظ بالربع جنيه ؟ وهو كاف لكى اركب الترام بدل السعى على الأقدام ، والحصول على عشوة فاخرة عند الكبابجى ، وعلبة دخان من صنف ممتاز أو شرب الشاى على مقهى العمال مع الحجاوى بالسيدة زينب ! وترددت لحظات بين كرامتى ومصلحتى . بين شموخى وجوعى ، بين انفتى وحاجتى . ولم يطل ترددى ، عدت ادراجى بقوة الى القهوة والكباب وركوب الترام وتدخين السجاير ، وأدركت لحظتها أن الفقراء ليس لهم كيان وليس لهم كرامة . وأن التشبث بهذه الخرافات بالنسبة لمن كان مثلى ، اشبه بمحاولة الطيران باجنحة من طراز عباس بن فرناس ..!!»

إنها صور من حياة عبد الحميد قطامش أيام التلمذة رواها لي بنفسه . وقد أخذتها من بين صور كثيرة للدلالة على ما صادفه عبد الحميد من عنت وما عاناه من مكاره ، وما ابتلى به من أهوال . ولذلك كان حصوله على شهادة العالمية من جامعة الأزهر ، أشبه بوصول أول رائد فضاء الى القمر . ودفعه هذا الانجاز الذى لم يكن يتوقعه الى طبع بطاقات تحمل اسمه على النحو التالى «عبد الحميد قطامش عالمية الأزهر وعبد الحميد الديب ليست له مؤهلات» !! وقد رد عبد الحميد الديب على قطامش فيما بعد فطبع بطاقة هو الآخر كتب عليها .. عبد الحميد قطامش المحامى الشرعى .. وولده رمزى» !! والغريب أن عبد الحميد قطامش رغم انطلاقه الى أبعد الحدود ، ورغم ولعه الشديد بالمرح ، إلا أنه كان غاية فى الانضباط خلال ساعات العمل . وكمحامى شرعى كان واحدا من الأعلام ، وكان يدخر تسعة أعشار دخله ، ليس بخلا من عبد الحميد ، ولكن الفلوس تحولت فى نظره الى درع الأمان ، والسد العالى ضد الفقر والجوع وأيام الضياع . وبالرغم من عصريته وكمحام كان لا يؤمن بالبنوك . وكانت نقوده كلها تحت البلاطة ، وحافظته كانت دائما متخمة بالنقود ! وغالبا ما كنت أراه يتحسس حافظة نقوده وهو جالس معنا فى المقهى ، وكان يبدو سعيدا للغاية كلما مر بيده على الحافظة المنتفخة ، فقد كانت هذه الحافظة هى علاقة السيادة والقوة فى دنيا الناس . وكان يتمتع بقدرة فائقة على إضحاك الحجر . ونكتته كانت لاذعة ، وتعليقاته كانت جارحة ، ولسانه كان اشبه بسيف مسلول . وبالرغم من ذلك كان يبدو ضعيفا الى حد الانسحاق أمام رجال السلطة من الوزير الى الخفير . ولذلك اثر طول العمر أن يبتعد عن أى عمل جاد ضد السلطة . وكان يطلق لسانه أحيانا ببعض النكات ضد الحكومة ، فاذا تازمت الأمور ، لزم داره ، وقبع فى سكون . ولذلك نجا عبد الحميد من المقصلة التى قطعت رؤوس كل أبناء جيله ، فلم يسجن يوما ولم يقطع رزقه يوما ، ولم يعان على أى نحو وفى كل العهود !

وما أشد عقد عبد الحميد قطامش وما أعقد تناقضاته فبالرغم من نشاته الفقيرة إلا أنه كان يكره الفقر والفقراء أيضا !! وبالرغم من نشاته الريفية إلا أنه كان يكره الفلاحين ولم يقم بزيارة واحدة لقريته خلال الأعوام الثلاثين الأخيرة من حياته . وكان يحب السهر فى بيوت الأثرياء ، ويعشق الحياة المترفة والأنيقة ، ويسعى للتعرف على طبقة الضباط والقضاة ورجال الادارة . ولكنه كان يكره المشاهير من الأدباء والفنانين ويحتقرهم ، وكان يردد دائما «المشاهير هم مجرد فقاقيع على وجه المجتمع» ! وبالرغم من بخله الشديد على الأصدقاء إلا أنه كان على استعداد لانفاق اخر قرش من ثروته إذا وجد لمسة حنان عند امرأة جميلة ! ولكن هذه كلها تبقى صفات شخصية لعبد الحميد ، أما الجانب العام فيه وهو الذى يشغلنا فى الأصل ، فلاشك أن عبد الحميد قطامش كان واحدا من أعظم الظرفاء الذين انجبتهم مصر فى هذا القرن . وكانت له جولات وصولات مع عشرات من رجال الأدب والفن والظرف فى مصر ، وسهراته مع زكريا الحجاوى وعبد الحميد الديب وعباس الأسوانى تصلح مادة لتدريس الفكاهة فى جامعات الظرف . ونكاته لم تكن قفشات لفظية فقط ولكنها كانت أشبه بمسرحية صغيرة ، الحوار فيها مركز والحركة مرسومة واحيانا يستخدم الديكور ويحرص على وجود مشاهدين ! ذات مساء فى أواخر الأربعينات خرج معنا زكريا الحجاوى وأنا من منزله فى السيدة زينب ليرافقنا بعض الطريق ونحن فى طريق عودتنا الى الجيزة . ولكن لأن الحديث ذو شجون فقد نسي عبد الحميد نفسه ، ليكتشف فجاة أنه ذهب معنا الى الجيزة . ولم يكن يرتدى إلا جلبابا وفى قدميه نوع رخيص من الشباشب . وفكرنا فى أن نعود معه الى السيدة ، ولكن الرأى استقر على أن نوفر له ربع جنيه مصرى يكفى لتوصيله بالتاكسى الى منزله فى السيدة ، وبعد أن استقل التاكسى وودعنا باشارة من يده ، أمر السائق بالتوقف فجاة ، ونزل مسرعا ليهمس فى إذن زكريا «خد رقم التاكسى يا زكريا» ولما سألناه عن السبب أجاب بجدية متناهية «أحسن السائق يقتلنى ويسرق الفلوس» !!

هذه كانت عينة من نكاته ، قصة قصيرة موحية ولها أبعاد ، وتقطر سخرية من الموقف كله ، ولا ترحم أحدا ، وكان أحيانا يقسو بشدة على نفسه ، ربما ليتسنى له الحصول على إذن بالقسوة على الجميع .

محمود السعدنى

آتٍ أنا والشعرُ.. يا قطرُ

شعر: هارون هاشم رشيد

(عندما تلقيت الدعوة من وزارة الاعلام «بقطر» الشقيق أعددت هذه القصيدة التى حالت ظروف لبنان دون أن القيها .. وقد كتبت قبل الغزو الصهيونى للبنان)

«١»

آتٍ أنا والشعرُ يا "قَطَرُ"
فَلأيِّنا الأشواقُ تنتظرُ

آتٍ كما تدرين ، يحملني
الاغترابُ المُرُّ ، والسفرُ

أقلعتُ من زمنٍ فما بلدٌ
إلا وفي قلبي له أثرُ

وركبتُ هوجَ الرِّيح منتجعًا
دربَ النضالِ ، وقلتُ أنتصرُ

«٢»

آتٍ وَدِدْتُ لَوانَّ من وطني
شيئًا لأهديه لمن حضروا

لأقول : من "يافا" أجيءُ لكم
والبرتقال معي : الزهر والثمرُ

لأقول : من "حيفا" على عَجَلٍ
هذا الصنوبر هَلَّ ينهمرُ

لأقول : هذا الموز أحمله
وشذا أريحا منه ينتشرُ

لأقول : في الأقصى إمامكم
صَلَّى بِنَا ، وأظل أفتخرُ

«٣»

لكنني آتٍ ، ولي ألمٌ
وفؤادي المكلوم يُعْتَصَرُ

آتٍ مَرارةُ الأسى ملأت
قلبي ففاض الحزن والكَدرُ

آتٍ ولي وطَنٌ تناوشه
الغاصبون بشعبه غَدروا

الاحتلال يحطّ في بلدي
والغاصبون هناك قد فجروا

آتٍ وأهلي ، وحدهم صمدوا
للنائبات ووحدهم صبروا

ظلوا قرابينَ الفداء فما
يومًا تقاعس منهم نَفَرُ

قالوا : وأمّتنا ظهيرتنا
سنظل في الميدان ننتشرُ

سنواجه الدنيا بأمّتنا
فبها ، يكون الفوز والظفرُ

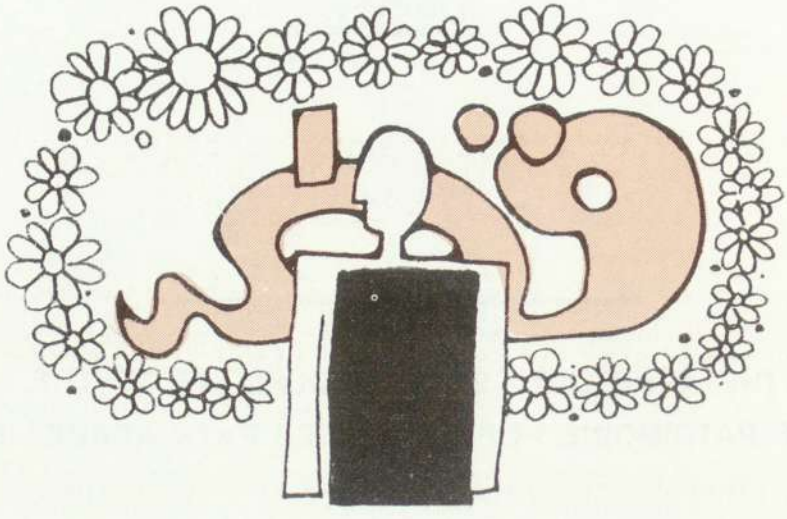
وتلفّتوا فَإذا الدّيار أسًى
من حولهم ، والصمت والحذرُ

الاقتتال يدورُ ما بلدٌ
إلا وفيه عليه من سعروا

الاقتتال شعار أُمّتنا
عرب .. على غرب إذا قدروا

أمّا إذا ما لوّحت لهموا
أرض الفداء ، ونادت النُّذُرُ

وإذا فلسطين ، ومسجدها
هتفا ، فَإنَّ العُرْبَ تعتذرُ



«٤»

قِـمَـمٌ .. وأقطـابٌ ، وجَامعَـةٌ
وتظـل "إسـرائيـل" تـنتصـرُ

قـمـم ، وأقطـاب ، وجامعـة
والمسجـد القُـدُسيُّ ينكسـرُ

قـمـم ، وأقطـاب ، وجامعـة
وسماؤنـا والأرضُ تُختَصَـرُ

أقداسُـنا مَرْعى لمَنْ غـدروا
وديارُنـا بـالـذل تـأتـزِرُ

نِمْنَـا على أوهـام مارسـموا
يَلْهو بِنَا التّهويم والخَـدَرُ

ضربـوا "مُفَاعِلَنَـا" فما فَعَلَـتْ
"دولاتنا" هل هَـزَّهـا الخَـبَرُ ؟

حَطُّـوا على أرض الجَنُـوب فـما
من قـريـة إلا بـهـا عَبَـرُوا

قـالوا "لِخَيْـبَر" هزَّنـا شَـغَفٌ
وإلى المدينـة شَـدَّنـا وَطَـرُ

قـالوا "بمكـة" عنـد مسجدهـا
يـوم اللقـاء هنالك نـنحشـرُ

قـالوا من "النـيل" الذي عَرَفـوا
حتى "الفُرات" ستلتـقى الزُّمَـرُ

وتظـل في الأحـلام أُمَّتُـنـا
ونظـل نستجـدي وننتظـرُ

«٥»

عـرب بماذا ؟ والديار غَـدَتْ
نهبًا لمن كبروا ومن صَغُـروا

عـرب بماذا ؟ لا يُـوحِّدُهـم
شيء فلا سـلم ولا خـطـرُ

هـم يعلمون بأن قـاتلهم
بالفُرْقـةِ الشوهـاء يـنتصـرُ

«٦»

آتٍ إليكم ، ما أُحَـدِّثُكم
مـاذا مـعي ، لا شَيْءَ يُنتَـظَرُ

فأنـا أُعَـايِشُ كـلَّ ثـانيـةٍ
هـذى العـروبـة وهي تـنحـدرُ

وأرى بعـين الغَـيْب نَكْبَتَـها
لَوْظَـلَّ هـذا الحـال يـنتشـرُ

آتٍ إليكم والحنـينُ معي
والشـوقُ ، والآمـالُ والذِّكـرُ

أدري بـأنَّ الأَهْـلَ مِنْ وَطَـني
في داركم بالحُبِّ قد غُـمِـروا

وبأنَّكم كنتـم "وما زِلتُـمْ"
مَعَنَـا .. تلاقى الفِكْرُ والنَّظَـرُ

وبـأنّ هـذا الحُبَّ نحفظـه
في صدرنـا عَهْـدًا ونَـأتَـزِرُ

وبأنَّنـا في يـوم عَـوْدَتِنـا
سـتَكـونُ في أحداقنـا "قَطَـرُ"

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز التراث الشعبي

لـــدول الخليـــج العربيـــة

THE ARAB GULF STATES FOLKLORE CENTRE

CENTRE DE PATRIMOINE POPULAIRE DES PAYS ARABES DU GOLFE

مسابقة تصميم شعار للمركز

يسر مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية أن يتوجه بالدعوة الى كافة المبدعين فى مجال الفن التشكيلى والمشتغلين بكافة أنواع الرسم والخط من مواطنى : دولة الامارات العربية المتحدة ، دولة البحرين ، الجمهورية العراقية ، دولة الكويت ، المملكة العربية السعودية ، سلطنة عمان،ودولة قطر ، للمشاركة فى مسابقة فنية لتصميم شعار خاص بالمركز حسب المواصفات والشروط التالية :

أولا - مواصفات التصميم المطلوب

١ - أن يعبر عن المركز ، كمؤسسة خليجية مشتركة ، تعنى بالتراث الشعبى للمنطقة المتمثل فى فنون الأدب الشعبى ، العادات والتقاليد ، الموسيقى وفنون الغناء والرقص الشعبى ، الحرف والصناعات الشعبية .

٢ - أن يكون دالا على هذا التراث ، ومستوحي من أحد جوانبه الفنية خصوصاً ما أعطته الثقافة المادية الشعبية المتمثلة فى كل ما أنتجه الفنان الشعبي بمجالات الرسم والنحت والتصوير ، وما ابتدعه من فنون معمارية ووحدات زخرفية وما أنتج من أدوات ومعدات استلزمتها طبيعة الحياة البسيطة على مر العصور .

٣ - أن تكون فكرته جديدة ، وتنفيذها مبتكر ولم يسبق له أن طرح أو تداول بأى وسيلة من وسائل النشر على اختلاف أنواعها .

٤ ـ أن يكون بسيطاً ، وقابلا للتنفيذ الفنى بواسطة الطبع والحفر والنحت والتجسيم الهندسى .

٥ ـ يفضل أن يكون الشعار بلونين فقط .

ثانياً ـ : شـــــروط الاشـــــتراك

١ ـ أن يكون المشارك من مواطنى احدى الدول الأعضاء فى المركز .

٢ ـ لا يحق لأى مشارك تقديم أكثر من تصميم واحد .

٣ ـ ينفذ التصميم على الورق المقوى الخاص بالرسم قيـاس ٥٠×٤٠ سم أو ما يقارب ذلك . على ألا يذكر على التصميم اسم المتسابق أو ما يدل عليه ، ويكتب الاسم والعنوان البريدى ورقم التليفون على قصاصة منفصلة ترفق بالتصميم .

٤ ـ يمنح التصميم الفائز جائزة مالية قدرها ستة آلاف ريال قطرى ، تدفع بعد اعلان نتيجة المسابقة .

٥ ـ التصميم الفائز يعتبر ملكاً دائماً للمركز يستخدمه فى كافة أغراض عمله وبالشكل الذى يراه مناسباً ، وتسقط تبعاً لذلك جميع حقوق الملكية الفنية ، العائدة للمصمم .

٦ ـ جميع الأعمال الفنية التى لم تفز لا ترد الى أصحابها ، ويحتفظ المركز خلال شهر واحد من تاريخ اعلان النتائج بحقه فى أولوية الاستفادة من أى منها فى أغراض فنية أخرى خاصة بمجال عمله ، وذلك مقابل مكافأة مالية يتفق بشأنها مع المصمم .

٧ ـ ستشكل لجنة تحكيم خاصة بمستوى فنى رفيع ، لتقييم الأعمال المشاركة . سيكون من بينها ناقد فنى ، مؤرخ فنى ، فنان تشكيلى من أوائل الرواد ، مهندس معمارى ومندوب مختص بالتراث الشعبى الخليجى من المركز .

٨ ـ تعلن نتائج المسابقة فى أواخر ديسمبر ١٩٨٢ م بواسطة النشر فى الجرائد والمجلات والاذاعة والتلفزيون .

٩ ـ آخر موعد لقبول الاشتراك هو مساء يوم الثلاثاء ٣٠ نوفمبر ١٩٨٢ م .

١٠ ـ ترسل التصاميم المشاركة الى العنوان التالى :

مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية
الدوحة ـ ص . ب ٧٩٩٦
دولة قطر

دراسة علميّة من جامعة الإسكندرية

التحضّر في المجتمع القطري

تأليف: محمد أحمد عبد الرزاق غنيم
مراجعة: أحمد العناني

من أفضل الدراسات الانثروبولوجية التى صدرت عن قطر هذه الدراسة التى جهد لهافاحسن اعدادها السيد محمد احمد غنيم واستحق بها مرتبة تقدير ممتازة من معهد العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة الأسكندرية ..

والواقع ان المواهب الخاصة والقدرة على التركيز والصبر الجميل تبرهن دائماً على نجاعة حقيقية فى رفع بعض الشباب الى مصاف الكهول إحساناً واتقاناً ، وهذا ما ينطبق على السيد غنيم الذي تردد على قطر فترات كافية ليجمع ويدرس ويشاهد على الطبيعة ، وليسعى للمعرفة حيثما وجدها ، وليحتفظ مع ذلك كله بطابعه الخاص فى فهم الحقائق ومناقشتها .

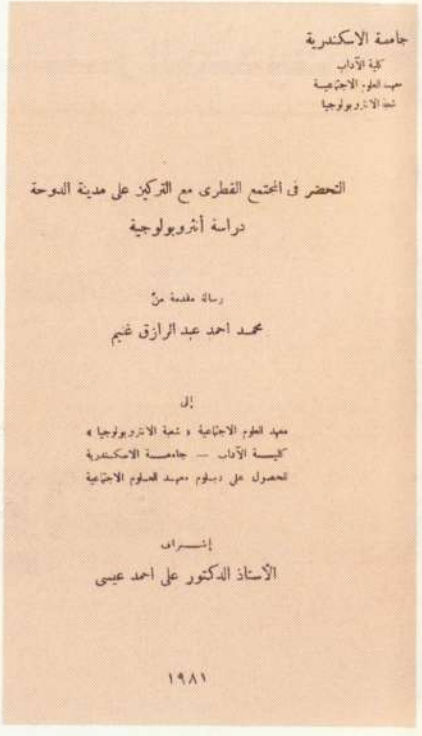
والدراسات الانثروبولوجية فى مناطق الزيت بشرقي شبه الجزيرة العربية تعتبر من ألزم الدراسات وأحقها بالاهتمام والرعاية ، وذلك لما هو معروف من التغير السريع لأنماط الحياة الاجتماعية ، واختلاف نوعية الانتاج وادواته ، واكتساب مختلف الأنشطة الحياتية وجوداً ، وإن لم يقطع صلته بالماضى ، إلا انه وجود جديد بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، وبكل ما ينطوي عليه الجديد المفروض كالقدر النازل من تحديات وطيبات

وإذا استثنينا الدراسة الجادة التى وضعتها الدكتورة جهينة سلطان العيسى من جامعة قطر ، والدراسة الوجيزة التى أرادتها السيدة روز ماري سعيد ان تكون دراسة اقتصادية اجتماعية فجاءت فى معظمها دراسة تاريخية مفتقرة الى الكثير الكثير من الأرقام والحقائق عن المجتمع القطري الجديد ، اقول إذا استثنينا تينك الدراستين ، فاننا لا نجد خارج ذلك النطاق الضيق ـ وعلى احسن ما اعلم ـ سوى دراسات ذات طابع يتراوح بين الصحفية المحضة ، والصحفية التاريخية الى حد ما كما هو الحال فى دراسة هيلجا جراهام الانجليزية باسم « آلة الزمن » وكتاب ناصر العثمان « السواعد السمر » على التتالي ... وكذلك دراسة الدكتور ليفون ميلكيان بعنوان « جاسم » .

وثمة بحث فى حدود خمسين صفحة بالانجليزية لكاتب هذا المقال كتبه بعنوان « قطر قبل الزيت وبعده » استجابة لدعوة من جامعة حيدر اباد . ولكنه بحث لم ينشر وإن صدرت له خلاصة بالانجليزية من تلك الجامعة ..

وبذلك يمكن القول دون تردد إن بحث الدكتورة جهينة « التحديث فى المجتمع القطري المعاصر » ، وهذه الدراسة لمحمد غنيم « التحضر فى المجتمع القطري » هما العملان الوحيدان حتى الآن اللذان انطلقا من منطلق انثروبولوجي منهجي » ، مستخدمين المعلومات الجغرافية والتاريخية كمجرد خلفية للتوصل الى نتائج محددة ، وهي نتائج توصل كل منهما لها بناء على متابعة واستبيانات ودراسات منهجية . ولقد احسن غنيم بما اشار له فى مستهل دراسته من إفادته من الدكتورة جهينة وبجهدها الكبير الذى ضارع جهد الاستاذ الجليل المشرف على هذه الدراسة الدكتور علي أحمد عيسى من جامعة الأسكندريـــة ...

ومع أن الحقيقة أهم من مشاعر التواضع مهما كانت دوافعه ، وهي أن قسم الوثائق والدراسات بمكتب سمو الأمير بالدوحة كان له فضله ودوره الهامان فى تمكن المؤلف من اعداد مقدمته الجغرافية والتاريخية ، ولكن السيد غنيم هو الذى جعل تلك المساعدة أمراً ممكناً بمثابرته


جامعة الاسكندرية
كلية الآداب
معهد العلوم الاجتماعية
شعبة الانثروبولوجيا

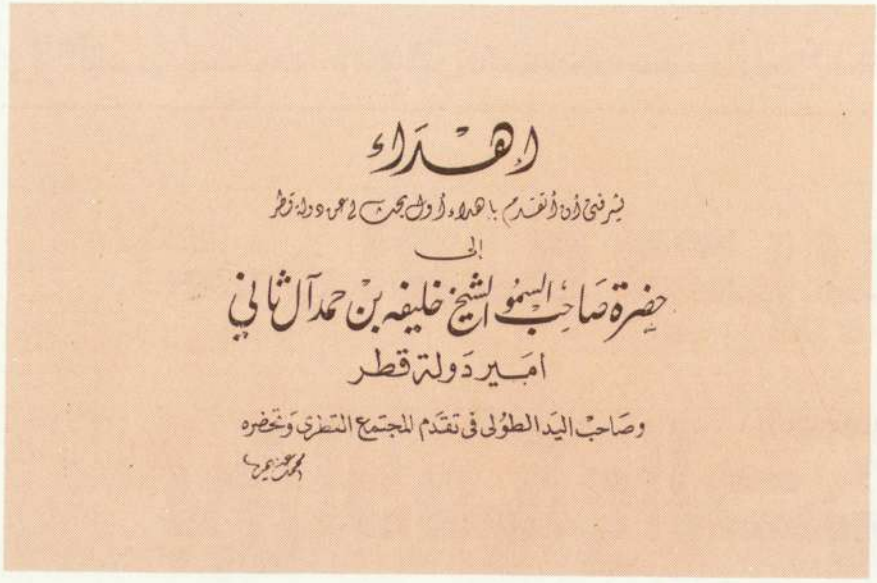
التحضر في المجتمع القطري مع التركيز على مدينة الدوحة
دراسة أنثروبولوجية

رسالة مقدمة من
محمد احمد عبد الرازق غنيم

إلى
معهد العلوم الاجتماعية « شعبة الانثروبولوجيا »
كلية الآداب — جامعة الاسكندرية
للحصول على دبلوم معهد العلوم الاجتماعية

إشراف
الأستاذ الدكتور علي احمد عيسى

١٩٨١


الإهداء

بشرفني وأنا أقدم بحثي هذا وأول بحث لي عن دولة قطر

إلى

حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني

أمير دولة قطر

وصاحب اليد الطولى في تقدم المجتمع القطري وتحضره

غلاف الرسالة التي اعدها محمد احمد عبد الرازق غنيم ، والتي استحق بها درجة امتياز من كلية الآداب بجامعة الاسكندرية .. وقد اهدى الباحث دراسته إلى سمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني امير دولة قطر

وحسن سعيه في جمع الحقائق والافادة القصوى من هذا القسم الذي اتشرف برياسته . فلقد مر بنا كثيرون غير غنيم ينشدون العون لكن سرعة ضجرهم ورغبتهم الجامحة في اعتساف الامور ، وقلة صبرهم حالت دون إفادتهم من موجودات وجهود هذا القسم .

وبسبب ذلك كله اصبحت رؤية غنيم مهمته رؤية واضحة بكل ابعاد الكلمة ، فجاء تقسيمه للبحث تقسيماً منطقياً متسقاً ، وذلك في مقدمة وخمسة فصول أولها عن مفهوم التحضر ومعايير الابحاث الانثروبولوجية الحضرية ، وثانيها عن التفاعل الايكولوجي او البيئي مع التركيز الواضح على مدينة الدوحة بالذات ، ثم تناول في الفصل الثالث الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وما تعرضت له في قطر من عوامل التغيير شاملا ذلك بالطبع علاقات القربى كما صاغتها الثقافة الاسلامية وبعض الأعراف العربية ووسائل التربية والتعليم وما طرا عليها من تبديلات جوهرية بادخال النظم الحديثة للتربية والتعليم .

وفي الفصل الرابع عالج المؤلف في حوالي ثلاثين صفحة موضوعاً يعتبر بالنسبة لقطر بخاصة أهم موضوعات البحث كله الا وهو الحياة القبلية وما اعتراها من تطور على المستوى السياسي وهو تطور متعلق دائماً بالتطورات الاقتصادية والاجتماعية .

اما الفصل الخامس فقد جعله الباحث لمجموعات الأمور التي لابد من اثباتها في كل عمل علمي منهجي ولا سيما بالنسبة لشاب جامعي ينشد تاكيد اتصافه بكل مواصفات الدارس الباحث على هدى وبصيرة — فهناك تفصيل كامل للمراجع العربية والأجنبية وملاحق شملت نماذج من مقابلات واستبيانات ونظرات في الأدب الشعبي المعبر عن خصائص الحياة القطرية الى جانب بيانات اخرى لابد منها في مثل هذا البحث بالذات . كالخرائط والصور التوضيحية .. الى آخر ذلك ..

ومع علمي بما بذله الباحث في إعداد هذه الرسالة التي ناهز حجمها الأربعمائة صفحة لكني لا أسوغ له ، ولم أكن لأرضى له معاودته التاكيد مراراً لما بذله من جهد وكان الأفضل أن يترك للقاريء أن يعطيه ما يستحقه من التقدير ، وهو مستحق لذلك بالفعل ، لكنه يهون من هذا الأمر . انه شاب جامعي وشاب متحمس ويريد أن يرى منه استاذه المشرف وغيره ما فعله وبذله .

ولا أرغب اطلاقاً في أن أقدم أي انطباع يقلل من سائر النواحي الرائعة في بحث غنيم ، ولكن ذلك لا ينبغي ان يحول دون ايراد كل تحفظ على عمله ، فهو في الفصل الأول عن مفهوم التحضر أسرف كثيراً في الجانب الفقهي من الموضوع ، إذ أن أهم مما قرأه عن وجهات نظر الآخرين ونظرياتهم ما توصل له هو من استنتاجات ذاتية . وعندي في هذا الأمر وجهة نظر قد اجنح فيها الى شيء من الاسراف ، وهي وجهة نظر تتعلق بالمعرفة ، اهدافها وغاياتها في مجتمعنا العربي باسره حيث مايزال التركيز على الحفظ والكم يفوق العناية بتربية المزيد من الاصالة والاقتدار على توليد الأفكار الجديدة من معطيات المعرفة سواء ما توفر منها في الكتب والوثائق او ما جمع بالجهد والبيانات وبالمشاهدات الفاحصة ايضاً ..

إن أهم واجب لعالم الانثروبولوجيا في تصوري هو اقتداره على رصد التوجهات الاجتماعية الخاطئة التي تنقص من فاعلية المجتمع وانتاجيته وسرعة ودقة استشرافه مستقبلا افضل على ضوء القيم السليمة لدنيته ومؤسساته ، وهذا ما يحفظ رسالته في اطار النفع فان ما ينفع الناس هو ما يمكث في الأرض كما ان العلم النافع هو العلم الذي يرضاه الاسلام العظيم لنا لسعادتنا في الدارين .

لقد أردت بهذه العجالة أن أنوه بعمل علمي كاد يبلغ حد الاتفاق التام في منهجه واستيفائه كل متطلبات البحث الجاد لتكون هذه الكلمة بين يدي كتاب السيد غنيم الذي هو بسبيله الآن للنشر ، ولا يسعني إلا أن أشد على يده وأن ادعوه للسير قدماً في عمله ليكون منه باذن الله عالماً اجتماعياً ينتفع الناس بعلمه . والله الموفق وهو الهادي الى خير سبيل ..

دور العمائم في تاريخ مصر الحديث:

عمامة جريئة بين الأمة والحكومة

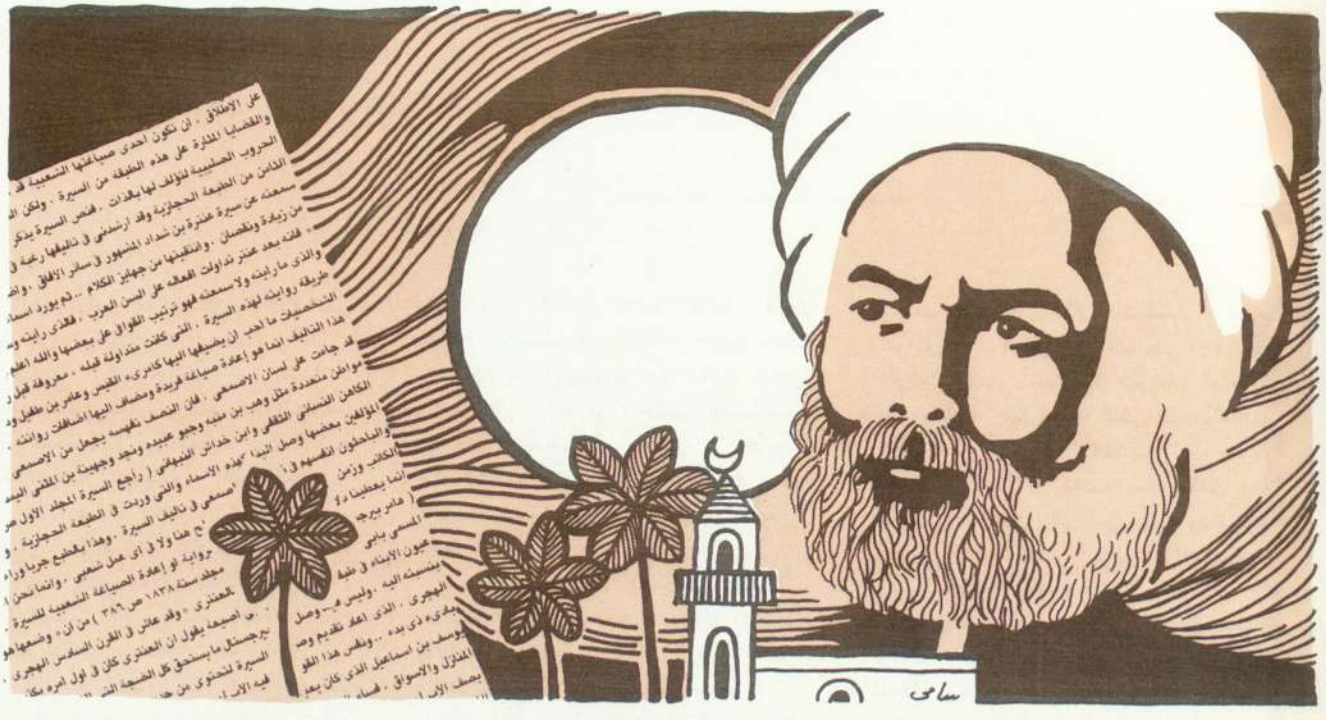
بقلم: فتحي رضوان

● لما اخترت « دور العمائم فى تاريخ مصر » خيل إلي أننى أبتكر موضوعاً جديداً من موضوعات الدراسة التاريخية العامة ، وأن الخاطر الذى حفزني الى اختيار هذا العنوان ، وموضوع العنوان ، كان خاطراً جديداً ، لم يشغل أحداً من قبل ، ولكن كم كانت سعادتي حينما وقع نظري فى كتاب المرحوم الدكتور عثمان أمين الصادر فى سنة ١٩٤٤م ضمن سلسلة اعلام الاسلام ، على عنوان نصه : « يالها من عمامة ! » .

ثم رأيت تحت هذا العنوان ما نقله المؤلف عن تلميذ الشيخ محمد عبده ونعني به الشيخ محمد رشيد رضا ونصه : « العجب حقاً ـ أن ترى صاحب عمامة ازهرية يدخل فى حكومة مطلقة ، بعيدة فى أعمالها عن رجال العلم والدين ، فيشرف من نافذة غرفة التحرير للجريدة الرسمية على نظارات الحكومة ومجالسها ومحاكمها ومصالحها . فيصلح لعمالها ما يكتبون ، ويرشدهم الى اصلاح العمل فيما يعملون ، ثم يشرف من نافذة أخرى على الأمة . » .

وما يعنيه الشيخ رضا ، فى واقع الأمر ، عجب يدل على أن محمد عبده لم يكن منذ بداية حياته العامة ، فرداً يتميز بالذكاء وقوة الشخصية ، يتفوق على سواه بما حصل من العلم ، وهو فى مطلع حياته ، واسبغ الله عليه نعمة الكلمة النافذة ، والحجة الصادقة والبيان المبين ، بل إنه كان جماعة كبيرة ، تتوق الى تغيير حال امته ، والوقوف فى وجه ما درجت عليه من استسلام للحاكم ، وإذعان للسائد من التقاليد والأوضاع ، والدور الذى لعبه فى تحويل مجلة «الوقائع المصرية» الى ديوان للمحاسبة ، وجهة للمراقبة ، ومصدر للتوجيه ، ومنبر للاصلاح . ولم يستثن احداً من نفوذه ، فالحكام الكبار من الوزراء ومديرى المديريات ، ورؤساء المصالح كعامة الشعب يخضعون لنفوذ هذه الجريدة ، فقد وضع محمد عبده ، تنفيذاً لأمر رئيس الوزراء (النظار) رياض باشا ، لائحة لجريدة الوقائع المصرية ، تكلف جميع مصالح الحكومة وإداراتها بأن تخبر الجريدة بما قدرت من مشروعات ، وما انجزت من هذه المشروعات ، كما تلزم المحاكم بأن ترسل الى الجريدة ما اصدرته من احكام ، واعطت اللائحة لرئيس تحرير الجريدة أو محررها الأول ، الحق فى أن ينتقد ما يراه جديراً بالانتقاد من الاعمال او المحررات التى كتبتها الجهات الرسمية . ولم يقنع رئيس التحرير بكل هذه المهام الخطيرة ، فقد انشأ قسماً شعبياً ينشر فيه هو وينشر فيه غيره من المحررين والقادرين على الكتابة ، ما يرسلونه الى الجريدة من المقالات فى مختلف الشئون العامة .

وبالجملة فان جريدة او مجلة «الوقائع المصرية» ، أصبحت بفضل التعاون بين رئيس الوزراء (ناظر النظار) وبين شيخ ازهرى شاب ، لم يتجاوز آنذاك مطالع الحياة العامة ميلاد مؤسسة لا نظير لها فى تاريخ مصر ، ولا فى تاريخ الحكومات فى



الشرق او الغرب ، إذ لم يسمع الناس عن محرر جريدة رسمية بالغا ما بلغ من الحكمة والنضوج ان يقيم نفسه مرشداً ومربياً وموجهاً لا لعامة الناس ، وهذا ليس بالشيء القليل ، إنما للرؤساء الكبار والمسئولين ذوى الصدارة ، وعلى هؤلاء جميعاً ان يسمعوا ويطيعوا ، وقد ثار احد مديرى المديريات على ما وجهته اليه الجريدة من نقد لاعماله فى مديريته فمنع الجريدة من دخول المديرية ، وشكا الى وزارة الداخلية من النقد الذى وجه اليه ، وبرر شكواه بان نقده على رؤوس الاشهاد ، من شانه ان يحط قدره امام مرؤوسيه وامام المواطنين ، فرفضت وزارة الداخلية شكواه واعادتها اليه ، ونشرت ما صدر منه فى منشور عام ، اعلنت فيه الوزارة أن سلطة الجريدة الرسمية فوق سلطة المديرية .

وقد قلت إن هذا شيء غير مسبوق ، وخارج على كل قواعد الحكومة ، وخروجه اظهر وادعى الى الدهشة والتساؤل بالنسبة لتعرض الجريدة لاحكام المحاكم ، فاحكام القضـــاء، يعرف انها عنـــوان الحقيقة اولا ، وانها معصومة من اعتراض او احتجاج او تساؤل سلطات الحكومة ، ولاسيما ما كان منها اداريا ، دع عنك اعتراض جريدة رسمية ، يحررها شاب لم يجلس مجلس القضاء ، ولم يبلغ مبلغ نضوج الرجال ، فالطعن فى الاحكام له سبل موسومة فى القوانين ، ومقصور على سلطات قضائية اكبر ، فلا يسوغ لجهة حكومية ، ولا لجريدة ولو كانت رسمية ، ان تجلس القضاة مجلس التلاميذ ، وتصحح لهم اخطاءهم وبخاصة ما كان منها متعلقاً بموضوع الحكم ، وإظهار حيدته جادة الحق ، وحسن الاستدلال ، فضلا عن اخطاء اللغة التى تكشف عن جهل القضاة بقواعدها ، مما يحط فعلا من اقدارهم ، ويزرى بهم ، ولقد اطلنا الوقوف امام هذه المرحلة من حياة محمد عبده ، لانها جديرة بان يطيل المؤرخون التامل فيها ، واستخراج معانيها ودلالاتها ، والحق ان اكثر من كتب عن تاريخ الشيخ محمد عبده ذكرها ، ولكن بغير تمعن كاف فيما تكشف عنه .

ونحن سنبين فيما يلى ، ان هذه الحقبة فى حياة الشيخ ، تدل على مدى حرصه على الاصلاح ، والتهيؤ له ، والايمان به ، مما يجعل العمل الثورى شاقا ، وغير سائغ المذاق فى فمه ، فقد كانت اعمال محمد عبده فى فترة رياسته للوقائع المصرية ، إعلانا كاشفا عن الزعيم المصلح الذى يريد ان يعمل فى هدوء واناة ، منتظراً ثمار اعماله ، بعد جيل او اجيال غير متعجل .

وقد حدثنا الشيخ عن آثار جريدته التى راس تحريرها فقال :

«وكان اول ما بدات الجريدة بانتقاده طريقة التحرير التى كانت متبعة فى النظارات والادارات ، فاخذت تبين وجه الخلل فيها ، واضرارها لفهم المعانى المطلوبة وانقضائها بطول المخابرات فى الاستفهامات التى لا طائل تحتها ، ثم ترسم الطريقة الفضلى التى يجب السير عليها ، فلم تمض اشهر قليلة حتى ظهر فضل الالمام باللغة العربية من موظفى الحكومة ، وحضهم لرؤسائهم بمكاتبة الجريدة الرسمية سترا لعيوب الادارات واضطر الجاهلون باللغة والتحرير الى استدعاء المعلمين او المبادرة الى المدارس الليلية ليتعلموا كيفية التحرير ، وقد انـذر الشيخ مدير جريدة شهيرة بتعطيل جريدته إذا لم يبادر باختيار مصحح لها فى مدة حددها له فاذعن صاحب الجريدة ونفذ الامر ، وادى هذا الى ظهور طائفة من الكتاب والمحررين ممن كانوا مغمورين من قبل ولعلهم بقوا فى ميدان التحرير والكتابة فى الصحف والمجلات التى توالى ظهورها بعد ذلك حتى اتصلت هذه الفترة بفترة رواج الصحف الكبيرة فى اخريات القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، ونعنى بها اللواء لمصطفى كامل ، والمؤيد لعلي يوسف ، والجريدة للطفي السيد .

وإذا كنا قد اشرنا الى التانيب الذى ناله مدير مديرية (بنى سويف) حينما اعترض على النقد الموجه لاعمال مديريته ، فلا يفوتنا ان وزيراً اعترض نفس الاعتراض ، حينما تعرض لهجوم الوقائع عليه ، وكان يحسب ان منصبه الخطير سيعصمه من هذا الهجوم ولكن رئيس الوزراء على العكس حمى الجريدة ومحررها من غضب الوزير ، واقر النقد الموجه اليه ، وطلب منه ان يدافع عن نفسه إن استطاع ، ولاشك في أن هذه (الثورة) الاصلاحية اضطرت مختلف ادارات الدولة على ان تجرى تنافساً فيما

عمامة جريئة بين الأمة والحكومة

بينها ، لفهم مرامى الدعوة الاصلاحية التى تبنتها جريدة الحكومة الرسمية ، فدبت فيها جميعاً روح جديدة من النشاط والحمية ، والحرص على المصلحة العامة .

وإذا كانت هذه هى ثمار ما دعت اليه جريدة الوقائع المصرية ، التى تجاوزت العمل الادارى ، ونظرة الموظفين الى المواطنين ، ونظرتهم الى الأعمال التى يمارسونها ، فقد جددت اللغة العربية ، ومهدت السبيل الى نهضة أدبية . ولكن هذه الجريدة كان لها فضل آخر ، وهى أنها كشفت لنا عن أعماق فكر الشيخ محمد عبده ، وقد كان من بين ما نشر مقال خطير عنوانه: «إنما ينهض بالشرق مستبد عادل» «وقد وصف هذا المستبد فقال : مستبد يكره المتناكرين على التعارف ، ويلجىء الأهالى الى التراحم ، ويقهر الجيران على التناصف ، ويحمل الناس على رايه فى متابعتهم بالرهبة ، إن لم يحملوا انفسهم على ما فيه سعادتهم بالرغبة ، عادل لا يخطو خطوة إلا ونظرته الأولى الى شعبه الذى سيحكمه ، فان عرض خطا لنفسه ، فليقع دائما تحت النظرة الثانية ، فهو لهم أكثر مما هو لنفسه» .

ثم قال :

« خمس عشرة سنة يثنى فيها أعناق الكبار ، الى ما هو خير لهم ولأنفسهم يعالج ما اعتل من طباعهم ، بانجع أنواع العلاج ومنها البتر والكي ، إذا اقتضت الحال ، وينشىء فيها نفوس الصغار على حاجة العزيمة نحوه ، ويسدد بناتهم بالتثقيف ، ويتعهدها كما يتعهد الفارس شجرة .. خمس عشرة سنة تحشد له جمهوراً عظيماً من أعوان الاصلاح .. إذا صح الشعور ، واستقامت الأفكار ، أبلح لهم قدراً من الحرية ، وأول ما يكون ذلك بتشكيل المجالس البلدية ، ثم بعد سنين تاتى مجالس الادارة ، لا على أن تكون آلات تدار بل على أن تكون مصادر للآراء والأفكار ، ثم تتبعها بعد ذلك المجالس النيابية »

إن هذه السطور القليلة هى خلاصة فكر الشيخ محمد عبده ، فهذه العمامة الفياضة بالحيوية ، القادرة على التأثير ، المهياة والمخلوقة لحث الناس وإمامتهم ، لا يتصور التغيير المطلوب إلا مقروناً بحاكم ، فان لم يكن القائم بالتغيير حاكماً بذاته ، فرجل مصلح هو محمد عبده بالذات ، يلوذ بحاكم ويحتمى به ، ويستمد منه القوة والنفوذ والسلطان ، فيامر الناس وينهاهم ، ويؤدبهم ويعاقبهم ، ولكن لا يحاورهم ولا يجادلهم ، ولا يوحى اليهم ، ولا يدعهم لأنفسهم أبداً ، لأنه لا يثق بهم ، ولاسيما إن كانوا شرقيين .

ولننظر فى هذه السطور القليلة ، ولنستخرج منها وحدها الفاظ : الاكراه ، والالجاء ، والقهر ، والحمل ، وثنى العنق ، والبتر والكي .

فقد قال ما نصه : «مستبد ، يكره المتناكرين على التعارف» «ويقهر الجيران على التناصف» «ويحمل الناس على رايه في متابعتهم بالرهبة» «خمس عشرة سنة» يثني فيها أعناق الكبار» ..وهذه السطور تدل أولا على أن محمد عبده ، كان مؤمنا بالاصلاح ، الى أعماق ذاته ، وانه كان ماخوذاً بمثل الدكتاتور ، من منبت شعره الى أطراف أصابعه . فما وصفه فى هذه السطور هو الدكتاتورية ، كما يؤمن بها ويدعو لها دعاتها . فالدكتاتورية ليست ظلماً ، ولا عسفاً ، ولا اغتصاباً للسلطة لفرد يتمتع بها ، ويعلو على الناس بسلطانها ، فيخلو له الجو ، فيسلب وينهب ، فالمستبد الذى يدعو اليه محمد عبده ، رجل يفنى فى المصلحة العامة ، وينذر نفسه لها فلا ينظر أول ما ينظر إلا الى مصلحة الناس ، ورفاهية الجماعة ، ولكن أفراد الناس ، ولاسيما فى مجتمعات شرقية ، انحط فيها معنى السلطان ، وتدهورت فكرة الحكومة ، وفسد فيها النظام الادارى العام بشهوات الحاكم ، وميله الى تمتعه بالراحة والثروة والنفوذ . ومن هنا فلابد أن يهب الله الشعب ، حاكماً مستبداً حاسماً حازماً يثنى الأعناق ، ويكره المتخلفين ، ويقهر المتناكرين ، ويثقف الجهلاء ، بامر منه وبرهبة شخصه وسلطانه . ولكن لم يخبرنا الشيخ كيف يأتى هذا الحاكم (المستبد العادل) ومن سيسويه للشعب ويخلقه ، ويضفى عليه كل هذه الفضائل .

ولعل الشيخ كان متفائلا ، فظن ان الحصول على هذا (المستبد العادل) ميسور لأنه ظفر برياض باشا رئيس الوزراء ، وكان حاسماً حازماً ، قوى الشكيمة ، شديد المراس ، وقد فرض إصلاحاً على الأغنياء ، ففرض على أطيانهم ضريبة لم يكونوا يدفعونها من قبل ، كما ألغى السخرة التى كانت مفروضة على الفلاحين ، يجبرون باحكامها على أن يعملوا بلا مقابل وبلا راحة ، ولا أعياد ، فى شق الترع وتطهيرها وتطهير المصارف ، وإقامة الجسور ، وحراستها عند الفيضان .

ولعل ما هو أعظم وأكبر ، إذ وثق بالشيخ محمد عبده ، فجعل منه (مفتشاً عاماً) للدولة وهو منصب كان موجوداً فى عهد الخديو اسماعيل ، وكان يشغله اسماعيل باشا المفتش ، عينه مفتشاً عاماً حينما عينه المحرر الأول فى جريدة الوقائع ، وفرض ـ كما مر بنا ـ على الوزراء والمديرين والقضاة ، أن يسمعوا للشيخ ، ويطيعوه ، كلما بدا له أن يوجه لهم نقداً ، أو يصلح خطأ . ولكن كانت خيبة أمل الشيخ عظيمة ، حينما سقط رياض باشا من وزارته بعد سنتين على الأكثر . فصرخ الشيخ : واأسفاه حال دون بلوغ تلك الأمانى أمور : منها ما كان منشؤه رياض باشا نفسه وبعض النظار ، ومنها ما له علاقة بالجناب الخديوى ، ومنها ما سببه امتداد السلطة الأجنبية الجديدة ، ومنها نهوض الساخطين لاستعمال ما وجدوا فى ذلك من الوسائل لاثارة الفتنة ، ولقلب وزارة رياض باشا على حد عبارة المرحوم الأستاذ عثمان أمين .

وقد وصف الأستاذ أحمد أمين ، رياض باشا ، المستبد العادل ، الذى عرفه (محمد عبده) وتعاون معه ، وتمنى أن يبقى فى الحكم خمس عشرة سنة ، يتدرج خلالها الشعب المصرى ، من طاعة المستبد العادل وإلا ثنيت أعناقهم ، واكرهوا واجبروا ، واخيفوا حتى يستقيموا على الجادة ، ثم يتمتعون بحكم مجالس المديريات ، فالمجالس التشريعية (أى البرلمانات) التى لعله يعنيها حينما يقول (مجالس الادارة) .

قال أحمد أمين :

«كان رياض يريد الخير لمصر ، ولكن من طريق التدرج ، ويعتقد أن المصريين فى حالة تدعو الى الاشفاق والاخذ بيدهم فى هوادة ، وهو فى هذا قوى جبار ، ينفذ ما

يريد فى عنف ، له لازمه هى (هيه) .. إذا قالها رعب من حوله ، لا يعبأ إذا اقتنع بشىء من إصلاح أو بشخص من الأشخاص أن ينفذه ويؤيده ، مهما كانت النتائج ، والى ذلك يعتقد فى الأجانب من انجليز وفرنسيين القوة ، ويسالمهم ويرى الطريق الوحيد هو التفاهم معهم .

فتالبت عليه الجموع ، منهم من كرهه لصلفه ، ومنهم من كرهه لعدله فى إبطال السخرة ، والضرب بالكرباج ، ومنهم من كرهه لسيرته مع الأجانب ، حتى سموه (رياضستون) على وزن (جلادستون) ، ومنهم الطموح الذى كرهه لرجعيته ، وشعر الناس بغضب الخديو توفيق عليه ، لأنه يعارضه فى بعض أغراضه وتصرفاته فشجعهم هذا على محاربته ، وتخصصت جرائد لتجريحه وسبه ، مع انه كان يؤيدها من قبل» .

الجملة أن البطل الذى جسد لمحمد عبده حلمه (فى المستبد العادل) هوى ، وكان هذا جديراً بان يحمل الشيخ على مراجعة نظريته ، أو على الأقل يتساءل :

أولا : كيف يخلق هذا المستبد العادل ، وثانياً : اذا خلقناه ، هل يبقى فى مكانه مصوناً ، مثابراً على خطته أم سينحرف فى أحد اتجاهين : إما أن يبدأ فى الفساد فيطمع فى المال العام ، وفى نفوذ السلطة الذى حصل عليه ، وإما فى تسرب الضعف اليه ، فيمالىء الفاسدين ، ويحالف الأقوياء خصوم الشعب ، وأعداء الحكم الصالح .

ثانياً : ماذا يحدث لو أن الجماعة لم تنقد لهذا المستبد العادل ، فثارت عليه ، وثارت به أو التوت فى يديه فلم تذعن لأمره ولم تجر على خطته .

ثالثاً : ما الذى دعا الشيخ الى استبعاد المشاركة الشعبية مع المستبد العادل ، لتلقن مبادىء الحكم الصالح ، والايمان بان للرعية حقاً على الراعى ، وأنها تملك محاسبته ، وإنزال العقاب إن فسد ، أو اجترأ على المال العام أو المصلحة العامة .

على أن محنة الشيخ تفاقمت ، فالمستبد العادل كما تخيله وتمناه ، لم يسقط فقط ، بل قامت بعد ذلك ثورة ، وثورة اجتاحت مصر كلها ، وغيرت مفهوم الحكم فى مصر ، فجعلت مصدره جماعة غير الحاكم الوارث للسلطة ، واسندتها لضباط من الجيش ، قالوا إن الشعب يسندهم ، وإنهم يتكلمون باسمه ويعملون لحسابه .

هنا بدت حقيقة الشيخ التى عبر عنها فى هذه السطور التى نقلناها اليك ، وأعماله كمحرر اول لجريدة الوقائع المصرية يجلس بفضلها حكام مصر كلهم أمامه ، كما يجلس الصبيان أمام المعلم ، فيعلمهم ويؤدبهم ويخيفهم ، ويثنى أعناقهم ويلوى رءوسهم ، ويشد آذانهم ، يوبخ هذا ويؤنب ذاك ، علناً ، وكلهم صامت صابر ، لاينبس ببنت شفه . وهو أسلوب مهما كان خيره ، فهو خلط عجيب بين حكم الشعب ، وحكم الفرد ، وسلطة الحاكم المطلق ، وسلطة الفقيه الذى يتوخى شرع الله وفقه الدين .

وأحمد أمين يرى أن محمد عبده ، «رجل هادىء الطبع (لا المزاج الشخصى) فهو متى اتصل بالأستاذ جمال الدين الافغانى ، فنارى من ناره ، وثائر من ثواره ، وعاطفى من حرارة وجدانه ، فاذا انفصل عنه ، عاد الى حكم العقل والمنطق ، وزالت ثورته وخفت حدته» .

وقال فى موضع آخر عن محمد عبده ، بعد فشل الثورة العرابية : «سكن الشيخ محمد عبده بيروت ، فانقطع عنه مدد الثورة والهياج السياسى الذى كان يمده به السيد جمال الدين ، وعاد الى طبيعته من ميله الى الاصلاح العقلى ، والدينى ، وتجنب السياسة» .

ثم يقول :

«لو حكمنا منطق الواقع ـ بعد أن كانت الثورة العرابية ـ لقلنا إن الشيخ محمد عبده لا ينغمس فى هذه الثورة العرابية ، مطلقاً ، لا فى أولها ولا فى آخرها ، لأنه لا يؤمن بالحكم النيابى السريع ، ولأنه يشايع رياض باشا (والثوار العرابيون طلبوا عزله ، وهو قد وعد الخديو بقمعهم) ولأنه لا يرضى أن تكون الثورة بيد العسكريين ، ولأنه يكره عرابى باشا ، ويعتقد أنه نهم فى الكلام ضعيف فى الحرب ، يحتكم الى المناحات أكثر مما يحتكم للعقل ، أليق به أن يكون واعظاً للعوام من أن يكون زعيم أمة» .

ونحن اذا أخذنا بهذا الكلام أو ببعضه ، فان محمد عبده ، وهو رجل إصلاح لايحب الثورة ، ولا يؤمن بها ، ولا يدعو اليها ، ولا يشارك فيها ، وهو بالذات لايؤمن بالثورة التى تدعو الى حكم نيابى فى مصر فى العقد الثامن من القرن التاسع عشر (١٨٨٠) ففى هذه الفترة كان الشعب المصرى فى رأى الشيخ ، متخلفاً ، قليل الحظ من الثقافة ، لايحسن الكتابة بلغته ، ولايعرف كيف يحسن التعبير عن نفسه بها ، ومن ثم فهو غير أهل لحكم نفسه فى مجالس نيابية تبرم وتنقض ، وتشرع وتعدل ما تشرعه ، وتحاكم الحكام وتحاسبهم ، ويقتضى الوصول إلى هذه المرتبة سنين طويلة من التدريب البطىء ، والتدرج الوئيد .

ومحمد عبده اصلا ، يكره أن يكون ثائراً ، ولا أن ينخرط فى جملة الثوار ، لأنه رجل عقل ومنطق ، يؤثر الجدال ، ويحسنه ، ويحب أن يستمع الناس اليه ، ويعجبوا ببيانه ، فهو ضائع فى هياج الثورة ، غير محسوس به الى جانب خطيب الشعب أحمد عرابى ، الذى يقول ما يعجب الجموع الصاخبة ، ولكنه لايعجب الفقيه العالم محمد عبده ، ويرى ما يعد به ، لونا من التهريج ، ولا يراه أسلوباً من أساليب التأثير على الجموع والجماهير .

وإذا كان محمد عبده قد بدا ثائراً ، وكتب مايعد طرازاً ممتازاً من الأدب السياسي والثوري فى أعداد مجلة العروة الوثقى الثمانية عشر والتى صدرت فى سنة ١٨٨٤ فى باريس ، يوجه سياستها ويملى خطتها جمال الدين الأفغانى ، ويحرر مقالاتها محمد عبده . فما تأجج فى هذه المقالات ، من هياج الثورة ونارها ، فلم يكن الا صدى نفس وقلب جمال الدين الافغانى ، فلما انقطع مدد الثورة عن محمد عبده عاد الى همومه الاصلاحية ، ونهجه المتسم بالاتئاد والحكمة .

ولكن محمد عبده خالف الثورة العرابية فى بدايتها ، وكان من زعمائها ، حتى لقد صاغ لضباطها يمين الاخلاص للثورة ، فبماذا تفسر ذلك ؟

لعلنا نستطيع الرد على هذا السؤال فى حلقة تاليه باذن الله .

فتحي رضوان

في الانتحار

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

تيبرى دو مارتيل جراح فرنسى كبير تراس المدرسة الفرنسية لجراحة الجمجمة العصبية حينما اخذت هذه الجراحة تحتل مكانها المتميز فى الثلث الاول من هذا القرن كانت له اعماله الرائدة فى اكثر من واحد من مجالات الطب ، ولايزال جراحو اليوم يستعملون ادوات تحمل اسمه ويتبعون فى الوصول الى الدماغ من خلال عظام الجمجمة الاسلوب الذى ابتدعه . وهو فوق ذلك سليل عائلة عريقة فى ارستقراطيتها يعرف السوريون اخاه الكونت دومارتيل مفوضاً سامياً لفرنسا فى بلادهم فى عهد الانتداب البغيض ، وتعرف الاوساط الثقافية امه الكونتس دو مارتيل ، حفيدة ميرابو الكبير ، الاديبة المشهورة التى كانت توقع كتابها باسم مستعار هو «جيب» .

كان هذا الجراح الاستاذ الارستقراطى النبيل في ذروة منزلته العلمية والاجتماعية حين نشبت الحرب العالمية الثانية وعندما تهاوت فرنسا مستسلمة امام ألمانيا الهتلرية ، أراد الفرنسيون فى تلك الايام أن ينقذوا عاصمة بلادهم من الدمار فاعلنوا باريس مدينة مفتوحة امام العدو المجتاح . وفى ذلك اليوم المشهود من شهر حزيران سنة ١٩٤٠ ، يوم دخول الفيالق الالمانية باريس ، كان تيبرى دو مارتيل يقف وراء ستارة مسدلة على نوافذ منزله فى تلك المدينة ، متطلعاً من خلالها الى صفوف الجنود الالمان وهم يقرعون باعقاب احذيتهم أرض عاصمة فرنسا فى زهو الظافر المختال . ولم يملك جراح الاعصاب الكبير اعصابه لما رات عيناه ، فرفع يده الى رأسه بمسدسه ، واطلق على نفسه رصاصة قضت عليه فى الحال ...

● ● ●

عادت الى خاطرى واقعة مصرع تيبرى دو مارتيل ، اعنى انتحاره ، حين نقلت الينا الاذاعات فيما تنقل الى العرب من انباء النكبات والرزايا خبر انتحار خليل حاوى ، الشاعر اللبنانى العربى ، إبان اجتياح اسرائيل للبنان وزحفه نحو بيروت ليحاصرها ، ثم ليدمرها على رؤوس ساكنيها .

اذكر انى التقيت بخليل حاوى مرة واحدة فى مطلع السبعينات . كان ذلك فى بيروت ذاتها ، وفى دار العودة للنشر ، فى منطقة «عالسور» حيث تزدحم المكتبات وتتجمع مكاتب الناشرين وادارات الصحف والمجلات . شاهدته آنذاك يتحدث فى حدة مهذبة ، ثائراً على منضد الحروف فى المطبعة التى تطبع احد دواوينه ، لان ذلك المنضد أخطا فى ترتيب الفواصل بين الكلمات فى الصفحات التى صحح هو مسوداتها من ذلك الديوان . كان انساناً حاد التقاطيع عصبى حركات اليدين . وبدا لي متشدداً حتى السوداوية فى طلب الكمال مادامت له كل هذه الثورة على خطا فى رسم كلمات على الورق . فكيف ثورة هذا الشاعر الحاد الطباع ، الذى هو فى نفس الوقت أستاذ جامعى ومثقف واسع المعرفة حين يبصر ثرى وطنه تدنسه اقدام غاز لئيم ، ويبصر ابناء قومه تهدم منازلهم على رؤوسهم ويشردون ويذبحون ؟

كيف تصرفه حين يرى الخطأ متمثلا لا فى نقل فاصلة من مكانها على طرس مكتوب ، بل فى وأد الحق وتحطيم العدالة وانزال الصغار بالقيم السامية والمثل العليا

وما الذى يفعله هذا الانسان المرهف الحس ، الذى لا غبار على وطنيته وشعوره القومى ، حين يلتفت الى نفسه فيجد انه كمثقف فرد أعزل ، لا سلاح بيده غير معرفة بعيدة عن أن تصد رصاصة غادر، وغير افكار أعجز من أن تحول مسيرة الأحداث قيد شعرة ؟!

لعله من الطبيعى ، أو من المحتمل ، أو من المنتظر ، أن يكون الجواب على هذه التساؤلات ، حين يسد السبيل الايجابى امام من هو مثل خليل حاوى ، هو ما فعله خليل حاوى .. اعنى الانتحار .

● ● ●

لقد درج الناس على اعتبار الانتحار ، فوق كونه معصية للخالق ، هشاشة عصب فى معركة الحياة المستمرة ، وجبناً ، وجناية لا تغتفر بحق النفس الانسانية . وأنه لكذلك فى اغلب حالاته التى يكون دافعها من مثل حزن على فراق حبيب ، أو خسارة فى سوق المادة ، أو هزيمة فى ميدان التنافس .

إلا اننا نجانب الصدق والانصاف إذا انكرنا ان لبعض صنوف الانتحار جانباً بطولياً نتردد معه فى أن نعيب على اصحابها جنايتهم على انفسهم . الرهبان البوذيون مثلا ، البونز ، اولئك الذين كانوا فى زمن الحرب الفيتنامية يشعلون النار فى اجسادهم احتجاجاً على احتلال الأجنبى لبلادهم واستنكاراً للفرقة المستحكمة بين ابناء قومهم ، لم يكونوا يفعلون ذلك عن جبن وهشاشة عصب . التزامهم بمبدأ اللاعنف تجاه بنى البشر الآخرين ، أصدقاء كانوا أو أعداء ، سد طريق العمل الايجابي امامهم فماوجدوا سبيلا للتعبير عن ارادتهم إلا فى إحالة اجسادهم جذوات مشتعلة تحرق الأرض تحت اقدام

العدو وتنير الطريق للصديق . فهل نستطيع أن ننكر ما فى انتحار أولئك الرهبان من شجاعة وتضحية ؟

ولست أزعم هنا أن دوافع خليل حاوى الى اطلاق الرصاص على شخصه هى نفس الدوافع التى حملت ذوى الأردية الزعفرانية من الرهبان البونز على الانتحار بالنار . ولكنى أحكم بأن دوافعه لا تقل نبلا عن دوافعهم . كان سهلا عليه كمثقف من ذوى الياقات البيض أن يستمر فى حياته على ظهر البسيطة ، وأن يستمر فى العيش فى وطن مدنس باحتلال الغزاة وممزق فرقة الأبناء وخذلان الأشقاء ، وأن ينظم القصائد فى البكاء على بيروت ويقبض ثمن نشرها ممن تخلوا عن نصرة بيروت أو عملوا فى السر والعلن على تدميرها . إلا أن تكوين خليل حاوى النفسى والفكرى لم يسمح له بذلك . ولذا آثر أن يفارق الحياة فى انتحار بطولى حين لم يتهيأ له بذلك التكوين أن يفارقها فى بطولة انتحارية .

• • •

أقول هذا لأن ثمة بطولات لو أحسن الانسان تقديرها لرآها ضرباً من الانتحار أو القضاء على النفس بالنفس ، ثم لم تمنعه صفتها الانتحارية من رفعها الى درجة من الاكبار تقارب التقديس .

أنقل هنا ، فى معرض الحديث عن البطولات الانتحارية ، مقاطع من كتاب ساطع الحصرى «يوم ميسلون» ، وفيها يتحدث عن هجوم الجيش الفرنسى بقيادة الجنرال غورو على سورية ، فى صيف عام ١٩٢٠ ، وعند مصرع يوسف العظمة وزير الحربية فى الحكومة السورية العربية على مشارف دمشق ، فى ضاحية ميسلون .

فبعد أن يبين ساطع الحصرى كيف تكشفت ، فى مساء الثالث والعشرين من تموز ، يوليو سنة ١٩٢٠ ، مناورات غورو السياسية عن نيته المبيتة فى احتلال سورية عسكرياً ، يقول :

«... وبعد العشاء جاء يوسف العظمة يودعنا قائلا بأنه سيتوجه الى الجبهة . ولكنه قبل أن يغادرنا انتحى بى زاوية من الغرفة وقال لي بصوت تخنقه العبرات :

ـ أنا ذاهب ! إنى أترك ليلى أمانة لديكم أرجوكم أن لا تنسوها .

وليلى المقصودة بكلامه هذا هى ابنته الوحيدة التى كانت جاءت من الاستانة مع أمها قبل أسبوعين ...

ولقد أدركت حالا ما كان يقصد من كلامه هذا : انه يتوجه نحو الجبهة موطداً العزم على أن لا يعود منها أبداً .

... إن بدء اليوم الرابع والعشرين من تموز كان موعد انتهاء الهدنة التى عقدناها مع الجنرال غورو . فكان من الطبيعى أن يبدأ هجوم الفرنسيين على ربى ميسلون فى فجر ذلك اليوم ...

وما كنت أستطيع أن أمنى نفسى بأى أمل فى الانتصار بعد أن علمت ما علمت من أحوال جيشنا ، وشاهدت ما شاهدت من عدد الجيوش الفرنسية وعددها ...

وردت الأخبار قبل الساعة العاشرة بانكسار الجيش واختراق الجبهة .

وقالوا : يوسف العظمة قتل فى ميسلون

فقلت : بل انه انتحر هناك ! .. واستشهد ، على كل حال» .

• • •

كان استشهاد يوسف العظمة ، أو انتحاره كما سماه ساطع الحصرى ، أو بطولته الانتحارية كما نسميها نحن ، حين واجه بصدره العارى زحف جيوش فرنسا الجرارة ، كان ذلك الاستشهاد الجذوة التى قبس منها عرب سورية نيران نضال استمر خمسة وعشرين عاماً ولم يهدأ إلا بجلاء آخر جندى محتل عن تراب وطنهم .

وكانت الاجسام المتقدة لهباً من رهبان فيتنام البوذيين مشاعل أضاءت لأبناء قومهم طريق التوحد وسبيل الخلاص من الاحتلال الأجنبى البغيض .

وكان انتحار تيبرى دو مارتيل تعبيراً عن نقمة لم يجد وسيلة للتنفيس عنها بكفاح فعال . أنها النقمة التى ملأت صدر كل حر من مواطنى ذلك الجراح الكبير ، وتحولت على يد رجل اسمه ديغول الى نضال ايجابى باشره ذلك الرجل بعناد حتى أنهض فرنسا من كبوتها وأعاد اليها كرامتها ومكانتها .

وانتحار خليل حاوى ، مهما قلنا وتاولنا فى دوافعه النفسية ، ينتسب بلاشك الى رمز هذه الانتحارات البطولية والبطولات الانتحارية ، انه تصرف مثير جدير بتقديرنا لحساسية ضمير الشاعر وصدق انتمائه الوطنى ولابائه الضيم والهوان . واذا كانت مغادرة خليل حاوى للحياة على هذه الصورة لم تحرك من نفوس أبناء أمته ما حركت الانتحارات البطولية التى ذكرتها آنفاً ، فليس هذا ذنبه . علينا أن نبحث عن سبب ذلك فى تبلد احساس أولئك الأبناء وقصر نظرهم وهزال تفكيرهم ، فهم يرون شجع مقاتليهم يواجهون الموت فى معارك انتحارية ويرون أطهر مثقفيهم وجدانا يغادرون الحياة بطوعهم نقمة واشمئزازا ويظلون هم ، أبناء هذه الأمة أعنى ، سادرين فى الفرقة والتواكل أو ذاهبين فى الصغار الى درجة الخيانة والتآمر .

عبد السلام العجيلى



خليل حاوي
ماذا يفعل هذا الانسان المرهف الحس ؟



يوسف العظمة
كان استشهاده جذوة اشعلت النفوس

تكاثرت مشاكل البيئة الانسانية ، وتصاعد الاحساس بحدتها وخطورتها ، نتيجة سعى معظم دول العالم الى دفع عمليات التنمية بها خطوات واسعة ، واستخدامها فى ذلك أنماطاً من الأساليب التكنولوجية المتقدمة واصبح من الواضح ان هذه الأساليب التكنولوجية المتقدمة بما لها من قدرة فائقة على تغيير البيئة ، تساهم بقدر كبير فى تدمير وتخريب البيئة الانسانية . وأصبح فى حكم الضرورى الا تقبل أى اسلوب أو وسيلة تكنولوجية الا بعد فحصها فحصاً مدققاً لمعرفة ما سوف تؤدى اليه من تغيرات نافعة أو ضارة .

وفى هذه الدراسة نعطى أمثلة لأنواع المشكلات البيئية المصاحبة للنشاطات الانسانية فى عدة مجالات من مجالات التنمية ، فنرى ما فعلته التكنولوجيا بالبيئة فى مجالات الصناعة والنقل والمواصلات والتوطين والاسكان .

مشاكل البيئة المصاحبة لمشروعات التصنيع والتعمير

بقلم : الدكتور محمد عاطف كشك

أولا ـ الصناعة

لا يزيد عمر الثورة الصناعية عن قرنين من الزمان . وفى هذه الفترة القصيرة نسبياً احدثت الصناعة فى العالم تغيرات عديدة وخطيرة فى كافة المجالات .

فهناك إجماع عالمى على أن الدول الصناعية المتقدمة تساهم باكبر نصيب فى تلوث البيئة والضغط على الموارد الطبيعية . أما فى الدول النامية فان التلوث الناتج عن الصناعة يمثل امكانية فى المستقبل أكثر منه واقعاً فعلياً عند هذه المرحلة من مراحل التنمية فى دول العالم الثالث . لذلك فان الدول النامية تتمتع بميزة نسبية وهى انها فى سعيها لتنمية مجتمعاتها يمكن أن تستفيد من الأخطاء التى وقعت فيها الدول المتقدمة نتيجة الجهل ـ أو التجاهل ـ للمشاكل البيئية الناتجة عن الصناعة ، فالدول النامية الآن يمكن ان تستفيد من المعرفة المتاحة حول المشاكل البيئية وتتخذ قرارات سليمة فيما يتعلق بمواقع المراكز الصناعية وكيفية التخلص من مخلفات الصناعة وسن التشريعات التى تهدف إلى حماية البيئة ، كذلك يجب اختيار وخلق التكنولوجيا الملائمة لظروف الدول النامية واستغلال ميزتها النسبية وهى توفر قوة العمل الرخيصة التى يمكن ان تتيح انواعا من التكنولوجيا كثيفة العمالة وهذا يقلل كثيراً من التلوث .

ونوع التكنولوجيا المستخدمة يحتل اهمية خاصة عند كلامنا عن الأثر البيئى للصناعة . فقد اوضح بارى كومنر فى كتابة : « الدائرة المغلقة » ان زيادة السكان وزيادة الاستهلاك لا يمكن ان تكون مسئولة كلية عن الكمية الضخمة من التلوث التى حدثت فى السنوات العشرين الماضية .

ففى الفترة التى زاد فيها الانتاج القومى فى الولايات المتحدة الامريكية بنسبة ١٢٦٪ زادت كمية التلوث فيما بين ٢٠٠ ، ٢٠٠٠٪ ومثل واحد يوضح هذه النقطة :

ففى عام ١٩٣٧ كانت كمية الطاقة المستخدمة لصنع سيارة واحدة عبارة عن ١٧٩ كيلو وات / ساعة . لكنها وصلت إلى ٨٠٧ كيلو وات / ساعة فى عام ١٩٦٧ بزيادة قدرها ٣٩٥٪ . كما ان كفاءة استعمال الجازولين فى المحركات مازالت منخفضة جداً فهى حوالى ١٠ ـ ٢٠٪ والباقى يخرج فى شكل عوادم تلوث الهواء .

واذا كنا نتكلم عن الصناعة فاننا لا يمكن ان نرجع مساهمتها فى التلوث إلى زيادة استخدام الآلات أو استعمال أساليب تكنولوجية خاطئة فقط . لكن الصناعة تساهم فى تدهور البيئة بشكل اخر عن طريق انماط الاستهلاك التى تفرضها فى المجتمع ، وكلنا يعرف نمط المجتمع الاستهلاكى المصاحب للمجتمعات الصناعية المتقدمة . وفى مصادر مختلفة نجد إحصاءات عديدة تشير جميعها إلى



من اجل مواجهة الانفجار السكاني فى العالم سعت معظم دول العالم الى استخدام التكنولوجيا المتقدمة ، إلا ان هذه الأساليب رغم ما لها من قدرة فائقة على تغيير البيئة ، قد ساهمت ـ ايضا ـ فى تدميرها وتخريبها

الزيادة المخيفة فى استهلاك سلع واجهزة مثل السيارات واجهزة التكييف والثلاجات وماكينات الغسيل .. الخ . وانتشار هذه السلع بجانب اثرها المباشر على التلوث (كما هو واضح فى حالة السيارات) فانها تستهلك قدراً كبيراً من الموارد الطبيعية فى تصنيعها وقدراً كبيراً جداً من الطاقة والوقود فى ادارتها وصيانتها .

ثانياً ـ الأعمال الهندسية الكبرى :

تعتبر الاعمال الهندسية الكبرى من الوسائل المفضلة فى عملية التنمية والتى تنتج عنها فوائد عديدة اقتصادية واجتماعية . وفى كثير من دول العالم زادت كمية هذه المشروعات الهندسية واصبحت تضم مشروعات ضخمة جداً مثل مشروعات تنمية وديان الأنهار ومد شبكات الطرق والمواصلات . وقد اثبتت التجارب العملية فى أكثر من مكان أن الفوائد الضخمة لمثل هذه الاعمال قد تغطى عليها التكاليف البيئية والاجتماعية المصاحبة لها والتى غالباً ما كان يتم تجاهلها أو التقليل من شانها . وقد أمكن فى السنين الأخيرة احراز تقدم ملموس فى طرق تقييم هذه المشروعات والتنبؤ باثارها البيئية بحيث يمكن إدخال الجوانب البيئية والاجتماعية فى عملية التخطيط لمثل هذه المشروعات واختيار مواقعها . ومع ذلك فانه مازال هناك عجز خطير فى طرق التقييم والتنبؤ بالآثار البيئية . فاذا كانت معظم الآثار البيئية الأولية والتى تحدث فى المدى القصير يمكن التنبؤ بها بقدر معقول من الدقة فان الآثار البيئية بعيدة المدى والتى يمكن أن تستمر فى الحدوث حتى بعد ان تكون فترة حياة المشروع قد انتهت ، هذه الآثار مازالت مستعصية على الفهم الصحيح ولا توجد طرق دقيقة للتنبؤ بها وتقييمها . وهناك جهود عديدة تبذل لتطوير الطرق العلمية المناسبة لتقييم الآثار البيئية المصاحبة للمشروعات الهندسية الكبرى . ودور العلماء فى هذا السبيل يتمثل فى تقرير عدة نقاط هامة مثل :

- الجزء من البيئة الذى يتاثر بالعمل الهندسى .
- طبيعة التاثر .
- سرعة التاثر ومداه وانتشاره ومصدره وامكانية تصحيحه أو التحكم فيه .

وهناك تصنيفات عديدة لأنواع الأعمال الهندسية الكبرى المقصودة فى هذا المجال وهذه تشمل أنواعاً عديدة مثل شبكات الطرق السريعة والشوارع ، الموانىء والمطارات ، السدود والخزانات ، إقامة المرافق والمصانع ، مشروعات التنمية الزراعية ، مشروعات الترفيه ، مشروعات التعدين وتصنيع المواد الخام .. الخ .

ويصاحب انشاء وتنفيذ هذه المشروعات عدد من التغيرات فى الخواص والعمليات البيئية الأساسية سواء فيما يتعلق بالتربة أو نوعية الماء والهواء أو الحياة النباتية والحيوانية والانسانية . وبالاضافة إلى الآثار البيئية للزراعة والصناعة وتنمية وديان الأنهار التى ذكرت فيما سبق فاننا نذكر فيما يلى أهم الآثار البيئية المصاحبة لنوعين أساسيين من المشروعات الهندسية الكبرى كما وردت فى التقرير النهائى للمشروع رقم (١٠) من مشروعات « برنامج الانسان والمحيط الحيوى » التابع لليونسكو .

أ ـ الآثار البيئية لشبكات النقل والمواصلات .

- تاثيرات على الحياة البرية : مثل زيادة فرص الصيد والقنص وتغيير البيئة الطبيعية وغلق طرق الهجرة .
- مشاكل التلوث : مثل مشاكل التخلص من المخلفات والتاثير المتراكم لتلوث الماء والهواء والتربة .

ب ـ الآثار البيئية للمشروعات التعدينية .

- تاثيرات على نوعية المياه : مثل زيادة ايونات المعادن الثقيلة وزيادة كمية الرواسب والعكارة والتغيرات فى نظم الصرف والتغيرات فى كمية وانواع الكائنات الدقيقة التى تعيش فى المياه .
- تاثيرات على سطح الارض : مثل فقد الغطاء النباتى والتغيرات فى ثبات الطبقات الأرضية التحتية والتغيرات فى المناظر ذات القيمة الجمالية .
- تاثيرات على نوعية البيئة : مثل التاثير المتراكم لتلوث الهواء والماء والتربة ومشاكل التخلص من المخلفات .

والقائمة السابقة ـ مثل غيرها من قوائم المشاكل البيئية المصاحبة لأى نشاط انسانى ـ هى لمجرد التوضيح فقط اذ لا يمكن ان تكون كاملة . فهناك مشاكل بيئية كثيرة اخرى يمكن ان تصاحب مشروعات التنمية منها مشاكل « قانونية » كما يحدث فى حالة ما يكون المشروع هو لمجرد اثبات حق قانونى اكثر منه لتحقيق فوائد اقتصادية واجتماعية . ومنها مشاكل « اجتماعية » مثل التناقضات التى تنشأ

مشاكل البيئة المصاحبة لمشروعات التصنيع والتعمير

من استفادة مجموعة من السكان من مزايا المشروع وتحمل مجموعة أخرى لتكاليفه البيئية والاجتماعية « قد يستفيد سكان القاهرة مثلا من مزايا مشروع سد اسوان العالى أكثر من غيرهم بينما هم لا يتحملون كثيراً كما تحمل سكان النوبة عندما اضطروا الى ترك اراضيهم ومنازلهم او عندما تحمل الفلاح ـ عندما تدهورت اراضيه وزادت فرص اصابته بالبلهارسيا »

وقد تكون المشاكل « اقتصادية واجتماعية » كما يحدث عندما يتسبب مشروع فى منطقة معينة من اغلاق فرص التنمية فى مناطق اخرى او عندما يكون مفيداً لجيل وكارثة على جيل آخر من السكان .

ثالثاً ـ النقل والمواصلات :

ان الاختيار الاساسى فى عمليات النقل العام يمكن ان يكون بين وسائل النقل العام والعربات الخاصة . وفى الدول الصناعية المتقدمة كما هو الحال فى الولايات المتحدة الامريكية ودول أوربا الغربية واليابان فان الاعتماد يكاد يكون كاملا على العربات الخاصة لنقل الأفراد وهذا الاتجاه تنشأ عنه مشاكل بيئية حادة منها تلوث الهواء باخطاره المعروفة والحوادث المتزايدة ، والضغط الشديد على المدن ... الخ وبعض الدول النامية تحاول أن تستورد نموذج الدول المتقدمة فى النقل والمواصلات ، رغم أن التركيز على وسائل النقل العام فى الدول النامية بجانب توفيره للموارد والطاقة وفائدته فى تقليل التلوث فان له أهمية فى تقليل واحد من أهم الفروق المنظورة بين الطبقات الاجتماعية . ويكفى هنا ان نناقش هذه النقطة من ناحية كفاءة استخدام الموارد المتاحة . فان « جالونا » من الوقود يكفى لنقل شخص فى الاتوبيس لمسافة ١٢٥ ميلا بينما يكفى لنقله مسافة ٣٢ ميلا فقط عند استعمال السيارة الخاصة . أى انه يمكن توفير ثلاثة أرباع كمية الوقود أو نقل أربعة أضعاف العدد من الناس لو اعطينا أولوية مطلقة لوسائل النقل العام فى الدول النامية وفى نفس الوقت نكون قد ساهمنا فى نقص تلوث الهواء وحل مشاكل النقل والمواصلات لعدد كبير من الناس ، وساهمنا فى توفير حاجة اساسية لهم تساعدهم على الانتاج والاستمتاع بالحياة .

رابعاً ـ التوطين :

ان الجزء الاكبر من سكان الدول النامية مازالوا يعيشون فى المناطق الريفية ويشتغلون بالزراعة ، وفى معظم الحالات فان المناطق الريفية فى الدول الفقيرة تعانى من مشاكل ضخمة وعديدة مثل المشاكل الصحية والغذائية فمازالت بعض الأمراض تنتشر فى البيئات الريفية الفقيرة بشكل وبائى . ومعظم سكان الريف يعانون من نقص التغذية وعدم تكامل الوجبات الغذائية وخاصة ما يتعلق بنقص البروتين الحيوانى . كما ان الجزء الأكبر من المناطق الريفية يعانى من مشاكل مياه الشرب وعدم توفرها كما ونوعاً وغياب او عدم كفاية وسائل الصرف الصحى بالاضافة الى عدم توفر المسكن المناسب .. الخ . كما أن نقص المرافق والخدمات الزراعية مثل النقل والتسويق والتسليف والأرشاد من الملامح السائدة فى المناطق الريفية من الدول النامية ، وهذه كلها ينتج عنها ضعف مستوى الانتاج وانخفاض مستوى الدخول . والخدمات الاجتماعية والثقافية والترفيهية تكاد تكون غائبة تماماً . وجميع هذه المشاكل البيئية التى يطلق عليها أحياناً « تلوث الفقر » تزيد وتتراكم وتتضخم نتيجة زيادة السكان التى تمثل أعباء اضافية على البيئة الريفية .

ونتيجة لسوء الظروف فى القرى وتدهور البيئة الريفية يحدث ميل شديد للهجرة الى المدن . والمدن فى الدول النامية ليست أفضل كثيراً من القرى . وتسبب الهجرة من الريف إلى المدن زيادة الظروف الحضرية سوءاً فوق سوئها . كما ان ضغط مشاكل المدن قد يتسبب بدوره فى زيادة الانفاق الحكومى فى المدن واهمال اكثر للمناطق الريفية . كما أن تركز كل النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والترفيهية فى المدن يسبب زيادة فى التكدس وزيادة فى التلوث وارتفاعاً فى معدلات البطالة .

ومن الضرورى أن تأخذ عملية التخطيط فى اعتبارها كل هذه المشاكل . فمع المعدلات المرتفعة للنمو السكانى تواجه الدول النامية جميعها مشاكل متفاوته الحدة فيما يتعلق بخلق فرص جديدة للعمالة . ومن المستبعد جداً ان تستطيع النشاطات الاقتصادية فى المدن ـ مثل التصنيع والخدمات المرتبطة به . توفير فرص العمالة لكل قوة العمل المتاح وبالتالى فان جزءاً كبيراً من السكان والقوى العاملة سوف تدفعه الظروف الى البقاء فى الريف . ومن الضرورى ليس فقط توفير فرص العمل المنتج فى المناطق الريفية . بل لابد من تحسين كل عناصر البناء الاجتماعى والاقتصادى والثقافى فى الريف وهذا يلقى مزيداً من الاعباء على البيئة الريفية . وتواجه الدول النامية معضلة حقيقية . فالمشاكل كثيرة فى الريف والمدن على السواء . وفى أحيان كثيرة يكون الاختيار هو الاهتمام بالمناطق الحضرية على حساب تنمية وتطوير القطاع الريفى لأسباب مختلفة . والنتيجة الحتمية لمثل هذا الاختيار هو أن تظل المدن والقرى فى نفس الظروف السيئة ، ويزداد التلوث وتدهور البيئة على نطاق واسع .

ومع التسليم بأن نمو المدن يمكن أن يكون مصحوباً بزيادة الرخاء الاقتصادى والاجتماعى،كما أن المناطق الحضرية يمكن ان تؤدى وظيفة محاور أو أقطاب التنمية مساهمة بذلك فى زيادة الرخاء فى كافة اجزاء الوطن .. مع التسليم بكل ذلك . إلا ان هناك ضرورة للتوازن الدقيق بين التنمية الحضرية والتنمية الريفية ، وبين الصناعة وتنمية الزراعة . ففى حالة غياب هذا التوازن فان البناء كله يصيبه خلل شديد . وهناك نقطة أخرى فى هذا المجال لا يمكن تجاهلها ، فالمدن الكبرى فى معظم الدول النامية يقطنها عدد من السكان يفوق كثيراً قدرتها على الاستيعاب . وليس من المستبعد أن نجد مدينة لا تزيد قدرتها على ان تستوعب أكثر من مليونى نسمة ومع ذلك يعيش فيها ـ بطريقة ما ـ سبعة أو ثمانية ملايين (مدينة القاهرة مثل واضح لهذه الحالة) وفى مثل هذه الحالات يمكن ملاحظة أعراض تدهور البيئة فى انتشار الأمراض ونقص امداد المياه والكهرباء والصرف الصحى وتدهور الاسكان والمواصلات والمرافق ، زيادة عن التلوث الكيماوى للماء والهواء .. الخ . ويمكن فى حالات خاصة وبأساليب مختلفة زيادة قدرة بعض المدن على استيعاب سكان أكثر ، لكن هذه القدرة لا يمكن مطها بلا نهاية ، وما إن يزيد سكان المدينة عن قدرتها على استيعابهم حتى يحدث التدهور بسرعة شديدة ويصبح علاجه بمحاولات جديدة لمط قدرة المدينة وامكانياتها أمراً لا يزيد فى جدواه عن محاولة علاج السرطان بالمسكنات .

وقد وجدت بعض الدول حلا لا بديل له

لمشاكل تدهور المدن عن طريق بناء مدن جديدة ومراكز جذب صناعية مخططة جيداً (المثل على ذلك ايضاً هو البدء فى بناء عدد من المدن والمجتمعات الجديدة فى مصر لوقف الضغط والتدهور فى المدن الكبرى مثل القاهرة والاسكندرية) ولكن يجب فى مثل هذه الحالات مواصلة العمل فى خطوط موازية حتى تنجح هذه السياسة وضمن هذه الخطوط ـ بل ربما كان اهمها ـ التخطيط الجاد لتحسين ظروف المعيشة فى البيئة الريفية .

خامساً ـ الاسكان :

ان مشكلة نقص المساكن وتدهور مستوياتها مشكلة عالمية لكنها فى كثير من الدول النامية مشكلة خطيرة للغاية . فهناك نقص ضخم فى المساكن . والفجوة بين ما هو مطلوب وما يمكن اتاحته تزداد باستمرار . كما ان ظروف السكن ابعد ما تكون عن تحقيق الحد الادنى لما يجب ان يكون عليه سكن الانسان ، بل احياناً تكون الظروف غير مناسبة حتى لسكن الحيوان . وللأسف فان هناك اعترافاً بان الحيوان لكى ينتج جيداً فلابد له من سكن مناسب ويتم تجاهل تاثير السكن على قدرة الانسان على الانتاج . وسواء فى مدن او فى ريف الدول النامية فان الحالة أبعد ما تكون عن تحقيق الرضى عنها . والاحساس بحدة المشكلة يتزايد لدى الجماهير العريضة التى تحلم بسكن مناسب ، وايضاً لدى الجهات الحكومية المسئولة عن توفير هذا السكن . لكن الكلمات التى تقال أكثر من الأفعال والكلمات التى تتخذ لحل مشاكل الاسكان فى الدول النامية كثيراً ما تزيد المشاكل تعقيداً بدل ان تعمل على حلها . وليس هنا مجال التفصيل فى مشاكل الاسكان وعلاقتها بالبيئة لكنه قد يكون مناسباً ان نذكر عدة محاور يجب ان تؤخذ فى الاعتبار عند التخطيط لحل مشاكل الاسكان فى الدول النامية :

● التركيز على مواد البناء المتوفرة فى البيئة والرخيصة والتى لا تمثل ضغطاً على الموارد الطبيعية . وهنا يتضح دور البحث العلمى فى ايجاد البدائل المناسبة لمواد البناء .

● حتى مع توفير مواد بناء بديلة تحقق الشروط المطلوبة فان الخطوة الأولى يجب ان تكون هى رفض تلك القيم السقيمة التى تعتبر السقف المصنوع من الالمنيوم او من الحديد والأسمنت هو دليل على التحضر والرقى حتى فى المناطق الفقيرة واحياناً تكون معظم هذه المواد مستوردة باسعار عالية جداً وقد لا تناسب المناخ السائد . وهذا هو مجرد مظهر من مظاهر التسليم الاعمى بمزايا التكنولوجيا المستوردة .

● تطوير عملية التشييد نفسها بالعودة الى الأساليب التقليدية فى البناء ودراستها وتحليلها واختيار افضل ما فيها من عناصر وافكار . وليس ذلك دعوة الى التصلب فى الحفاظ على الأساليب التقليدية ايا كانت . بل معناه ان دراسة الأساليب التقليدية واستيعاب مميزاتها وعيوبها هى الطريق السليم لاكتشاف وابتكار أساليب جديدة تحافظ على المميزات وتتخلص من العيوب وتكون ملائمة لظروف البيئة .

● ضرورة تكامل الاعتبارات البيئية والاجتماعية فى التخطيط العمرانى للمدن وغيرها من مناطق التوطن البشرى .

والأمثلة على الحماقات والاخطاء العديدة فى التخطيط العمرانى فى المدن والقرى وفى مواد البناء وطرق البناء .. الخ الأمثلة على ذلك ماثلة بكثرة تثير الدهشة فى معظم الدول النامية . وبغير تناول المشكلة بشكل ابداعى فانه لا يكفى حتى ان ترصد الدولة النامية كل مواردها لحل مشكلة الاسكان . وفى دول كثيرة فان كل ميزانية الدولة لا تكفى لبناء مساكن جديدة للعدد المتزايد سنوياً بالطريقة التى يتم بها بناء المساكن حالياً . ويمكن ان اضرب مثلا بحجم المشكلة فى مصر والمنهج الذى يجب اتباعه عند تقييمها . وقد لا تكون الأرقام المستعملة دقيقة لكنى افترضها لمجرد التوضيح واعتقد انها قريبة من الصحة . لنفرض ان الزيادة السنوية فى عدد السكان مليون نسمة .

ولنفرض ان كل خمسة أفراد يحتاجون الى وحدة سكنية ، ولن نبالغ في مواصفات السكن بل نكتفي بافتراض أن الوحدة السكنية المطلوبة مكونة من حجرتين وصالة ، نفرض ان تكاليف هذه الوحدة خمسة آلاف جنيه . إذن فان المبلغ المطلوب لاقامة مساكن جديدة سنوياً هو مليار من الجنيهات أى ألف مليون جنيه (٢٠٠ ألف وحدة سكنية مضروبة فى خمسة آلاف جنيه) . وهذا الرقم بالطبع معرض للزيادة لأننا لم نحسب فى اعتبارنا حساب المنازل التي تنهار ولم نحسب ما هو لازم لسكان هذه المنازل من مرافق وخدمات مثل مبانى المدارس والمستشفيات والمساجد والجمعيات التعاونية والطرق والأسواق ... حتى نصل الى المدافن فى اخر القائمة .. وبالطبع فان امكانيات مصر ـ مثلها مثل أى دولة نامية ليست مشاكل المساكن إلا جزءاً من مشاكلها ـ لا تستطيع أن تفي بمثل هذه المبالغ . وحتى لو افترضنا ربع هذه المبالغ فقط فان الأمل فى الحل ضعيف للغاية . والحل بالتاكيد ليس سهلا وليس قريباً ما لم يكن التفكير فيه يتسم بقدر كبير من الثورية الحقيقية وقدر أكبر من الخيال والابتكار .

وبعد

فالتكنولوجيا التى يمكن أن تساهم فى حل كثير من المشاكل وترفع بذلك معدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية . هذه التكنولوجيا يمكنها أيضاً أن تساهم فى خلق كثير من المشاكل التى لم تكن معروفة من قبل . وما لم نواجه كل الأساليب التكنولوجية المتقدمة بالنقد والفحص والاختيار ، وما لم نكن قادرين على بناء قدرة تكنولوجية خاصة بنا ، فلن نستطيع اختيار التكنولوجيا الملائمة . وفى هذه الحالة فاننا بدلا من ان ندفع بمعدلات التنمية الى الأمام ، فاننا نواجه بكثير من المشاكل الجديدة التى خلقتها لنا التكنولوجيا الخاطئة غير الملائمة وتتعثر خطى التنمية او تسير بخطوات بطيئة للغاية او تكون على حساب المحافظة على البيئة .

محمد عاطف كشك



الاعتماد على استخدام العربات الخاصة فى نقل الأفراد ادى الى تلوث الهواء والحوادث المتزايدة فى الدول المتقدمة



يوفال نعمان .. من اكثر الداعين لضم الأراضي العربية المحتلة الى الكيان الصهيوني

البروفسور "يوفال نعمان"

رئيس حزب سياسي جديد يتبنى أشدّ الأفكار تعصبًا

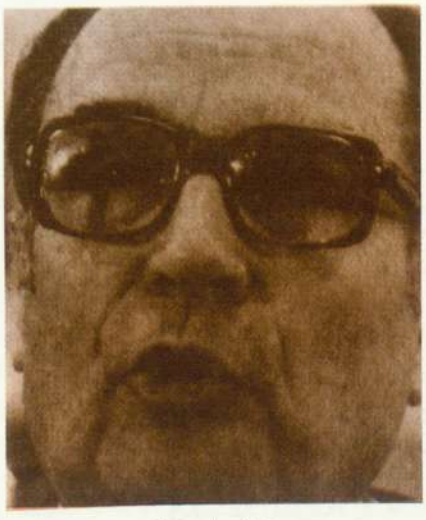
بقلم: عصام شريح

جاء انضمام البروفسور « يوفال نعمان » الى حكومة الليكود برئاسة مناحم بيغن في منتصف تموز (يوليو) الماضي ، ليعزز القناعة المتولدة لدى الكثيرين من المسؤولين والمفكرين العرب حول استحالة السلام مع الكيان الصهيوني ، حيث أن هذا الرجل الذى تولى « وزارة العلوم والتطوير » في حكومة بيغن ، معروف بكونه « صقر الصقور » فى اسرائيل ، وهو وحزبه المعروف باسم « هتحياه ـ أي النهضة » يقفان في أقصى اليمين الصهيوني المتطرف .

ومع أن البروفسور نعمان كان يصف حكومة بيغن بأنها مجموعة من الحمائم التى لاتتورع عن تقديم تنازلات فى الأراضى العربية المحتلة فى سبيل صفقة السلام الوهمية ، فانه انضم الى هذه الحكومة مؤخراً ، بحجة أنه « سيقاوم من داخل الحكومة نفسها اقامة دولة فلسطينية » ، وقال أن حزبه قرر اتباع سياسة تشجيع التوسع فى اقامة المستوطنات فى الأراضى العربية المحتلة ، والدعوة الى ضم هذه الأراضى الى الكيان الصهيونى ، وأضاف أن ما أسماه بحدود « منطقة الأمن » التى تصر اسرائيل على اقامتها فى جنوب لبنان ، يجب أن تصل الى ضفاف نهر الزهرانى الى الجنوب من صيدا .

وبالطبع فنحن العرب الذين خبرنا الصهيونية ، وما تفرزه من نماذج وظواهر شاذة ، لانستغرب أن تلد الصهيونية مسخاً جديداً اسمه يوفال نعمان ، الذى لن يكون المسخ الصهيونى الأخير على أية حال .

لكن من الأهمية بمكان أن نتعرف الى شخصية البروفسور نعمان ، ما هى معتقداته ؟ وكيف يفكر ؟ لأن معرفتنا الوثيقة بعدونا ، هى دليلنا العلمى والعملى للانتصار عليه ، ومن هذا المنطلق ، فاننا سنحاول من خلال هذا البحث تقديم صورَة لهذه الشخصية الصهيونية التى جعلت شعارها ، التوسع والاستيطان فى الأرض العربية ، واقامة اسرائيل الكبرى من الفرات الى النيل .



فرانسوا ميتران

اعتقد « نعمان » بان فرنسا ستكون اكثر حذراً في عهده !



هنري كيسنجر

ماذا راوا في الصيغة التي قدمها من اجل تحقيق السلام ؟

في عام ١٩٧٩ ، بذل نعمان جهوداً كبيرة ، من أجل استقطاب أكبر عدد من الشخصيات الصهيونية المتعصبة والتي تقف في اقصى اليمين ، من أجل تاسيس حزب جديد يتلخص طموح مؤسسيه في أن يشكل في المستقبل القريب .. بديلا لحزبي العمل والليكود ، وبالفعل تمكن البروفسور نعمان الى جانب غيئولا كوهين من استقطاب عدة شخصيات معروفة بنزعتها العنصرية والفاشية اليمينية المتطرفة ، وخاصة من حزب حيروت ومن حركة « غوش إيمونيم » (حركة الايمان) و « حركة أرض اسرائيل الكاملة » .

ومن هذه الشخصيات على سبيل المثال: موشيه شمير ، وتسفي شيلواح ، وحنان بوراث ، وغرشون شفاط ، و افرايم بن حاييم .. الخ . وتمكن نعمان من تاسيس الحزب الجديد في ١٩٧٩/٨/٣١ ، وفي مطلع تشرين الأول (أكتوبر) من نفس العام ، عقد الأعضاء المؤسسون لحزب « هتحياه ـ النهضة » مؤتمرا صحفياً بتل ابيب ، أعلنوا فيه عن قيام حزبهم الذى يعارض اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة الصلح المصرية الاسرائيلية ، ويدعو في المقابل الى تهويد جميع الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ باعلان « السيادة الاسرائيلية » عليها . وفي هذا المؤتمر تحدث يوفال نعمان فقال: إن حزبه يعمل على ما وصفه بـ « بعث الصهيونية » . ولذلك فان من بين مؤسسيه اشخاص انتموا الى جميع المجموعات التى دعت الى قيام حلف « الاوفياء لارض ـ اسرائيل » !! ، أما الخط الأساسى الذي يوجه حزب « هتحياه » ـ كما يشير الى ذلك نعمان ـ فيتمثل في انه « لا بديل للمناطق » العربية المحتلة ، ولذلك فان اعادتها في العصر التقني الحالي ، يعني تدمير اسرائيل . ومن هنا فقد وقف نعمان وبقية الرهط فى قيادة حزبه ضد الانسحاب الاسرائيلي من سيناء في نيسان (ابريل) الماضي (١٩٨٢) ، لأن هذا الانسحاب على حد ادعائه سيشكل سابقة سوف تقود الى انسحابات اخرى من بقية الأراضي العربية المحتلة ، ولذلك نراه يحذر سلفاً في أواخر عام ١٩٧٩ من الانسحاب من سيناء الذى وصفه بانه قد بدأ فعلا منذ ذلك الوقت ، وقال : ولهذا فان اسرائيل « اصبحت قريبة من التنازل عن يهودا والسامرة والقدس » اضافة الى أن جميع الاتفاقيات التى عقدتها اسرائيل في اعقاب حرب عام ١٩٧٣ وخاصة مع مصر « سوف تعطي ياسر عرفات خياراً لاقامة دولة فلسطينية » ! .

أهداف الحزب

بتاريخ ٣ /١٠/ ١٩٧٩ ، تحدث يوفال نعمان خلال مؤتمر صحفي لقيادة حزب « هتحياه » عقد بتل ابيب ايضا ، وكان مما قاله فى هذا المؤتمر ، ان الحزب يسعى الى ما وصفه « بسلام غير مستباح » ، وإلى اعلان « سيادة اسرائيل » في مناطق الجولان ويهودا والسامرة (الضفة الغربية) وغزة ، ثم استئناف الاستيطان فى كل انحاء « أرض ـ اسرائيل » !! .

وانطلاقاً من هذا الخط العام فان نعمان حدد الأهداف السياسية لحزبه على الشكل التالي : « إعادة النظر فى اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة الصلح المصرية ـ الاسرائيلية ، وتعطيل أي انسحاب آخر من المناطق العربية المحتلة » .

وتحدث نعمان في ذلك المؤتمر عما أسماه بالتدهور فى كافة المجالات فى اسرائيل ، فقال إنه منذ ست سنوات (منذ حرب ١٩٧٣) ، تتدهور « الدولة » في جميع مجالات الحياة الى شفير الهاوية ، واضاف إن التدهور بدأ مع الانسحابات في فترة حكومة المعراخ (أي التجمع المشكل من حزب العمل وحلفائه) ، واستمر بشكل أشد في فترة الحكومة الحالية . وبحسب رأي نعمان فان اسرائيل ستتقلص حتى تصل الى حدود عام ١٩٦٧ ، وهو ما توضحه اتفاقية كامب ديفيد ، التي تنص (حسب قوله) على أن « الاتفاق مع مصر » ـ معاهدة الصلح ـ التى استردت مصر بموجبها كل سيناء ، هي نموذج لتسويات مشابهة مع بقية الدول العربية ، بما فيها تسوية لمسالة « الحكم الذاتي الفلسطيني » الذى هو (حسب كلامه) ، « مرحلة نحو

البروفسور يوفال نعمان

رئيس حزب سياسي جديد يتبنى أشد الأفكار تعصبا

اقامة دولة فلسطينية » .

ويرى نعمان أن هذا التدهور والتقلص في « حدود اسرائيل » سوف يعيد الاسرائيليين الى وضع لا يستطيعون معه مواجهة العرب ، ومن الاشارات التى استشهد بها نعمان على هذا الوضع المتردي ، يقظة عرب ١٩٤٨ ، « فالأقلية العربية داخل « الخط الأخضر » تظهر الآن معارضة لوجود اسرائيل » .

وكان نعمان قد حذر من « الانهيار » في حديث نشرته صحيفة «يديعوت احرونوت» بتاريخ ١٩٧٩/٨/٣ ، حيث قال في مجال تبريره تشكيل حزب جديد ، إنه بصفته عالم طبيعة يرى امام عينيه « إنهياراً واضحاً للبناء كله ، إذا استمرت سياسة الامن الحالية .. » ، واضاف مكرراً افكاره السابقة أن اتفاقية كامب ديفيد مع مصر هي مرحلة أولى وسوف يحين دور مرتفعات الجولان والقدس ، واشار الى أن المسالة هنا مسالة وقت ليس إلا « وعندها تضيع الدولة .. ذلك ان اذكى القادة العسكريين لن يستطيع صد هجوم تقوم به الف دبابة فى السهل الساحلي (لفلسطين) الذى لا يزيد عرضه عن عشرة كيلومترات » ، والنتيجة التى يتوقعها نعمان في أعقاب هجوم عربي كهذا هي « مسادا على جبل الكرمل » مع مائة الف قتيل .

وأمام هذه « الأخطار » التى يراها يوفال نعمان تلوح فى افق اسرائيل ، فان مواجهتها تكون ـ كما حدد ذلك في اجتماع عقده الأعضاء المؤسسون لحزب «هتحياه» في القدس المحتلة بتاريخ ١٩٧٩/١٠/٨ ـ بالحفاظ اسرائيل بالأراضي العربية المحتلة ، وقال بالنص في هذا المعنى : إنه لا بديل للمناطق « المحتلة » ولا حتى في عصر الحرب الاليكترونية..» ، ودعا إلى انتهاز أية مناسبة ذات مظهر « استفزازي » من جانب الأردن وسوريا لتهويد الضفة الغربية وهضبة الجولان ، والشروع فوراً في تطبيق سياسة استيطانية واسعة ، وخاصة في الضفة الغربية ، حيث « يتم فوراً توطين عشرات الألوف من الأزواج الشبان في « السامرة » ، ممن يعيشون في القطاع الساحلي .. وستكون الفائدة مزدوجة : حيث يتم القضاء على مشكلة الاسكان ، وتصبح « السامرة » جزءاً لا يتجزأ من « دولة اسرائيل » .. أما بالنسبة لمشروع الحكم الذاتي « فسيجرى البحث عن اسلوب ممتاز لالغائه » . وأما بالنسبة لما أسماه « بمشكلة اللاجئين الفلسطينين » فقد اقترح نعمان حلا غريباً حقاً ، يقوم على إجلاء الفلسطينيين عن مخيماتهم ، وارسالهم الى المملكة العربية السعودية ودول النفط العربية الأخرى المتعطشة ـ حسب قوله ـ للأيدي العاملة !! .

وضمن هذه الرؤية «التوراتية » المتزمتة دأب البروفسور الصهيوني المتطرف يوفال نعمان ، على التنديد باتفاقية كامب ديفيد باعتبارها إطاراً لتنازلات اسرائيلية ـ على حد قوله ـ ستؤدي في النهاية الى قيام دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، وفي هذا الاطار دأب نعمان بعد عام ١٩٧٩ (الذى وقعت فيه اتفاقية الصلح المصرية ـ الاسرائيلية) على الدعوة الى تكثيف الاستيطان اليهودي في الأراضي العربية المحتلة ، من اجل اجهاض اية تسوية يمكن أن تفرض على اسرائيل (من الخارج) تتضمن انسحاباً من الضفة والقطاع وتفكيك المستوطنات تمهيداً لاقامة الدولة الفلسطينية المقترحة .

فبتاريخ ١٩٨٠/٩/٧ عقدت كتلة حزب « هتحياه » البرلمانية (٣ نواب في الكنيست) مؤتمراً صحفياً بتل ابيب وتحدث فيه البروفسور نعمان فقال منتقداً سياسة الحكومة « المتباطئة » في عملية الاستيطان ، « لو كنت عربياً لفهمت الآن بشكل واضح انه قد تقرر عملياً أن يهودا والسامره وغزة لن تكون يهودية في أي وقت » . وأضاف إن تصريح مناحم بيجن عن أن اربع مستوطنات اخرى (فقط) ستقام خارج « الخط الأخضر » ، هو بمثابة موافقة عملية على تكريس عروبة الضفة الغربية وقطاع غزة . ودعا الى تكثيف الاستيطان خارج « الخط الأخضر » ـ أي ضمن المناطق العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ـ واصلاح ما وصفه بالميزان السكاني (بين العرب واليهود فى الضفة والقطاع) عن طريق اقامة مستوطنات مدينية كبيرة ، وعدم الاكتفاء بالمستوطنات الصغيرة

احتلال الجنوب اللبناني

في تصور يوفال نعمان ، أن اسرائيل لا تستطيع أن تتحاشى الحرب الدائمة ضد المقاومة الفلسطينية خاصة والعرب عامة ، وان السياسة الوحيدة المطلوبة منها ، هي التقدم واحتلال مزيد من الأرض العربية ، للقضاء على الفدائيين ، ومن هذا المنظور فان نعمان لم يكن لديه أي « حل » للنشاط الفدائي الفلسطيني المنطلق من جنوب لبنان ضد اسرائيل ، سوى صيغة وحيدة هي احتلال الجنوب حتى الزهراني (أي مشارف مدينة صيدا) .

ويفلسف مقولته هذه بالادعاء أن بالامكان أن تعرض اسرائيل احتلالها للرأي العام العالمي ، باعتباره أمراً معقولا ، ولأن اسرائيل مضطرة للاقدام عليه ، ويقول نعمان ان باستطاعة اسرائيل أن تبيع للرأى العام احتلال المنطقة وتسليمها إلى الميليشيات الانعزالية التى يقودها الضابط المنشق سعد حداد بسهولة أكبر من قتل النساء والأطفال عن طريق قصف مدينة بيروت مثلا ، لأن هذا القصف سبب ضرراً لاسرائيل دون أن يسفر عن شيء مفيد لها ، والقصف في حد ذاته أمر عابر ، وفي المقابل فان احتلال اسرائيل للأرض يعني احتفاظها بها ـ وهذا ليس أمراً عابراً ، كما أن باستطاعة اسرائيل أن تبرر احتلالها لجنوب لبنان باعتباره أمراً انسانياً جداً ـ على حد زعمه ـ ويضيف ان احتلال جنوب لبنان حتى الزهراني يعني أولا حماية المستوطنات بشمال فلسطين المحتلة وجعلها بعيدة عن مرمى صواريخ الكاتيوشا الفلسطينية ، ثم أن الاحتلال يعني أنه أصبح في يد اسرائيل « ثروة مهمة »، لكن نعمان يرى أن احتلال جنوب لبنان يجب أن يترافق مع التصميم على ما يصفه « بالصمود السياسي » : أي رفض الانسحاب الاسرائيلي إذا طلب ذلك مجلس الأمن الدولي ، أو غيره .

حرب الاستنزاف

والاحتلال مبرر من وجهة نظر البروفسور نعمان أيضاً ، لانه يجنب اسرائيل خوض حرب استنزاف ـ كما يدعي ـ والتى هي أخطر بكثير من الحروب التقليدية بين الجيوش ، لأن اسرائيل سريعة التأثر بالنسبة للطاقة البشرية ، فعندما يقتل احد جنودها ، ينفعل



اسحاق رابين
رفضوا نهجه وفضلوا نهج الامن

الاسرائيليون كثيراً ، في حين أن العرب أقل انفعالا لموت جنودهم ، بسبب طاقتهم البشرية الهائلة ، بينما طاقة اسرائيل البشرية محدودة جداً ، وخوفاً من وقوع اسرائيل في مصيدة حرب الاستنزاف هذه فان نعمان يدعو أبداً الى استراتيجية الاحتلال والتوسع ، لكنه يتحاشى هنا الاشارة من قريب او بعيد الى امكانية وقوع حرب استنزاف فى الاراضي المحتلة حديثاً !! .

ويتهرب البروفسور الصهيوني من صورة كهذه بالقول ان العالم العربي يشهد تغيراً مستمراً ، تفرضه سياسة اسرائيل في المنطقة ، ويقول في هذا الصدد بالنص في حديث لصحيفة « يديعوت أحرونوت » نشرته بتاريخ ١٩٨١/٧/٣١ : « في الشرق الأوسط تحل المشاكل لخمس وحتى عشر سنوات ، وفي هذه الأثناء نعود للبحث عن حلول أخرى ، ففي هذه الحالة ، ستحل اسرائيل مشكلات (الفدائيين) في جنوب لبنان ، ولكن ستظهر مشكلات جديدة أيضاً » .

ومن الواضح هنا أن نعمان يحاول الخلط بين ما يسمى بالدواعي الأمنية الاسرائيلية ، وسياسة التوسع والاحتلال التى انتهجتها جميع الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة حتى الآن،والتى تشكل عملياً العمود الفقرى فى النظرية الصهيونية ، وهذه المحاولة تبدو فى ظاهرها تبريراً لحماية المستوطنات اليهودية بشمال فلسطين المحتلة فى حين أن جوهرها وصلبها هو الاحتلال والتوسع فى الأرض العربية .



مناحم بيجن
تكثيف الاستيطان خارج الخط الاخضر!

التهديد النووى

وصف البروفسور نعمان المفاعل النووى العراقى الذى قصفته طائرات اسرائيلية بتاريخ ٧ ـ ٦ ـ ١٩٨١ ، بأنه يشكل «خطراً مريعاً يوشك أن يهب على اسرائيل من العراق» ، خصوصاً وأن اسرائيل لاتستطيع بناء أمنها على سباق نووى مع العرب ، ويعرب نعمان عن اعتقاده أنه حتى فى حال افتراض أن اسرائيل دخلت مع العرب فى سباق كهذا ، فانه لا توجد ضمانة بشأن عدم استخدام السلاح النووى من قبل العرب ضد اسرائيل .

وبحكم كونه عضواً فى «لجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية» ، فان البروفسور نعمان يتكلم من موقع العارف والمطلع على الأسرار ، لذلك فهو يشير بلهجة قاطعة وبوضوح مثير ، الى أن اسرائيل لن تسمح للعرب بامتلاك التقنية النووية ، بحيث تبقى اسرائيل هى الوحيدة فى المنطقة التى تملك هذه التقنية ، ويقول في هذا المجال بالنص : « لقد أنشأت اسرائيل لنفسها قبل نحو عشرين سنة بنية تحتية نووية بمستوى علمى وتقنى متطور ، ومن جهة أخرى ، فان جميع الكتب التى ظهرت منذ أوائل الستينات وشملت اسرائيل فى عضوية «النادى النووى» لا معنى لها ، وسبب ذلك أن لاسرائيل مصلحة حيوية فى عدم تسريع مسار التسلح النووى فى الشرق الأوسط !» .

أما عملية قصف المفاعل النووى العراقى فيبررها يوفال نعمان بخوف اسرائيل من امكانية امتلاك العراق قنابل نووية عبر تصنيعها فى «محطة تموز» خلال سنتين أو ثلاث ، ويشير فى هذا الاطار الى أن قصف المفاعل العراقى قد أخر هذا المسار لثلاث سنوات على أقل تقدير ، أى أن العراقيين يحتاجون مدة كهذه لاعادة بناء المفاعل والوصول الى المرحلة التى كان عليها المفاعل قبل قصفه فى السادس من حزيران ١٩٨١ . ويعرب نعمان عن اعتقاده بانه لو لم تنفذ عملية القصف لبدأ العراقيون فى تحويل اليورانيوم الطبيعى الى مادة مشعة ، ولأصبح لديهم خلال سنتين أو ثلاث سنوات ، عدد من القنابل الذرية . أما بالنسبة لاعادة بناء المفاعل العراقى ، فان نعمان يعتقد بأن فرنسا فى عهد الرئيس فرانسوا ميتران سوف تنتهج خطاً أكثر حذراً واعتدالا فى هذا المضمار ، ويبقى أن باكستان هى البديل المنظور لفرنسا والتى يمكن أن تزود العراق بالخبرة اللازمة فى مجال استخدام وتصنيع اليورانيوم والبلوتونيوم ، ولذلك فان البروفسور الصهيوني يطالب الولايات المتحدة الأمريكية بممارسة الضغط المناسب الذى يمنع تقديم مساعدة باكستانية للعراق فى هذا المجال .

مفهوم الأمن

يبرر نعمان دعوته للتوسع واحتلال مزيد من الأرض العربية كلما لاحت فرصة مناسبة لذلك ، بمفهوم الأمن والحدود الآمنة لاسرائيل ، ومن الطريف هنا أن البروفسور الصهيونى يكشف النقاب عن أن خطة التوسع واحتلال قطاع غزة وسيناء والضفة الغربية وهضبة الجولان فى عام ١٩٦٧ ، كانت قد بحثت فى عام ١٩٥٣ ، ويقول فى هذا الصدد أنه ترأس آنذاك لجنة لتخطيط حدود اسرائيل القادمة ، وأن هذه اللجنة توصلت الى تعيين الحدود نتيجة دراسة « لجميع العوامل المؤثرة ـ بما فى ذلك مثلا عيوب السيطرة على سكان معادين فى الأماكن التى يتواجدون فيها » ويضيف أنه فى تلك الأيام من عام ١٩٥٣ تقرر ، أنه فى حال خوض اسرائيل حرباً شاملة مع الدول العربية فى وقت ما !! فيتوجب على الجيش الاسرائيلى « أن يطمح للوصول الى حدود قناة السويس ـ

البروفسور يوفال نعمان

رئيس حزب سياسي جديد يتبنى أشد الأفكار تعصباً

نهر الأردن ـ نهر الليطانى » باعتبار هذه الخطوط هى الأمثل من الناحية الأمنية !!

ويروى نعمان أن هذا المفهوم الأمنى لحدود اسرائيل القادمة ، كان أمراً مستجداً فى هيئة أركان الجيش الاسرائيلي ، حيث لم تكن توجد بعد فى تلك الأيام المبكرة من مطلع الخمسينيات ، حتى خرائط جيدة لشبة جزيرة سيناء ، وقد عرضت خطة الحدود الجديدة ونوقشت بجدية مع وزير الحرب آنذاك « بنحاس لافون » ثم مع خلفه « دافيد بن غوريون » الى أن وافق عليها ، ويشير نعمان الى أن هذه الخطة التوسعية فى الأرض العربية كانت قد ترسخت جيداً فى وعى الجيش الاسرائيلى مع حلول عام ١٩٦٧ ، وعندما لاحت الفرصة لتحقيقها فى حرب الخامس من حزيران من تلك السنة ، سار كل شىء طبقاً للخطة الموضوعة .

وبالطبع فان الخطة التى يشير اليها البروفسور الصهيوني نفذت بالنسبة لسيناء حتى قناة السويس والضفة الغربية حتى نهر الأردن وهضبة الجولان السورية ، لكن الخطة لم تنفذ بالنسبة لجنوب لبنان ومجرى نهر الليطانى وحتى نهر الزهرانى جنوب صيدا ، لأن لبنان لم يشترك فى حرب ١٩٦٧ من جهة ، ولأن الظرف الدولى والأوضاع الداخلية فى لبنان (بين المسلمين والمسيحيين) لم تكن تسمح بعملية توسع باتجاه لبنان الجنوبى وقد ارجىء تنفيذ الجزء الخاص بلبنان من خطة التوسع الموضوعة فى عام ١٩٥٣ ، حتى السادس من حزيران (يونيو) الماضى (١٩٨٢) ، وهو ما يكشف تهافت الحجج والذرائع الاسرائيلية حول الغزو الأخير للبنان .

وفى سياق المنطق التبريرى الذى يستخدمه البروفسور الصهيونى بكثافة ملحوظة خلال حديثة عن نظرية الأمن الاسرائيلية ، التى هى خطة التوسع والاحتلال عينها ، يقدم لنا نموذجين من التفكير السياسى والأمنى فى الكيان الصهيونى :

● الأول هو ذلك النهج الذى يفترض أن منطق التنازل من قبل اسرائيل يحقق السلام ، وهذا النهج ـ كما يقول نعمان ـ دشنه اسحق رابين فى ايلول (سبتمبر) ١٩٧٥ بدعم من وزير الخارجية الأمريكية الأسبق هنرى كيسنجر ، وهو نهج رفضه قادة الليكود آنذاك الذين كانوا يشكلون المعارضة فى اسرائيل (وقد استقال نعمان من العمل فى وزارة الحرب حينذاك احتجاجاً على هذا النهج) ، ولكن قادة الليكود ما لبثوا أن غيروا موقعهم بسرعة بعد صعودهم الى سدة السلطة ، وقد كتب البروفسور نعمان فى صحيفة « معاريف » بتاريخ ٢٦ / ١٠ / ١٩٨١ قائلا بهذا الصدد : « أن نهج التنازل من أجل السلام حظى بمزيد من الدفع بقيادة مناحيم بيغن وهذا ما أدى الى خلط فى الأوراق مابين التجمع (حزب العمل وحلفاؤه) والليكود (حزب حيروت وحلفاؤه) ، بحيث أصبح النهج واحداً لكليهما ، وهو نهج التنازل من أجل السلام » ، أما ما هو بين الحزبين ، فليس أكثر من عملية تجاذب سياسى ... فى حين أن «حزب هتحياه» الصغير (عددياً) هو الذى يقف فى وجه هذا النهج منفرداً ، منطلقاً فى ذلك من النهج الصهيوني الأصيل الذى يرفض التنازل ويتمسك بنظرية الأمن

● الثانى هو ذلك النهج الذى يفترض انه لاتوجد فى الشرق الأوسط فرص سلام حقيقى فى العصر الحاضر ، وبناء على هذه الفرضية ، فمن واجب اسرائيل أن تفضل نهج الأمن (أى نهج الاحتلال والتوسع فى الأرض العربية) .

ويقول نعمان من ضمن منطقه التبريرى الخبيث ، ان هناك وجهاً منطقياً فى النهجين ، أما وجه الاختلاف بينهما فهو فى الفرضية الأساسية فقط ... « فنهج التنازل من أجل السلام » ، يفترض أن الشرق الأوسط يسير فعلا نحو الهدوء والاستقرار ، واخماد روح العداء ، والتسليم من قبل العرب بوجود اسرائيل ... فى حين أن النهج الذى يأخذ بمقولة الأمن (أو نهج أرض اسرائيل الكاملة) هو نهج غير مضمون النتائج . ويتساءل يوفال نعمان : ما هى الضمانات لكى لا تنشأ تهديدات جديدة لأمن اسرائيل ولوجودها فى المستقبل ، فى حال تقديمها تنازلات من أجل السلام فى المنطقة ؟؟؟

ويذهب الى ما هو أبعد من إثارة شكوك حول جدوى السلام مع العرب فيزعم أن اسرائيل ذهبت بعيداً فى دوامة التنازلات ، فعلاوة على الانسحاب من سيناء من أجل السلام مع مصر ، فسوف تجد نفسها أمام ضغوط شديدة تطالبها بالانسحاب غداً من الضفة الغربية وقطاع غزة من أجل اقامة دولة فلسطينية .

من هو ؟

يعتبر يوفال نعمان من «الصابرا» ـ أى انه من جيل ولد فى فلسطين ـ فقد ولد فى تل أبيب فى عام ١٩٢٥ ، وهو خريج معهد «التخنيون» فى حيفا ـ وهو معهد انشىء فى عام ١٩١٢ لتدريس العلوم التكنولوجية ـ كما أن نعمان خريج معهد «امبيريال كولدج» فى لندن ، وقد حصل على الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة لندن ، كما درس فى المدرسة الحربية العليا بباريس ، وتخصص أيضاً فى علم الفيزياء ودرس هذه المادة فى عدة جامعات ومعاهد فى الولايات المتحدة واوروبا الغربية ، وحاز على عدة جوائز علمية ، وهو عضو فى عدد من المعاهد والأكاديميات الأميركية وقد تقلب فى عدة مناصب علمية ، منها عضوية الأكاديمية القومية للعلوم ، وكان عضواً فى اللجنة الاسرائيلية للطاقة النووية (١٩٦٠ ـ ١٩٦١) ، كما كان عضواً فى مجلس أمناء جامعة تل أبيب ، ثم اصبح رئيساً ثانياً لذلك المجلس فى عام ١٩٧٦ . وفى عام ١٩٧٥ عينه وزير الحرب آنذاك شمعون بيرس مستشاراً له بوزارة الحرب وعالماً رئيسياً للوزارة ، لكنه استقال من هذين المنصبين فى أواخر عام ١٩٧٥ احتجاجاً على توقيع اتفاقية سيناء الثانية وفى تلك الفترة أعلن عن عزمه على تشكيل حزب سياسى جديد . وبعد تاسيس «حزب هتحياه ـ النهضة» فى عام ١٩٧٩ ، انتخب رئيساً للأمانة العامة لهذا الحزب ، وفى تموز (يوليو) الماضى (١٩٨٢) دخل حكومة بيغن وزيراً للعلوم والتطوير ، بعد أن انضم حزبه الى تحالف الليكود .

وبعد :

فهذا هو يوفال نعمان ، الذى يعميه الحقد على العرب ، والتعصب لمفاهيم متحجرة مستولدة من أساطير بائدة ، ونعمان ليس سوى نموذجاً للصهيونى «الوفي» لصهيونيته ، الذى لا يخفى افكاره ومعتقداته الراسخة تحت ستار التعابير الدبلوماسية أو الكلام الذى يحتمل أكثر من تاويل .

عصام شريح



شارلوك هولمز الحقيقي : « د. جوزيف بل » المحاضر فى علم الجراحة بجامعة ادنبره ، والذى تاثر به « دويل » واتخذه نموذجاً لشرلوك هولمز !



« ارثر كونان دويل » عام ١٨٩٢ ، عندما بدات شخصية شرلوك هولمز تظهر فى رواياته

الطبيب الذى أصبح أشهر كاتب قصة بوليسية في العالم

شرلوك هولمز
بين الحقيقة والخيال

بقلم: جمال الكناني

لم يكن السير «أرثر كونان دويل» كاتباً ينشد جلال العبارة أو جمال الكلمة ولكنه كان يركز اهتمامه على الفكرة وعلى الشخصية ... فلا عجب إذن أن معرفة الناس بشرلوك هولمز تفوق بكثير معرفتهم بالطبيب الكاتب الذى ابتكر هذه الشخصية البوليسية العالمية الخالدة .. ويكفى أحياناً أن نذكر العبارة المشهورة «أمر بديهى يا عزيزى واطسون» ليعرف الناس أن المتحدث هو شارلوك هولمز .

والرأى السائد فيما يتعلق بأصل هذه الشخصية هو أن آرثر كونان دويل تاثر أيام دراسته للطب بجامعة أدنبره بشخصية «جوزيف بل» محاضر فى علم الجراحة ، كان قوى الملاحظة يستعين بالاستقراء والاستنباط على التعرف على خصائص مرضاه وميزاتهم وطبيعة عملهم ..

شرلوك هولمز
بين الحقيقة والخيال









اربع شخصيات معاصرة « لدويل » : اعلى إلى الشمال « جيمس بايين » الذى نشر اول قصصه ، وإلى اليمين « جيروم . ك . جيروم » مؤلف « ثلاثة رجال في قارب » ، وإلى اسفل يساراً « روبرت بار » الذي كتب قصصاً بوليسية ينافس بها شارلوك هولمز ، ثم يميناً الروائي « هول كين » فى رسم كاريكاتيري

فى اول الامر ، اختار كونان دويل لشخصيته البوليسية اسم «شربخفورد هوب» ، مقتبساً اسم سفينة من سفن صيد الحيتان عمل على ظهرها لفترة ، وهو طالب يدرس الطب .. واختار بعد ذلك اسم «هولمز» وهو لقب اوليفر ويندل هولمز ، رائد فى ميدان الطب وعلم النفس الجنائى ، كان كونان دويل يعجب به ايما إعجاب لانه ابتكر العديد من وسائل البحث والاستقراء التى انتهجها دويل (عن طريق هولمز) فيما بعد . أما اسم شرلوك فهو لقب عازف الكمان المشهور «الفرد شرلوك» الذى كان يتقن لعب الموسيقى الالمانية التى يحبها دويل .

وتروى بعض السير التى كتبت عن السير آرثر كونان دويل انه قرر محاولة تاليف القصص البوليسية القصيرة بعدما قرأ العديد منها ورأى انه قادر على كتابة ما هو افضل منها وامتع ، لان ما نشر من تلك القصص كان فى الغالب لا يعتمد على ما فيها من شخصيات ، ولا على منطق الحوادث وتسلسلها ، وإنما كان يعتمد على الصدفة المجردة ... وكان الكاتب كلما تعثرت فكرة روايته او جمدت ، او كادت تموت فى يده اقحم فى القصة شخصية المرأة الغامضة التى يجللها السواد ، او الرجل الصينى الذى يعمل فى خفاء وغموض ليثير اهتمام القارىء من جديد .

وهناك ممن أرخوا للسير آرثر كونان دويل من يقول انه احترف الكتابة لانه لم يصب نجاحاً فى مهنة الطب التى زاولها فى عيادة متواضعة كادت تتجرد من الأثاث ، لا يقصدها من المرضى إلا كل معدم أو مفلس فلم تكن تدر عليه ما يكفى لسداد الايجار وسد الأود .. فلما أثقل الدين كاهله ، قرر أن يجد وسيلة سريعة لكسب المال فلجأ الى كتابة القصص ... ولسنا نؤيد هذا الزعم أو نقره ، لان الثابت هو أن عيادته كانت قد بدأت تدر عليه رزقاً معقولا أيام قبلت دار «وورد آند لوك» نشر اولى قصصه «دراسة قرمزية» ، ودفعت له أجراً قدره خمسة وعشرون جنيهاً .

شعبية هولمز

ابتكر كونان دويل لنفسه طريقة للكتابة وبناء القصة البوليسية ، التزم بها ولم يحد عنها طول حياته الادبية .. كان يفكر أولا فى حل عقدة الجريمة ثم يطور بقية القصة على أساس ذلك الحل مستعيناً بفنه وقدرته على إخفاء الحل على القارىء حتى آخر صفحة من صفحات القصة ... وكان من عادته أن يبدأ الكتابة فى الصباح الباكر قبل أن يبدأ العمل فى عيادته ، ثم يستأنف الكتابة فى المساء بعد فراغه من العيادة ، واحياناً فى الفترات بين الكشف على مريض وآخر . وكان على عكس أغلب

الأطباء يكتب بخط جميل مقروء وقلما كان يغير حرفا مما يكتب .

ويعبر دويل ـ على لسان هولمز ـ عن الطريقة التى يتبعها فى تفسير ما يشكل على الناس ويقعدهم عن حل عقد الجرائم التى ينجح هو فى حلها ، إذ يقول «يستطيع المناطقة أن يستدلوا من قطرة واحدة من الماء على احتمال وجود محيط مثل الأطلنطى او شلال مثل نياجارا دون أن يكونوا قد راوا هذا او سمعوا بذاك .. والحياة ما هى إلا سلسلة ضخمة ، نعرف طبيعتها حينما تقع ابصارنا على حلقة واحدة من حلقاتها ... خذ مثلا اظافر اى شخص ، او كما من اكمام سترته ، او حذاءه ، او سرواله ، او الجلد الجامد الذى يتواجد على سبابته وإبهامه ، او تعبير وجهه ، تجد ان هذه ، فرادى او مجتمعة ، تكشف لك عن مهنة او حرفة ذلك الشخص وعن بعض اخلاقه او حالته الاجتماعية وما الى ذلك .

نالت شخصية هولمز من الشعبية قسطا كبيراً فى جميع انحاء العالم وكانت هى وصاحبها موضوع فكاهات عديدة ، يسمر بها الناس .. نذكر من هذه ان كونان دويل ركب ذات مرة احدى سيارات التاكسى فى باريس فقال له السائق «الاحظ انك زرت استنبول مؤخرا ، وعندى ما يؤكد انك كنت فى بودا وانك كنت على مقربة من مدينة ميلان ..»

فقال دويل «هذا مدهش حقا .. خمسة فرنكات ادفعها لك إذا قلت لي كيف عرفت سر تحركاتى ..»

فقال السائق «امر بديهى يا عزيزى المستر دويل .. قرات البطاقات الموجودة على حقائبك» .

حياة مريرة

فى قلب مدينة ادنبرة ووسط صخبها وضجيجها والروائح الكريهة التى تنبعث من مدابغ الجلود ومصانع الفراء ، وفى يوم ٢٢ مايو ١٨٥٩ ولد ارثر كونان دويل ونشا وهو يحس بمرارة الحياة وظلم الأقدار له ... كان أبوه ، تشارلز دويل ، يعمل مهندسا معماريا فى ادارة الأشغال العمومية براتب قدره ١٨٠ جنيه فى السنة زيد الى ٢٠٠ جنيه فى عام ١٨٥٩ وكان هذا الدخل يكاد لا يكفى لاطعام اسرة مكونة من ثلاث بنات وولد بالاضافة الى الأبوين ، ولهذا كان الأب يستعين بهوايته ، وهى النقش على الخشب والمعادن ، على زيادة دخله السنوى بحوالى ٥٠ جنيها يكسبها لقاء ما يبيع من نقوشه ..

دربت الأم ابنها ارثر على ريادة مكتبة الحى فكان يلتهم ما فيها من كتب بسرعة ذهشت امينها . وبين السابعة والتاسعة التحق ارثر بمدرسة فى ادنبرة ، كان يديرها معلم له عصا لا ترحم ظهور تلاميذه .. وبعد عامين اى فى ١٨٦٨ التحق بمدرسة اعدادية وبعدها بمدرسة الآباء الجزويت وفى عام ١٨٧٧ دخل ارثر كونان دويل جامعة ادنبره ليدرس الطب ، ولكنه توقف فى وسط الدراسة ليعمل طبيبا (هكذا كان يلقب) على ظهر سفينة لصيد الحيتان . وقضى فى البحر فترة عاد بعدها مليىء الجيب ميسوراً فاستطاع ان يعطى امه ٥٠ جنيها يوم عاد لمواصلة دراسته .

وكتب كونان دويل قصتين وهو طالب يدرس الطب ، كانت احداهما بعنوان «قصة امريكية» والثانية بعنوان «لغز وادى ساساسا» وهى قصة عن ثلاثة شبان فى جنوب افريقيا عزموا على اقناع الاهالى ببطلان خرافة كانت شائعة عن عين حمراء تكبر فى الظلام وترعب الاهالى .

بدأ دويل حياته العملية طبيبا شابا قوى البنية وسيم الخلقة ، فكان رغم قلة حاله محط انظار طالبات الزواج .. وفى صيف ١٨٨٥ استدر السيدة إميلى هوكنز لعيادة ابنها الذى اصابه صداع مفاجىء مصحوب بغثيان وحمى ... وشخص كونان دويل المرض بالالتهاب السحائى وقرر نقل المريض لعيادته حتى يكرس لعيادته اكبر وقت ممكن .. ورغم ما بذل دويل من مجهود ، مات المريض .. وكان دويل قد شعر بميل شديد تجاه لويز ، اخت المريض ... واحست الأم بذلك فشجعت ذلك الاتجاه ... وكتب دويل لامه يستاذنها ويسأل رأيها فى الزواج فوافقت وتم الزواج فى ٦ اغسطس ١٨٨٥ ... وحالف التوفيق الدكتور ارثر كونان دويل ، إذ وجد فى لويز زوجة مثالية رغم عدم ثقافتها ، فاحبها حبا عميقا .

واقبل المرضى على عيادته بعد زواجه وراجت حالته المالية ، وذاق طعم سعادة حقيقية ، وانعكس ذلك على صحته وعمله وكتاباته ... وبدأ اول قصصه التاريخية «هيكاب كلارك» وهى شخصية اشبه ما تكون بشخصيته هو ، كما ان شخصية «روث الوديعة كانت تحاكى شخصية لويز زوجته ...

ومرت السنون وتعقدت الأمور واعتلت صحة لويز ، كما ان ارثر كونان دويل نفسه وقع فى غرام فتاة تدعى «جين ليكى» ... وتدهورت صحة لويز فى صيف ١٩٠٦ .. وفى صباح ٤ يولية ماتت الزوجة الوفية ولم تكن قد بلغت الخمسين من عمرها ... ورغم العلاقة الغرامية التى اشرنا اليها ، وقع موت لويز على ارثر وقع الصاعقة فحزن حزنا شديدا .. ولعل موتها كان من اقوى الأسباب لاتجاهه الى الروحانيات ودراستها والكتابة فيها ...

التاثر بالروحانيات

كان دويل يرى ان الأرواح اشبه ما تكون بالحيوانات البرمائية ، تنتقل فى يسر من هذه الدنيا الى العالم الآخر كما تنتقل السلحفاة المائية من اليابسة الى الماء ... وقام دويل بتحليل طبيعة العالم الآخر فى عدد من مؤلفاته ومقالاته ، وقال إن الانسان قد يفقد الوعى لفترة قصيرة بعد الموت مباشرة ثم يصحو ليجد أول الأمر انه لا يستطيع ان يتصل خلال الأثير بالآدميين لانهم مهيئون لمؤثرات وحوافز اكثر خشونة وصلابة من الأثير ، اللهم إلا إذا كانوا من الوسطاء الروحانيين ... وقال ان الميت يحس تدريجيا بوجود غيره فى الغرفة او الحديقة التى يتواجد فيها فاذا راى شخوصا لها وزن الأحياء فانه يدرك ان هؤلاء كانوا من بين من احب وفقد من الناس . وقد يحس الميت ان هناك من يعانقه او يمسك بيده ويتمكن بمساعدة دليل ملائكى وضاء من ان يتحرك مخترقا الجدران او ينفذ خلال جذوع الأشجار التى قد تعترض سبيله فى حياته الجديدة .

ولم ير كونان دويل الشخص الميت على انه كائن ينطوى على ملاك او على شيطان ، ولكنه كان يرى ان الميت يحمل معه متاعا من قوته وضعفه .. من عقله وحماقته ...

دويل كان يؤمن بان استمرار الحياة بعد الموت هو اساسا استمرار لحياة العقل ، كما ان الوجود الأرضى هو حياة الجسد .. ولا وجود فى العالم الآخر لطعام او نقود او جنس ، إلا ان فنون الموسيقى والرسم بالالوان ونظم الشعر والنثر الجميل تزاول هناك باستمرار ، وكان من رايه كذلك ان الموتى يعيشون فى عشائر وان الزواج فى العالم الآخر روحانى بحت ، وان بلوغ السعادة التى فاتت معظم الأحياء امر ممكن فى العالم الآخر الذى هو غير جسمانى مجرد عن الوزن ، نقى خالص مقدس .

وعبر دويل عن رايه ـ فى غير كتبه ـ يوم وصل الى نيويورك عام ١٩٢٢ والتف الصحفيون حوله وكان متعبا بعد رحلة شاقة فقال لهم ان الحياة بعد الموت تخلو من كل الم جسمى وان الزواج فى العالم الآخر زواج افلاطونى صرف ، ولهذا

شرلوك هولمز
بين الحقيقة والخيال

فالأطفال لا تولد فى الآخرة .

والمعروف عن كونان دويل منذ صباه أنه كان يهتم بكل ما يجرى حوله ، فليس غريباً إذن أنه تأثر بحركة الروحانيات التى شاعت فى انجلترا فى ثمانينات القرن التاسع عشر ... وحدث أن استمع لحديث وسيط أمريكى ثم اتصل بجماعة ممن احترفوا الروحانيات ... وتحمس الناس إذ ذاك لحركة الروحانيات وخاف العلماء من أثرها على عقول الناس فشكلوا جمعية البحوث الفيزيائية ، التى وعدت باختبار وفحص الوسطاء الروحانيين وفضيحة كل وسيط يحاول خداع الناس .

وتعرف كونان دويل فى مدينة بورتسماوث بالجنرال دريسون الذى كان يعقد جلسات روحانية فى داره . ودعى دويل لحضور تلك الجلسات التى كان يقوم فيها بدور الوسيط زوجة «إشرجى» ـ عامل الاشارة ـ فى السكة الحديدية ، وكانت تتخصص فى مفاجأة من فى الجلسة بابراز اشياء غريبة غير محتملة مثل الواح الثلج ... وتأثر دويل بما رأى فنشر مقالا فى مجلة الروحانيات «لايت» واتصل به واحد من أعضاء جمعية البحوث الفيزيائية وطلب منه الاشتراك فى البحوث التى تجريها الجمعية ، ولكن دويل كان قد حدد هدفه المستقبلى فى هذا المجال وهو «كسر حاجز الموت»

وحدث بعد أن مات ابن دويل واخوه ، ان ألف كتابين أحدهما بعنوان «رؤيا جديدة» ١٩١٨ والثانى بعنوان «رسالة حيوية» ١٩١٩ ـ أوضح فيهما موقفه من الروحانيات وقال «عندما شبت الحرب شاعت فى قلوبنا لهفة وملأتها جدية .. فأخذنا نفحص معتقداتنا بعناية أكثر ونعيد معايرة قيمنا . وفى عالم معذب نسمع فيه كل يوم بموت شبابنا وهم فى مقتبل العمر ، ونرى فيه الامهات والزوجات فى حيرة لا يدركن تماماً أين راح من يحببن تبينت فجأة أن موضوع الروحانيات الذى طالما لمست أطرافه وحواشيه ، ليس دراسة تقتصر على قوة خارجة عن قواعد العلوم ولكنه فى الواقع أمر ضخم بالغ الأهمية ، هو تحطيم الجدر التى تفصل بين عالمين ، ورسالة مباشرة من العالم الآخر لا يمكن أن ينكرها أحد ، ونداء الأمل وتقويم الانسانية وحسن توجيهها وهى تمر باتعس أوقاتها» .

رأى دويل فى «الجسم الروح» ما يقابل «الجسم الأرضى» القديم تماماً ، إلا أن المرض والضعف والنشوة تختفى تماماً بعد الموت .. وعندما يموت الانسان فان «الجسم الروح» يقف أو يطفو بجانب الجسم القديم وهو يدرك وجوده ووجود ما يحيط به ، والميت ـ ذكر أو انثى ـ لا يستطيع الاتصال بمن خلف وراءه .

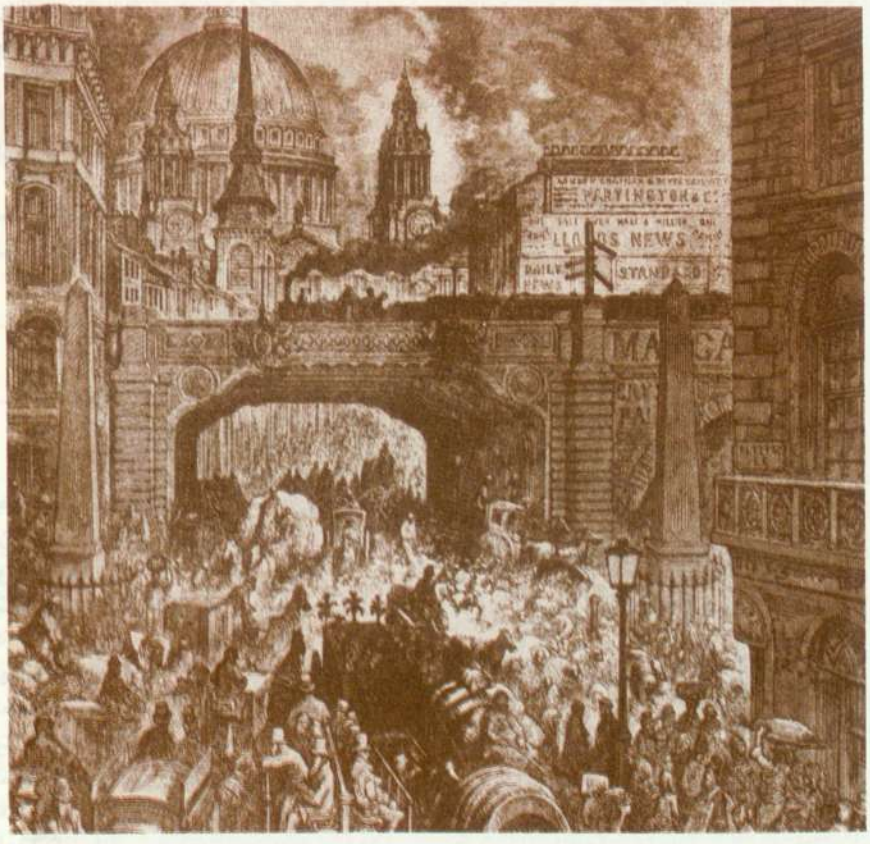
لأن الأعضاء الحية غير مهيأة إلا لاستقبال المؤثرات الأخشن . ويجد الجسم الروح نفسه بين من سبقوه الى العالم الآخر ، يرحبون به ، ثم يروح فى سبات قد يتراوح بين أيام قلائل ، وبين أشهر عدة ، ويتوقف ذلك على ما صادفه الميت فى حياته من متاعب .

وتفيق الروح فتجد نفسها فى محيط مناسب ، قد تتواجد فيه لفترة اختبار محدودة إذا كانت أقل حظاً ، وقد تتواجد فيه لفترة استشفاء إذا كانت من الأرواح الضعيفة .. أما الأرواح الأعلى أو الأسمى فيمكنها أن تعلو وتهبط .. وعلى الأرواح الأبطأ أن تبذل جهداً لترتفع فوق محيطها ... والحياة الروحية أساساً حياة عقلية ، لا طعام فيها ولا نقود ولا شهوة ولا ألم ... والأرواح تغطيها الملابس وتعيش فى عشائر ، والشعوب فى العالم الآخر تعيش منفصلة عن بعضها إلا أن اللغة لا تقف حائلا بينها لأن الفكر هو طريق التفاهم والحوار .

الحادث الهام

ونشير إلى حادث كان له أثر على تشكيل فكرة دويل واقناعه بأن الروحانيات ليست من باب الخيال وانها موضوع يستاهل البحث والدراسة .. كانت زوجة دويل الأولى تستضيف سيدة مريضة فقيرة ، وتقنعها أن الاطفال بحاجة الى رعايتها رغم وجود المربية حتى تقبل المسكينة تلك الضيافة دون أن تشعر بانها تعيش عالة على الأسرة .

وكانت هذه السيدة ـ ليلي سيموندز ـ قد حذقت فن الكتابة الأوتوماتيكية ... كان قلمها فيما يبدو يتحرك بقوة خفية ويخط رسائل واضحة ، مصدرها ـ على حد قولها ـ العالم



لندن فى بداية عام ١٨٧٠ كما رسمها « جوستاف دوريه » .

الآخر .. ولم يأبه دويل بذلك ، بل إن الزوجة

احست بشيء من الحرج فاخذت تقنع «ليلي» بالعدول عن الكتابة على ان دويل بدأ يهتم بهذه السيدة ، لانها ـ فى حضرته ـ كتبت

رسالة نصها « امر مزعج .. مزعج سيكون له اثر كبير على سير الحرب » ... وفى نفس اليوم اغرقت السفينة الامريكية «لوزيتانيا» وامن دويل ان غرقها سيكون سبباً فى اشتراك امريكا فى الحرب .

وفى عام ١٩١٥ ، مات اشقاء « ليكى» فى الميدان كما مات « مالكولم » شقيق زوجة دويل ...

وحدث ذات يوم ، ودويل يتحدث الى « ليلى » ان بدأت تكتب بخط يماثل خط « مالكولم » الذى مات فى الميدان ، وقالت إنها على اتصال به ، ووجد دويل فى ذلك فرصة لاتعوض ، وكان قد دار بينه وبين ذلك الميت منذ سنوات ، حوار حول موضوع خاص لم يعلم به مخلوق غيره ، فاخذ يسال « ليلى » عن بعض تفاصيل ذلك الحوار ، فكانت تعود بالاجابة الصحيحة في كل مرة ... واقتنع دويل بان وراء الاكمة ماوراءها وان « تحت القبة شيخ » ، وقرر ان يكرس بقية حياته للروحانيات ... ولم يحاول ـ كما كان شانه من قبل ـ بعد ذلك تجنب تصوير الروح فوتوغرافياً ، او الخوض فى موضوع الاكتوبلازم ، وهو الاسم الذى اطلق على مادة بيضاء غريبة شوهدت تنبثق من الوسيط إيفا كاريير عام ١٩٠٣ ، وكان البعض يطلق عليهـــا اسم « تلي بلازم » او « إيديو بلازم » ... وكانت هذه المادة معروفة قبل ذلك على انها مادة شبه مضيئة على هيئة بخار كثيف يخرج من جانب الوسيط او من فمه كسحابة زغبية ، او بخار رمادي / ابيض ، او كعمود من الضباب .. والاكتوبلازم هو المادة التى تتكون منها هياكل الارواح او وجوهها . ولما كانت هذه المادة تنسحب حال تعرضها للضوء او لمسها ، فقد كان من الصعب الحصول على عينة منها ، ولكن امكن ذلك بعد فترة . فلما احترقت واستحالت رماداً خلفت وراءها رائحة تشبه رائحة قرون الحيوان ، ووجد من بين عناصرها ملح الطعام العادي وفوسفات الكلسيوم .

ولكونان دويل عديد من المؤلفات فى موضوع الروحانيات ، لم تعد عليه بنفع بل لعلها كانت السبب فى حرمانه من لقب اللوردية رغم معرفته الأكيدة بالملك جورج الخامس ورئيس وزرائه لويد جورج ، ووينستون تشرشل ..

وإلى جانب العديد من الروايات البوليسية ، كتب دويل مئات القصص القصيرة .. وله كذلك مؤلفات تاريخية جيدة منها « الظل العظيم » و « وســـام البريجادير جيرار » و « اللاجئـــون » و « رودني ستون » وغيرهـــا .. على أن الذي اكسبه الشهرة ، وكتب له الخلود ، هي قصص هولمز البوليسية .

وفى يوم ١٥ مارس ١٨٩٧ ، قابل كونان دويل « جين ليكى » فى حفلة ساهرة ، وكانت تصغره بحوالي ١٣ عاماً فوقع فى غرامها ... وكان الحب متبادلا من اول نظرة .. ولكنه على غير مالوف عادة بعض الأدباء من معاصريه ، كان رجلا ذا ضمير حي يفرق بين ماهو خطا وما هو صواب ... وكان إذ ذاك رب عائلة ، وزوجته إذ ذاك مريضة بالسرطان .. فظل حب دويل لهذه الفتاة عذرياً حتى ماتت زوجته فى عام ١٩٠٦ وتزوجها فى عام ١٩٠٧ بعد ان مر بتجربة قاسية اثبت فيها متانة اخلاقه .. واشار الى تلك المحنة فى قصيدة له بعنوان « تجلد » قال فيها :

عندمـا يمـلأ الخوف نفوســـنا
وعندما يصـبح طريقنـا قفراً ممـلا
وعندما تهب الريح صرصرا قارســة
وعندما يكون السبيل وعراً طويـــلا
تجـــلد

فى ١٨ سبتمبر ١٩٠٧ بنى دويل بزوجته الثانية «جين ليكى» وقضيا شهر العســل فى رحلة فى البحر الأبيض المتوسط زارا خلالها جزر اليونان ومصـــر وتركيا حيث انعم السلطان عبد الحميد على دويل بالوسام المجيدي ، وعلى زوجته بوسام اخر ... وابدى عبد الحميد اعجابه بشخصية شرلوك هولمـز وقصصـــه .

استغل دويل قدرته على التحري والاستقصاء فى رفع الظلم عن عدد ممن ادانتهم المحاكم بغير وجه حق .. وكانت اشهر ماعالج دويل من القضايا قضية شاب هندي كان يزاول مهنة المحاماة في برمنجهام ... كان البوليس قد وجه إليه من قبل عدداً من التهم التافهة ، فلما تكررت فى المنطقة حوادث قتل الغنم والبهائم ببقر بطونها ، القى البوليس القبض على هذا الهندي واسمه جورج إدلجي وعثر فى بيته على اربعة امواس عليها بعض البقع كما عثر فى داره على زوج من الاحذية ملطخ بالطين وبنطلون ازرق وسترة مبللة عليها بعض البقع ... وكانت اخر الجرائم تتعلق بحصان صغير بقرت بطنه قريباً من دار الهندي ، وفحص الطبيب الشرعي ملابس الهندي ، فوجد على كم السترة نقطتين من الدم . وكان البوليس قد تسلم خطاباً من مجهول ينسب الجريمة للهندي ، وشهد خبير الخطوط بان الهندي هو كاتب الخطـــاب ، يتهـــم نفســـه بارتكـاب الجريمـة ليبعـــد الشبهة عن نفســـه

واحيل الهندي للمحاكمة وحكم عليه بالسجن سبع سنوات ... وبعد فترة كتب السجين لكونان دويل يؤكد براءته .. وبعد فترة اقتنع دويل بتلك البراءة فتعمق فى بحث القضية وزار مكان الجريمة وعرف ان ارتكابها يقتضى من الهندي ان يعبر خط السكة الحديدية وان يتسلق سوراً ويعبر حقولا مغطاة بالوحل مما كان يترك حتماً على ملابسه آثاراً لا يخطئها انسان .. وكان مستحيلا على الهندي إدلجي ان يقوم بتلك الرحلة فى الليل لانه كان مصاباً بقصر نظر شديد .. وبهذا اثبت دويل انه يستحيل ان يكون الهندي هو الذى ارتكب الجريمة ، بل انه اثبت ان الشخص الآخر الذى اتجهت إليه الشبهة اثناء التحقيق كان هو المجرم .. فقد كانت له ، بوصفه قصاباً ، دراية ببقر بطون البهائم .

واثبت دويل كذلك براءة الماني يهودي اسمه اوسكار سليتر كان قد اتهم وادين بقتل عجوز ... وكان اوسكار لاشك من المشبوهين الذين ارتكبوا عدداً من الجرائم ولكنه كان بريئاً من تلك التهمة المعنية ... وقضى اوسكار فى السجن ١٦ عاماً قبل ان يثبت دويل براءته

وعرف عن ارثر كونان دويل اهتمامه بالألعاب الرياضية وولعه الشديد بلعبة الكريكت وبكرة القدم ، كما انه مارس ركوب الدراجات والجولف والبلياردو والملاكمة وصيد السمك والوحوش وغير ذلك ... وكان من المعجبين برياضى آخر هو الساحر هوديني الذى كان يكبل بالسلاسل ويوضع تحت الماء مكبلا فيخلص نفسه من قيوده ويسبح الى السطح فى دقائق معدودات ... وتوطدت بين دويل وهوديني صداقة استمرت ماعاشا .

ولما اعتلت صحة دويل بعد اشتراكه فى حرب البوير نصحه الأطباء فى عام ١٩٠١ بالقيام باجازة طويلة ، قضاها على يخت صديقه اللورد كرومر وشفى من نوبات الحمى المترددة والاسهال والأرق ، وعاش بعد ذلك ثلاثين عاماً فى صحة طيبة ، ولكنه اصيب فى عام ١٩٢٩ بمرض الذبحة الصدرية التى كانت تعاوده بين حين وآخر حتى قضت عليه فى ٧ يوليو ١٩٣٠ . وهكذا مات السير ارثر كونان دويل وعاش شرلوك هولمز يمتع الملايين فى انحاء العـــالم ... ولا تســـل عن الســـبب :

« فهذا امر بديهي ياعزيزي القارىء »

جمال الكناني

الدلالة القومية للفلكلور العربي

بقلم : محمّد إبراهيم الفحّام

كلما تابعت على شاشة التليفزيون ، بعض الأغاني والرقصات الشعبية التي تؤديها الفرق التابعة لاحدى الدول العربية ، عاودنى شعور بأننى استمعت اليها ، وشاهدتها من قبل . وعادت بى الذاكرة الى حيث ولدت ، وأمضيت مرحلة الطفولة ، وجل مرحلة الصبا من حياتى ، فى أحد الأحياء التى يغلب عليها الطابع الشعبى ، بمدينة الاسكندرية . وكانت تشاركنا سكنى ذلك الحى عشرات من الأسر التى تنتمى الى أقطار عربية مختلفة ، فضلا عن الأسر المصرية الصميمة . وكانت العلاقات بين تلك الأسر ، تجعلها تبدو جميعاً ، كما لو كانت عائلة واحدة مترابطة ، تتقاسم معاً الاحساس بلذات الحياة ومراراتها .

وكان يطلق على أبناء الأقطار التى تلى حدود مصر الغربية جميعاً تعبير (المغاربة) ، ويطلق على معظم أبناء الأقطار التى تلى حدود مصر شرقاً (أى فلسطين ، والأردن ، وسورية ، ولبنان) تعبير (الشوام) . كما يطلق على أبناء العراق (البغدادية) . أما أبناء الجزيرة العربية فكان يطلق على سكان الجنوب منهم (اليمنيون) ، ويطلق على من عداهم (العرب) . فكانت صفة العربى مقصورة على من يتزيى بالكوفية والعقال وكانت تلك الصفة تشمل بدو الشام والعراق وسكان شبه جزيرة سيناء أيضاً . أما السودانيون فكانوا يعرفون باسمهم هذا الذى لم يتغير .

ثم صارت تطلق بعد ذلك تعابير مميزة لتحديد أوطان المغاربة والشوام ، فيقال (طرابلسى) لكل من ينتمى الى القطر الليبى ، ويقال (تونسى) أو (توانسى) أو (جزايرى) و (مراكشى) لمن ينتمى الى تونس والجزائر والمغرب على التوالى . كما حددت مواطن الشوام بذكر المدن التى ينتمون اليها فيقال (غزاوى) أو (يافاوى) أو (مقدسى) أو (عكاوى) أو (حموى) أو (حلبى) أو (بيروتى) . ويقال (طرابلسى شامى) للتمييز بين أبناء (طرابلس الشام) وأبناء (طرابلس الغرب) . أما المنتمى الى دمشق فيقال له (دمشقى) أو (شامى) .

وكان معظم المغاربة يمتهنون صناعة الطرابيش ، والشموع والحبال والأطعمة المغربية ، وخاصة (الكسكسى) ، والاتجار فيها . كما كانوا يمتهنون ضفر الخيوط وعقدها ، لاستخدامها فى تطريز الملابس وتزيين فتحاتها ، وهى مهنة (العقادة) ـ بكسر العين ـ ، ويسمى ممتهنها (العقاد) ، وقد اشتهر بها التونسيون خاصة .

كما كان معظم الشوام يمتهنون صناعة الحلوى والجبن والصابون والاتجار فيها . فكان أكثر الحلوانيين والبقالين منهم .

أما سائر أرباب الأسر العربية ، فكان يغلب عليهم الاتجار فى التوابل والنباتات الطبية ، والشاى والبن والمغاث ، والمواد العطرية كالعنبر والمسك .

وقد ضاعفت المصاهرات المتبادلة ، من عوامل الترابط بين تلك الأسر ، واستقرارها بالمدينة .

وكانت حفلات الزفاف أشبه بمهرجانات شعبية حافلة ، تعرض فيها الرقصات والموسيقات والأغانى الشائعة فى أوطان المشاركين فى هذه الحفلات من المتصاهرين ومدعويهم . كما كانت هذه الحفلات تعكس العادات والتقاليد التى كانوا يتبعونها فى أمثال تلك المناسبات ، فى أوطانهم .

وكانت تلك المهرجانات تعقد أيضاً فى مناسبات أخرى ، كالاحتفال بختان الأولاد ، والاحتفال بتوديع المتجهين لأداء فريضة الحج ، ثم الاحتفال باستقبالهم بعد أدائها .

وقد اشتهرت بعض التونسيات والحلبيات بالبراعة فى ترديد أغانى الزفاف والحج (توديعاً واستقبالا) .

وكانت تبذل فى بعض الأحيان ، محاولات مرحة ، لتضمين بعض الأغنيات المصرية جملا لحنية على النمط المغربى أو الشامى .

كما اقتبست الايقاعات التى اشتهر بترديدها أبناء الطريقة العروسية (التونسية الأصل) وأبناء الطريقة السلامية المتفرعة منها (وهى ليبية طرابلسية الأصل) فى مواكب الزفاف ، والتى تتميز خاصة باستخدام الدفوف الكبيرة ، التى تسمى (البنادير) جمع (بندير) وهى كلمة اندلسية الأصل أخذت مع مسماها عن سكان إقليم الباسك .

وكان كل جيل من تلك الأسر العربية المتوطنة ، أكثر انشغالا بأعباء الحياة ، عن ذكريات الماضى من الأجيال السابقة ، فاندمج الجميع تباعاً فى مجتمع المدينة ، وأسهمت ظروف الحرب العالمية الأخيرة وأحداثها ، فى قطع ما بقى من الصلات الواهية ، لبعض أفراد تلك الأسر ـ وخاصة الكهول منهم ـ بأوطانهم الأولى .

ولكنهم ـ مع اندماجهم هذا ـ قد أسهموا بنصيب وافر ، فى تشكيل الملامح العامة للمجتمع الشعبى فى هذه المدينة ، وإكسابه بعض السمات الخاصة التى يتميز بها .

فقد كان للأجيال المتعاقبة من تلك الأسر ، تأثيرها الواضح ، والمتوالى ، فى العادات والمعتقدات والتعابير والمأثورات الشعبية المحلية .

وقد تبين لي بعد ذلك ، ان ما حدث فى الحي الذى ولدت ونشأت فيه ، قد حدث ما يماثله فى كثير من الأحياء الأخرى بالاسكندرية ، ثم ان مدناً كثيرة أخرى ، قد جرى فيها مثلما جرى فى تلك المدينة . ولم أعد أشك فى أن ما حدث فى هذه



استعـــراض البمبوطية .. إنه وغيـره من الأغـــاني والرقصـات الشعبيـة يجعلنـا نبـدو جميعـا كمـا لـو كنـا عائلـــة واحـــدة ..

المدن المصرية قد حدث ما يماثله فى كثير من المدن العربية الأخرى .

وعندما التحقت فى أوائل الخمسينات باعمال الشرطة فى مناطق مختلفة من الريف المصرى ، واجتذبت انتباهى بعض الفوارق فى العادات واللهجات ، واشكال الملابس ، بين أبناء بعض القرى المتجاورة . بل ـ واحيانا ـ بين أبناء الأسر التى تتجاور دورها فى القرية الواحدة ، وشغفت بتقصي أسباب ذلك ، ببحث أصول العائلات التى تشملها تلك الفوارق ، قادنى البحث الى التحقق من انتماء اجيال سابقة لكثير من هذه العائلات الى أقطار عربية مختلفة . وقد صهر الزمان كلا منها فى بوتقة المجتمع المصرى الذى عايشته . وساعد على ذلك حنين الدم العربى الواحد ، الذى ينجذب بعضه ـ تلقائيا ـ نحو البعض الآخر .

● ●

وقد فتح المجتمع المصرى احضانه ـ عبر اجيال عديدة متعاقبة ـ لجماعات كثيرة من ابناء الأمة العربية ، على اختلاف مواطنهم ، عندما وفدوا اليه تحت وطاة ظروف سياسية أو اقتصادية ضاغطة ، أو صراعات قبلية أو عائلية ضارية . كما حضر الكثيرون منهم لترويج المحاصيل والمصنوعات ، التى اشتهرت بانتاجها اوطانهم ، أو للاستعانة بخبراتهم فى انتاج امثالها فى مصر مثلما حدث فى عهد محمد علي من وفود بعض ابناء الأقطار المغربية ـ وخاصة من تونس ـ لاستثمار خبراتهم فى صناعة الطرابيش ، ووفود غيرهم من الأقطار الشامية ، لاستثمار خبراتهم فى زراعة اشجار الفاكهة ، وفى صناعة المنسوجات الحريرية من شرانق دود القز الذى يتغذى من اوراق شجر التوت .

كما تطلبت تلبية احتياجات الجيش ، وأعضاء الأسرة الحاكمة ، وغيرهم من القادة والاعيان من الخيول الأصيلة ، الى وفود كثير من التجار النجديين ووكلائهم ، الذين انشغل بعضهم بتجارة الخيول وانتفع بخبرة البعض الآخر فى العناية بالخيول وتربيتها وترويضها ، وقد استقر بعضهم فى مصر بعد ذلك بعد أن كانوا يترددون عليها من وقت الى آخر .

كما استقر فى مصر كثير من شيوخ الطرق الصوفية ـ مع أسرهم واتباعهم ـ وكانوا يكتفون ـ قبل ذلك ـ بالتردد عليها فى مواسم معينة ، لنشر الدعوة للانضمام الى طرقهم ، أو لاحياء روابط التعارف والتآزر بين الجماعات المتباعدة من أنصارهم ، وتحصيل ما تجمع لديهم من أموال النذور . ثم طاب لهم المقام فى بعض انحاء البلاد وقضوا ما بقى لهم من العمر فيها . ثم صارت أضرحتهم ـ بعد وفاتهم ـ مزارات لأتباعهم من أبناء مصر ، أو من ابناء أوطانهم الأولى ، وغيرها من الأقطار العربية ، وصارت ذرياتهم واتباعهم موضع الاحترام حتى لحقوا بهم .

ويضم تراب مصر أجداث الكثير من أولئك الشيوخ الدعاة ، الذين قدم بعضهم من أقطار المشرق العربى للدعوة الى الطرق الرفاعية ، والنقشبندية ، والسعدية ، والمسلمية ، وقدم البعض الآخر من أقطار المغرب العربى للدعوة الى الطرق التجانية ، والسنوسية ، والشاذلية ، وفروعها كالعروسية والسلامية والمدنية ، كما قدم آخرون من السودان للدعوة الى الطريقة الميرغنية .

وعندما كان المغاربة يسلكون ـ لأداء فريضة الحج ـ طريق الصعيد ، ثم يجتازون البحر الأحمر من ميناء عيذاب ، ذهابا وعودة ، تخلف الكثير من شيوخهم مع افراد أسرهم واتباعهم ، فى بعض أنحائه لأسباب صحية ، أو استجابة لتوسلات المواطنين ، الراغبين فى التبرك بهم . والاستفادة من علمهم ، وأخذ اداب الطريق عنهم ثم ادركتهم الوفاة حيثما اقاموا . وبعد ما يروى وما يغنى به من سير أولئك الشيوخ ، وما يدور من المزاعم حول مآثرهم وكراماتهم ، لونا من ألوان الاداب والفنون الشعبية ، التى تختلط فيها التعابير والايقاعات المصرية ، بما يماثلها فى الأقطار التى قدموا منها . وهناك كثير من العائلات التى تعتز بانتمائها الى أولئك الشيوخ أو الى أتباعهم .

كما استقر فى بعض أنحاء الصعيد ، من بقى على قيد الحياة من الجماعات المسلحة ، التى قدمت من الجزيرة العربية ، عبر البحر الأحمر ، أثناء الاحتلال الفرنسى لمصر ، لتعزيز حركة المقاومة الشعبية التى استهدفت لها قوات الاحتلال فى الصعيد .

وتعي بعض العائلات التى تتوارث العلم بانسابها ، الأصول القبلية أو الموطنية لأجدادها ممن أسهموا فى تلك الحملة .

● ●

تعاودنى هذه الذكريات والحقائق جميعا ، كلما ارتفع صوت أحد المتجاهلين يتساءل ـ بصيغة التحدى والاستنكار ـ عن روابط الشعب المصرى بالشعوب العربية الأخرى .

وإذا كنت أجد فيما كتب كثيرا عن هجرات القبائل العربية الى مصر مع الفتح الاسلامى وبعده ، ما يثبت أصالة هذه الروابط وعراقتها . فانني أجد فيما رويت بعضه من الذكريات والحقائق ، ما يؤكد حيوية هذه الروابط واستمرارها .

وكما ذكرت من قبل ، فقد أدى الاندماج المتوالى لجماعات كبيرة وكثيرة من ابناء الأقطار العربية المختلفة ، فى المجتمعات المصرية ، المدنية والريفية ، الى التأثير ـ باقدار متفاوتة ـ فى العادات والآداب والفنون الشعبية ، الشائعة فى هذه المجتمعات .

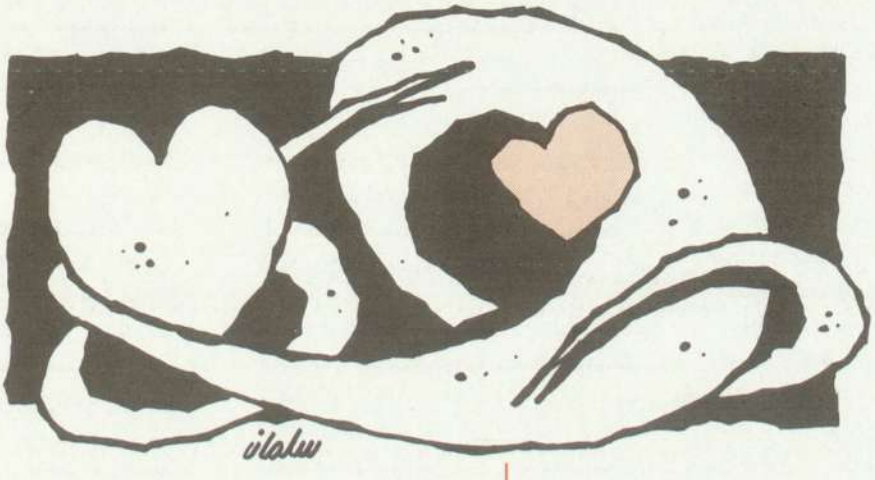
ويتجلى هذا التأثير فى الملابس والأطعمة والأشربة ، وفى الأسماء والألقاب والكنى ، وفى اللهجات والأمثلة والحكايات ، وفى الأغانى والموسيقات والرقصات . وفى أساليب الاحتفال بالمناسبات الاجتماعية (كالزواج والولادة والوفاة) وفى المناسبات الدينية «كالمولد النبوى ، وموالد الأولياء ، وموسم عاشوراء ، وإحياء ليالى رمضان ، والاحتفال بالعيدين ، وتوديع الحجاج واستقبالهم» .

وليس هنالك ما يبرر استبعاد وجود تأثيرات مماثلة ، فى مجتمعات الأوطان العربية الأخرى ، التى تنغلق على نفسها ، والتى لم تنقطع التأثيرات المتبادلة ـ أخذا وعطاء ـ بينها وبين سائر المجتمعات العربية .

ولاشك أننا لو تناولنا العادات والآداب والفنون الشعبية فى مجتمعات الشعوب العربية المختلفة ، بالبحث الذى يجمع بين العمق والشمول ، ويقوم على التأصيل والمقارنة ، لخلصت لنا كثير من الحقائق ، التى تجمع فى النهاية على تأكيد وحدة الوجدان العربى .

نداء العاشق

شعر: حسن طلب



أنا ما أحببتُكِ - لا في الغالبِ
- بل قطُّ
سأُوغلُ في عينيْكِ وأشْتطُّ
ولستُ الآن أُحِبُّكِ - لا تقريباً
- بل قطعيّاً
ساحاولُ في عينيكِ وأنحلُّ جزافيّاً

• • •

ياوجْهَ صبَاباتَ إليَّ إليَّْ
زِدْ زِنَةَ الحزنِ بعينَيَّْ
ياوجهَ صباباتَ تعالَ تعالْ
جِدْ لِي انشودةَ عشقٍ .. وسؤالْ
ياوجهَ صباباتَ هَلُمَّ هلُمْ
لِدْني في الأسْطُورةِ ثُم أمِتْني في الحُلمْ

مَا أحْببتُك قطُّ
فما بالِي الآنَ أُناجيكِ ولستُ أُناجَيُ منكِ ؟

على الشّحطِ أُناديكِ ولستُ أُنادَىٰ منكِ :[1]
تعالَيْ : أُلبسكِ الحالَ اللاّمرْئيَّ وأكْسوكِ
تَعالَيْ : أعْرُوكِ[2]

• • •

سَأُذْكِرُكِ وأُنْسيكِ
وأُظهِرُكِ وأُخفيكِ
تعالَيْ : أفنيْ فيكِ ولا أُفنِيكِ
ولا أُعطَيْ منكِ وأعطيكِ
تَعالَيْ .. سَأُريكِ وأَسْترئيكِ
وأُهديكِ وأَسْتهديكِ
تعالَيْ .. سَأُحَيِّيكِ وأَسْتحييك
وأُصفِيكِ وأَستَصْفِيكِ
تَعالَيْ سأُغنِّيكِ
وأَنسخُ بالشّعرِ معَانيكِ
تعَالي .. سأمْنَيكِ
وأَملأُ بالعطرِ أوانيك

تعالَيْ : أُغْنِيـــكِ وأُدْنيـكِ
وَافنيْ فيـــكِ ، تعالَيْ بأمانِيـــكِ
تعالَيْ بحَكَايـــاكِ وحُلوِ أغانيـــكِ
تعالي بتَوارِيـــخِ شجَـــاكِ
سَـــأَلْعَبُ فوق الشَطِّ وإيّـــاكِ
تعالَيْ بخطايـــاكِ .. سأَهْـــوَاكِ
وأَرسِـمُ فـوق الرَّمـــلِ مُحيّـــاكِ
تعالَيْ .. سأُجـرِّبُ عينيـكِ اللَّيْلَكَتيْنِ
تعالَيْ .. ستجـرِّبُني عيْنـــاكِ
فَلا عاشِـقَ في هذا الزَّمنِ الأبِـقِ إلَّايَ
ولا معشُوقَـــةَ إلَّاكِ
سَـــأَهْواكِ واهـواكِ واهـــواكْ
يَـا وجْهَ صباباتَ إليَّ وَزِدْ
يـا وجْهَ صَبابات تعالَ وَجِدْ
يـا وجهَ صبابات هَلُمَّ وَلِـدْ

• • •

مَازِلتُ أُنـاديكِ على المـــلَأِ :
تعالَيْ كالرَّشَـــأِ
تعالَيْ كاللَّيْـــلَكِ أو كَالْكَـلَأِ
تعالي كالحُمَّىٰ الإفريقيَّـــةِ
أو كالحَمَـأِ
سآخُذُكِ إلى الرِّيِّ من الظمَأِ
تعـــالَيْ :
تِي مَملكةُ العشقِ تُنادينَـــا (٣)
فتعالَيْ نَمْتلِكُ ونتَّـــرِكُ
وَنِي مَعركةُ الشوقِ تُواتِينـا
فتعالَيْ نعتـرِكُ ونَشتبكُ
تعَالي نعرف في الحبِّ جَنانيْنَا
أَيْ نعتـــرِفُ

تعالَيْ نَصِـفُ الحبَّ لذاتيْنَـا
أي نتَّصِـفُ
تعالَيْ نـــعْتكِفُ
فلا عاشـقَ في هذا الزمَـنِ الآبقِ إلَّايَ
ولا إلاكِ الهدفُ
تعالَيْ :
قد نَقِفُ ونقْتطِفُ وناتلفُ ونختَلِفُ ..

• • •

يَـا وجْهَ صبابـــاتَ إليَّ إليْ
زِدْ زِنـــةَ الحـــزنِ بعيـنيْ
يـا وجْهَ صبابـاتَ تعالَ تعالْ
جِدْ لي أُنشودةَ عشقٍ وسؤالْ
يـا وجه صبابـاتَ هـلُمَّ هلمْ
لِدْني في الأُسطورةِ ثم أَمِتني فى الحُلمْ
يـا وجهَ صبابـات إليَّ وزِدْ
يـا وجه صبابات تعالَ وجِدْ
يـا وجه صبابـات هلُمَّ ولِدْ
زِدْ
جِدْ
لِدْ

هوامش

(١) الشحط : البعد ، وكذلك الشحوط ، قال النابغة الذبياني :
فكل قرينة ومقر إلف مفارقه الى الشحط القرين

(٢) اعروك : يقال عراه الشوق ، اي الم به واصابه ، وكذلك : اعتراه .

(٣) تي : اسم اشارة للمفردة المؤنثة ، وكـذلك ذى وذه وتـا .

الوجه الآخر

قصة بقلم : كلثم جبر

مهداه للدكتور « كمال آغا » .الاستاذ بجامعة قطر « مبدع الفكرة الأساسية بهذه القصة » .

(١)

من خلف المرايا المتداخلة واجهت وجهاً آخر لا انتمي إليه ... يسكن مدينة اخرى لم تطاها قدماي يوماً ما .. جدرانها زجاج .. وحجارتها بللورية تتزحلق فوقهما قدماي فاسقط مترنحة متهاوية المرة تلو الاخرى ورغم ذلك لم تطاها قدماي قبل ذلك ...

مددت يدا مرتجفة احاول القبض على تلك الملامح المتجمدة المتعفنة اشدها الى حيث اقيم ولكن نداء اخر ياتي من خلف الضباب يداعب الاحلام الوردية بمخيلتي ويزرع نبتة أمل من مواسمي الجافة .. فانكفىء فوق وجهي الآخر .. وابكي حزناً متراكماً .

(٢)

الوجوه من حولي تبتسم بشماتة غريبة ...

ووجهي الآخر يقبع بينهم ملفعاً باليأس صامتاً .. ينتظر .. عينان تبزغان .. طال الحنين اليها .. إطلالتهما رشفة باردة تندى .. ارضاً جافة تطلب الغيث .. هذا الصمت يحرك مرئية رذاذ الدورق . مرسومة هذه المرئية بالذاكرة .خطت باحرف من نار .. !

خطواتي كتل جليدية تلتصق بالارض حينا وتتزحلق وانا اجاهد مترنحة ان اخطو اكثر وامد يداً مرتعدة الى خالتي ...

ـ كيف انت يابنتي .. ؟

هززت راسي بالايجاب .. مدت خالتي يدين. عانقت وجهي الآخر قطرات حارة اشعر بها فوق صفحته .. نهجت خالتي كثيراً وضمتني الى صدرها طويلا وهمست بحزن ...

ـ سلامتك يابنتي !

يداها ودعت وجهي وجسدي وغادرتا مع قدميها منزلي وتركت السؤال معلقاً فوق شفتي يستصرخ الحزن عن وجه طال الحنين إليه عيناه بعد تحولي من حضنها اتجهتا الى مباشرة .. تلك العينان اللتان احفظهما عن ظهر قلب حينما يحدق من فيها فوق وجهي ويهمس بعمق اعيشه .. « عيناك ووجهك مملكتي ارتع فيهما اقدس وجهك كثدي والدتي حينما كنت طفلا . عيناك نبع ارتشف قطراته حليباً دافئاً كحليب امي .»

اين عيناه اليوم ياخالتي .. ؟

قدماه دبيب صداه يقرع طبول الحزن بداخلي بعدما كان يقرع اجراس الفرح وثوبي الابيض يستصرخ شفتيها كعيني الغائمتين وراء ضباب الاسى وينعي وجوده بين بقية الأثواب الاخرى .. وجوده بدولابي بارد أيعني انوثة هادرة تفتتت تحت قدمي .. وباتت حلماً يراود امسياتي القرميدية . « فى الذاكرة .. يمتزج الثوب الابيض والادثرة البيضاء الضمادات البيضاء .. وصدى الصوت الهادر المتلفع بالبياض من خلف زجاج نظارته يطل على « الطبيب » بنظرة جامدة لا تحوى شيئاً يلقي كلمات مدروسة احفظها جيداً » ..

« ـ الحقيقة ابنتي .. واقع يمارسه الانسان المؤمن . وانت فتاة مؤمنة مثقفة تدركين جيداً ما يعني الايمان بالقضاء والقدر وقدرك ابنتي ان تصابي بهذه الحروق .. ولكن الأمل متواجد طالما أن الفرد يملك المقدرة على اجتياز اية عقبة . »

(٣)

اليوم استمع الى الاصوات المتقطعة وانقاد بخطوات احسبها واثقة .. احسد نفسي عليها .. واحسب انني شيء متحرك أ ينقاد بقوة عجيبة خلف الكلمات المتداخلة يحاول اثبات شيء ماوهو القدرة على اجتياز العقبات ولكن هيهات لهذه الاقدام الثابتة ان تسير فى هذه الارقة ثانية كما كانت من قبل تحمل وجهاً فاتناً مليئاً بالامل .. ولكن اليوم احمل وجها آخر اجتاز به السيقان المتلاصقة والعيون الهادرة الضاحكة والباب الزجاجي واتوجه الى « معمل الكيمياء » فى الكلية .. حيث صدى الكلمات تنبثق من خلف الباب المغلق والرائحة الحمضية تتسلل بهدوء عجيب فتلتصق بثيابي قبل ان ادير مقبض الباب لأدخـل ..

قدماي تخلتا عن ثباتهما وباتتا ترتجفان اشعر بهما ترتجفان . احاول ايقاف هدير الرعدة باعماقي .« المعمل » ورائحته يد اخطبوطية تمتد تضغط على عنقي من خلف الباب المغلق تخنقني .. « ومرئية الدورق » ورذاذه المغلي المتناثر فوق وجهي يتجسد بذهني صورة بشعة تمد انيابها تصرخ بي فارتجف واحس بغليانه حارقاً فوق وجهي واهوي بين الطالبات صارخة ...

ـ « وجهي .. انقذوا وجهي فانا لا املك وجهاً آخر غيره » .. الرائحة القوية المنبثقة من داخل المعمل ووجه استاذى الذى بزغ من خلف الباب المغلق اطاحت بالمرئية من ذهني واعادتني الى واقع وجهي الآخر .. وابتسامة استاذي العريضة هزتني من كابوسي المخيف واقترب مني بوجه دافىء حتضن يدي وهمس بصدق

ـ الحمد لله على سلامتك .

(٤)

ـ اود كوباً من الشاي !

فرحت امي .. وضحك ابى .. وتنهدت اختى براحة عجيبة انطلق هذا الطلب كطلقة مدفع عمت بالفرح ارجاء المنزل ، بكت امى .. عانقها ابى .. وهمس بحب وهو يتجه إلي ...

ـ اريدك دوماً ناطقة مستبشرة .

اشعر كان ثقلا يجثم فوق صدرى واحاول الابتسام جاهدة حتى يعم الفرح منزلى والصوت القوى ياتينى احس به باعماقى مترددا ..

ـ ابنتى هل ستاتين معنا فى منزل خالتك ؟

ـ سافعل .

تجهم وجه امى وانذر بالبكاء والقت نظرة مليئة باللوم على شفتي ابي لكزته بعنف وقادته الى الداخل بعيدا عن مسامعي ...

الحلم بالعينين .. ومرئية الدورق .. والامل .. و ...

ونهضت واقفة متجهة الى غرفتى .. دولابى .. انتقى ثوبا للعشاء اذهب به وابى الى منزل خالتى .

«٥»

اتشبث بذراع ابى بخوف عجيب ... قدماى لم اعد اشعر بهما انى احلق فوق عالم اخر لا اتواجد به .. عيناى غامتا وراء حزن ضبابى .. شلال من الدمع بداخلى اود بكاءه عمرى كله .. اعلم انى ضعيفة وخائفة حتى الموت .. والمواجهة فى حد ذاتها تقتلنى ..

وجه خالتى حزين جدا .. اعرفه جيدا .. يدها المرتجفة احسها ... صدى كلماتها مطارق تهوى بداخلى ...

ـ مرحبا ابنتى تفضلى .. !

هذا الفزع الذى اغتالها لحظة تواجدى لم تتوقعه اعلم ان عينيها لم تتوقعا تواجدى هنا وبنفس اللحظة والمكان الذى يتواجد ابنها فيه ولكنه قدرى فكيف اهرب منه ... وعلي ان اضع حلا لثوبى الابيض المستصرخ انوثتى بين الاثواب الاخرى . خطواتها ترتجف كخطواتى ... تقودنى وابى للداخل . تنحنى حتى تلامس المقعد وقطرات من العرق ترشح من خلال جبهتها المعروقة .. تهمس بحشرجة ..

ـ سادعو احمد .

اتشبث اكثر بيد والدى .. انكسرت نظراتى وانا استمع لخطواته القوية التى تطرق الارض وجله خطواته كخطواتى ووالدته . مد يدا مرتجفة لا تكاد تلامس يدى حتى سحبها ثانية .. همس ونظراته الزائغة ..

ـ الحمد لله على سلامتك .

«٦»

زغردت والدتى .. وبكت .. وعانقتنى .. ونفحت الخدم نقودا .. طلبت نثر الزهور فوق المقاعد وخلفها .. وفتح النوافذ واجابت على تساؤلات الافواه الفاغرة ...

ـ ابنتى .. سوف تتزوج ابن خالتها . احمد عاد وطلبها ثانية بعد الحادثة ..

ابنتى ..

وتواريت قبل سماع البقية فقد كنت اعرفها جيدا وهاتان العينان اللتان احلم بهما فى امسياتي المسهدة باتتا اشد اقترابا سوف يحتويني وهما منزل اخر نقبع به كما كنا نحلم دائما .. سوف .. ناتي باطفال جميلي الطلعة واسعي العيون .. سوف .. و .. الف سوف باتت قريبة جدا .. جدا ...

ولكن .. ؟؟

و .. ثوبى لن يستصرخ انوثتى بعد اليوم فسوف يستقر فوق جسدى بعد ايام .. واجراس الفرح ستبعد قرع طبول الحزن بداخلى . وطبول الفرح سوف تقرع فى منزلى يوم زفافى ...

ستعانق اصابعى يديه .. وسابكى على كتفه واهمس له ...

(احبك كما كنت دائما) ..

ولكن .. ؟؟

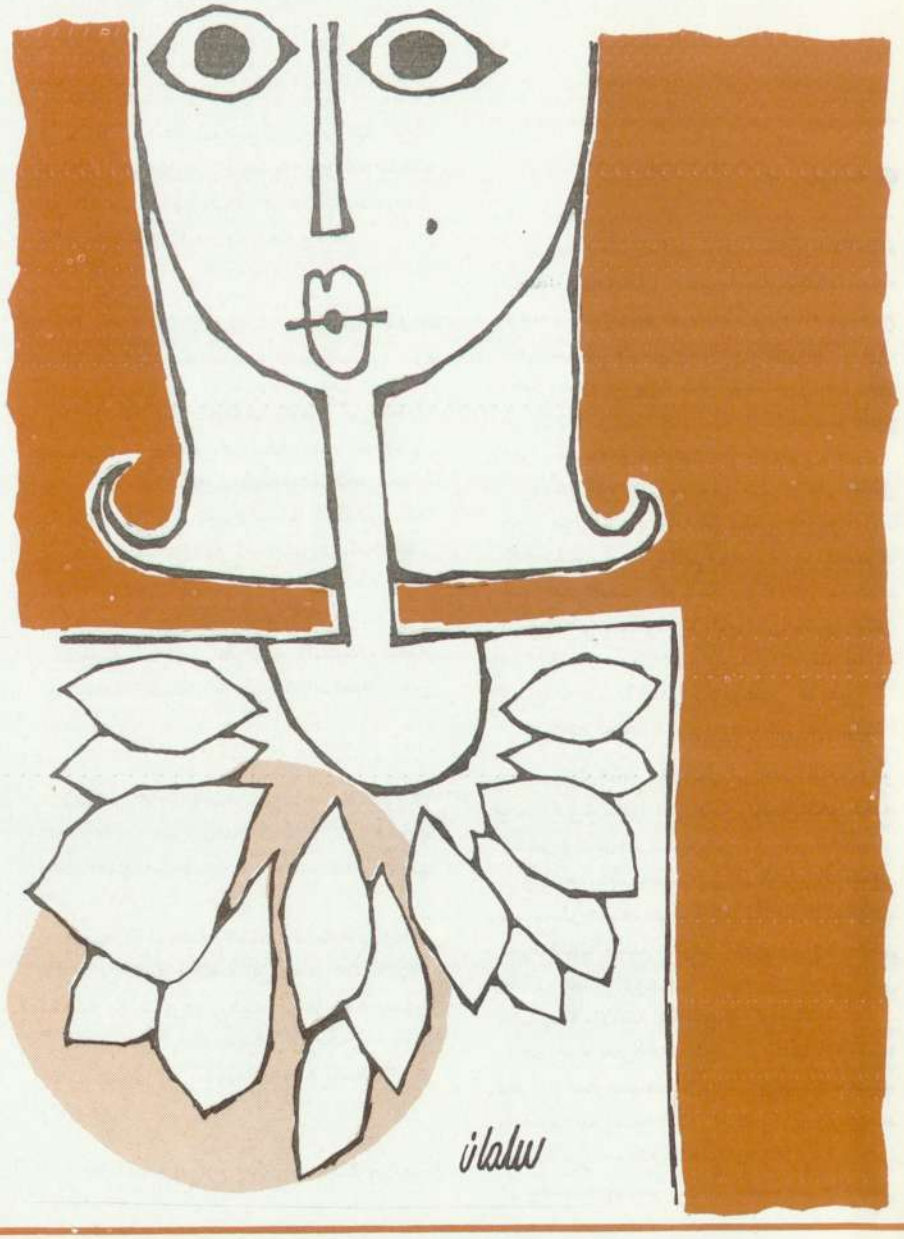
سوف ينسى قصة وجهى المحروق .. ويهمس ثانية (وجهك مملكتى ارتع فيها اقدسه كثدى امى حينما كنت طفلا) .

ولكن .. ؟؟

يداى تفتحان الدولاب .. تخرجان الثوب الابيض .. تجره يدى على الارض يجتاز الباب .. الابواب .. يقف امام والدتى متعجرفا .. جميلا .. نقيا .. كما كنت سابقا ...

اتناول بهدوء عود الثقاب من حضن والدى .. اشعله .. اقربه من الثوب اللهب يعلق به .. يحترق ببطء .. تدهش العيون .. يشتعل الثوب .. تصرخ الافواه .. يشتعل الثوب .. ينتشل من يدى .. يطفا من قبل ايد اخرى تحيط به .. اهمس بحزن ..

ـ لن اتزوج .. امى .. فانا لا املك وجها يعرفه احمد .. انه يخاف وجهى اليوم .. وانا امى .. اعتز بهذا الوجه الآخر .



«كلثم جبر»

محمد عبدالملك

في مجموعته القصصية الثالثة

بقلم: عبـدالله خليفـة



محمد عبد الملك .. قصصه ليست بعيدة عن هموم الناس ولكنها لا تتضمن أبعـادا عميقـة !

● «ثقوب في رئة المدينة» هي المجموعة القصصية الثالثة التي صدرت للقاص والروائي البحريني محمد عبد الملك . وهذه المجموعة ربما كانت لا تمثل تطوراً في مسار الكاتب القصصي ، وربما كانت تاكيداً لحضوره الأدبي الدائم في ساحة القصة البحرينية الجديدة فحسب ، ولكن مرورها في هذه الصحراء النقدية المخيفة يمثل تقاعساً من المهتمين بالأدب في مناقشة ظاهرة جديرة بالتحليل والرصد .

إننا لن نناقش كل أعمال الكاتب الأدبية ، وحتى لن نحلل المجموعة من كافة زواياها ، بل سنختار زاوية صغيرة نطل فيها على هذه القصص ، محاولين من خلال هذه الزاوية أن نلقي نظرة شمولية على إبداع الكاتب المتجسد فيها .

ثمة تفاصيل كثيرة ، ولكننا سنحاول أن نكتشف قانون الظاهرة الأدبية ، لأنه فقط ببحث الجوهري والأساسي يمكن ترتيب كل الجوانب الثانوية والصغيرة الأخرى . وباكتشاف التناقض العميق السائد في المجموعة يمكننا أن نرى جوهر المشكلة الإبداعية المتجسمة في هذا العمل ، وأن نرى أن ثمة آفاق لحلها ، وليس كما قال أحد النقاد عن ابداع محمد عبد الملك انه وصل الى مرحلة الجمود والتكلس ، فقط لأنه لم يجر وراء الشعارات البراقة للشكلية ، وقد ظلت تشده جذوره الراسخة في أرضه ، ورغبته الحارة في التعبير عن قضايا مجتمعه .

سوف نتناول كيفية تشكيل الكاتب لشخصيته الفنية ، باعتبارها قضية محورية ، منطلقين منها الى الرؤية الفكرية التي ساهمت بتشكيل المادة الخام على هذا النحو . وسنرى أنه تشكيل يقع في تعرجات وانكسارات سببها البحث عن الوجه المعبر والحقيقي للانسان . وقد تكون هذه الصيغة أو تلك مجرد محطات للوصول الى أقرب تمثل للوجه البشري ، وقد تكون حيرة ومساراً عفوياً لم يخضع لنور الوعي الساطع . ولكنه في كلا الحالتين يمثل هجس الفنان الدائم لاكتشاف واقعه .

● القديم ●

أغلب قصص المجموعة تنتمي الى أسلوب سابق اتبعه القاص في مجموعتيه السابقتين بوفرة ، وهذا الأسلوب يتسم بخصائص محددة أغلبها تعيق من تطويره لبنائه القصصي . هذا الأسلوب عبارة عن صورة لشخص ما ، تتخذ نفس أبعادها ومقاييسها في الحياة .

وهذه القصص هي :

الرحلة ، الفزاعة ، آخر العمر ، الكارثة ، اللقمة ، تحت سماء المدينة ، ذو الضحكة الذهبية ، الحزن الأخرس .

نجد أن هذه القصص تأخذ حيزاً كبيراً في المجموعة . فهي السائدة كماً ، وأسلوبها وخصائصها هي البارزة في ابداع الكاتب . انها

ليست بعيدة عن هموم الناس وقضاياهم ، ولكنها عبارة عن صور وثائقية عن بعض مشكلاتهم ، منتزعة من جذورها الحية ، ومطروحة بصورة عادية لا تتضمن أبعاداً عميقة ، ولا تحمل اضاءات وظلالا كثيرة ، فهي تتسم بالجمود والضعف الفني والفكري .

علينا الآن أن نقوم بمناقشة أمثلة من هذه القصص .

● الفزاعة ●

في هذه الصورة يقدم المؤلف مسحاً شاملاً للحياة البطل . ملف وثائقي يتناول أسباب وكيفية نشوء مرضه النفسي . فقد شب ونشأ واستقام عوده مع أمه ، التي كانت كل شيء له . وهو مذ عوره منذ البداية . وحين تموت أمه يزداد ذعره وهلعه . وهكذا عاش بين الأحياء والأموات ، يشكو من كل شيء ، وجميع أجزاء جسمه تؤلمه .

وتمضي الصورة في السرد ، الى أن يقرأ البطل خبراً هز كيانه ، فقد قرأ خبراً بوصول أحد الأخصائيين في الأمراض الباطنية ، وهنا استعاد قدرته على التفكير مثل البشر ، وكف عن استخدام الأدوية ، وبدأ يفكر في الذهاب الى الدكتور ، ولكن هذا التفكير تحول الى التردد والاكتفاء بشراء الجريدة التي تتضمن خبر وصول الدكتور .

ثم يقطع الكاتب السرد ، ويقدم خبراً من جريدة ، يتضمن قيام البطل بالدخول الى أحد الفنادق وهو يحمل أدوية كثيرة لكن خدم الفندق ألقوا عليه القبض وأحيل الى مستشفى الأمراض العقلية .

ويتابع الكاتب وضعه في المستشفى ، ثم ننتقل بعدئذ الى حالته بعد خروجه . لقد ظل كل سنوات عمره التالية كئيباً ، غريباً ، مذعوراً . ولا يكتفي الكاتب بهذه الأوصاف العامة بل ينطلق الى تجسيدها بالأمثلة والتفاصيل الدقيقة .

ثم يعرج على ذهابه للوظيفة وكيف هرب منها بعد أن صار مضغة للأفواه ، وهدفاً للسخرية والضرب . ثم أصبح شعور الموت يلازمه ، ويتجسد له في كل شيء ، فانفجرت مشاعره وأمراضه ، وأحب أن يستسلم ويشعر بالأمان فاسترخى وأغمض

عينيه وافترض الموت ، فالعالم يموت ، والحارة تموت . وقد مات فعلا .

هذه هى القصة ، عبارة عن ملف قصير عن إنسان ما ، القاص يتتبع كل الجزئيات وينطلق فى سرد لا قيمة له . لم يصنع حدثا ملتهبا ، جعل البطل فى محوره ، بل قدم سيرة عنه فتتبعه منذ ولادته الى وفاته . ورغم هذا التتبع الطويل فالبطل ليست له أية جوانب أخرى ، غير هـــذا الجانب النفسى البحت ، بل هو يتركز فى عاطفة واحدة لايكاد يخرج منها . «إنسان» لا يحمل فى ذاته أية دلالات أكبر من هذا الواقع النفسى المباشر والمحدود .

وهو ليس انسانا أو شخصية فنية ، لأن الشخصية الفنية ، فى القصة القصيرة ، لابد لها من انتقاء الهام والمؤثر فى بنائها ، وليس كل هذه التفصيلات السقيمة ، ولابد من رؤيتها فى حدث ساخن يكشف نوعيتها ، بايجاز ولمحات فنية كاشفة أما هذا السرد عن حياتها كلها فهو موضوع وليس قصة .

● الكارثة ●

حكاية «الكارثة» صورة أخرى ومباشرة لحدث آخر ، ربما كان فظيعا ولكن الطريقة العادية الفوتغرافية جمدت الحدث ولم تتغلغل فيه . الكاتب يستخدم أسلوب الاثارة منذ البداية .

الممرض فى أقصى لحظات الذهول والدكتور أصيب بدهشة ، وكان سبب ذهولهما هو انطلاق صرخات وأصوات غريبة تندفع من زوايا البهو الخفية . هذه الأصوات كانت نباح كلب أثارت فزعا حقيقيا فتجمهر جمع من المرضى والممرضات والأطباء مذهولين ، واستمر الدكتور حائرا ، ومضى المؤلف فى الضرب على وتر الفزع والدهشة فى تطويل وتكرار مملين ، الى أن تتضح الصورة ، ويدخل الجسم الغريب سائرا على أربع مجتازا المسافة الفاصلة بين البهو وغرفة العيادة . انه رجل ذو حواجب طويلة ، وشعر طويل أشعث ، وهيئة قذرة ويمضى الكاتب فى رصف التفاصيل الصغيرة ، واحداث جو من التساؤل والاستغراب الذى لا ينجح بسبب كثرة الالحاح ، وتنكشف حالة الرجل ـ الكلب من خلال حديث الأخ الأكبر ، الذى يقوم بذكر تاريخ الحالة هذا الكلب كان انسانا يوما ما . كان فى الثلاثين ، قبيحا ، مكروها من النساء ، وقد راح يحبو على أربع مع الكلاب خارج المزرعة ، وحين اندمج فى الجماعة الحيوانية تعرض لضرب أخيه ، وفقد النطق ـ أيضا ـ حين شاهد عاملا يعمل معه يسقط من مرتفع . وجىء به أخيرا الى هذا المستشفى كى يمنح الحرية فى عالم المجانين ، كما قال الدكتور .

الصـــــورة الفوتغرافيـــة ذات العناصر الميلودرامية لم تتوهج بحرارة الحياة ، فقد صارت نقلا مباشرا . لم يتحول الأبطال المصورون فيه الى نماذج قوية ، حية ، فقد نقلوا آليا من الواقع ، دون اعادة الخلق .

البطل له مشكلة خاصة ، ووضع محدد ، غير أننا نجهل تكوينه النفسى العميق ، الذى هو وحده يجعله شخصية حية . اننا عرفناه كحالة ، شخصية من الخارج . لأن الكاتب اختار لحظة فقدانه الوعى ليتكلم عنه ، وحينئذ ، فى جو الاستعراض السائد فى القصة ، لم نقابله . ان تشكيل القصة بهذه الصورة أدى الى التركيز على غرابة الحادث وصار الدكتور والممرضون والأخ أدوات لخلق هذا الموقف غير المفيد فنيا . فكل هذا التصميم الهش لم يكشف «الانسان» . بقى كل ذلك زخرفة وديكورا خارجيا لأنه خارج بؤرة الحدث الحقيقى .

ليس مهما جلبه الى مستشفى وإثارة كل هذه الجلبة ، المهم هو اكتشاف لقطة أخرى هامة وحاسمة تكشف القاع الذى وصل اليه البطل . وهذه اللقطة ستكون قبل أن يفقد وعيه ، فى أثناء صراعه مع عوامل الظلام والجنون ، لقطة ربما كانت صغيرة وبلا نباح مستمر ودكتور ذاهل ، لكنها ستتغلغل فى تكوينه النفسى وصراعه . حينئذ تترتب الجزئيات بشكل آخر ، لها ظلال تقربه من الجنون ، ولها ظلال تكشف واقعه ، ولها ظلال تكشف مقاومته وصراعه ضد الجنون والواقع المرير ، ولن يكتفى الكاتب فى هذا التشكيل بالواقع المباشر بل سوف يعيد تكوين البطل والواقع تماما .

فى القصتين الســـــابقتين نرى البطلين الرئيسيين فى مستوى متدن تماما ، فكلاهما مريض ، ولم تكن لهما أية قدرات خلاقة ، متحددان فى شىء ضيق خاص ، سلبيان ، لا نجد فيهما ملامح العلاقات الاجتماعية التى كونتهما ، ولا يحملان أية صفات عامة .

● الرحلة ●

وملامح «مرجان السعيد» تبدو غامضة أيضا فى هذه القصة ، صحيح أننا نرى قامته الافريقية الطويلة ، وسحنة وجهه المغبرة الأبنوســـية ، ولحيته البيضاء ، وطوله ، ونظراته . إلا أننا لم نقترب من أعماقه ، تبدو صورته من بعيد ، يتحدث عن شخص لا نعرفه ، وهو الراوى الدائم الحضور ، أى القصاص نفسه ، الذى يستقى أخباره وحكاياته من أحاديث الناس ، فيتحول الى ضمير جماعى مبهم ، يفتقد المبررات الفنية لوجوده . إن مرجان السعيد يظل شخصية غامضة ، ليس بسبب صمته فحسب ، بل لطريقة نظرة الكاتب اليه . فهو مادة خام ، لم يعالج معالجة فنية مبتكرة ، تكسر هذه العزلة التى يعيشها عن القارىء ، كما يعيشها عن أهل حارته .

تفاصيل الوجه عديدة ، وعاداته المختلفة أكثر ، ولا يكتفى القاص بذلك بل يقحم شخصية بدران الحسينى كراوية للحدث الرئيسى فى القصة . البداية كانت الضمير الفردى ـ الجماعى الذى يروى الحكايات ويعرف التفاصيل الدقيقة عن الحارة ، ثم يظهر بدران الحسينى كراوية آخر ومحدد للحكاية . إن هذه الجزئية تبدو كاقتحام ونتوء فى البنية الفنية لاننا يجب أن نرى الحكاية منذ البداية من خلال عدسة هذا الراوية الشعبى حتى تحدث الوحدة العضوية للبناء . اننا عبر بدران ، الشخصية الفنية الجديدة يجب أن نرى البطل ، ملامحه ، أعماقه ، وعبر هذه الرؤية سنلمح كيفية رؤية الراوى للحدث ، فنكتشف نوعيته أيضا لتظهر حينئذ علاقة حية بين الشخصيتين ، ويتحول الراوى من مشجب يروى على لسانه الحدث ، الى شخصية مشاركة فى البنية الفنية المتكاملة .

الكاتب يحول القصة الى سرد لتاريخ حياة ، فى الوقت الذى يجب أن تساهم التفاصيل الصغيرة والاسترجاعات الزمنية فى القاء الضوء على الحدث البؤرة . بهذا التركيز وبعدم تفريغ الشخصية من جذورها الاجتماعية ، من الممكن أن نلتقى بشخصية حية وقصة عميقة .

إن مرجان السعيد يفتقد هذا التركيز . إن القصة مكونة من حدثين رئيسيين . الأول هو لحظة انقاذه للبحار الآخر من براثن الموت وانياب النوخذا وهى لحظة مفعمة بالشجاعة والبطولة الفردية . والحدث الثانى هو رحلته الى الشمال وانضمامه الى جيش الحلفاء واحتفاظه برصاصة فى صدره من الحرب وهى لحظة أخرى لا تضيف شيئا الى الحكاية الأولى . ومن الممكن أن تضاف اليها عشرات الجزئيات الأخرى ، وتظل هذه الاضافات مجرد تراكم لا يضيف شيئا الى ملامح الشخصية ، مع افتقاد الحدث .. البؤرة . بالاضافة الى أن هذا التراكم يسلب القصة القصيرة طابعها النوعى ، ويحيلها الى الريبورتاج أو التاريخ أو أى شىء آخر .

إن اللحظة الرئيسية ، وهى لحظة «الغوص» هى فقط التى تعطينا الخيوط الرئيسية كلها . وكان من المفترض أن تأتى التفاصيل والجزئيات لتعطيها سطوعا وبريقا ، ومن خلال تعبيرات الراوية ، لتتركز كلها حول الحدث والشخصية ونموهما .

والبطل أيضا ، انسان لم يتوضح توجهه الاجتماعى كذلك . فهو فى غمرة فعل سريع مفاجىء ، لم نتحسس نموه وتشكله ، ينقذ البحار ويجبر النواخذا على الاستجابة لطلب العودة الى البر .

محمد عبدالملك

في مجموعته القصصية الثالثة

في الوقت الذى يقف فيه البحارة الآخرون عاجزين عن الفعل . إن هذه البطولة الفردية لم تتطور الى شيء آخر أنضج ، فالكاتب يقود بطله الى ممر آخر ، ليس فيه نمو للفكرة والحدث ، ونجهل دواعيه ومبرراته .

إن عرض الجزئيات لم يستند الى رؤية ترصفها بشكل معين وخاص ، لتجسد وتخلق بلحم ودم رؤية فكرية عميقة الى الحياة .

نستنتج من ذلك خلل البنية الفنية وتضارب عناصرها ، مما أدى الى عدم خلق الشخصية .

● اللقمة ●

الوصف الطبيعى فى هذه القصة لا يأتى تمهيداً للحدث ، ولا يلعب دوراً فى تنمية الحدث أو الشخصية ، فهو ليس من صلب البنية ، لهذا يأتى خارج وعى الشخصية ، فلا يكشف لنا المؤلف عن نظرة هؤلاء البشر الى الطبيعة ، انه وصفه هو ، وهو وصف خارج نيران الحدث .

إذ الوصف الطبيعى والذكريات والحدث الآنى لا تتمازج جدلياً ، ان كل عنصر يقف فى مكانه المحدد ، غير قادر على التفاعل المشترك ، لتكوين البنية الحديثة للقصة القصيرة .

إن مرزوق ، البطل ، لا يكاد يرى إلا اللوح الخشبى الذى يسير فوقه وهو يحمل كيس الرز الثقيل لتوصيله الى الرصيف . وعندما يهتز هزات عنيفة ويندفع فى انحناءة مفاجئة الى الأمام ، تتركز كل حركته من أجل أن يصل الى الرصيف . الحمالون يدعونه بحماس الى القاء الكيس فى البحر ولكنه يصمم على الوصول الى هدفه .

ويقطع المؤلف الحدث ، ويجمد مرزوق عند نقطته الدرامية تلك ، ليؤرخ لحياته . مقدماً كلمات عامة عن تاريخه . ان العودة الى الماضى لا تأتى من خلال وعيه ، فهى لا تلون اللحظة المأزومة ، معطية إياها أبعادا وأعماقا ، متفاعلة مع الحدث الآنى ، والطبيعة والبحر والسفن والبشر ، بل هى قطع غير جدلى ، تعبر عن رؤية سكونية لكل هذه العناصر .

ثم يعود الكاتب للحدث . ويستمر مرزوق فى التحدى ، ان نظرات الفزع تحيط به ، وينطلق صوت من الحشد ينبىء بانه لن يصل الى الأرض حياً ، عندئذ يقف مرزوق ويلقى نظرة تحد ويستمر . ويبدو البطل تحت وطأة الاهتزاز كأنه شجرة عزلاء تغزوها ريح عاصفة . ولكنه يصل . فترتفع الاصوات ضاجة بالتحية ، وترمى أغطية الرؤوس فى الهواء بفرح . وهنا يقرر المؤلف : ولكن مرزوق لم يعد فتى ، لقد سلبته الحياة كل شيء . ان مثل هذه الجمل إضافات غريبة على البنية الفنية ، إن المؤلف أمام الانتصار الصعب الذى أحدثه مرزوق يجد نفسه مدفوعاً لتقرير النتيجة الحقيقية للحدث ، عوضاً من أن تأتى هذه النتيجة من خلال الحدث نفسه .

وبالفعل يحس الحمال العجوز بالانطفاء . ويظل الحمالون يشيعونه بنظرة وداع أخيرة .

البطل شخصية فردية ، يحيا حياته بتفاعل ضئيل مع الآخرين ، فيبقى وحيداً فى صراعه مع الحياة . ان هذه العزلة الغريبة تعكس التجزؤ والانفصال فى رؤية الكاتب . لقد التقطت هذه الرؤية الحدث ، ولم تنمه بماض خلاق ، تركزت حول اللحظة الصغيرة وحول مرزوق الى شخص بلا علاقات حميمة مع الآخرين ، وحتماً توصل هذه النظرة الى بقائه وحده .

● تحت سماء المدينة ●

نجد الوصف يتسع فى هذه القصة ، ولا يكون الكاتب حدثاً ساخناً تنهمر الدلالات من خلاله . انها صورة بحار ابتعد عن البحر ، والقسم الأعظم من هذه الصورة هو فى تفصيل أسباب هذا الابتعاد وأسباب التالف السابق .

نحن نطل على البطل من خلال الضمير الجماعى المتغلغل دائماً فى الحارة ، فقد كنا نراه واقفاً والشراع فوق صدر القارب وهو يتوغل فى سواد الليل أو تحت ضوء القمر ، ومع خيوط الضوء الأولى عند الفجر . وكان الكثيرون من الرجال قد ذابوا فى المدينة وتناثروا فى المبانى الكثيرة ، وارتدوا ملابس غير ملابسهم ولكن بقى جبران الى أن غدر البحر . اننا لا نعرف الصورة الحقيقية لهذا الغدر ، غير أن جبران انتزع بقوة قدرية غامضة ، فأمتصته المدينة وبدأ رحلته نحوها .

لا نجد الحادثة المتنامية المبنية بناء فنياً بل نجد صورة عادية لرجل تغيرت مهنته السابقة ثم اتجه الى عمل آخر ، فاتجه الى المكاتب ورأى الآلات لا يعرفها ، وجلس على مقعد لأول مرة فى حياته ! وانضم الى شركة مقاولات فاصبح عاملا . وكان الضمير الجماعى ينتظره ، انهم يتخوفون من تحوله الى شخص يلبس البدلة الكاكية ، وحين يغدو عاملا يغمرهم شعور بالنشوة وتمتد قاماتهم عالياً .

إن هذه الصورة البسيطة ـ ككل الصور ـ بعيدة عن البنية القصصية ، فالحدث المطول عن علاقة جبران بالبحر قاد القصة الى التاريخ . لم يضع الكاتب البطل وجهاً لوجه مع الواقع ، لم يشكله فى الحدث ، قام بسرد عام عنه ، وككل الأبطال الذين من هذا النوع لم نتعرف على ملامحه النفسية ، على تعبيراته الخاصة ، على هواجسه وطموحاته ، بدا بعيداً ، بدا كصدى باهت لمشكلة اجتماعية معينة ، دون أن يكون شخصية حقيقية .

ان هذا التشكيل الاخبارى الوثائقى يعدم الشخصية تماماً كالتحليل المجرد أو السريالى الغرائبى الذى لا يعتنى بالملموس والخاص .

البطل يواجه المدينة عامة ، يواجهها كشيء مجرد ، كقوة غير مفهومة ومطلقة . انه فرد وحيد يواجه تغيرات اقتصادية واجتماعية غير معروفة لدية . صحيح ان الضمير يعضده ، ويتعاطف معه ، لكنه تعاطف خارجى ، غير نابع من العلاقات الداخلية فى القصة .

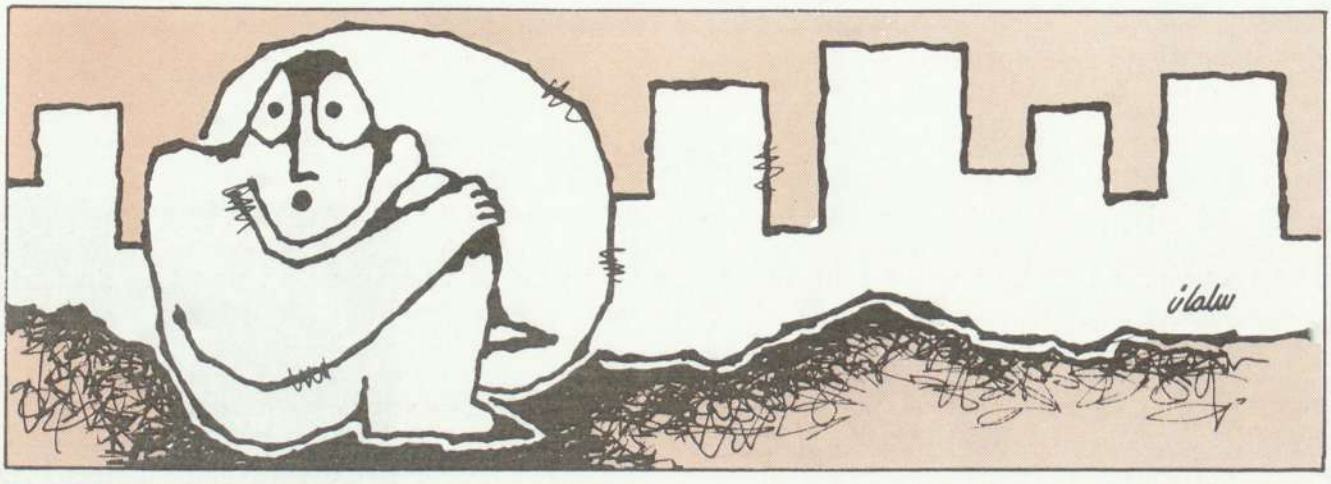
« والوعى » الذى « يمتلكه » جبران لا ينمو ، لا تتكشف له المدينة على حقيقتها ، لا يدرك القوى السائدة فيها ، لا يلمح القوى التى تقف معه . هو فرد مفرغ من التجربة الخصوصية والنظرة والموقف .

الأسلوب الاخبارى الوثائقى غير قادر على اكتشاف اعماق الشخصية وخصوصياتها ، اسلوب يقف عند الخارج ، ولا يتوغل فى المادة البشرية الساخنة . والجمل الشاعرية الجميلة حين ترفرف فى هذا الاسلوب ، لا تساعد على الاغناء . بل على العكس ، تجعل القفز على الحدث المتطور أمراً هينا . إن كل كلمة ، منذ البداية ، يجب أن ترصد الحدث والبطل فى تفاعلهما المستمر المتنامى ، لا أن تلغى الحدث .

ولهذا تبدو مثل هذه الصور مجرد استكشافات لأعمال فنية لم تتم بعد . ان الطريقة التشكيلية تعتمد على « النسخ » . فالبطل لا يمتلك الأبعاد الفنية والفكرية المتطورة ، لا يزال كعلامة تدل على شيء خارجى قريب . المسافة بين البطل والواقع المباشر قصيرة جدا ، لهذا لا يمتلك هذا البطل دلالات متعددة وغنية ، فهو محدود ضئيل .

بمعنى آخر ، ان طريقة الانعكاس الية وليست معقدة ومتطورة . فغدا الفن انعكاساً مباشراً للواقع ، وليس انعكاساً يمتلك استقلاله النسبى ، وله قوانينه الخاصة .

قوانين خلق الشخصية الفنية لا تعتمد على النسخ ، ولا النقل ولا التكرار ، بل هى اعادة



خلق للشخصية الواقعية حسب المنظور الفنى الذى يمتلكه الكاتب ، ويفود النسخ الى تشوه الشخصية الواقعية الحقيقية ، بعدم ثراء وخصب وواقعة الشخصية الفنية ، فتسقط على صعيد الفن والواقع .

● تحول ●

رأينا كيف خلق الكاتب ابطـــالا ذوى ابعاد ملموسة مباشرة ، لا يتجاوزونها الى ملامح فكرية عامة ، وهذا الضعف الأساسى فى قصصه ، يحاول الكاتب ان يخرج منه ، فيطرح ابطالا جددا ، يحملون دلالات غنية ولا يقفون عند هذا الواقع الملموس والمحدود .
ولكن كيف تم الانتقال ؟

● القمر وجهه أزرق ●

الحارة فى هذه القصـــة ، اسمهـــا حـــارة الذهب . تنقسم ليس بشكل اجتماعى ، ولكن بشكل غريب . فعوض الريحان يقف فى جهـــة ، وقبة « سواد » الحارة يقف فى جهة ثانية . ليس بينهما تعارض طبقى ، فهذه التكوينات المختلفة غائبة عن الحضور المباشر فى اللوحة المشكلة .
إن عوض ليس شخصية عادية أو نموذجية ، انه يرتفع الى مستوى الرمز المباشر ، دون أن يكون أولا وكحلقة تمهيدية كشخصية من لحم ودم . وهذا الارتفاع أو التجاوز عنصر تجريدى ضمر للتكون النموذجى للشخصية .

إنه يغنى ، ويركع ، ويأكل وينام مثلنا . ولكن كيف وأين ينام ؟ ذلك سر لم يكشفه أحد . رغم بعض الأقاويل التى تنتشر عنه والتى تقول انه ينام فى خرابة الجن .

إن اهمية عوض تظهر حين تنقسم الحارة اجتماعيا . فقد اقبل الغريب فوق حصان غريب وتحدث بلغة غريبة ، فصدأ الذهب ، وصدأت القلوب .

والغريب أيضا بلا تشكيلة محددة ، ويبقى كرمز مباشر ، مثله مثل البطل .

إن انقسام الحارة أدى الى التشوه الجسدى والروحى لسكانها ، وقد سرق القمر من السماء ، كرمز مباشر آخر وواضح ، مما أدى الى أن يقوم عوض الريحان بمهمته : إعادة النور واعادة الوحدة المفقودة الى الحارة واعادة التكوين الرائع والجميل للبشر .

وحركة القصة هى قصة بحث البطل ذى الملامح المجردة عن هذا النور الغامر ، فسافر الريحان خلف الزمان والمكان ، وطرق الأبواب ، وغاب فى المدن والأزقة والموانىء والحانات ، وشكل علاقة تختلج بالحياة والتدفق مع سكان الوادى الأخضر ، ثم عاد مجددا الى حارة الذهب فرأى البشر « ينامون ، يقفون ، ويثبون كالضفادع ، لا حكايات ، لا شواطىء ، لا غناء لا عود لا طرب » فلم يلبث ان اندفع فى رحلته المثيرة ، وغدا أسطورة تبعث فى الحارة الدهشة وليس الفعل .

إن التناقض الذى تشكل فى سطر واحد بين الغريب والحارة تلاشى ، وبقى المشوهون فى حالة عجز كامل ، بينما تركز الفعل والبحث والتحول عند البطل الفرد ، فهو الذى سوف يجلب النور أخيرا ، ليشعر الناس باطرافهم تتشكل من جديد ، ولتتوقد جمرة الفرح أخيرا .

إذن ملامح البطل المجردة نتاج الموقف الفنى الذى شكل اللوحة بهذه الأبعاد والزوايا . إن الرؤية الفردية أعطت اهتماما رئيسيا للبطل فى رحلته خارج الصراع المحدد فى الحارة . فلم يعد البطل شخصية من لحم ودم ، وفى علاقة وثيقة مع الناس ، وفى موقف صراع ساخن مع الغريب ، بل هو قناع ورمز للبطل الاسطورة .

إن رؤية الكاتب الفردية اعتمدت على العناصر السريالية لتتشكل بهذه الطريقة ، فابتعدت الشخصية عن ان تكون نموذجا ، ولجت فى المجرد والخارق ، فقد شاهد أهل الحارة عوض الريحان يعبر كالانبياء تحت ضوء القمر ، لقد أعطاهم الضوء والفرح كأى رجل خارق ، بينما ظل الناس أدوات ومواد خام للأبطال والنخبة ، يصوغون لهم ، أو منهم ، التاريخ والحياة .

إن الرؤية الفردية باستخدامها هذه العناصر السريالية أدت الى تدمير الشخصية الواقعية ، قطعت الامكانيات الكبيرة الناتجة من التفاعل الخصب بين البطل والآخرين ، بين الشخصية والواقع . وعوضا عن أن يتفجر صراع بين أهل الحارة والغريب ، اندس الغريب فى زوايـــا الاهمال ، وبدأ بحث أسطورى خارج الأرض الملتهبة ، لنفقد بالتالى الحل الحقيقى للصراع ، وتكونت شخصية البطل تكونا واقعيا .

عبد الله خليفة

بقية الدراسه
فى العدد القادم

جمال قطب

رينوار

بين جمال الطبيعة وبهجة الحياة



أوجست رينوار

عندما يذكر اسم (أوجست رينوار) أو **(كلود مونيه) فانما يتمثل في الأذهان مجموعة** الشبان الفنانين الذين اسسوا تلك الحركة الفنية المتحررة والتى سميت فيما بعد بالتأثيرية . كان لقاؤهم فى مقهى (جيربوا) بباريس حيث كانوا يجتمعون فى حلقة كبيرة حول الفنانين الرائدين يلقيان عليهم تعاليمهما وآراءهما الجديدة .. وقد سجل الفنان (فانتان لاتور) فى لوحته الشهيرة (مرسم باتينيول) ذكرى هذه اللقاءات وصور أبرز شخصيات تلك الجماعة : مانية ، رينوار مونيه ، بازيل ، إميل زولا .. وغيرهم !

وليس غريباً أن تقود هذه المجموعة حركة **التحرر** في الفن العالمى الحديث وقد قدم رينوار من بلدته (ليموج) الى باريس ليدرس الرسم فى إحدى أكاديمياتها حيث اتيح له لقاء مونيه وسيزلى وبازيل وفى صحبتهم عرف مجموعة مقهى الجيربوا ، وقدر له أن يشارك فى صنع هذا **التحول** العظيم . وعاش رينوار فى رفقة (بازيل) يقاسمه مرسمه فى الباتينيول ، ويقضيان الليل في نقاش لا ينقطع مع أهل الفن والفكر والأدب والشعر والسياسة . وبموت بازيل فى الحرب السبعينية هجر الفنانون مقهى الجيربوا ، الذى خيم عليه جو من الكآبة والقتامة ، وتفرقوا فى حى البيجال الى أن جمعهم مرة أخرى مقهى (أثينا الجديدة) وقدر لهذا المقهى **ان يدخل التاريخ حيث امه الفنانون الاحرار** الهائمون بجمال الطبيعة ونور الشمس والتعبير الساخن عن الضوء والدفء والحياة ! وفى هذا المقهى كان **يجلس** فناننا رينوار الذى تعرف فيه على (ديران رييل) وهو من أشهر تجار اللوحات فى باريس وأحد خبراء الفن المرموقين فى العالم أجمع .. وكان للصداقة التى تربطهما أكبر الأثر فى تألق رينوار وتشجيعه وتألق أسلوبه المعبر عن الشكل الانسانى .. وهو تخصص صعب بالنسبة لزملائه (التأثيريين) الذين برعوا فى رسم المناظر الطبيعية .

وكما لعبت (مدام ريكاميه) أهم الأدوار فى حياة فنانى عصر الامبراطورية ، نجد أن الفنانة (بيرت موريسو) قد قامت بنفس الدور مع مجموعة التأثيريين وحركتهم الجديدة .

وكان معرضهم الأول عام ١٨٧٤ حدثاً ذا أهمية بالغة .. فقد أفرز فناً متحرراً من القيود الأكاديمية **وكلاسيكيات** القرون الماضية .. وقاد الى المذاهب ذات الطابع الخاص من رمزية ووحشية وتكعيبية وتجريدية .. الى أن تكونت السيريالية التى تعبر عن عالم الاحلام واللاشعور والغوص فى الدراسات النفسية والفلسفية .

نعود الى رينوار لنجد أن الصور الشخصية عنده غالباً ما عبرت عن بهجة الحياة ووضاءة وجمال المرأة .. فقد كان الفن فى نظره ـ قبل كل شىء ـ صناعة بارعة وصياغة مبهرة .. ولم يؤمن كثيراً بالنظريات والغوص فى الفلسفة المستترة لتلك المنظورات ! وكان يلائم ببراعة بين الواقع والالهام والوجدان .. حيث نرى فى ابداعاته تجسيداً وصوراً حسية وضاءة تزخر بالحياة ليس فيها افراط فى الرومانسية الأدبية ولا جفاف المذاهب الواقعيه .. وهذه هى عبقرية رينوار الفذة المعجزة .

وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة حمل الى متحف اللوفر ليملأ أنظاره بلوحاته الرائعة ، لتكون آخر متعة له فى الحياة . ومات رينوار عام ١٩١٩ عن ثمانية وسبعين عاماً مثمرة أنجز خلالها أكثر من خمسة الاف لوحة .. تعمر بها متاحف العالم وقاعاته وبيوتاته ومعارضه .. ولاتقدر اليوم بثمن ! وإذا ما رأينا اليوم لوحة لرينوار ، وبخاصة تلك اللوحات التى يمثل فيها جمال المرأة وايحاءاته الملهمة .. يتمثل فى وجداننا أبرع مبدعى الفن الحديث ممن وهبوا أنفسهم لابراز الطبيعة وجمالياتها الرائعة والتغنى بالمرأة وعالمها الساحر كرمز من رموز العطاء والالهام الدائم فى الحياة .

جمال قطب



فتاة .. للفنان الفرنسي أوجست رينوار

جمال الغيطاني

باريس

عاصمة النور والفن والسياسة والحرية



قوس النصر .. الذى يلامس زرقة السماء .

« .. باريس للمرة الأولى .

كان ذلك فى عام ١٩٧٩ . ما أسرع مرور الزمن ، فقد مضى ثلاث سنوات كاملة منذ ذلك الحين ، وخلال هذه الفترة ترددت على باريس خمس مرات ، وفى كل مرة كنت اقضى مدة تتراوح بين خمسة عشر يوماً ، وشهراً ، وكانت الزيارة الأخيرة فى فبراير الماضى ، كنت شأن معظم ابناء جيلى ، لم تتح لنا فرصة التعليم فى أوروبا الغربية كما اتيحت لعدد من كتاب الأجيال الماضية الذين كانت ظروف أسرهم تسمح بارسالهم الى الغرب على نفقتهم ، او من خلال البعثات الدراسية .

مقاهى باريس

باريس مدينة تستقر بالقرب من سقف العالم ، تلك السماء المفتوحة ، المضيئة ، حتى فى ايامها الشتوية ، الرصاصية اللون ، تذكرك بعبارة « مدينة النور » ، هذا الوصف الذى قرأناه فى لغتنا العربية مراراً ، فى النهار يتدفق الضوء حتى الى الشوارع الضيقة .

وفى الليل تتلألأ المدينة بالأضواء الصاخبة ، الطرق ، المبانى الآثار التاريخية وان كانوا أخيراً بدأوا فى اطفاء العديد من هذه الأضواء قبل منتصف الليل توفيراً للطاقة ، وهكذا يتحول برج ايفل الى شبح هائل فى الظلام تلمع فوقه لمبة حمراء لتحذر الطائرات المقتربة فقط .

فى الزيارة الأولى التقيت بالصديق الكبير احمد بهاء الدين ، قال لى ضاحكاً .

ـ لكم أود ان اسمع انطباعاتك عن باريس ..

كان يعرف القاهرى القديم الكامن فى اعماقى ، والذى يرى هذا العالم الفسيح بعين ابن الجمالية ، وقصر الشوق ، وصحبته طويلا خلال شوارع الحى اللاتينى ، والمقاهى ، لقد كان دخولى الى باريس ، وجواز مرورى الى قلب المدينة ، أو جواز مرورها الى قلبى ، تلك المقاهى ، عندما تجولت فى لندن ، شعرت بان ثمة شيئاً ينقصنى ، شىء مبهم غامض ، ثم عرفته فى باريس ، لندن مدينة بلا مقاهى ، والمقهى عندى يعنى الرصيف والونسة والفرجة على العالم ، والرائح والغادى ، صحيح أن الانجليزى له عالم خاص ، ولكنه مغلق ، مفتوح الى الداخل ، والزبائن فيه يتبادلون الحديث أو يصمتون ، ولكنهم يقفون ولا يجلسون ، القاعدة هناك الوقوف وكثيراً ما كنت اتامل احد الانجليز ، يمسك بكوبه الضخم ، ويقف وحيداً ، صامتاً ، ينقل ثقل جسمه من ساق الى أخرى ، بينما يحملق الى الفراغ ، أو ينظر الى بعض المتحدثين بينما تتغير ملامح وجهه من حين إلى حين ، وكأنه يشيل كهم الحديث بالنظر ، واحياناً تجىء فتاة فتجلس فى ركن معتم قليلا ، وتشرب بسرعة من فنجان



داخل متاحف باريس تلمس مدى الحرص على التراث الانساني

القهوة ، وتقلب مجلة بسرعة ، ثم تمضى . في باريس يختلف الامر ، فثمة عدد كبير من المقاهى ، تمد فى الصيف مقاعدها فى العراء ، وفى الشتاء يرى الجالسون فيها المارة من خلال حاجز زجاجى شفاف انيق ، المقاهى الباريسية انيقة جدا ، خاصة تلك التى تقع فى الشانزليزية ، ومونبارناس ، وميدان الاوبرا ، كثيرا ما قرأت مقالات عديدة لكتابنا حول تلك المقاهى ، وقد امدتنى بامكانية الجلوس فوق الرصيف ، والتطلع الى المارة ، او لقاء بعض الاصدقاء ، ولكن فيما عدا ذلك فقد ازداد حنينى الى المقهى العربى ، فى القاهرة اعتدت ارتياد عدد من المقاهى ، الزبائن يعرفون بعضهم ، وصاحب المقهى يبلغ رسالة من هذا لذاك ، ويستفسر عن زبون اختفى اياما ، بالطبع اتحدث عن المقاهى القديمة العريقة . فى المقهى القاهرى يمكن للزبون ان يقضى ساعات طوالا لم يتناول فيها الا مشروبا واحدا ، شاى قهوة ، نرجيلة ، يمكنه ان يشترى طعاما من مطعم مجاور ويأكل ، وبمجرد ان يلمح الجرسون لفافة الطعام يأتى على الفور باكواب المياه ، ولكن فى مقاهى باريس يختلف الأمر ، فالفترة الزمنية التى يقضيها الجالس لابد ان تصاحبها نسبة معقولة فى عدد الطلبات ، والمقاعد الأنيقة جدا ـ معظمها يتخلله الخيزران ومذهبة ـ مصفوفة بحيث ان كل الجالسين ينظرون الى الامام مباشرة ، ولايتواجهون ، اما الجرسون نفسه فمنظره انيق ، باختصار «بك» ، ولاحظت ان نوبات عملهم تتغير كل ساعتين تقريبا ، اين ذلك من مقاهينا نحن ، حيث تمتد النوبة الى اثنتى عشرة ساعة ولكن هناك ثمة فروق طفيفة بين عدد من المقاهى ، فالمقاهى التى يرتادها السياح ، أى ما يطلق عليه فى مصر « مقاهى الزبون النقالى » ، تجد فيها الخدمة سريعة ، وبدون عناية ، والوجوه متجهمة دائما ، أما المقاهى غير المطروقة من جانب الاجانب ، وتلك موجودة فى الضواحى ، أو فى الأحياء البعيدة عن البؤر السكنية ، فتلك يمكن .. يمكن ان تشعر فيها ببعض الدفء خلال التعامل ، ولكنه دفء لا يصل الى حد التواصل ، المثقفون فى العاصمة الفرنسية يشيرون باعتزاز الى بعض المقاهى ، هذه المقهى فى مونبارناس كان يجلس فيها سارتر ، وهذا المقهى فى مونمارتر كان يرتاده بلزاك ، وهناك مقاهى معروفة ببعض الرواد دون غيرهم !

ومن الواضح ان أشهر المقاهى الباريسية يستمد قيمته من التاريخ ، من الكتاب والفنانين .

الحياة فوق الأرصفة

كنت اقف على رصيف المترو ، عندما ظهر فجأة قبل الرصيف بمسافة قليلة بينما يمتد النفق المظلم فى جوف الأرض الى مسافات بعيدة ، العجلات مغطاة بطبقة



حدائق باريس تتخلل البيوت والشوارع حيث الأرائك لراحة المارة

من الكاوتشوك حتى تخفف من تاثير الضجة التى تحدث عندما تحتك بالقضبان لكن عند اقترابه يصدر عنه صوت ثقيل الوطاة يتوقف ، تفتح الأبواب ، اسرع بالصعود الى العربة ، أملا فى الجلوس . ولكننى ارى عدداً من المقاعد الخالية ، وكثرة من الواقفين ، فى المرات الأولى جلست ، ولكننى لم اشعر بعد ذلك بالحاجة الى الجلوس الا اذا كنت متعباً ، فى المترو يجلس أو يقف الجميع ، محملقين الى الامام ، الاحاديث المتبادلة نادرة ، الجميع صامتون .

بمجرد أن يفتح الباب ، يندفعون كان آلات خفية مخبأة فى اجسادهم ، الخطى سريعة ، ايقاعها متشابه ، نفس الاندفاع الى السلالم المتحركة ، حيث تؤدى الممرات الى خطوط مترو أخرى . او الى سطح الأرض . ارى أحياناً بعض العازفين كمان أو جيتار فى الاغلب ، يؤدون بعض المقطوعات ، ثم يمرون على الركاب ، يمدون كيساً صغيراً من القماش لتلقى قطع معدنية صغيرة ، فى خطوط المترو الباريسية يبدو التقسيم الطبقى واضحاً والذى يجعل من باريس عدة مدن فى مدينة واحدة ، لاحظت ان عربات المترو التى تعمل على خطوط الاحياء الانيقة احدث طرازاً ، وانظف اما العربات التى تمر بالأحياء الفقيرة ، فمن طراز متخلف ، وتبدو اكثر قذارة ، وتعمل هذه العربات على الخط الذى يمر بمحطة بارباس حيث يوجد تجمع للعمال الجزائريين والمغاربة الفقراء ، وتتغير ايضاً نوعية الركاب فى خطوط المترو طبقاً للاحياء التى يمر بها ، ويبدو التقسيم الاجتماعى الحاد هنا ايضاً من خلال التجول فى احياء المدينة ، فى منطقة بلفيل الفقيرة حيث ولدت «اديث بياف» المغنية الكبيرة ترى الوجوه غير حليقة اللحى ، والقمامة فوق الأرصفة والسحن متعبة ، هنا يتواجد العمال المهاجرون من بلاد عديدة ، خاصة شمال افريقية ، وهنا ايضاً يتواجد عدد كبير من اليهود ، اما فى بارباس التى تقع على بعد عشرات الامتار من البيجال ، حيث المولان روج وغيره من الحانات ، يتدهور المستوى الاجتماعى الى حد كبير ، سكان المنطقة اغلبيتهم من الفقراء ، والى أعلى تطل على المنطقة كنيسة القلب المقدس التى تطل ايضاً على حى موغارتر ، حى الرسامين ، وهكذا تتجاور المناطق الفقيرة والغنية فى باريس ، ولكن ثمة خط غير مرئى يفصل كل منطقة عن الاخرى ، وإن لم يمنع هذا تداخلهم احياناً ، ذات ليلة فى شارع الشانزليزيه اشهر شوارع الدنيا ، فى خضم المارة واعلانات السينما ، وتلؤلؤ الأضواء ، رأيت رجلا عجوزاً يبحث عن بقايا طعام فى احدى علب القمامة ، وفى محطات المترو ، خاصة فى الليل ، يتمدد الكثيرون فوق المقاعد المتجاورة ليقضوا ليلهم ، وهؤلاء اما أغراب بلا ماوى ، أو من هذه الطائفة التى يسمونها هنا «الكوشار» ، وهم يعيشون فى انفاق المترو ، وانفاق المجارى ، فى محطات المترو يصبح الشعور بالأمان ضعيفاً ، خاصة فى الليل ، فوق الأرصفة شبه الخالية الا من المتسكعين .

الآلة وملكة التفكير

فى باريس ، أو لندن ، كنت الاحظ اننى عندما اسأل احد المارة عن شارع قريب ، كان يقف ويفكر طويلا ، ثم يعتذر بأنه لا يعرف ، أو يخرج الخريطة من جيبه ، وبعد تدقيق كبير اكتشف ان الشارع الذى اسأل عنه على بعد خطوات ، وتذكرت فتاة انجليزية سألها احد زملائها عن حاصل ضرب ٥ X ٦ ، فاخرجت الآلة الحاسبة ، وبدأت تضغط الأزار ، تذكرت ابن البلد فى مصر عندما تسأله عن شارع معين ، فيصفه لك بدقة اذا كان يعرفه ، وقد يسألك ، (عايز مين هناك ؟) ، وإذا ذكرته له ، تكتشف فى معظم الأحيان انه يعرفه ، اعتقد ان دخول الآلة الى الحياة الغربية ، بدأ يضفى نوعاً من الكسل على ملكة التفكير ، وشيئاً فشيئاً تنوب عن العقل



برج إيفل .. قمة من العمل المعماري الرائع الذى جعل السواح يضعونه فى مقدمة برنامجهم اثناء زيارة المدينة

الانسانى ، الة حاسبة ، والة تدفع اليها بالعملة فينزل منها المشروب الذى تريده ، والة تدفع اليك بتذاكر المترو ، والة تقدم لك الساندويتش ، والة اخرى لزجاجات الكوكا كولا ، وتتدرج الالة حتى تصل الى تلك العقول الالكترونية التى تدير كل شىء فى المفاعلات الذرية ، وتصلح الخلل فى الطائرات الجبارة اثناء الطيران .

المسلة والميدان الشهير

الكونكورد ، من أجمل ميادين العالم وافسحها ، تتوسطه المسلة المصرية المشهورة ، استقرت فى معبد الاقصر لمدة ثلاثة الاف وثلثمائة سنة ، ثم اقتلعت فى عهد محد علي باشا ، واهداها الى شارل العاشر ملك فرنسا فى عام ١٨٢٩ ، واقيمت فى باريس فى عهد الملك لويس فيليب ، تزن مائتين وعشرين طنا من الجرانيت ، وعلى قاعدتها رسم مذهب يوضح الطريقة التى نقلت بها عبر البحر ، المسلة هى مركز الميدان ، واذا وقفت خلفها ونظرت باتجاه قوس النصر ، عبر شارع الشانزليزيه الشهير ، ستجد ان كلا الاثرية الهامين ، القوس ، والمسلة ، يقعان على خط واحد ، يبدأ الطريق صعوده من امام المسلة ، وينتهى عند قوس النصر ، الذى يلامس زرقة السماء ، فيبدو من هنا وكانه بوابة مؤدية الى اللانهائية ، اطوف بالمسلة ، واتذكر باسى احوال آثارنا المهملة فى مصر والتفريط فيها ، وتبديدها ، فى المتحف البريطانى توقفت طويلا امام المومياءات المصرية ، امام الاقنعة المسيحية المنتزعة من مقابر الفيوم ، فى متحف الانسان بباريس توقفت وقتا اطول ، امام المومياءات الفرعونية ، التى كشفوا عنها أغطية التوابيت وبدت الأربطة الكتانية ، والجلد البشرى ، فى نفس هذا المتحف رقدت موميا ء ملك مصر رمسيس الثانى ، عندما فرط فيها رئيسها السابق ، وامر بقرار منه بسفرها الى باريس بحجة العلاج ، وفى احدى الغرف التى تقع فى هذا المتحف دخل موشى ديان وزير حرب العدو الاسرائيلى على موميا ء رمسيس الثانى ، ولا ادرى ماذا فعل ، ولا أى شىء قاله ، ما اعرفه ان اليهود يظنون انه هو الملك الذى اخرجهم من مصر ، وعادت المومياء الى مصر ، وحتى الآن لا يدرى احد ماذا جرى لها بالضبط .

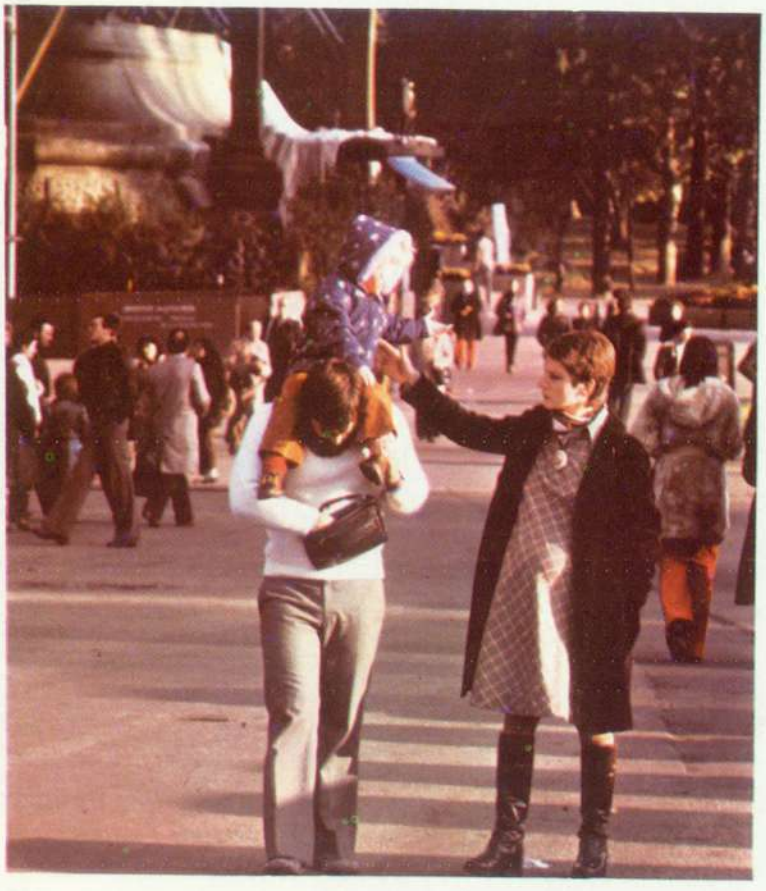
توقفت امام المومياات المصرية فى متحف اللوفر ، هل كان هذا الانسان الذى عاش منذ آلاف السنين . ثم انفق أهله على تحنيط جسمه ما انفقوا ، هل كان يظن انه سيعرض يوما ما فى لندن ، فى باريس ، فى بودابست ، فى الاميتاج بلينتجراد ؟ عندما مات لم تكن هذه المدن قد ظهرت الى الوجود بعد ، ومن يدرى .. ربما توقف طويلا احد احفاده امام مومياته ، تامل باعتباره سائحا ، ثم مضى ، ان رؤية الاثر الذى ينتمى الى بلدى فى مدينة اجنبية تضفى ابعادا عديدة على تلك الرؤية ، توقفت طويلا امام تمثال صغير من الخشب لأم مصرية تحتضن طفلا ، التمثال لا يتجاوز طوله عشرون سنتيمترا ، لكنه اثار عندى الحنين الى الأمومة كما عرفتها ، وكما رايتها على ضفتى النيل ، لكم حزنت فى البداية وانا اتامل تلك التحف الرائعة التى نهبت منا ، وتذكرت حملة اليونسكو لاعادة هذه الآثار الى اصحابها ، ومن حنقى وغيظى على ما يجرى لاثارنا من تلف وسرقة ، واهداءات ، لشدة حنقى ، فقد قلت لنفسى ، اننى ضد حملة اليونسكو هذه ، ان الآثار لمن يحفظها ويصونها وليست لمن يملكها ، للأسف وصلت الى هذه الدرجة من اليأس وانا اتجول فى اللوفر . ومتحف الانسان ، بباريس .

اعادو النظر الى المسلة المصرية فى ميدان الكونكورد ، الميدان فسيح ، وكثير من الذين يمرون فيه ، قد لا يعلمون انه كان من اشهر ميادين الثورة الفرنسية ، شهد الميدان زواج لويس السادس عشر ، وماري انطوانيت ، وفى يوم الاحد ٢١ يناير عام ١٧٩٣ ، نصب الجيلوتين فى نفس الميدان فى موقع احد التماثيل التى تقف الآن ، واليه ساقو الملك لويس السادس عشر عبر الشارع الملكى ، وبخطوات بطيئة صعد سلالم الجيلوتين ، ويقال انه لفظ عدة كلمات تعنى (يا شعبى ، انا برىء من كل الجرائم التى اتهمت بها ، دمائى من اجل سعادة فرنسا) . وفى نفس الموقع قطعت مئات الرؤوس ، منها رأس ماري انطوانيت مدام باري ، وشارلوت كورواى . ودانتون ، ومدام رولاند ، وروبسبيير ، خلال هذا الزمن البعيد ، كان اشهر صوت يسمع فى الميدان صوت نزول المقصلة ، تفصل الرقاب عن الاجساد . الآن ، يموج بجميع اجناس الأرض ، وخطو العشاق ، وانبهارات السائحين ، من ميدان الكونكورد . تبدأ حدائق التويلدى ، والآن اللون الاخضر يتقلص فى عواصم بلادنا ، وتحل محله مواقف السيارات ، فقد قضيت وقتا طويلا فى حدائق باريس ، حدائق التويلدى ، وحديقة النباتات التى يوجد بها متحف كبير جمع نباتات الأرض كافة ، وحديقة البالاس رويال الرقيقة التى تقع قريبا من متحف اللوفر ، حديقة رقيقة ، لاشجارها

خضرة زاهية ، تتوسطها نافورات صغيرة ، ويخيم عليها هدوء معقم ، اما ارضها فمغطى بحصى صغير ، وحديقة اللوكسمبورغ فى حى السان ميشيل . وهذه الحدائق الصغيرة التى تتخلل البيوت ، والشوارع ، حيث الارائك لراحة المارة ، والتى لا تخلو من العجائز ، الرجال والنساء ، يقضون الساعات الطوال ، ويحملقون فى الفراغ ، ويصحبون كلابهم فى هذه الحدائق الجميلة ، والملاحظ هنا ذلك التدليل الذى تحظى به الكلاب ، والعناية ، والحرص الشديد على اصطحابها لتنسم الهواء عصر كل يوم . وإن كان ذلك يعكس فى رأيى الاحساس بالوحدة الانسانية الشديدة

فى حدائق باريس ، كثيراً ما كنت أرقب امرأة عجوزاً ، أو شاباً أو رجلا ، فى تلك الحدائق يجلس صامتا ، محملقاً الى الفراغ ، الصمت تام ، والجسور مقطوعة ، فى الخريف حيث اللون الاصفر يتسلل الى أحداق الأشجار ، بينما ضباب خفيف يتخلل الفراغات ، وتكتسب الأشياء لون الحلم ، واضع يدى على مصدر الاتجاه التأثيرى فى الرسم ، اتذكر لوحات سيزان ، وبيسارو ، وفان جوخ ، التى توقفت امامها طويلا فى متحف الانطباعيين ، تماماً كما نكرتنى وجوه الغانيات فى البيجال بلوحات تولوز لوتريك اقرب الفنانين الفرنسيين الى نفسى ، وهنا يبدو الفن انعكاساً صادقاً للواقع ، فى هذه الحدائق

رأيت الأصل الواقعى للعديد من تلك اللوحات ، وفهمت ايضاً احد اسرار عزلة الفن التشكيلى فى وطننا العربى ، عندما نقل بعض الفنانين هذه المذاهب الفنية وقلدوها بشكل ميكانيكى ، واغفلوا العناصر المحلية ، والتراثية ، فى واقعنا ، ويستمر رحيلى عبر الحدائق الفرنسية ، غابات بولونيا ، وتلك الضيعة الجميلة التى تقع فى الريف الفرنسى القريب من باريس ، ضيعة (المولان) حيث توجد اقدم طاحونة مائية على نهر السين ، ومجموعة من البيوت الخشبية الجميلة ، تملكها مركيزة حقيقية ، اى تنحدر من اسرة ارستقراطية قديمة ، المكان جميل ، انفاق من الخضرة ، واشجار متشابكة ، وسلالم حجرية منحوتة فى الحجر ، وثمار الكمثرى ملقاة على الأرض ، لاتجد من يتناولها ويأكلها ، ونهر السين يتدفق مستكيناً ، هادئاً ، ولكن ليس فى هيبة النيل ، ولا فى عنفوان دجلة ، تأملت الطبيعة الجميلة ، وقطرات الندى التى تبلل اوراق الأشجار ، واسراب الطيور التى تتجمع فى السماء



عائلة فرنسية صغيرة اثناء قضاء اجازة نهاية الاسبوع

نماذج انسانية

فى باريس لازال بعض الاصدقاء المصريين الذين يعيشون هنا منذ سنوات يحتفظون بالزمن العربى الجميل فى اعماقهم وفى حياتهم ، ويبدو التناقض واضحاً فى اسلوب الحياتين المتجاورتين ، فى منزل معظم اصدقائى ومعارفى العرب فى باريس تبدأ السهرات بعد التاسعة ، وفى السابعة اسمع اصطدام الملاعق بالاطباق فى الشقق المجاورة ، اصوات العشاء عند الأسر الفرنسية ، حيث ينام الجميع مبكرين ، واذ نبدأ نحن سهرنا ، وتعلو اصواتنا بالحديث ، يشير صديق قائلا ، اخفضوا اصواتكم ، ان الجيران نائمون . ونوم الجيران يجب ان يحترم ، فلاضحك بصوت عال ، ولا مشى الا على اطراف الاصابع ، وفى بعض المنازل التى ترق فيها الجدران يصبح الاستحمام بالدش فى المساء امراً صعباً ، لأن الجيران من حقهم ان يستدعوا البوليس لمعاقبة مصدر الضجة .

.. فى باريس التقيت بالدكتور مصطفى صفوان ، عالم النفس المشهور ، وصاحب السمعة العالمية الناصعة ، تأملت ملامحه العربية ، واسلوب نطقه للغة العربية المشبع بروح اسكندرانية لم تتغير برغم السنوات الطوال التى قضاها فى الخارج ، فى باريس ، الرجل الذى اصبح العلم بمثابة وطن له ، فى احدى الامسيات اصطحبنى الى مطعم انيق ، عتيق ، ولاحظت ان الخدم يعرفونه ، ويحيونه بود كبير ، جاءت قائمة الطعام ، ولاحظت انه عند الاختيار تحدث مناقشة طويلة بين الجرسون والزبون ، مناقشة حول نوع اللحم ، ودرجة شيه ، وشكل تقديمه ، ويكتسب وجه الجرسون تعابير جادة اثناء المناقشة ، ثم يبدأ تقديم الطعام .

بعد انتهاء الطعام يجىء لوح من الخشب يشبه « قرمة » الجزار ، عليه انواع شتى من الجبن ، والجبن الفرنسى اصنافه عديدة ، قال شارل ديجول يوماً ، كيف احكم شعباً يأكل ثلاثمائة نوع من الجبن ؟ . وهنا يبالغون فى مسألة التغليف قطعة الجبن الصغيرة التى تؤكل بلقمتين من الخبز تجدها ملفوفة فى البلاستيك ، ثم فى ورق معدنى شفاف ، اما السندويتش السريع فيوضع فى علبة انيقة من مادة تشبه الغير ،

فى باريس تعرفت الى الدكتور جمال الدين بن شيخ ، استاذ الأدب العربى بجامعة باريس الثامنة ، تعرفت اليه بعد

ان علمت انه اختار روايتى (الزينى بركات) للترجمة الى اللغة الفرنسية ، ولم تكن قد التقينا من قبل ، انه جزائرى الاصل من الشعراء المرموقين الذين يكتبون باللغة الفرنسية ، كما انه يتقن اللغة العربية اتقانا رفيعا ، وهمه الأكبر ، تقديم الأدب العربى الى القارىء الفرنسى ، انه واحد من العلماء العرب الذين لم تهن روابطهم بجذورهم ، بل على العكس . وفى مقابلة تذكرت كاتبا عربيا اضطر الى الاقامة فى باريس ، التقيت به فى احدى العواصم العربية ، كانت غرفته الى جوار غرفتى ، ولاحظت منذ الوهلة الأولى انه طلق الوطن من داخله ، وان كان يبدى بعض الملاحظات التى اعتبرها من الحنين المسكن أو الحنين المظهرى ، طرقت باب غرفته يوما فقال بالفرنسية ـ انتريه (ادخل) ، قلت ربما اعتاد لسانه الفرنسية مع اننا فى بلد عربى ، وفى اليوم التالى كنا نجلس بينما تدور المناقشات ، وفجأة قال معربا عن دهشته ـ « أو .. لا لا لا .. » وهو تعبير فرنسى عن الدهشة ، فيه بالنسبة لى صيغة ، وعندما اسمعه خاصة من عربى استهجنه ، البعض ممن قابلتهم انغمس تماما فى الحياة الفرنسية ، واصبحت اهتماماتهم بما يجرى فى الوطن الام مثل اهتمامات صحفى فى اللوموند ، اهتمامات خواجا ، والبعض لا يبدى اهتماما .

نموذج آخر ، لفتى فى السادسة عشرة ، سنوات تكوينه عاشها فى باريس ، ودرس فى أرقى المدارس الثانوية ، ومع ذلك فانه رافض تماما للحياة فى فرنسا ، ويحلم فى مصر ، فى الاجازة الصيفية يساله والده عن البلد الذى يريد قضاء الاجازة فيه . ويختار نبيل الشوباشى مصر ، يفضل المجيء اليها بدلا من سويسرا والمانيا ، وفى مصر تتحسن صحته ، ولا يشكو الاوجاع ، ويبدو منطلقا ، يقيض بالحيوية ، وكثيرا ما كنت ارقبه محاولا تلمس هذه الجذور غير المرئية لذلك الشعور بالانتماء القومى ، هذا الفتى الذى رضع اللغة الفرنسية مع اللغة العربية ، وعاش سنوات مراهقته فى باريس ، ومع ذلك تعلق قلبه بفتاة مصرية لا يراها الا مرة فى السنة .

كثيرة تلك النماذج الانسانية التى التقيت بها ، وكان الحنين الجارف الى الوطن حادا فى حياتهم ، والحقيقة التى لمستها ، انه مهما اندمج الانسان بالحياة الاوروبية ، مهما حقق من نجاحات ، مهما تفرنس ، أو انجب اطفالا من امراة أوروبية ، فيظل الشعور داخله بانه اجنبى ، وتبقى مسافة لا تصله تماما بهذا العالم ، ومن ناحية ذلك الواقع نفسه تمتد ايضا هذه المساحة الفاصلة .



رسامة في حي مونمارتر الذى يطلقون عليه حي الرساميين

قيمة الأثر المعماري

يستمد الأثر المعماري قيمته من خلال الموقع الذى يوجد فيه ، وهكذا طبقت شهرة كنيسة نوتردام الآفاق . وظل مسجد السلطان حسن مجهولا فى بلده ، لم تبهرني العمارة القوطية ، اعجبت بنوتردام ، هذا حقيقي ، بعمارة قصر فرساي ، وعمارة كنيسة القلب المقدس ، ولكن هذه العمارة فى مجملها ضاعفت عندي احساسا بقيمة العمارة الاسلامية

فى القاهرة ، العمارة الاسلامية شاهقة ، هذا صحيح ، ضخمة نعم ، ولكنها تاخذ بالانسان فيصبح شاهقا معها ، تاخذه إلى أعلى ، لا تجثم فوقه ، ولا تشغله بالتفاصيل ، حتى المنمنمات المغربية تحدث في النفس تأثيرا صافيا ، ونشوة ، وداخل المساجد العربية الضخمة ، تجد الصحن الفسيح ، والفراغ الذي تبدو منه السماء ، بدون أن تقسمه حواجز ، ولكن داخل كنيسة نوتردام لا يمكنك أن ترى مساحة الصحن الداخلي فى نظرة واحدة ، إنها اقسام طولية وعرضية حيث الأعمدة الضخمة والحواجز الخشبية .

لماذا أصبحت كنيسة نوتردام أشهر من مسجد السلطان حسن فى القاهرة ، أو مسجد الزيتونة فى تونس ، أو المسجد الاموي فى دمشق ، أو القرويين فى المغـرب ؟

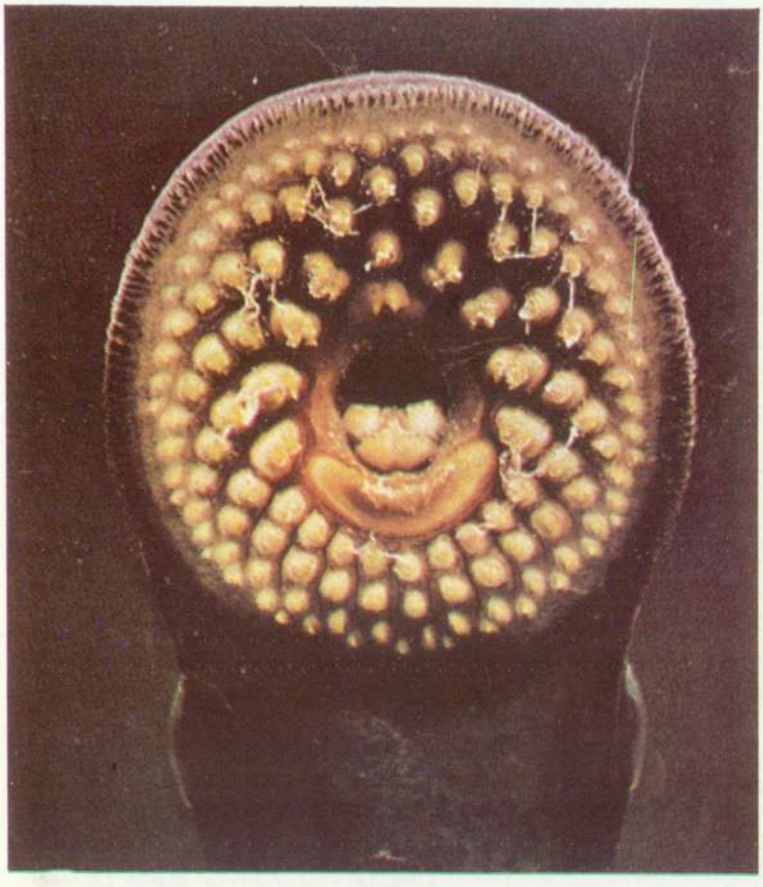
لأن البلد الذى تقع فيه كنيسة نوتردام يحتل موقعا أهم على خريطة العالم ، ولأن ناس هذا البلد عرفوا كيف يبرزون مالديهم، وكيف يحافظون عليه ، أما نحن فنهمل كل ثمين لدينا ، ونكثف ظلال الاهمال والنسيان . ويكفي جولة واحدة فى مناطق القاهـرة القديمة لكي تتاكد من صحة ماأقول .

فى طريقي إلى المطار . كنت أفكر فى باريس . باريس المضيئة . حيث أن الفن والثقافة والسياسة والحرية . وكل انسان يفعل ما يحلو له . يمكنه أن يصبح مناضلا سياسيا فى المقاهي ، يمكنه أن ينفلت من كل قيد . يمكن للانسان أن يجيء فقيرا ، وأن يعمل فى احد الاعمال ، وإلى جانب ذلك يواصل الدراسة ، حتى يتخرج من أرقى الجامعات ، وقد رأيت شبانا عربا جاءوا معدومي الحال ، وهم الآن اساتذة فى الجامعات الفرنسية ، ورأيت مثقفين كبارا وأساتذة فى جامعاتنا ، جاءوا الى باريس وتحولوا الى شظايا آدمية ..

كما تريد من باريس ستعطيـك .

جمال الغيطاني

لقطات من الكون المثير



● مخلوق للدمـــاء ! ●

● كل مخلوق قد جاء لما هو له ميسر ، حتى لو كان يسره فى امتصاص دماء غيره ، والصورة توضح فماً غريباً وبشعاً لسمكة تعرف باسم الجلكي أو «لامبري» Lamprey ، وهي من الأسماك العظمية البدائية ، ولقد جاءت بهذا الفم المستدير المزود بصفوف من النتوءات الحادة ـ التى تشبه المبارد أو الأظافر أو المخالب الدقيقة ـ لكي تسطو به على ضحيتها من الأسماك الأخرى الأكبر حجماً ، فتلتصق به على جلدها ، وتنهش فى لحمها ، حتى يسيل دمها ، فتمتص منه وجبة دموية كبيرة ، تكفيها لساعات طويلة ، وعندما تشبع ، يتخلى فمها القارض الماص عن الجسد لتسقط الى القاع ، حيث تختبىء فى الطين ، فاذا جاعت عادت ، وهكذا أصبح لكل عالم منغصاته .. لايختلف فى هذا عوالم البحر ، عن عوالم البر ! .



● انسجام تام ! ●

● استسلم هذا الزوج برأسه لزوجتيه ، وكأنما هو قد راح فى حالة اغفاءة خفيفة ، أو ربما أحلام سعيدة ، إذ ليس من هو أسعد منه (بين القرود طبعاً) عندما تقوم الزوجتان بتخليصه من الحشرات التى تضايقه . (لاحظ أن القرود تمارس عادة تعدد الزوجات ، أو ربما الأزواج) .. فواحدة « تمشط » له شعر رأسه ، والأخرى تمشط له لحيته وعلى وجهه ظهرت تعبيرات قريبة من تعبيرات البشر ، ومع ذلك ، فدرجة هذا التعبير أو صدقه متروك لتقديرك ! .

● أضخم قطة فى العالم ! ●

● لم تصل قطة منزلية مستانسة الى ماوصلت اليه هذه القطة من سمنة مفرطة ، إذ بلغ وزنها فى أوج صحتها ١٩٫٥ كيلوجراماً ، ومحيط رقبتها ٣١٫٧ سنتيمتراً ، وخصرها ٨٣٫٨ سم ، ووصل طولها الى ٩٤ سم ، وفى سبتمبر عام ١٩٧٩ ، أصابها اضطراب هرموني وهي فى عامها العاشر ، فنقص وزنها الى ١٠٫٣ كيلوجراماً ، ومما يذكر ان متوسط وزن القط العادي يتراوح مابين كيلوجرامين ، ٤٫٥ كيلوجراماً ، هذا وتعيش تلك القطة الآن فى مقاطعة ايسكس بانجلترا .



المضطر يركب الصعب !

● بعد ان كان هذا القط في موقف الجاني ، اصبح الآن فى موقف المجني عليه ، فهذا الذى يتربص به من تحت خنزير صحراوي . اراد القط مهاجمة طفله الصغير بينما كان يسير منه غير بعيد ، وعندما صرخ الطفل مستنجداً بوالديه ، اسرع الخنزير الأب مهاجماً القط بضراوة ، ولما لم يجد امامه ما يحميه من الهجوم . لجأ الى أقرب نبات صحراوي ليتسلقه ، حتى وصل الى قمته ، متعرضاً فى ذلك لوخزات أشواك هذا النبات من عائلة الصبار ، لكن الوخزات أهون من معركة قد تنتهي بموته ، فكان هذا التصرف السريع ، والقرار الحكيم ، وفى النهاية ينفد صبر الخنازير المنتظرة ، فتذهب الى غير رجعة ، ويعود القط من عليائه الى ارضه ، عله يوفق





الميدان الرئيسي وسط المدينة التى ولد بها شكسبير

الدوحة في بيت شكسبير

هنا ولد الفنان العبقري وخرجت أعماله إلى كل لغات العالم

مجدي نصيف يكتب من ستراتفورد ببريطانيا



وليم شكسبير : أقرب الصور شبهاً بالشاعر ، وهي محفوظة بالمتحف الوطني بلندن



تمثال تذكاري من البرونز ، أهداه أحد اللوردات فى عام ١٨٨٨ لمدينة شكسبير

" سترا تفورد ". هنا ولد شكسبير الشاعر والكاتب المسرحى ، واحد من أعظم من أنجبتهم البشرية ، ظلت مسرحياته وأشعاره حية على مدى الأربعمائة سنة الماضية ، وستظل حية طالما استمرت البشرية تتطور على الكرة الأرضية .

هنا ولد وشب وأحب وتزوج وأنجب ، وأخذ أنطباعاته الأولى التى ظلت فى قلبه لتترك بصماتها فى معظم أعماله ، وربما كتب عدداً من مسرحياته هنا أيضاً ، وعندما ترك عائلته وذهب الى صخب لندن ومسارحها ، ظل وفياً لبلده ، فاشترى منزلا عاد اليه ليقضى فيه شيخوخة هادئة .

وعائلة شكسبير تضرب بجذورها هنا ، فوالده ووالدته من صغار ملاك الأراضى وزوجته وأهلها من هنا ، واستقر أولاده هنا أيضاً ، ليس بالضرورة فى مدينة سترا تفورد ولكن فى المنطقة حولها ، هناك « اتوبيس » خاص يأخذك فى رحلة اليها .

وستراتفورد بوسط انجلترا ، تقع على نهر آفون .

وليس لمدينة أخرى تاريخها الملفت للنظر ، فهى فى مفترق عدة طرق ، توالى عليها الرومان والسكسون ، وبسبب موقعها كانت سوقاً تجارياً لكل القرى المحيطة بها ، لكنها تحولت اليوم الى مركز فنى واحد من أكبر مدن الفنون فى العالم ، مما يجعل لها طابعاً وجواً مميزين ، فالى جانب جمال النهر تحافظ شوارعها ومبانيها على تاريخها الذى تفخر به ، وحتى أسماء شوارع منتصف المدينة ظلت كما هى عليه أيام شكسبير ولم يصبها غير تغير طفيف ، فجسر كليبتون شيد منذ خمسة قرون ، وهناك منازل تحتفظ بطابعها منذ القرن الخامس عشر ، وعدد آخر من المنازل من العصر الاليزابيثي واليعقوبي تنتصب جنباً

في بيت شكسبير

هنا ولد الفنان العبقري وخرجت أعماله إلى كل لغات العالم



تزوجت الابنة الكبرى لشكسبير من طبيب معروف اسمه « وليم هول » وعاشت في هذا المنزل



المدرسة التي تلقى فيها شكسبير دروسه الأولى



هكذا يحافظون على تراث شكسبير بكافة الوسائل ، بما فيها ذلك المعرض الذي يضم عرائس لملابس شخصيات مسرحيات شكسبير

الى جنب مع المنازل المبنية من الآجر والطوب .

لكن ماجعلها مقصداً للفن حقيقة ، هي انها مدينة شكسبير التي تضم ممتلكات العائلة ، ومسرح شكسبير الملكي . ومهرجان شكسبير الشعري السنوي ، وتقدم مسرحياته في المسرح الكبير على نهر آفون على مدار العام (باستثناء الاجازة السنوية لمدة شهرين) لمشاهدين من جميع انحاء العالم ، ولان البريطانيين عندما ارادوا تخليد ذكرى شاعرهم العظيم ، حولوا المدينة الى مركز لنشاطات ثقافية وأكاديمية ، وهكذا يخلدون عظماءهم .

المدينة أيام شكسبير

أيام وليام شكسبير كانت مدينة ستراتفورد لا تزيد عن مائتي منزل يسكنها الفي شخص (الآن مائتي الف) ، وباستثناء الكنيسة التي ما زالت موجودة حتى الان ،كانت المباني نصفها من الخشب ، الذي يأخذه السكان من غابة آردن المجاورة (والتي ذكرها شكسبير في مسرحية « كما تحب »)

ولان المدينة كانت مفترق طرق ، منها الطريق الى مدينة اكسفورد ولندن العاصمة ، فقد كانت مركزاً تجارياً ، وتعليمياً ايضاً ، كانت السوق تمتلىء بالمنتجات الزراعية والأبقار والأحصنة والخراف ، وكذلك بالصناعات اليدوية والريفية ، ومن بينها صناعة القفازات التي عمل جون شكسبير والد وليم في مجالها .

في شارع هنلي ستراتفورد ، وفي شهر ابريل عام ١٥٦٤ ولد وليم ، أمه ماري آردن ابنة روبرت آردن من قرية ويلمكوت المجاورة ومن صغار ملاكي الأراضي ، أما والده فقد كان أحد سكان ستراتفورد البارزين الناجحين ، في تلك الأيام كانت نسبة وفيات الأطفال أكبر مما هي عليه الآن ، وهكذا توفيت أختا وليم اللتان ولدتا قبله ، لكن وليم عاش رغم الوباء الذي اجتاح البلاد في نفس عام ميلاده .

والذي لاشك فيه أن وليم شكسبير ذهب الى « مدرسة الأجرومية » بستراتفورد والتي ما زالت قائمة حتى الآن ، ففي مسرحية « كما تحب » تتحدث احدى شخصياته (يعقوب) عن الدراسة في المدرسة ، صحيح أن سجلات المدرسة ليس بها اسمه ، وحروف اسمه الأولى و . ش . W S. لم توجد محفورة على أحد ادراج الفصول ، لكن في الأغلب تعلم هنا وتعلم علومه الأولى ، فقد كان صديقة بن





اي زائـــر يستطيـــع ان يـــرى شخصيـــــات مسرحيـــات شكسـبير داخـل المعـرض الموجـود فى مقـر « مؤسســة ميـــلاد شكسبير » الذى جمعـت تكاليفـه من محبي الشـاعر فى جميـع انحـاء العالم ، وافتتـح فى ٢٢ ابريل عام ١٩٦٤ بمناسبة الذكرى الـ ٤٠٠ لميلاده

جونسون وهو كاتب مسرحى شهير أعجب به الى حد كبير ، انه «كان يعرف بعض اللاتينية وقدراً أقل من اليونانية »

والذى لاشك فيه أن وليم كان ضجراً من الدراسة غير راغب فيها ، كما يظهر فى المسرحية ، وله عذره ، ذلك أنها كانت تبدأ من الساعة السادسة صباحاً والعمل ساعتان أو ثلاث قبل الافطار فى التاسعة ، ثم فسحة من الوقت الساعة الحادية عشرة قبل الغذاء ، ثم يبدأ العمل من الواحدة وحتى الخامسة مساء .

في هذا الوقت كانت الفرق المسرحية المتجولة ، تلف المدن بعيداً عن لندن ، وقد أثار هذا بطبيعة الحال خيال وليم الطفل ، ولا يعرف شيئاً عن الفترة التالية من حياته إلا أنه أحب أن "هيث أواي" التى كانت تكبره سناً حيث كانت فى السادسة والعشرين من عمرها ، بينما كان هو فى التاسعة عشرة من عمره ، وهى ابنة أحد صغار ملاك الأراضى أيضاً وكان منزله يبعد ميلا واحداً عن ستراتفورد . وقد نسجت العديد من قصص الحب بين وليم وفتاته التى تزوجها فيما بعد . لكن الذى لاشك فيه انه أخذها ليعيشا بمنزل والده بشارع هينلى ، وهو نفس المنزل الذى ولد فيه . ولا يعرف المؤرخون كيف كان يكسب عيشه خلال تلك الفترة ، ربما كان من خلال مساعدته لوالده فى صناعة وتجارة القفازات أو الصوف أو الجزارة ، أو ربما عمل مدرساً باحدى القرى المحيطة لبعض الوقت . ومن الممكن أن يكون قد عمل «كاتب محامى» فى أحد مكاتب المحامين التى انتشرت بنمو التجارة والصناعة ، حيث التقط هناك التعبيرات القانونية التى نجدها فى ثنايا مسرحياته . وفى هذه الفترة أيضاً أنجب ثلاثة أطفال : سوزانا اكبرهم ، والتوأمان هيمنت (صبى) وجوديث (بنت) .

والذى لاشك فيه انه اختلط باحدى الفرق المسرحية المتجولة التى وصلت الى مدينته ستراتفورد ، وعرف ممثليها الذين صادق بعضهم ، فقد قرر عام ١٥٨٧ أن ينتقل الى لندن ليبدأ حياته الخصبة العظيمة كواحد من أعظم الشعراء وكتاب المسرح الذين انجبتهم البشرية . وقد يكون سبب قراره هذه الأزمات المالية التى لاحقت والده . يقول مايكل سانت جون باركر فى كتيبه الصغير عن وليم شكسبير ، ان والده جون كات يعد أحد شخصيات ستراتفورد البارزة ، وعندما نجح فى أعماله فكر فى أن يعمل بالعمل العام ابتداء بعام ١٥٥٧ قبل ميلاد وليم بعدة سنوات ، ووصل الى قمة المراكز عام ٦٩/ ١٥٧٠ عندما أصبح «عمدة المدينة» المسئول عن ممتلكاتها ومصالحها ،



هذا هو المنزل الذى اشتراه شكسبير ، وقضى فيه بقية أيام عمره بعد اعتزاله الكتابة حتى توفى عام ١٦١٦ ، وكان واحداً من اكبر منازل المدينة

في بيت شكسبير

هنا ولد الفنان العبقري وخرجت أعماله إلى كل لغات العالم

والمسئول عن النظام والادارة ، واستمر هكذا حتى عام ١٥٧٦ عندما أصابته ضائقة مادية قد يكون سببها انشغاله بالعمل العام وإهماله لمصالحه ، فانقطع عن الحياة العامة وانسحب من مجلس المدينة ، وأصبحت الحياة صعبة ... كل هذا كان له تأثيره على الابن ، وليم . لقد استفاد من الأزمة التى أصابت والده ، فغامر بالذهاب الى لندن ، حيث حالفه النجاح ، فاشترى ممتلكات فى ستراتفورد واستثمر نقوده ليقضى شيخوخة هادئة ، بعد حياة المسرح الصاخبة .

هكذا ذهب وليم الى لندن ، ربما على أمل أن يصبح ممثلا ، بغض النظر عن ميله للشعر ، «فالدراما آنذاك كانت» ـ كما يقول الدكتور أ.ل. روز ـ «نشاطاً على المستوى القومى ، بكافة أشكالها» . كانت المسرحيات الكلاسيكية تمثل فى المدارس بهدف تعليمى ، وكانت الفرق المسرحية المتجولة تجوب البلاد ، تقدم مسرحياتها ، وخاصة فى الاجازات والأعياد . كانت هذه الفرق تسافر وتتجول تحت رعاية أحد النبلاء (ايرل أوف ووريستر أو ايرل أوف واوويك ، أو ايرل أوف ايسيسكس ، أو أحد اللوردات) أو تحت رعاية الملكة شخصياً . كانت هذه الرعاية ضرورية حتى لا يلقى القبض على الممثلين وبقية أعضاء الفرقة ويلقى بهم فى السجن بتهمة التشرد . ومن سجلات مدينة ستراتفورد نرى حضور عدد من الفرق ، وصل عددها الى خمس عام ١٥٨٧ ، عندما وصلت الأزمة المالية بعائلة شكسبير الى الحضيض ، وهو نفس العام أيضاً الذى قرر فيه وليم الانتقال الى لندن . وتقول سجلات المدينة أيضاً ان فرقتين على الأقل من هذه الفرق ، كانت تنقصهما «الأيدى العاملة» . لكن ليس هناك ما هو مؤكد ، وإن كان من المحتمل أن وليم شكسبير قد التحق باحداهما ، وعلى الأغلب الفرقة التى كانت فى رعاية اللورد ليستر ، وكانت تقوم بجولة فى المنطقة ومرت بمدينة ستراتفورد ، ثم عادت فى النهاية الى لندن فى الخريف .

الحياة فى لندن

كيف كانت لندن شكسبير الشاب ؟

كانت لندن قبيل العقد التاسع من القرن السادس عشر ، أى عندما وصل اليها شكسبير ، تتوهج ببهاء انجازات عصر إليزابيث . كانت بريطانيا «العظمى» قد هزمت الأرمادا الأسبانى عام ١٥٨٨ ، على يد "دريك"، خلال الصراع الرهيب بين القوى الأوربية آنذاك . وخلال حكم الملكة إليزابيث الذى استمر ما يقرب من نصف قرن (٤٥ عاماً) ازدهرت التجارة والفنون ، وتوهج رسامون وموسيقيون وشعراء وكتاب ففى هذا العصر عاش وليم شكسبير ومارلو بيرد ودولاند ، فرنسيس بيكون وسبنسر ـ وقدموا فى وقت واحد ـ انتاجهم الخالد .

كانت لندن أكبر عواصم أوربا آنذاك ، عدد سكانها ثلثمائة ألف من البشر (عددهم الآن فوق السبعه ملايين) . كانت مدينة كبيرة بمقاييس عصره ، يحوطها سور له بوابات مازالت أسماء بعضها موجودة حتى الآن (بيشوب جيت أى بوابة بيشوب الخ). كانت مدينة ذات شوارع ضيقة ، تموج بالحياة والضوضاء على مدى ٢٤ ساعة ، تسمع أجراس كنائسها المائة وعلى رأسها كاتدرائية سانت بول القديمة ، التى احترقت فى «الحريق العظيم» الذي أصاب لندن فيما بعد عصر شكسبير عام ١٦٦٦ ، ثم شيدت الكاتدرائية الحالية بدلا منها . وكانت أحواش هذه الكنائس أفضل مكان لاستعراض الموضة والأناقة ولصفقات التجار والأعمال .

كانت لندن أكبر مركز للتجارة الدولية مع أوربا على وجه الخصوص ، وكانت السفن تصل الى نهر التيمز حتى قلب المدينة ذاته ، فكان نهر التيمز يموج بالحركة والعمل ، وكان اللندنيون يفضلون الانتقال بالسفن النهرية ، فالمدينة كانت تعج بالناس والمتشردين والشحاذين والقاذورات .

لم يكن هناك غير جسر واحد لعبور النهر هو جسر لندن الشهير ، وكان الجسر نفسه أحد شوارع لندن الرئيسية تملؤه الدكاكين والبضائع ، مداخله اقبية ، وله واحد وعشرون رصيفاً .

وكان اللندنيون يعيشون فى منازل ترتفع عدة طوابق ، دعاماتها من الخشب المملوء بالطمى الذى يكسى بالجص ، تبرز ادوارها العليا كثيراً فتمنع ضوء الشمس عن الشوارع الضيقة . وكانت المنازل متلاصقة ، فلا عجب أن تنتشر الأوبئة بسرعة البرق . ولم تكن لندن تعرف التعقيم الحديث ، فكانت المياه تأتى من النهر أو تستخدم الآبار ، وكلها مليئة بأنواع الميكروبات . وكانت الاضاءة بالشموع ، فكانت الشوارع مظلمة ليلا فيما عدا بعض «الفوانيس» الخافتة والتى تتدلى أمام بعض المنازل .

كانت هناك ثلاث طبقات فى لندن إذن . طبقة النبلاء وتقاليدهم الفروسية ، والبلاط وعلى رأسه الملكة إليزابيث ، ثم طبقة التجار البازغة المزدهرة . وأخيراً طبقة المتشردين والفقراء ...

وكانت هذه هى لندن بطبقاتها وتقاليدها التى انعكست فى مسرحيات شكسبير مع بعض لمسات هنا وهناك من ستراتفورد .

كان «المسرح» قد بزغ فى انجلترا لتوه كأهم شكل من أشكال التعبير الفنى ، بمعنى أن النشاط المسرحى الذى كانت تموج به لندن آنذاك كان «خميرة» لما بعد ذلك ، أكثر مما كان انجازات مسرحية بالمعنى المفهوم ، وإن كان يتطور بسرعة

مذهلة . فتطورت مسرحيات تراجيدية وكوميدية عديدة فى أواخر خمسينات القرن وفى عام ١٥٨٧ بالتحديد كان هناك كريستوفر مارلو كنجم جديد بارز . وكان هناك عديدون مازالوا يرفضون المسرح كعمل فنى ، واعتبـــره المتطهـــرون (البيوريتان) الذين نشطوا فى مدينة لندن وفى البرلمان الانجليزى ، رجس من عمل الشيطان . ورغم ذلك تطور المسرح وأصبح فى مقدمة «النهضة» الجديدة ، وأصبح تحت حماية بعض النبلاء وعلى رأسهم الملكة . وكانت احدى الفرق تكرم بعض مسرحياتها فى أعياد الكريسماس أمام البلاط الملكى . لكن المسرح لم يكن رغم هذا مسرح الارستقراطية ، على العكس كان شعبياً . فكانت المسرحيات تعرض فى الهواء الطلق ، إما فى فناء بعض الفنادق ، وإما فى «مسارح» خاصة شيدت خصيصاً على الضفة الغربية لنهر التيمز بعيداً عن المدينة . وعندما وصل شكسبير الى لندن ، كان هناك ثلاثة مسارح ، ثم فى عصره شيد ما ينيف على العشرة . أما المتفرجون فيصل عددهم الى عدة مئات وأحياناً الى الألف . أما خشبة المسرح فكانت بسيطة ، تنتصب وسط المتفرجين بدون ستائر أو كواليس . ولم تكن المرأة تشارك فى المسرحيات ، لذلك كانت الأدوار النسائية تسند الى الصبية . ولم يكن هناك تأثيرات مسرحية ، وإن ساعدت الموسيقى أو التأثيرات الصوتية فى بعض الأحيان ، خاصة فى مناظر المبارزات أو المعارك أو الرقصات . لكن المسرحيات كانت تعتمد فى تأثيرها أساساً على اللغة . وهذه هى الاثارة الرئيسية التى تحيط بالمسرح «الاليزابيثى» . فهو لم يكن مسرح حركة أو خيال ، بل مسرح لغة ، بل فى الحقيقة مسرح شعر ، يجوب بأبياته وقوافيه حدود العقل والعواطف ، فى وقت كانت فيه هذه الحدود تتسع كل لحظة ، وعندما كان العقل «الانجليزى» بل واللغة الانجليزية ذاتها تتطور وتأخذ أشكالا جديدة ، كان النظارة ينفعلون ، فيضحكون ويبكون ويصرخون ، متأثرين أساساً باللغة المسرحية ، بالشعر المسرحى .

البداية والقمة

وبدا وليم شكسبير العمل فى المسرح منذ بداية لسلم ، حتى وصل الى القمة . وهناك قصتان تروبان عن البداية . أولاهما تقول انه بدأ بالعمل «أمام» المسرح فكان يتسلم أحصنة المتفرجين الذين يحضرون الى المسرح على ظهور الجياد (حيث لم تكن العربات التى تجرها الجياد قد انتشرت بعد فى ذلك العصر) . أما القصة الثانية فتقول انه بدأ العمل « منادياً » للممثلين ، حيث كانت وظيفته إخطار كل ممثل بوقت ظهوره على خشبة المسرح ليلعب دوره . وربما كانت كلتا القصتين غير صحيحة . لكنه على أى الأحوال بدأ بعد ذلك كممثل على خشبة المسرح ، وككاتب مسرحى . ولاشك أنه بدأ بتحطيم بعض أشكال المسرح الاليزابيثى السائدة مما عرضه لهجوم الكتاب والنقاد ، الذين كانوا انذاك من خريجى الجامعات ، وجامعة كمبردج على وجه الخصوص ، والذين كانوا يحتكرون الكتابة المسرحية . لكنهم كانوا فى الجانب الخاسر ولم يذكر التاريخ معظمهم . فى نفس الوقت كانت هنـــاك حاجة لمسرحياته ، فما أن حل عام ١٦٠٠ ، حتى كان هناك أكثر من عشرين كاتباً مسرحياً يكتب كل منهم مسرحيتين أو ثلاث فى العام الواحد . وعلى أى الأحوال فقد تغلب عليهم جميعاً بلطفه ودماثته وبخفة دمه ، والأهم بعبقريته الخلاقة ، بمسرحياته وبفنه الذى لاقى إقبالا . ويمكننا أن نرى خفة الظل هذه فى جميع مسرحياته وأعماله . فهو لم يكن شاعراً متشائماً منقبضاً منعزلا عن الحياة ، رومانسياً يتلوى من الجوع فى غرفته وحيداً ، على العكس من ذلك تماماً ، كان سهلا صريحاً ، لاذعاً وعملياً .

بدأ عمله بكتابة مسرحيات تاريخية ، تتبع الاطار التقليدى الذى يعمل فيه الشعراء الآخرون . لكنه فى عامى ١٥٩٣ و ١٥٩٤ تجاوز هذا الاطار وشق طريقه الى الشهرة بسرعة عندما قدم «فينوس وأدونيس» و «اغتصاب لوكريس» ، فتقدم على الشعراء خريجى الجامعات ، وشعراء البلاط . لقد لقيا نجاحاً هائلا ، مما جعل الايرل ساوثهامبتون يضعه تحت رعايته . وكتب شكسبير فى هذه الفترة ألطف مسرحياته فى منتصف تسعينات القرن ، وعلى رأسها «هنري الخامس» ، ولاشك أنه استخدم فى مسرحياته التاريخية «حوليات هولينشير» ، لكن موهبته الشعرية حولت هذه الحقائق التاريخية الى شعر هائل يجرى فى كل مسرحياته كما يجرى عرق من الذهب الخالص . وطبقاً لما يقوله الدكتور روز ، فانه «من الممكن أن نتتبع فى مسرحياته التى كتبها فى تلك الفترة ، قصة علاقة شكسبير بالايرل ساوثهامبتون ، وعشقهما لنفس المرأة ـ التى ظلت مجهولة الهوية ، وقصة منافسته لزميله الكاتب كريستوفر مارلو» .

ارتبط شكسبير أساساً كممثل وكاتب بالمسرح الذى يرعاه اللورد سترانج ، ثم اللورد شامبرلين بعد وفاة الأول عـــام ١٥٩٤ ، كان المسرح يدار كشركة مساهمة ، فاشترى شكسبير فى عام ١٥٩٥ أحد الأنصبة دفع مقابلها ثلاثون جنيهاً (كانت ثروة آنذاك) ، ولاشك أن نصيبه هذا أدر عليه أرباحاً لا باس بها ، إذ اشترى في عام ١٥٩٩ نصيباً من عشرة أنصبة في مسرح « جلوب » Globe ودفع مقابل ذلك مائة جنيه . ومن الواضح أن استثماراته هذه ، تشير الى محاولة استقلاله عن « الايرل اوف ساوثهامبتون » ، وكان هذا ضرورياً على أي حال ، ذلك أنه كان مندفعاً في مغامرات سياسية خطيرة ، ولم يلبث أن



المنـــزل الذى ولـد به شكسبير ، وليـس هنـاك ما يـدل على تاريـــخ تشييـــد المنـــزل ، لكـــن سماتـــه الهندسية توحي بانـه قـد شيـد فى أواخـر القرن الخامس عشـــــر

الدوحة في بيت شكسبير

هنا ولد الفنان العبقري وخرجت أعماله إلى كل لغات العالم



منزل جد شكسبير ، وقد ظل مستغلا للسكنى حتى عام ١٩٣٠ عندما اشترته « مؤسسة ميلاد شكسبير »

اشترك عام ١٦٠١ فى محاولة الانقلاب التى قام بها «الايرل أوف ايسيكس » الذى فقد راسه ، اما الايرل ساوثهامبتون فقد القى به في السجن .

وعندما توفيت الملكة اليزابيث الاولى عام ١٦٠٣ ، كان وليم شكسبير قد اصبح الشاعر وكاتب المسرح الاول فى زمانه ، وبوفاة منافسيه مبكراً ، واهمهم مارلو الذي قتل بمشاجرة في حانة عام ١٥٩٣ تاكدت هذه المكانة . وعندما توج الملك جيمس ، اخذ مسرح تشامبرلين » تحت رعايته هو شخصياً ، فاصبح شكسبير احد « موظفي البلاط » ، وعندما سار فى موكب التتويج عام ١٦٠٣ كان قد هجر التمثيل وتفرغ للكتابة فقط وإن لم يستمر طويلا في ذلك . كان دخله من استثماراته كبيراً ، وخاصة بعد أن اشترى نيو بليس New Place فى ستراتفورد ، بحديقته الغناء عام ١٥٩٧ وهو المنزل الذى قضى فيه بقية حياته بعد اعتزاله العمل والكتابة تماماً .

لكن مع صعوده شهد فيما بين عامي ١٦٠١ ـ ١٦٠٣ فترة مضطربة ، كانت فترة عصيبة ايضاً في حياة الامة ، فعام ١٦٠١ شهد محاولة الانقلاب الفاشلة التى كان « الايرل اوف ساوثهامبتون » ضالعاً فيها . وانعكس هذا على اعمال شكسبير ، في الظلمات واللهجة الحزينة في مسرحية « هاملت » والمرارة في « ترويلاس وكريسيدا » . لكن مع وصول الملك جيمس الى السلطة استقرت الاحوال . واستغل شكسبير خبراته فى سنوات الاضطراب كاساس لاكتشافاته العظيمة في التراجيديا والعواطف الانسانية ، في مسرحياته الثلاث : « عطيل » و « الملك لير » و « ماكبيث » ، ليصل الى قمة المنجزات البشرية .

ذبول العبقرية

والذى لاشك فيه ان المضامين الجديدة التى قدمها شكسبير حتى تلك المرحلة ، لعبت دورها في ان تكون هناك بداية جديدة فى تاريخ الدراما ، إذ شهد عام ١٦٠٨ ـ ١٦٠٩م ميلاد المسرح « المغلق » بمعناه الحالي ، كانت التذكرة اغلى وجمهور المشاهدين اقل من « المسرح المفتوح » ، واكثر تفهما للغة المسرح . وكان هذا يتطلب اسلوباً جديداً في كتابة المسرحيات . استثمر شكيسبير على الفور ـ جزءاً من امواله فى هذا المسرح الجديد ، وكان بين اول من كتب له . ويمكننا مشاهدة هذا التغير بشكل ملحوظ فى مسرحية « العاصفة » بسحرها وتالقها .

لكن ان لهذا الوهج من العبقرية ان يبدأ فى الانطفاء ، رغم انه لم يكن كبير السن حتى بمقاييس ذلك العصر . إذ يقول الذين ارخوا لحياته ، إن مسرحياته الاخيرة تحمل علامات التعب والارهاق العقلي ، بل لقد ذهب بعضهم الى حد افتراض اصابته بانهيار عصبي كتفسير لهذه الظاهرة . وعلى اي الاحوال فمن المقطوع به انه سكت تماماً عن الكتابة عام ١٦١٣ ، وعاد الى ستراتفورد معتزلا المسرح بمنزله « نيو بليس » الذى اشتراه قبل ذلك ، حيث بدأ يقضي معظم وقته وخاصة اشهر الصيف ، وكان قد بدأ اول اعماله عام ١٥٩٠ .

ولقد قال بعض الكتاب والنقاد في الماضي إن شكسبير لم يكتب هذه الاعمال بنفسه ، ونسبوها إلى هذا الكاتب او ذاك ، اشهرهم فرنسيس بيكون الفيلسوف والمحامي والكاتب . الذى قال المعجبون به المؤمنون بما يعرف بلسم « النظرية البيكونية » إنه هو كاتب كل مسرحيات شكسبير . لكن هذه النظرية انتهت وقضي عليها . والذى لاشك فيه أن شكسبير ، مثله مثل اي عبقري خلاق ، استفاد مما كان موجوداً في عصره وما قبل عصره ، فاخذه وتمثله واستخدمه كله كمادة خام خلطها بموهبته وقراءاته التاريخية وخبرته . اما إذا كانت هناك اعمال اقل مستوى من اعمال اخرى فهذا طبيعي ، وعلينا ان نتذكر السرعة التى كان يعمل بها على المسرح .

مازالت مقبرته موجودة

والمؤكد انشكسبير لم يكن ذلك الكاتب الذي يجلس فى برج عاجي ، ليكتب شعره ومسرحياته عدة مرات ، ثم يصقلها فى النهاية مثلما يصقل الفنان تمثاله الرخامي ليضفي عليه لمساته الاخيرة ، على العكس من ذلك تماماً ، كان فى غمار العمل المسرحي كاتباً وممثلا ، يعبر عن عبقرية البشرية بتعقيداتها وتنوعها ومداها وعمقها . إن كل الحياة الانسانية والعواطف والاحاسيس البشرية فى مسرحياته ، بعظمتها وقوتها ، بضعفها واخطائها .

لهذا اثر شكسبير على المسرح العالمي على مدى القرون الاربعة التى انقضت على ميلاده ، وترجمت اعماله الى جميع لغات العالم الحية ، ومازالت مسرحياته تقدم على جميع مسارح العالم ، وتحولت الى افلام بعدة لغات . لقد اثر على كل من كتب ويكتب للمسرح ، وسيظل هكذا حياً الى نهاية البشرية .

ومات شكسبير فى ٢٣ ابريل عام ١٦١٦ وهو نفس الشهر الذى ولد فيه ، عن اثنين وخمسين عاماً ، بعد سهرة بمنزله مع جونسون ودرايتون ، ودفن فى فناء «كنيسة الابرشية » التى مازالت موجودة حتى الآن.

مجدى نصيف

مرايا الزمان

شعر: محمد إبراهيم أبوسنة

الزمان اختلف
فالبرىء انتهى واللبيب احترف
لم يعد ينقذ الآن من الموت ..
.. ان تلزم المنتصف
لم يعد ينفع الآن أن تعتكف
والخيول التى كان وقع
حوافرها
يصنع الحلم . تسقط فى المنعطف
والحمام الذى كان يهدل ...
.. فوق غصون الطفولة
... أصبح لا يأتلف

والبلاد التى كنت تهوى منازلها
كل هذي البلاد : رقاب وسيف
طاش بعد العناء الهدف
أن ان تعترف
الزمان اختلف

• • •

لم يعد للنجوم التى كان يحملها
القلب إلا الرحيل الى الغور ..
... حيث الحدائق سوداء ..
.... حيث المرايا صخور
لم يعد للأمل
من شواغل تشغله
غير حصر القبور
وامتداد المسافات فى الشوك
لا ينتهي
فوق هذا القتاد المسير
لا تبح بالذى في الفؤاد
فالذى يتراءى لعيني كثير .

• • •

قال لي صاحبي :
التقط موجة من هدير البحار
واتجه للنهار
فالظلام الذى سوف يأتي
غابة من سعار

• • •

للأمام السماء
للوراء البكاء

• • •

إننى قادم من دموع الحقول
للرفاق الحيارى ، أقول
مارسوا المستحيل
مارسوا المستحيل

• • •

سيدي من تكون ؟
وسط هذا الظلام اللعين
مارد أم ملاك حنون
قلت إني المطر
فى الشتاء الحزين
والغد المنتظر
فى ضمير السنين

• • •

الزمان اختلف
خاسر من يقف

من ديـر ياســين إلى صـــبرا وشـــاتـيلا

انحتلف أسلوب المذابـــح والهـدف واحـــد

بقلم: حمـــدي الكحـلوت

ليس فى مقدور احد ان يتنبا بالظواهر وردود الفعل التى ستتمخض عنها مذبحة القرن فى مخيمي صبرا وشاتيلا على مدى المستقبل المنظور . ولكن من المؤكد والثابت أن هذه الجريمة الكبرى لن تمر بغير عقاب وردود وانعكاسات تترك آثارها على صعيد القضية الفلسطينية والمنطقة باسرهـــا .

وعلى امتداد رقعة الصراع العربي الاسرائيلي كانت سلسلة المذابح التى نفذتها الأيدي الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني نقاط تحول ومعين للألم والغضب يغذي شعلة النضال بالمزيد من الاصرار والوضوح على الدرب الطويل . ومن الملاحظ فى كل هذه المذابح أن الأساليب فيها تتباين ولكن ينظمها هدف واحد لا يتغير فى كل مرة وهو إبادة هذا الشعب واقتلاعه من المنطقة ، لأن مجرد تواجده يمثل شاهد إدانة لوجودهم وعلامة حق تبطل دعاواهم .

ورغم ان كل التفاصيل والملابسات التى احاطت بالمذبحة الكبرى فى صبرا وشاتيلا لازالت تتكشف كل يوم ، فان من الواضح ومنذ اللحظة الاولى لتسرب الانباء من هناك انها جريمة خططت ونفذت مع سبق الاصرار والترصد من قبل نفس العقول المدبرة لمذبحة دير ياسين فى التاسع من نيسان عام ١٩٤٨ ولنفس الهدف الذى مازال يرقد في ضمائر الارهابي بيجن وتلاميذه وإن اختلف اسلوب التنفيذ فى كل مذبحة عن الأخرى .

دير ياســين

ففى مذبحة دير ياسين لم يكن هناك كتائبيون او حداديون ليستخدموا كمخلب قط او كصغار فعلة وماجورين للتمويه على القاتل الحقيقي .. بـــل كانـــت منظمتي « اتسل » و « ليحي » تتوليان تخطيط المجزرة وتنفيذها بشكل علني وسافر لدرجة أن زعيم العصابة بيجن يفتخر بهذه المذبحة فى كتابه : « الثورة » ويرجع اليها الفضل فى إحداث رعب ساعد على افراغ القرى العربية من سكانها فى عام ١٩٤٨ وسهل مهمة منظمة « اتسل » وبقية المنظمات اليهودية فى ذلك الوقت .

ولكن الحال مختلف فى مذبحة صبرا وشاتيلا .. فالارهابي بيجن هنا يقف على راس دولة ويلبس مسوح الساسة والزعماء وينكر صلته بجريمة صابرا وشاتيلا ويهدد بالاستقالة إذا ما صوت برلمانه لصالح إجراء تحقيق رسمي فى المذبحة لان ذلك في رايه يعد ادانة لحكومته واتهاما غير مباشر لها . وينسى او يتناسى كل تهديداته بابادة الفلسطينيين وسحقهم اينما وجدوا .. وتصريحات تلميذه شارون عن اقتحام بيروت والبحث عن الفدائيين وتصفية المخيمات .

ولم يتجاوز عدد القتلى فى مذبحة دير ياسين بضع مئات من النساء والشيوخ والاطفال اجهزت عليهم عناصر العصابات اليهودية بالخناجر والرشاشات والقنابل فى منازلهم . فى حين تراوحت الأرقام المعلنة حتى الآن عن مجزرة صبرا وشاتيلا بين ١٥٠٠ الى ٣٢٩٧ بين قتيل ومفقود .



التاريخ يعيد نفسه .. هكذا قالت كل الصور التى التقطت لمذبحة القرن العشرين في مخيمي شاتيلا وصبرا في بيروت الغربية .. إن الهدف من هذه المذبحة والمذابح التى سبقتها هو إبادة الشعب الفلسطيني

- صبرا وشاتيلا : ردم البيوت على الجثث ومنع الصحفيين.
- دير ياسين : منع الصليب الأحمر من الدخول او الاسعاف .
- كفر قاسم : محاصرة القرية وعزلها بعد المذبحة.
- خان يونس : مقابر جماعية تتكشف بعد رحيل القتلة .

وقد حاول المجرمون اخفاء معالم الجريمة بتشغيل الجرافات طول الوقت لتردم الأنقاض فوق الجثث فيصعب انتشالها او التعرف على معالمها واعدادها كما تم اختطاف اعداد لا يعرف مصيرها الى الآن .

كفر قاسم

ونفس هدف الابادة والاقتلاع كان يخيم على مجزرة كفر قاسم فى ٢٩ تشرين اول عام ١٩٥٦ وإن اختلف الأسلوب هذه المرة ايضاً وجاء على شكل فرض نظام منع التجول على بعض القرى العربية فى شمال فلسطين اثناء العدوان الثلاثي على مصر .

مع العلم المسبق بأن الكثير من ابناء هذه القرى يعمل خارج قريته ويعودون فى المساء وليس لديهم اي علم بامر منع التجول فيتم حصدهم على موجات دون اي انذار سواء كانوا من النساء او الرجال او الأطفال بمجرد أن يثبت انهم من قرية كفر قاسم ودون ترك اي جريح فى المجزرة حسب الأوامر .

وفى المحاكمة التى تلت مذبحة كفر قاسم يحاول احد القتلة المسؤولين عن تنفيذها ان يبرر جريمته بهذه العبارة التى تصب فى هدفهم الواحد وهو التخلص من الفلسطينيين :

« امر منع التجول كان خطيراً جداً ، ولا يحتمل التاويل ، فبموجبه كان علينا ان نقتل كل حي من رجال ونساء واطفال إذا وجدوا خارج بيوتهم فى ساعات منع التجول ، وكان شعوري ان الحرب ستقع على حدود الأردن ، وان هدف الأمر هو ان يهرب ابناء « الاقليات » هرباً جماعيا الى ماوراء الحدود . » (١) .

على ان ثمة اوجه شبه حتى فى الاسلوب احيانا ، فالقتلة فى مذبحة صبرا وشاتيلا بعثوا برسالة الى القيادة الاسرائيلية يوم الخميس ، كما افادت صحيفة الجيروسلم بوست الاسرائيلية يفيدون فيها عن عدد الضحايا التى تم الاجهاز عليهم من سكان المخيمين ، وكان حتى تلك الساعة حوالي (٣٠٠) ثلاثمائة انسان اعزل ما بين طفل وشيخ وشاب



أم مع طفليها ، استطاعوا النجاة بمعجـزة من المذبحة التى نفذت مع سبق الاصرار والترصـد



طفل من الضحايا الابرياء الذين ثبت بالدليل القاطع انهم تعرضوا للقتـــل خنقـــــا

وامراة تنوع اسلوب قتلهم بين البندقية والسكين والآلات الحادة الى القنابل والديناميت ، وحتى اسلوب القتل خنقا لبعض الاطفال كما ظهر كل ذلك فى الاشرطة التليفزيونية المرسلة من موقع الجريمة .

ونفس التصرف قام به القتلة فى مذبحة كفر قاسم عام ١٩٥٦ . فقد كان المـــلازم « دهان » يبلغ قادته بعد كل موجة من المدنيين العائدين الى بيوتهم يتم حصدها برشاشات قواته ، وسجلت عنه هذه العبارة الموجزة :

« ناقص (١٥) خمسة عشر عربيا (٢) » . ورغم قلة كلمات العبارة ففيها المعنى الكامل للهدف الواحد لهم جميعا وللحقد الكامن فى نفوسهم على كل ما هو عربي .

ومن نقاط التشابه ايضا والالتقاء فى جرائم الصهاينة محاولة التعتيم الكامل على كل ما يجرى والتضليل والكذب لاطول وقت ممكن معتمدين على عنصر الزمن فى تخفيف هول الصدمة للراي العام ، وهذا ماحدث تماما في صبرا وشاتيلا حيث قطع اي اتصال بين المخيمين والعالم الخارجي بواسطة الدبابات وحاملات الجنود الاسرائيلية التى اقفلت المنطقة تماما وحتى بعد انتهاء ايام المجزرة حاولت منع الصحفيين والمراسلين من الدخول او ابعادهم عن الحقائق فخرجت التقارير الاولية تحمل ارقاما ساذجة عن المذبحة وغير محددة فكنا نسمع من الاذاعات العالمية ان القتلى يبلغون « العشرات » فقط .. ناهيك عن الانكار الوقح لاية صلة بالمذبحة ورفض اي تحقيق فيها قبل الرضوخ لذلك .

جرائم طي الكتمان

وفى مذبحـــة دير ياسين تحـــاول العصابات الصهيونية عرقلة مهمة رئيس الصليب الاحمر الدولى فى فلسطين فى ذلك الوقت هو جاك رونييـــه بل إنه يقول : «لم يرفضوا مساعدتى فحسب وإنما رفضوا ايضا ان يتحملوا المسؤولية لما يمكن ان يحدث لي (٣)» ولكنه يتمكن اخيراً من دخول القرية مع مساعديه ورغم مضايقة السفاحين له فانه يسجل ملاحظاته وينفذ مهمته الانسانية :

«حاولت دخول احد المنازل فاحاط بى اكثر من ١٢ جنديا مصوبين بنادقهم الرشاشة نحوى ومنعنى ضابطهم من التحرك قائلا إذا كان ثمة موتى فسيحضرونهم لي . فاثار كلامه غضبى الشديد فقلت لهؤلاء المجرمين رايى فيهم وهددتهم ودفعتهم جانبا ودخلت المنزل : كانت الغرفة الاولى مظلمة وكل شيء مبعثر ولم يكن هناك جثث . وفى الغرفة الاخرى المليئة بالاثاث الممزق وكافة انواع الشظايا رايت بعض الجثث الباردة . هنا تمت التصفية بواسطة الرشاشات والقنابل اليدوية والسكاكين . وتكرر الامر نفسه فى الغرف المجاورة وعندما هممت بمغادرة المكان سمعت اصوات تنهدات ، بحثت عن مصدر الصوت مقلبا الجثث فعثرت بقدم صغيرة حارة . كانت فتاة فى العاشرة من عمرها مزقت بقنبلة يدوية لكنها لاتزال على قيد الحياة عندما هممت بحملها حاول احد الضباط منعى من ذلك فدفعته جانبا حاملا كنزى الثمين » (٤)

وفى مذبحة كفر قاسم تظل الجريمة طي الكتمان حتى تتسرب بعض تفاصيلها الى الصحف العبرية وصحيفة الاتحاد العربية فتضطر الحكومة فى ٥٦/١١/١١ الى اصدار بيان مضلل يلقى المسؤولية على احدى وحدات حرس الحدود التى انيط بها فرض منع التجول «للمحافظة على حياة الناس» بعد تزايد اعمال الفدائيين ، «واصيب» نتيجة ذلك بعض السكان وتجرى لذلك محاكمة صورية لامتصاص ردود الفعل المحلية والعالمية ويتقرر صرف «تعويضات» مالية لاسر الضحايا .

ولكن رغم الحصار والتعتيم والتضليل تتكشف حقائق المذبحة وابعادها واعداد القتلى والجرحى واسماء واعمار كل منهم ويسجل كل ذلك من شهود العيان ومن سكان القرية نفسها ويسرب الى الراى العام العالمى والمحلى فينكشف العمل على حقيقته ولا ينفع إرهاب من بقى حيا فى القرية وتردد اصداء الجريمة وذكراها فى كل عام الى ان تلتحم فى احداث مذبحة



هدم البيوت والمخيمات على من فيها ، كان ضمن المخطط الذى نفذ بدقة اثناء القيام بالمذبحة التى اثارت الراي العام العالمي

اخرى ترتكب لنفس الهدف وهو الاقتلاع من الأرض والابادة وتظل ذكرى احداثها تعرف الى اليوم باسم يوم الأرض فى ٣٠ مارس من كل عام .

خان يونس

وفى مذبحة خان يونس يظل مصير الشباب الذين جمعتهم القوات الصهيونية اثناء حصارها وتفتيشها للمدينة مجهولا الى ان يعثر عليهم الاهل فى مقابرهم الجماعية بعد فترة طويلة من وقوع الجريمة فيما يسجل على انه حدث اثناء مقاومة المدينة من وجهة النظر الاسرائيلية يضيع ضمن تفاصيل العدوان الثلاثى الغاشم وما صاحبه من شهداء وضحايا فى كل من مصر وفلسطين ... ولكن هيهات ان يسقط الشعب قوائم الشهداء الابطال من ذاكرته الخصبة وعبثا يحاولون ..

فى نفس العام الذى حدثت فيه مذبحة كفر قاسم (١٩٥٦) كانت هناك مذبحة فى خان يونس وبعد ان احتلت القوات الاسرائيلية المدينة الباسلة ارادت ان تعاقبها على مقاومة ابنائها لزحفهم الشرير فطافت بمكبرات الصوت تامر الرجال بالخروج الى ساحة بالمدينة وهناك اخذت تطلق عليهم النار دون اى استجواب او تحقيق يميز بين المدنى والعسكرى او بين الشاب والشيخ .. بل انهم امروا مجموعات من الشباب بان يحفروا قبورهم بانفسهم فى مدافن جماعية . وقبل ذلك وبعده كانت هناك غارات متكررة على السكان فى مختلف انحاء القطاع بحجة الانتقام من الفدائيين من جماعة مصطفى حافظ الذى استشهد فيما بعد بطرد ناسف ارسلته اسرائيل الى مكتبه فى غزة .

وفى عام ١٩٦٧ ورغم سقوط قطاع غزة من الناحية العسكرية فى قبضة الجيش الاسرائيلى بعد الالتفاف عليه من سيناء وقطع اتصاله بمصر إلا ان القوات الاسرائيلية ركزت مدفعيتها على سكان المخيمات واخذت تقصفها لساعات طويلة بحجة «تطهيرها» من المقاومة فسقط مئات القتلى والجرحى وفتحت الحدود على طول نهر الأردن بعد ذلك لتهجير الآلاف من سكان الضفة الغربية وقطاع غزة بتسهيل من السلطات الاسرائيلية وتشجيعها ولتحقيق هدفها المعلن بانها تريد الأرض العربية بغير سكانها .

وهكذا تتم المذابح فى كل مرة باسلوب همجى مبتكر ولكن الهدف فى كل مرة يعلن عن نفسه ويكرر ذاته سواء فى هذه المذابح او فى غيرها مما يضيق المجال عن ذكرها جميعاً .. ولكن يبقى السؤال الذى لابد من طرحه .. هل تحقق للصهاينة ما ارادوه من كل هذه المجازر على المدى البعيد ؟ .. يقينا انه لا باستطاعتهم ولا باستطاعة اعوانهم القضاء على هذا الشعب العنيد ولا اقتلاعه بعيداً عن ارضه رغم كل هذه الاساليب الوحشية .. بل إن ردود الفعل تكون فى كل مرة من النضال والتجذر حول تراب الوطن حتى يتحقق النصر والسلام العادل لشعب مصمم على الحرية والحياة الكريمة بعون الله وتاييده مهما تخاذل القوم وقست قلوب الجبناء السفاحين قتلة النساء والاطفال والشيوخ ، وكما قال الاخ ياسر عرفات لشارون مؤكداً على الثار والنصر : «نحن وانت والزمن طويل» (٥) .. ومن يعش .. ير .

حمدى الكحلوت

اشارات ومصادر :

(١) ص ٨١ كفر قاسم المجزرة ـ السياسة ـ اميل حبيبى
(٢) ص ١٨ نفس المصدر السابق .
(٣) ص ٣٢ مناحم بيجن من الارهاب الى السلطة ـ مركز الدراسات الفلسطينية .
(٤) ص ٣٣ المصدر السابق .
(٥) العدد ٢٩٢ مجلة المستقبل .

بين أطلال يامیت

بقلم : درويش مصطفى الفار



طفل عربي مذهول بحثا عن حقيقة السلام بين اطلال يامیت !!!

كان لابد لي ان ازور اطلال (يامیت) بعد غيبة قهرية دامت خمسة عشر عاما عن ربوع سيناء .

وبينما انا اتجول خلال الانقاض مذهولا، استشف مقدار الحقد المر ، والكراهية المتاصلة ، التى ادت الى اتخاذ ، بني قريظة ، قرار هدمها وتدميرها ، مضحين بمغانم اعلامية مؤكدة ، على مستوى العالم ، لو انهم ، بدل تحويلها الى خرابة ، يعاف البوم سكناها ، اهدوها الى الشعب المصري ، لاسيما وانهم ، ولاشك ، قد ابتنوها بطريق غير مباشر ، من دخل بترول سيناء الذى ظلوا يعبون من اباره سنين طوالا ...

واثناء استرسالي بالفكر عبر التاريخ محاولا العثور على مثل ذلك الصنيع الكريه لمحت خلال الحطام احد (الخواجات) وكانه يقرا كتابة عبرية منقوشة على جدار (الكنيس) الذي تركوه سليما دون كل منشات يامیت ، فظننته قريظيا ، وتقدمت إليه لمناقشته ... وحين وجدت انه نصراني من « نيوزيلندة » عرفته بنفسي ، وعرفني بنفسه ، واعلمني انه حفيد احد ضباط (الانزاك) الذين كانوا مع جيش الامبراطورية البريطانية فى حملة الجنرال اللنبي لغزو فلسطين سنة ١٩١٦ وان جدته قد قصت عليه ان جده قد لقى مصرعه عند بير (ابي شنار) على مقربة من يامیت ، فجاء لزيارة الثرى الذى بذل جده دمه عليه فى غير سبيل الله ...

وتناول الحديث مع الرجل النيوزيلندي ، طوال ثلاث ساعات ، السلام والحرب ، واطماع اسرائيل التوسعية ، وتفكك الارادة العربية ، وموضوع خطاب كنت قد ارسلته لسكرتير الأمم المتحدة ، الدكتور كورت فالدهايم ، منذ سنوات ...

وتخلل ذلك الحديث الطويل نبل من الرجل تمثل في القائه اللوم كله على صانعي السياسة البريطانية فى النصف الأول من القرن الحالي بالذات ، وانهم للحقيقة والتاريخ هم ، ومن والاهم ، المسئولون عن بذور ما يسمى اليوم بقضية الشرق الأوسط ، تزييفا للتاريخ ... وعندما قلت للرجل ، مازحا ، إن جدك الذى جئت اليوم لتزور مكان مصرعه ، قد ذهب دمه لبنة فى صرح هذه المشكلة التى وضعتمونا فيها ، اليس كذلك ؟ . هنا اطرق الرجل لحظات ، ثم رفع راسه وانبرى يقول لي :

إنني افكر فى حل حقيقي لهذا الصراع الدامي المرير ...

قلت له هات ما عندك ، فقال الرجل النيوزيلندي :

لعلك لا تملك اعتراضا وجيها ، على ان فلسطين ، ارض مقدسة لدى المسلمين واهل الكتاب من اليهود والنصارى ، واعتقد انك تشاركني الراي فى ان ما يعانيه البشر على سطح الأرض اليوم من متاعب ، راجع بالدرجة الأولى الى اتساع الهوة بين قدرات الانسان العلمية والتكنولوجية وبين احساساته الروحانية والجمالية ، واننا اليوم ، كل سكان الأرض ،



في حاجة الى ان تعود (فلسطين) مرة اخرى في التاريخ الانساني حاملة لواء تضييق الهوة بين المادية الطاغية والروحانية الضائعة . وفي هذا المجال اقترح :

● ان يتفق عقلاء العالم على ان تسمى فلسطين مرة اخرى باسم (الارض المقدسة) كما هي مذكورة في قرآنكم وفي التوراة والانجيل .

● ان ينقل مقر الامم المتحدة ، وكل فروعها ، الى الارض المقدسة حيث لا يرتفع هناك سوى (علم) الامم المتحدة ، مرفرفا في سمائها ...

● ان يكسب جنسيتها ، كل من ولد هناك او ابواه او احد هما .

● ان يمنع دخول (السلاح) إليها قطعيا ، حتى ولو كان للصيد .

● ان تكون مفتوحة لكل سكان الارض للسياحة الروحية والاستجمام الوجداني ، والهروب من مباذل ورذائل الحياة المعاصرة فلا مجال فيها للربا ، والزنا ، والميسر ، والعربدة ، ومساويء الاخلاق .

● ان تساعد الامم المتحدة على تنمية مواردها وانتاجيتها وزراعة كل شبر فيها واستغلال كل ذرة من الخير في ارجائها .

● ان تنشيء الامم المتحدة في القدس (جامعة علمية) كبرى ، لجميع فروع البحث العلمي والاداب والفنون ، يحمل علماؤها لواء الدعوة الصادقة الى ضرورة عدم استخدام منجزات العلم في (الاذى والشر) بل في سبل إسعاد بني البشر جميعا على سطح الارض ، وتوفير الطعام والدواء والكساء والمسكن في كل ارجاء الدنيا .

● ● قلت للرجل النيوزيلندي ، إن هذا كلام جميل جداً ، وحلم من احلام اليوتوبيا او المدينة الفاضلة ، ولكن المشكلة ياصاح ان الروح العدائية الاجرامية ، تلك المتمثلة امامك في هذه الانقاض ، هي صاحبة الاغلبية الغالبة لدى القوم هناك ، ولن يتسنى تحقيقها ، طالما ظل المسيطرون بينهم هم ذلك الطراز من البشر الذين قرروا رغم دعاواهم بالرغبة في السلام والجوار الآمن ودفن الاحقاد ، قرروا هدم ياميت ونسفها ، حتى لا تفيد منها مصر العربية شيئا ... فاذا ضمنت ان القوم هناك مستعدون لتغيير تفكيرهم ونبذ عنصريتهم ودفن احقادهم الكامنة فانني ابشرك بامكان عودة فلسطين ارضا مقدسة ومنارة تضيء للانسانية طريق الحق والعدل والجمال والاخاء ...

وافترقنا ، ودارت عجلة الصراع ، وحدثت مجزرة (صبرا وشاتيلا) فارسلت للرجل النيوزيلندي خطابا اذكره فيه ببعض مادار بيننا لدى اطلال ياميت منذ اسابيع ، واساله إذا ما كان بعد يعتقد بامكان تحقيق آماله ، ولعله يرد مستمسكا بتلك الآمال عاملا على نشر فكرتها ، تكفيرا عن ذنب جده الذى قضى على مذبح الصهيونية العالمية لدى بير ابى شنار سنة ١٩١٦ قرب اطلال ما كان يسمى ياميت !!!

وثيقة تاريخية بالغة الأهمّية

في المسألة الصهيونية الفلسطينية بالكونجرس الأمريكي (١٩٤٣ - ١٩٤٥)

بقلم : الدكتور عاصم الدسوقي

عاصفة حول إنقاذ يهود أوروبّا من النازيّة

في العدد السابق تناولت هذه الدراسة دور اللجنة العاجلة لانقاذ يهود أوربا - وهي لجنة صهيونية - في صياغة مشروع قرار في نوفمبر ١٩٤٣ قدم للكونجرس بشان تشكيل هيئة تسعى لانقاذ يهود اوربا ، وكيف ان صياغة هذا المشروع نبتت من المؤتمر الطاريء الذي دعت إليه اللجنة العاجلة وانعقد بنيويورك في يولية ١٩٤٣ واشتركت فيه شخصيات من الحزبين الجمهوري والديموقراطي وممثلون عن الهيئات والمنظمات المعنية بالولايات المتحدة .

ثم عرضت الدراسة للملابسات والظروف التى دفعت بلجنة الشئون الخارجية بالكونجرس الى عقد جلسات استماع بشان مشروع القرار ودفاعاً عن نزاهة الكونجرس . ورأينا أن هذه الجلسات قد بدأت فى ١٩ نوفمبر ١٩٤٣ وانتهت فى ٢ ديسمبر من نفس العام استمعت خلالها الى اربعة عشر شخصاً يمثلون مصالح مختلفة . وكان دين الفانج أحد رؤساء اللجنة العاجلة أول المتحدثين أمام لجنة الشئون الخارجية حيث ركز فى بيانه على ضرورة اجبار المانيا على ايقاف القتل الجماعي الذى تمارسه ضد اليهود ، والعمل على نقل اليهود الى أقاليم خارجة عن سيطرة المانيا . وكان حريصاً أمام مناقشيه على ضرورة التمييز بين مشكلة اللاجئين الدوليين بشكل عام ومشكلة اليهود المضطهدين بشكل خاص .

وفي هذا الجزء نستكمل المناقشات التى دارت فى جلسات استماع لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس .

فى عصر اليوم نفسه (١٩ نوفمبر ١٩٤٣) عقدت الجلسة للاستماع الى شهادة وليام برنارد زيف . (١٢) وقد قال عن نفسه انه لا يمثل اية جهة او اي منظمة وانه مجرد مواطن امريكي يشتغل بنشر بعض المطبوعات مثل مجلة فلاينج Flying وراديو نيوز Radio News، وانه يقيم فى بورت توباكو بولاية مرلاند.

ولما كان يعمل بالنشر والكتابة فقد لجا فى عرض أفكاره الى محاولة التاثير العاطفي على اذهان السامعين مذكراً اياهم بالدور الانساني الذى قامت به الولايات المتحدة على مدى تاريخها فى تقديم يد العون والمساعدة للشعوب التى حلت بها كوارث مثل زلزال طوكيو ومذابح الأرمن على يد الاتراك . وانه من ثم لا يوجد مبرر - فى رايه - لتغاضي الولايات المتحدة عما يلاقيه يهود اوربا على يد النازيين .

ثم اشار الى ان مشروع القرار المقدم للكونجرس والخاص بانشاء هيئة الانقاذ يعد شيئاً منطقياً ، وان الموافقة عليه شيء تفرضه المثل الأخلاقية التى ترعاها الولايات المتحدة حتى ولو لم يكن هناك أمل فى التوصل الى نتيجة عملية من وراء ذلك ثم انتقل بعد ذلك الحديث عن المؤتمر الذى نظمته اللجنة العاجلة فى نيويورك فى

● المطالبة بإجبار ألمانيا على إيقاف القتل الجماعي

● ماهي العُقد التي كانت تحكم الانتداب البريطاني من وجهة نظر اليهود ؟

● الكتاب الأبيض البريطاني ١٩٣٩م يثير غضب اليهود

● اليهود يرفضون التوطين في كندا أو في الأمريكتين

يوليه ١٩٤٣ واشاد بما انتهى إليه .

ومثلما فعل الهفانج ـ الشاهد الذى سبقه ـ اشاد زيف بموقف السويد لاستقبالها ٨٠٪ من يهود الدنمرك . ثم قال بامكانية انشاء الملاجىء الخاصة فى الشرق الادنى او فى شمال افريقية وليس فى الامريكتين مثلا وذلك لبعدهما . وهذا يعكس تنسيقا واضحا بين الشاهدين فى التعرض للمسالة ، إذ اننا نعرف بعد قليل انه يقصد بالشرق الادنى منطقة فلسطين التى « يملك فيها اليهود حقا شرعيا » كما يدعي الشاهد . وان العقبة الوحيدة امام ذلك لاتتمثل فى عجز اليهود عن الخروج من البلاد الواقعة تحت الحكم النازي ، او رفض هذه البلاد اخراجهم ، بل ان العقبة الوحيدة تتمثل فى العقد التى تحكم السياسات البريطانية فى فلسطين .

ثم انطلق بعد ذلك يشرح كيف ان انتداب بريطانيا على فلسطين قد تم التوصل إليه « لصالح الشعب اليهودي وإعداد فلسطين لحالة طارئة كهذه الحالة التى نحن بصددها » . وهو بهذا يشير إلى ان صيغة الانتداب التى صدرت عن عصبة الأمم فى يوليو ١٩٢٣ تضمنت فى ديباجتها تصريح بلفور المشهور . ومع ذلك فان بريطانيا ـ كما يقول ـ «لا ترتاح الى توطين اليهود فى فلسطين ، على الرغم من التعهدات والالتزامات الدولية التى التزمت بها عندما قبلت الانتداب » .

ثم يبدو اكثر صراحة عندما يقول ان ما يسمى بشرق الاردن هو المكان الوحيد في العالم الذى يخلو من اليهود ، وانه فى الواقع جزء من فلسطين وبالتالي فهو يخضع للانتداب الذى على فلسطين . وهو بهذا يريد ان يوسع من امكانية المساحة التى تستوعب اليهود عند انقاذهم . ثم هو بعد ذلك يرد على ما اثير فى الجلسة من ان هجرة اليهود الى فلسطين قد تثير العرب ، قائلا ان ذلك من باب الخرافة برغم وجود مجموعة من القادة العرب وعلى راسهم مفتى القدس يناصرون المحور . وهو يستند فى ذلك الى ان الامير فيصل ملك العراق قد عكس فى خطاب له «التفهم الكامل للعرب مع المشروع الرامى الى انشاء فلسطين اليهودية » (١٣) .

ثم انتقد ايضا وبشدة الكتاب الابيض البريطاني الصادر فى ١٩٣٩ والخاص بتقييد الهجرة الى فلسطين وبملكية الارض فيها قائلا انه صدر دون موافقة وكالة الانتداب التابعة لعصبة الامم ، وان تشرشل نفسه رئيس الوزراء البريطاني استنكره عند عرضه على مجلس العموم حيث قال « إنه اخلال كامل بالعهد وفسخ لالتزام مقدس من جانب واحد » . ثم يذهب الى امكانية دخول الواحد وثلاثين الف يهودى الى فلسطين طبقا للكتاب الابيض مع ان بريطانيا تمنع نزول اليهود فى اراضي الدول المحايدة والدول التابعة للمحور المتاخمة لفلسطين . (١٤)

واختتم بيانه بالقول بضرورة فتح ابواب فلسطين على مصراعيها للهجرة اليهودية دون قيود . ومطالبا الحكومة الامريكية باستخدام مساعيها الحميدة لدى بريطانيا فى هذا الخصوص ، خاصة وان الولايات المتحدة تعتبر طرفا فى نظام الانتداب من خلال الاتفاق الانجليزي الامريكي بشان فلسطين عام ١٩٢٤م .

حوار كله مراوغة

وبعد ان انتهى وليام زيف من القاء بيانه ساله كارل موندت (جمهورى) عن الاسباب التى دفعته لالقاء هذا البيان ، فقال لان ذلك يتفق مع معتقداته ، ولان اللورد ويدجوود Wedgewood سبقه فى التعبير عن هذا الراى امام البرلمان البريطانى عندما بدا اليهود يتعرضون لعمليات «الذبح» ، ولان قليلا من العناية قد وجهت لهذه المسالة بينما هى تحتاج الى جهود جماعيه للتدخل بطرق سرية او علنية ، وبشرط ان تتميز هذه الجماعية بالمقدرة وبالتعاطف فى آن واحد مع المشكلة .

ثم دار بعد ذلك حوار شيق وطريف بين الشاهد ورئيس الجلسة (صول بلوم) يتميز بالمراوغة وبمحاولة كل منهما دفع الآخر الى مازق لايستطيع منه الفكاك ليرغم كل منهما الاخر على القبول بوجهة نظرة الدفاعية فى الموضوع .ولاباس من ايراد هذا الجزء من الحوار بين الاثنين بنصه والذى استطال دون ان تتدخل اطراف أخرى فيه :

« الرئيس : الا تظن ان المشكلة يمكن ان تنحصر الان ، او يجب ان تنحصر فى موضوع الواحد وثلاثين الفا المراد ادخالهم فلسطين اذا كان ذلك ممكنا ، بدلا من ان نتناول موضوعا آخرا .

زيف : قد يكون ذلك حقيقيا ياسيدى ولكن هناك بعض الحقائق التاريخية فى هذا الأمر تتطلب مدخلا جديدا لتناول الموضوع . ومن هذه الحقائق ما حدث للسفينة ستروما Struma التى ابحرت العام الماضى حاملة من رومانيا خمسين من اليهود اللاجئين تعساء الحظ ومعظمهم من

عاصفة حول إنقاذ يهود أوروبا من النازية

الأطفال .. والذى حدث أن السلطات فى فلسطين رفضت ادخالهم فبقيت السفينة فى المياه الى أن تعرضت للنسف من جراء لغم بحرى بالقرب من الشواطىء هناك . ولم يكن هناك مكان ينزلون فيه أو مكان يقبل دخولهم . واعتقد انهم عادوا ادراجهم الى مجازر رومانيا (١٥) .

الرئيس : أنا اعلم ذلك ولكنى كنت أظن أن نركز الاهتمام على انقاذ أكبر عدد ممكن من اليهود على قدر الامكان ، وأن نتكلم عن الواحد وثلاثين الفاً المسموح لهم دخول فلسطين بمقتضى الكتاب الأبيض .. اليس ذلك صحيحاً .

زيف : ولكن ياسيدى الكتاب الأبيض غير مشروع .. فالمفروض أن يدخل جميع يهود أوروبا الى فلسطين .

الرئيس : اعرف ذلك ولكن ....

زيف : ان واحداً وثلاثين الفاً أفضل بالطبع من لاشىء كما هو الحال الآن .

الرئيس : طبقاً للكتاب الأبيض فهناك واحد وثلاثون الفا ممكن دخولهم الى فلسطين اذا استطاعوا الوصول هناك .

زيف : ياسيدى .. لايمكننى الاعتراف بوسيلة غير مشروعة (الكتاب الابيض) خاصة وان عصبة الأمم المسئولة عن الانتداب تقول بذلك ايضاً .

الرئيس : يبدو انك لاتريد الجواب على السؤال .. ان الفكرة تتلخص فى اننا نحاول انقاذ اليهود ..

زيف : نعم ياسيدى .

الرئيس : اذا استطعنا تجميع واحد وثلاثين الفاً لارسالهم الى فلسطين فسوف يدخلون هناك بناء على الكتاب الأبيض غير المشروع كما تقول والمعمول به الآن .

زيف : اذا توصلنا الى ذلك حقيقة ياسيدى فسيكون ذلك شيئاً عظيماً ، وتكون لجنتكم هذه (لجنة الشئون الخارجية للكونجرس) قد فعلت الكثير من أجل الانسانية ، وبدون الجدل فى الهواء الطلق الذى قد يمتد لسنوات . واذا استطاعت اللجنة التوصل الى ذلك مرة واحدة ، واذا اعلنت السلطات البريطانية فى خلال الثلاثين يوماً القادمة « اننا سوف نأخذ الواحد وثلاثين الفا فور مجيئهم » ، فانى اعتقد ان المسئولية سوف تقع على عاتق ادارات أخرى لتبحث طلبات هذا العدد عند حدود فلسطين للدخول .

الرئيس : لا شىء يمنعهم من دخول فلسطين اذا ما وصلوا هناك .

زيف : ان الكتاب الأبيض يمنعهم من شراء الأرض ويمنع دخولهم .

الرئيس : السؤال يتلخص فيما يلى : اذا استطعنا تجميع الواحد وثلاثين الفاً لدخول فلسطين فليس هناك ما يمنعهم شرعاً من الدخول .

زيف : نعم .. هناك يا سيدى ما يمنعهم ، فالسلطات البريطانية لم تسمح باعطائهم تأشيرات الدخول . من الناحية النظرية يمكن دخولهم ، ولكن ليس لديهم التأشيرات التى تسمح لهم بذلك عملياً .

الرئيس : يبدو اننى اعجمى غير مفهوم.

زيف : ربما لم افهم يا سيدى ما تقصده .

الرئيس : طبقاً للكتاب الأبيض الذى تنتهى صلاحيته فى نهاية مارس ١٩٤٤ على ما اظن ، فثمة عدد معين من اليهود يمكن دخولهم فلسطين أو هم مؤهلون لذلك فعلا .

زيف : هذا صحيح .

الرئيس : ثم قام البرلمان البريطانى بتمديد أجل الكتاب الأبيض ، وعرفنا ذلك فى مؤتمر برمودا على ما اظن ـ حتى يمكن السماح لهذا العدد (٣١ الفاً) بالدخول الى فلسطين بصفة شرعية .. ان موعد انتهاء أجل هذا الكتاب هو نهاية مارس ١٩٤٤ ولكن الحكومة البريطانية مدت فاعليته الى أجل غير مسمى الى ان يستطيع هؤلاء دخول فلسطين (١٦) .

زيف : ان هذا « الأجل غير المسمى » هو المشكلة يا سيدى . فالسلطات لم تصدر التأشيرات اللازمة ، اذ يجب ان يحصل الشخص اليهودى على هذه التأشيرة قبل كل شىء (١٧) .

الرئيس : هل صدرت لليهود تأشيرات لدخول المكسيك مثلا .

زيف : لكن البريطانيين لا يصدرون تأشيرات لدخول اليهود فلسطين الا اذا ادركوا ان فلسطين مثل المكسيك .

الرئيس : الا يحتمل ان لا يكون فى استطاعتهم ذلك اذا ما زاد العدد عن الواحد وثلاثين الفاً ؟ .

زيف : لا يا سيدى .

الرئيس : اذا كانت لديك طريقة ما لتجميع هؤلاء الواحد وثلاثين الفاً للذهاب الى فلسطين فانا اضمن لك دخولهم

زيف : عظيم .. سوف اذكر بعض الأمثلة سوف اذكر لك حالة مهندس من احسن المهندسين العالميين اختبا فى حجرة اعلى سطح احد المنازل فى مرسيليا خوفاً من ان يرسل الى المجازر فى بولندة . وكان بامكانه الخروج من مرسيليا ، فتقدم للحصول على تأشيرة دخول الى اى مكان وهو يائس تماماً فلم يتمكن من ذلك . وقد التمس منى تدبير تأشيرة له من خلال اصدقاء لنا من غير اليهود . ولم استطع تسهيل حصوله على تأشيرة لفلسطين ولا الى اى مكان اخر واعتقد انه الآن فى مجازر بولندة .

الرئيس : هل لى ان اسألك اين تقدمت بطلب الحصول على التأشيرة ؟ .

زيف : لست اعرف ماذا كانت قنوات الاتصال فى هذا الموضوع . وكل ما اعرفه ان الطلب قد قدم ولكن لم نحصل على التأشيرة .

الرئيس : لقد وافقت السلطات البريطانية على قبول خمسة الاف طفل من اى بلد من البلاد الخاضعة للاحتلال الالمانى ، وانا اود ان لا اكون ظالماً للبريطانيين .

زيف : هل تعلم يا مستر بلوم كنه السياسة البريطانية ؟ .

الرئيس : اسمح لى ان اكمل كلامى من فضلك . لقد وافق البريطانيون على السماح لخمسة الاف طفل يصحبهم خمسمائة شاب بالغ بالدخول الى فلسطين اذا ما كانوا جاهزين لذلك . واكثر من هذا ابدوا استعدادهم للمساعدة على اخراجهم من البلاد التى يقيمون فيها .

زيف : لقد قدم البريطانيون هذه المساعدة فعلا .. لقد منعوهم من المرور عبر العراق وهم يسيطرون على مقدرات العراق .

الرئيس : اوه .. لقد دخلنا فى موضوع اخر الآن .

زيف : لا اظن ذلك يا سيدى .

الرئيس : ما دمت ذكرت العراق وتركيا فنحن قد تقدمنا بطلبات لتركيا للحصول على التأشيرات اللازمة ، وردت السلطات التركية بانها تسمح بمرور خمسة فى اليوم فقط خلال اراضيها . وهذا كل ما يمكن لتركيا ان تسمح به لنا .

زيف : هل هناك سبب لهذا التقييد .

الرئيس : لابد ان لدى الاتراك اسباباً .

زيف : هل تركيا مستقلة عن السياسة الامبريالية البريطانية فى هذا الجزء من العالم ؟ هذا ما اعنيه فعلا .

الرئيس : ان الحكومة التركية تسمح فقط بمرور خمسة يومياً خلال اراضيها

(ترانزيت) . اما الأسباب التى وراء ذلك الوضع فلست اعرفها . وانا لست محل ثقة الحكومة التركية حتى تفضى الى باسرارها ولكنى اعلم يقينا ان هذا هو الوضع هناك .

اما اذا كانت لديك طريقة ما بخصوص تجميع هؤلاء الواحد وثلاثين الفا المرخص بدخولهم فلسطين فارجو اخبارى . ولعلك تعلم ان لكل دولة من الدول قوانين خاصة بالهجرة من حيث ضرورة فحص المهاجرين بدنيا ، واثبات انهم يتمتعون بصحة جيدة وان احوالهم بشكل عام لا باس بها . ونحن ايضا كبلد (فى امريكا) لنا نفس هـــذه القوانين كما هو الحال فى غيرها .

زيف : عظيم .. اننى مستعد لذلك الآن اذا ما كنت ترغب .

الرئيس : عظيم .. هات ما لديك من معلومات .

زيف : اذ كان لا يضايقك هذا فانا احب ان تكون افكارى واضحة عما سوف اجيب عنه أولا .. هل تعتقد حقيقة ان اليهود الذين تقدموا للحصول على تاشيرات لدخول فلسطين يمكن ان يدخلوا وفقا لنفس الأسس التى يتعامل بها العـــرب الذين يعبرون الحدود فقط دون اجراءات رسمية ودون التعرض للفحص البدنى الذى ذكرته فى كلامك .

الرئيس : لا أعرف شيئا بخصـــوص الاجراءات الرسمية .

زيف : أو هـــــل يجب عليهم طلب التاشيرة وهم فى برلين مثلا .

الرئيس : كيف يمكنهم طلب ذلك من برلين . سوف اسالك سؤالا محددا .. هل بامكانهم الحصول على تاشيرة وهم فى برلين ؟

زيف :لا اعرف ذلك يقينا . فالالمان شعب لا يمكن التنبؤ بما يقدمون عليه .

الرئيس : ولا انا كذلك . لنفرض انك تريد الحضور الى هذا البلد وانت تعيش فى برلين ، فاولا يسمح لك بذلك ثم تطلب تاشيرة الدخول وانت فى برلين .. فهـــل لا تحصل عليها .

زيف لا يا سيدى .. ان الظروف غير متطابقة تماما . ففى حالة فلسطين فانت رهن ظروف خلاصتها ان هناك هجرة جماعية من اناس يتعرضون لخطر قاتل ، ويواجهون رعبا قاتلا ايضا ، ويعيشون فى ظروف لن تمكنهم من المرور من الفحص الطبى الذى قد يجرى عليهم كما تقول . انهم محرومون من الفيتامينات ومن كل انواع الطعام ، ولا يتناول الواحد منهم الا رغيفا من الخبز الأسود فى الأسبوع . هؤلاء الناس يعيشون هياكل عظمية . لقد رأيت صورة لهم بهذه الحالة .

الرئيس : لا أحد يناقشك فى هـــذا ، فالوضع غاية فى الرعب والفزع ولا يحتاج الأمر لعرض صور معينة ، فالعقل يستطيع ان يتخيل منظرا أكثر رعبا مما تصوره الكاميرا .

زيف : ولكن الممكن يا سيدى ان توضع العقبات امام حركة الناس . وكل ما اذكره فى هذا المجال انه عندما تتوافر النيات الطيبة فى امة عظيمة مثل السويد وجدنا ان ٨٠٪ من يهود الدنمرك يتمكنون من الهرب اليها . ولقد تمكنوا من ذلك لأسباب مختلفة : فهناك مكان يلجاون اليه وهذا هو أهم الأسباب قاطبة . ولم يكن عليهم ان يتعرضوا للفحص البدنى او التعرف على الجنس الذى ينتمون اليه ، أو كان عليهم ضرورة الحصول على تاشيرات أو أى شىء اخر من المتطلبات العديدة الأخرى التى يجب أن يستوفوها قبل ان يرحلوا .. لا بل قبل ان يتحركوا . كما ان الأوربيين تعاطفوا مع اليهود واعتبروا قضية اليهود قضيتهم فمثلا انطلق البلغاريون والهولنديون فى شوارع مدنهم يخبئون اليهود فى منازلهم . اما الكنيسة الكاثوليكية فى فرنسا فقـــد خبات الاطفال فى الاديرة حتى لا يقعوا فى قبضة النازى فى الغارات التى شنوها على اليهود . لقد تعاون هؤلاء جميعا على اخراج اليهود سالمين .

يجب إذن ان نضع هذه الفكرة موضع الحركة . اما إذا بقيت الفكرة هكذا فى النطاق الاكاديمي دون ان يكون لها راس محرك ونقطة محورية تدور حولها ، فقل على الأرض السلام . يضاف إلى ذلك انه لايوجد مكان متفق عليـــه لتهجير هؤلاء الناس إليه . وإذا كان كل شىء يجب ان يدخل فى دائرة المفاوضـــات .. فالموضوع إذن يدعو الى الياس ولا امل فيه منذ البداية . ان العقبات جد ضخمة ، وإذا كان هناك مكان مثلا يتم التفاوض بشانه ثم توقفت هذه المفاوضات عند نقطة معينة فلاباس من ذلك التوقف ، لانه يعنى وجود امكانية للتوصل الى تسهيلات وان الأمر كله قابل للحركة والعمل . إما ان يكون الأمر كله غير قابل للحركة ففى هذه الحالة يجب ان نتخلى عنه ونطرح الفكرة جانبا وتبقى مجرد تلويح بالنيات الطيبة . إن هذا الشىء مؤلم للغاية إذا ما انتهى الى ذلك . يجب إذن ان نترك هؤلاء الناس لقدرهم ولنقل انهم اطفال هذا القرن المفقودون ولينصرف كل منا الى عمله .

يجب علينا انشاء ادارة مركزية لهذا العمل فى أى مكان ، يقوم بالعمل فيها شخص أو اشخاص تكون مسئوليتهم البحث عن الامكانات المتاحة فى ضوء الحدود القائمة للحركة الآن .. وما الذى يمكن تحقيقه . وهذا العمل المقترح لا يؤثر بدرجة او باخرى على المجهودات الحربية لاننا يجب أن نسلم جميعا بان المجهودات الحربية لها اولوية على كل ما عداها . ولا يمكن تحقيق اى شىء من هذا ما لم تكن هناك سلطة مسئولة ينحصر عملها فى هذا الموضوع ولا شىء غيره .

المكان أم تسهيل الخروج

ثم انحصرت المناقشة مع الشاهد بعد ذلك فى قضية اخرى طريفة ، وهى أيهما أجدى وأكثر قابلية للتطبيق : توفير المكان الذى يهاجر اليه اليهود اولا ، أم تسهيل خروجهم من البلدان الأوربية الخاضعة للألمان ثم توفير المكان بعد ذلك .

لقد كانت وجهة نظر الشاهد تتلخص فى توفير المكان أولا ، وليس هناك من مكان فى رأيه سوى فلسطين ، وليس هناك من عقبة امام ذلك سوى السياسة البريطانية وكتابها الأبيض . اما اعضاء لجنة الشئون الخارجية للكونجرس الذين يتحاورون معه فقد كان رأيهم العكس ، ويتلخص فى ضرورة الاطمئنان اولا الى خروج اليهود من البلدان الأوربية الخاضعة للنازيين وتامين وصولهم الى المكان وليكن فلسطين ثم تبحث الاجراءات المتطلبة للدخول بعد ذلك .

ولقد كان حوار اشبه بالحوار العقيم الابدى حول أيهما اسبق فى الوجود : البيضة ام الكتكوت . فالشاهد يقول ما قيمة خروج اليهود دون ان يعرفوا المكان الذى يتوجهون اليه ، واعضاء اللجنة يقولون : وما قيمة المكان إذا لم يكن فى استطاعة اليهود الخروج وراء الحدود .. إذا خرجوا فلن يكون هناك فرق بين مكان وآخر .

ومن الملفت للنظر فى هذا الحوار ان جوزيف بولدوين أحد مقدمى مشروع القرار كان فى صف الشاهد وبالتالى فى صف اللجنة العاجلة ، وهى لجنة صهيونية كونها بيتر برجسون اليهودى الفلسطينى كما سبقت الاشارة . فهو يقول ان كيفية خروج اليهود من اوربا امر تبحثه هيئة الانقاذ المقترحة فى المشروع . ولكن «تبقى الحقيقة إن هؤلاء الناس يخرجون عندما يجدون مكانا يذهبون اليه كملجا مؤقت» . وضرب مثلا باسرة يهودية تعيش فى رومانيا منذ ثلاثمائة عام اصبحت تعيش فى رعب قاتل من مصيرها على يد النازية ، وان هذه الأسرة اذا ما عرفت انه بامكانها الهرب الى تركيا ، وان هناك معسكرا معدا

عاصفة حول إنقاذ يهود أوروبا من النازية

لاستقبالها بصفة مؤقتة فسوف تكون لديها القدرة على الهرب .

وواضح أن فكرة الشاهد من توفير المكان أولا تقوم على أن يعلن بصفة رسمية أن كل يهودى يستطيع الدخول الى فلسطين خلال الثلاثة شهور القادمة إذا ما استطاع الهرب بطريقة او باخرى من البلد التى يعيش فيها تحت ضغط الاحتلال الالمانى . ذلك أن الشاهد يعلم أن هناك عدداً من اليهود يتجولون خفية فى انحاء اوربا كلها لكنهم يخشون الذهاب الى فلسطين لعدم وجود تاشيرة تسمح بدخولهم حسب التعليمات البريطانية . وهو يشعر بان العدد المؤهل لدخول فلسطين من اليهود (٣١٠٧٨) شخصاً طبقاً للكتاب الابيض وحتى مارس ١٩٤٤ لن يتحقق من الناحية الواقعية ، لأن الانجليز ـ فى ظنه ـ سوف يمنحون خمسة الاف تاشيرة فقط خلال الخمسة شهور الباقية على ٣١ مارس ١٩٤٤ (نوفمبر ١٩٤٣ ـ مارس ١٩٤٤) يقتطعون منها ٥٠٪ خاصة بالعناصر التى دخلت الى فلسطين بطريق غير شرعى حيث اعتبرتهم السلطات البريطانية لاجئين غير شرعيين . وهذا يعنى فى راى الشاهد أن بريطانيا لن تصدر إلا الفـا وخمسمائـة تاشيرة من الناحية العمليـة

ويرفض الشاهد فكرة توطين اليهود فى كندا أو فى الامريكتين او فى اى مكان اخر عدا فلسطين . ذلك أن توطينهم فى غير فلسطين تصحبه مشكلات وعقبات هائلة فى الوصول الى هذه الاماكن ، وعقبات اخرى فى التكيف والتوافق مع هذه البيئات الجديدة ، فضلا عن أن هذه الأماكن (غير فلسطين) لن ترضى باليهود ويحتاج الأمر الى التفاوض بشـان كل واحـد منهم بمفرده لادخاله . والغريب انه لا يعترف بمثل هذه المشكلات بالنسبة لفلسطين من حيث التكيف والتوافق مع البيئة لأنهم فى رايه «فى وطنهم حيث يستطيعون بناء حياتهم من جديد بما يملكون من مؤهلات لذلك العمل» . كما انهم «نعمة كبرى» للغرب إذ انهم عناصر تفهم التكنولوجيا، وتقيم الصناعة فى الشرق الادنى الذى يمثل اهمية حيوية لجيوش الولايات المتحدة فى هذا الجزء من العالم . وقد وصل الأمر به الى حد اتهام بريطانيا بمعاداة السامية وخاصة فى الادارات والاجهزة المختصة بموضوع هجرة اليهود الى فلسطين .

وحاول رئيس الجلسة أن يحرج الشاهد فيما يتعلق بادانته للسياسة البريطانية فقرأ على المجتمعين البرقية التى ارسلت الى النيويورك تايمز فى ١٠ نوفمبر ١٩٤٣ والتى تشير الى ما حدث فى البرلمان البريطانى بشان بقية اليهود المراد السماح بدخولهم الى فلسطين بمقتضى الكتاب الابيض . وقد جاء فى البرقية ما يلى :

«أعلنت الحكومة البريطانية اليوم أن الواحد وثلاثين الفاً وثمان وسبعين (٣١٠٧٨) يهودياً المقرر دخولهم فلسطين بطريقة شرعية ولم يتمكنوا من ذلك بسبب الحرب سوف يدخلون فلسطين عندما تسمح الظروف بذلك . وقد أعلن الكولونيل اوليفر ستانلى وزير المستعمرات الذى القى بيانه أمام مجلس العموم أنه لن يحدث تغيير فى السياسة التى وضعت فى الكتاب الأبيض الصادر فى مايو ١٩٣٩ . وقال مذكراً البرلمان ان الكتاب الأبيض يسمح بدخول خمسة وسبعين الفاً من اليهود المهاجرين الى فلسطين خلال خمسة أعوام تنتهى فى ٣١ مارس ١٩٤٤ وذلك بناء على السعة الاقتصادية لفلسطين التى يمكن أن تستوعب هذا العدد . وقد رؤي امكانية تخصيص حصة سنوية مقدارها عشرة الاف مهاجر . كما رؤى أيضاً السماح لخمس وعشرين الفاً أخرين بالدخول الى فلسطين بالاضافة الى ذلك مساهمة فى حل مشكلة اللاجئين اليهود . غير أن الحرب حالت دون تنفيذ هذا البرنامج بالكامل . وقد بلغ عدد اليهود الذين دخلوا فلسطين بطريق شرعى أو بطريق غير شرعى ٤٣٩٢٢ شخصاً حتى ٣٠ سبتمبر ١٩٤٣ من اجمالي لخمسة وسبعين الفاً المقرر دخولهم بمقتضى الحصة المقررة سلفاً . وهكذا يتبقى من اجمالى الخمسة وسبعين الفاً المقررة ٣١٠٧٨ يهودياً المفترض وصولهم فلسطين قبل مارس ١٩٤٤ لولا ضرورات الحرب . وقد قدرت الحكومة البريطانية هذا الوضع وتوصلت الى أن اغلاق ابواب فلسطين أمام هؤلاء الأشخاص ليس عدلا فى ضوء الظروف القائمة» .

غير أن الشاهد (وليام زيف) احتج بشدة على هذا التصريح الذى يدعو الى السخرية فى رايه ، لأن بريطانيا تعترف بحقيقة المهاجرين الذين دخلوا فلسطين بطريق غير شرعى بينما تضع العقبات امام المطلوب ادخالهم بطريق شرعى . ولعل الذى دفع الشاهد الى هذا التعليق ان النيويورك تايمز نشرت ما ورد بالبرلمان البريطانى ، قد اغفلت ذكر الفقرة الاخيرة الخاصة بامكانية دخول الـ ٣١٠٧٨ .

حاول رئيس الجلسة بعد ذلك اغراء الشاهد بتقديم ما لديه من معلومات تفيد امكانية اخراج اليهود من البلاد الخاضعة للاحتلال النازى توطئة لنقلهم الى فلسطين لوضعها أمام اللجنة الدولية المشتركة ، او امام الحكومة الامريكية للتصرف فى ضوئها ، إلا أن الشاهد ابى قائلا ان اللجنة الدولية المشتركة لن تقوم بشىء لانها اسقطت عمداً فلسطين من الاماكن المقترحة للتوطين .

ثم نهض أندرو سخيلفر (جمهورى) محاولا دفع الشاهد الى الجدار سائلا إياه عما اذا كانت لديه فكرة بشان اقتراح قد قدم الى وزارة الخارجية الامريكية أم لم يقدم ، وذلك تمشياً مع اعلان الوزارة استعدادها للنظر بعين الاعتبار الى اى اقتراح بشان انقاذ يهود اوربا (١٨) . فاشار الشاهد الى ان مستر برجسون الذى يحضر الجلسة اقدر منه على الاجابة على هذا السؤال .

وبيتر برجسون احد رؤساء اللجنة العاجلة وهو مؤسسها كما سبقت الاشارة . وقد ذهب فى ١٢ اغسطس (١٩٤٣) ـ بعد رسالة كورديل هال الى المؤتمر اليهودى فى ٢٦ يولية ـ ومعه وفد من اللجنـة العاجلة يضم دين الفانج ، وجو دافيسون احد رؤساء اللجنة لمقابلة وزير الخارجية ومساعده لونج حيث اشترك الجميع فى وضع خطة محكمة تحتوى على كل التفاصيل للعرض على الوزارة . وقد اقترح فى هذه الخطة انشاء «وكالة خاصة لانقاذ يهود اوربا» ، وذلك قبل تقديم مشروع قرار الكونجرس بهذا الشان . ومنذ ذلك الوقت استمر وفد اللجنة العاجلة على اتصال بمستر لونج الذى خصصه وزير الخارجية لمعالجة المشكلة حيث تم تقديم مذكرة اخرى لوكيل الوزارة المستر استيتينوس Stettinius

وقد اقترحت اللجنة العاجلة على وزارة الخارجية الأمريكية تقديم التسهيلات المناسبة لايفاد وفد من اثنين او ثلاثة خبراء من اعضائها الى تركيا أو الى الحدود التركية ـ البلغارية للبرهنة على امكانية اخراج أكبر عدد ممكن من اليهود

من اوربا عبر تركيا . وقد ابدت الوزارة قبولا لهذه الفكرة ولكن فى غضون اغسطس (١٩٤٣) ارسل مساعد الوزير (المستر شو Shaw) الى اللجنة العاجلة يفيدها بعدم امكانية السماح لوفد من هذا القبيل بالذهاب الى المنطقة المقترحة .

واكتفت اللجنة العاجلة بهذا الرد واستمرت على اتصال بالوزارة ، ولكن دون الدخول فى مفاوضات مرة اخرى بشان الموضوع ، ودون الاتصال بوزارة الحربية ووزارة الخزانة بخصوص الجوانب الاقتصادية والعسكرية فى الموضوع ، وذلك لاعتقاد اللجنة بان الاتصال بهاتين الوزارتين لم يحن اوانه بعد ، حيث ان الصعوبات التى تواجه مشكلة انقاذ اليهود تتعلق بالتصور السياسى للامر بشكل رسمى اكثر من تعلقها بالمسائل الفنية . ومع هذا فقد اتصلت اللجنة العاجلة ببعض الضباط العسكريين الامريكيين الذين قالوا بامكانية التغلب على الصعوبات ، وان كانت المحادثات معهم تمت بشكل غير رسمى . ولقد حاولت لجنة الاستماع الحصول من برجسون على اسماء هؤلاء الضباط العسكريين ولكن دون جدوى .

موضوعان مختلفان

على ان اللجنة العاجلة قد ادركت فى مرحلة لاحقة انها ووزارة الخارجية الامريكية يتحدثان فى موضوعين مختلفين فاللجنة تريد من الوزارة العمل على انقاذ اربعة ملايين يهودى يعيشون داخل اوربا ، والوزارة تتحدث بشان ما تقوم به نحو اللاجئين خارج اوربا . وعندما كانت اللجنة تذكر الوزارة بان ما قام به مؤتمر برمودا يعد انجازا عظيما لنقله اثنين وعشرين الفا من اسبانيا الى المكسيك والى شمال افريقيا (بينهم ستة الاف يهودى) ، وان موضوعها يتعلق بالاربعة ملايين يهودى فقط ، كانت وزارة الخارجية تشير دائما الى أعمال اللجنة الدولية المشتركة والى اجتماعاتها المستمرة .

ومع كل هذا فقد قدمت اللجنة العاجلة خطة مفصلة لوزارة الخارجية الامريكية بشان اخراج اليهود من اوربا . غير ان شيئا من ذلك لم يحدث . وكانت الخطة تقوم على اعتبار اليهود الذين سيتم اخراجهم من اوربا جزءا من نطاق عمل اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين .

هوامش

(١٢) انظر نص البيان بالكامل بالملحق رقم (٢) ص ٨٠ .

(١٣) تذكر وثائق الكونجرس ان الامير فيصل قد عقد تحالفا مع حاييم ويزمان على اساس حصول فيصل على دعم اللوبى الصهيونى فى بريطانيا لانشاء دولة تحت زعامته تضم سوريا الكبرى . وقد ادى هذا الى عقد اتفاق رسمى بين الرجلين تاريخه ٣ يناير ١٩١٩ وبمقتضاه يؤيد فيصل الهجرة اليهودية الى فلسطين على نطاق واسع . ومع هذا فقد اورد فيصل تحفظا على هذا الاتفاق مؤداه انه فى حالة احباط امال العرب القومية فلا يجب ان « يسئل عن الفشل فى تحقيق هذا الاتفاق » . وقد ارسل فيصل خطابا بتاريخ ٣ مارس ١٩١٩ الى فيلكس فرانكفورتر Frankfurter المسئول عن للمنظمة الصهيونية فى امريكا عبر فيه عن تاييده للاستيطان اليهودى وعن التطلع « الى مستقبل تساعدكم فيه كما تساعدونا انتم ايضا » . ولقد حدث ان فشل مشروع سوريا الكبرى واصبح فيصل ملكا على العراق فى ١٩٢١ . ولكن نمو الشعور المعادى للصهيونية بين العرب الفلسطينيين على نحو ما حدث فيما بعد جعل فيصل « ينكر » هذا الاتفاق القائم ، بل اعلن فى ١٩٣١ ان « جلالته لا يتذكر انه كتب رسالة بهذا المعنى » . (انظر كتـــــاب W. Laqueur, ed., The Arab-Israeli Re ader, N. Y., 1969 الذى نشر اتفاق فيصل ـ وايزمان ومراسلات فيصل ـ فرانكفورتر) . على ان محاولة سحب هذه المراسلات على الموقف القائم فى فلسطين عام ١٩٤٣ امر غير منطقى ومشكوك فيه على احسن تقدير .

(١٤) اشارت الفقرة (١٦) من الكتاب الابيض البريطانى لعام ١٩٣٩ الى الحاجة الى تحديد حيازة اليهود للارض « اذا كان على المزارعين العرب ان يحتفظوا بمستوى معيشتهم الحالى ، واذا لم تكن فى النية ايجاد نسبة لا يستهان بها من السكان العرب الذين لا يملكون شيئا » (انظر كتـــــاب ') فيما يتعلق بنص الكتاب الابيض) . ولقد اكدت قواعد انتقال الارض الصادرة فى فبراير ١٩٤٠ تلك السياسة حيث قسمت فلسطين الى ثلاثة مناطق وضع لكل منها قواعد خاصة بانتقال الملكية من العرب الى غير العرب او حظرها بطريقة او باخرى . وفيما يتعلق بتحليل تفصيلى لهذه القواعد والصراع الذى دار بتحليل تفصيلى لهذه القواعد والصراع الذى دار حول كيفية تنفيذها انظر : التقرير الذى اعد فى ديسمبر ١٩٤٥ ويناير ١٩٤٦ ليكون امام نظر اللجنة الانجليزية الامريكية للتقصى وهو بعنـــوان A Survey of Palestine, Vol. I, Ch. VIII

(١٥) غادرت السفينة ستروما ميناء كونستانزا Costanza برومانيا فى طريقها الى فلسطين فى ١٦ ديسمبر ١٩٤١ حاملة ٧٦٩ لاجئا . وقد ارتطمت بالصـــخور بالقرب من اســـتانبول ، وقـــد رفضت السلطات التركية السماح للركاب بالنزول ما لم تصدر تاشيرات بريطانية لدخول فلسطين . وبعد مفاوضات طويلة وافقت بريطانيا على منح تراخيص دخول للاطفال اقل من ١٦ سنة . وقد جاء ذلك متاخرا لان السلطات التركية كانت قد سحبت السفينة خارج الميناء ثم غرقت فى البحر الاسود فى ٢٣ فبراير ١٩٤٢ ربما لاصطدامها باحد الالغام البحرية ولم ينج الا واحد فقط .

(١٦) انظر هامش رقم (١) من الفصل الاول ، ص ٢ من هذا الكتاب .

(١٧) بعد اصدار الكتاب الابيض فى ١٩٣٩ اتخذت السلطات البريطانية عددا من القواعد الادارية التى حددت منح تاشيرات دخول للعدد المتفق عليه وهو ٧٥ الفا . ثم عززت هذه القواعد بقرار مصلحة الهجرة رقم ٥ لسنة ١٩٤١ الذى نص على ان : التاشيرات لن تمنح الى اللاجئين القادمين من المانيا او من اى بلاد واقعة تحت الاحتلال الالمانى فيما عدا الاشخاص الذين لديهم تراخيص هجرة صالحة صدرت قبل اندلاع الحرب . ثم حدثت تسهيلات بسيطة بعد ذلك حين سمح بهجرة واطفال للمهاجرين الذين يتولون وظائف ذات مسئولية معينة والاطفال حتى سن الخامسة عشرة ، ومجموعة اصطلح على تسميتها بالعناصر المحاربة الصهيونية العاملين فى الوكالة اليهودية فى اوربا ، وعناصر اخرى ذات وضعية خاصة رات الوكالة اليهودية انها تستحق مساعدة خاصة . وفى ١٩٤٢ منحت ستة الاف تاشيرة لليهود الذين تمكنوا من الهروب الى تركيا وتم تفتيشهم بدقة ومراجعة حالتهم من الناحية الامنية . وبناء على هذه الظروف والشروط المختلفة اصبحت الهجرة غير الشرعية هى الطريق الوحيد لعدد كبير من اليهود الذين تمكنوا بالفعل من الهرب من اوربا . وعلى هذا ففى خلال المدة من اول ابريل ١٩٣٩ الى ٣١ ديسمبر ١٩٤٢ دخل فلسطين ١٩٠٠٥ يهوديا بطريق شرعى بينما دخلها ١٩٩٢٥ يهوديا متسللين وبدون تاشيرات . وعندما اعلن البرلمان البريطانى فى ١٠ نوفمبر ١٩٤٣ عن مد العمل بالكتاب الابيض فان مواد هذا التمديد (انظر هامش رقم ١ من الفصل الاول) خلت من تعديل مواد تقييد الهجرة الصادرة فى ١٩٤١ بمعرفة مصلحة الهجرة . ويتضح هذا من المناقشة التالية التى جرت فى البرلمان البريطانى :

الآنسة راثبون : هل تنوى الحكومة ايضا الغاء القيود المحددة لاعداد البالغين الذين يدخلون فلسطين طبقا للحصة المقررة للهجرة لانه على ما يظهر حتى الآن فان القول بان الاغلبية يجب ان يكونوا من الاطفال الصغار الذين يصطحبهم نفر من البالغين يمثل العقبة الرئيسية لدخول العدد المسموح به اصلا .

الكولونيل ستانلى : هذا سؤال جد مختلف وربما توافق السيدة المحترمة على ادراجه فى اللائحة او السجلات (انظر مضابط البرلمان البريطانى ، مجلس العموم ، المجلد رقم ٣٩٣ ، عمود ١١٥٢ ـ ١١٥٣) .

وهذه التفاصيل المتعلقة بقواعد الهجرة والقيود الاخرى التى وضعت فيما بعد بخصوص حصص الهجرة المقررة والتى اوضحها الكتاب الابيض بدون لبس ، لم تكن معروفة خارج فلسطين الا على نطاق ضيق فى وقت انعقاد جلسات الاستماع هذه .

(١٨) فى ٢٦ يوليه كتب كورديل هال وزير الخارجية الامريكى الى الدكتور ماكس ليرنر رئيس ندوة العلاقات الدولية فى المؤتمر اليهودى المنعقد فى فندق كومودور بنيويورك جاء فيه « ان انقاذ الشعب اليهودى والشعوب الاخرى بالطبع المعرضة للذبح بواسطة الوحشية النازية هو امر تحت البحث المستمر بمعرفة وزارة الخارجية التى سوف تنظر بعين الاعتبار الى اى اقتراح يوصلنا الى هذا الغرض » .

الجزء الرابع
فى العدد القادم

جلباب صغير أخضر

بقلم: إبراهيم أصلان

محمد افندي الرشيدي طلع على سطح البيت ، ونظر من فوق على عربة ابنه المركونة امام الباب ، وام حسين البقالة المشغولة ببيع العيش .

محمد افندي رفع دماغه بشعره الخفيف ، وراى اسطح البيوت الخالية إلا من حبال الهدوم المنشورة ، وقال إن ام حسين الحمارة ضيقت الشارع كله بالاقفاص ، واية عربة تريد ان تمر من هنا وتذهب الى السوق ، لازم تقوم من مكانها وتسحب هذه الاقفاص لغاية عتبة الدكان . ومال براسه حتى راى شارع فضل الله عثمان من اوله ، وعندما وجده خاليا ولاتوجد فيه اية عربة قادمة ، احس بالضيق ، وغادر مكانه ووقف امام الصبارة المتربة فى ركن السطح ، وراى طينها الذى جف وتشقق داخل انية الفخار المدورة ، وفكر ان يذهب الى الحمام ، ويملا كوب الماء الكبير من الحنفية ويرويها ، وراح ينزل السلم على مهله ، دون ان يلتفت إلى باب شقته المفتوح ، وعندما وصل الى الدور الارضي ، وقف امام المدخل الموارب ، ومد اصبعه ، ونقر على زجاج الشراعة المقفول :

« ادخل ياللي بتخبط » .

محمد افندي وضع كفه على الباب ، ودفعه بهدوء وهو يستمع الى صريره البطىء ، ولبث واقفا حتى تعودت عيناه على عتمة المكان ، وراى الكنبة اليمنى ، والسيدة العجوز التى تجلس على طرفها من هذه الناحية ، وتقدم وجلس على الكنبة الاخرى ، وهو يلم حجر جلبابه ويقول :

« مساء الخير ياست ام عبده » .

« أهلا ياسى محمد ، اهلا وسهلا » ، ونظرت بعينيها الدقيقتين الى سلسلة الساعة المعدنية وهي مثبتة بعروة الزرار ومدلاة على صدره ، وقالت إن احدا من الأولاد ليس هنا : « كان عملك كباية شاى » « مفيش لزوم ، همه كلمتين ورد غطاهم » .

« خير إن شاء الله ؟ » .

محمد افندي رفع وجهه إلى صورة المرحوم محمد افندي عثمان المعلقة على الجدار القديم ، ثم نظر الى قدميه ، وسالها إن كانت عرفت انهم اشتروا عربة فيات ١٢٨ ، والست ام عبده قالت : « امال إيه » ، واخبرته إنها التقت بام اصلاح فى المنور وهي تسقى الفراخ ، وقالت لها مبروك : « تاني يوم على طول » .

محمد افندي قال إنه سمع بذلك : « لكن لنا زعلت قوى لما لقيت ابنك بيفضى الهواء من العجلة » .

« ابني ؟ »

« يوماتي على الله » .

« وده مين فيهم ياترى ؟ عبد الرحيم ، ولا حسين ، ولا محسن ؟ »

« أهو أي واحد فيهم »

ولكن الست ام عبده قالت كيف ذلك ، إذا كان كل واحد فيهم يعيش فى بيته ، مع زوجته واولاده ؟

« لكن بيزوروكي » .

« وافرض ؟ دول رجالة يابو اصلاح » .

محمد افندى قال إن عبد الرحيم وحسين ومحسن اولادنا ، ولو كانت المسالة عبارة عن يوم أو يومين : « كنت قلت وماله ،



يلعبوا زي ماهم عايزين » . ثم اوضح لها ان هذا شيء يطول امره ، لانها عربة ١٢٨ ، موتورها بالعرض : « آل ١٢٨ كده » ، موتورها بالعرض . وهي عربة ملاكي فعلا ، واي واحد يراها امام الباب يقول إنها ملاكي : «لكن إحنا ناويين نقلبها تاكسي » ، ونعمل لها عمره ، وهذا شيء يحتاج إلى مصاريف كبيرة ، وقد تاخذ شهرا ، او سنة لو الله اعلم : « وطبعا عيب قوي يفضلوا طول المدة دى ، يفضوا العجلة ، واحنا ننفخها ، وهمه يفضوها ، وإحنا ننفخها » .

والست ام عبده ، نزلت من على الكنبة وهي تقول إن هذا الكلام لا يصح ابدا ، وإنه زاد عن حده ، واسرعت بمغادرة الصالة ، ووقفت فى الحوش ورفعت راسها وراحت تنادي : « ياام اصلاح ، انت ياام اصلاح » .

ومحمد افندي تركها تنادي ، وغادر الشقة ، ونزل الدرجات القليلة ، ووقف في مدخل البيت عند مؤخرة العربة المركونة ، وظل هكذا حتى سمع صوت الصفير المكتوم وتقدم قليلا ، وراى البنت الصغيرة التى تجلس بجلبابها الحريرى الأخضر عند العجلة الأمامية ، وفي يدها عود من كبريت الخشب ، كانت تحشره داخل البلف ، والهواء المحبوس يندفع ويغلق عينيها ، ويطير شعرها الناعم . وراح يعبر الطريق متمهلا ، ووقف امام ام حسين البقالة ، التى تضع النقود فى صدرها ، : صباح الخير ياست ام حسين » .

ام حسين مسكت الرغيف القريب ، والقت به فى الناحية الاخرى من القفص « اهلا وسهلا » .

« البنت بنت حسين ابنك ، يوماتي على الله ، تفضي الكاوتش بتاع العربية » .

ونظرت ام حسين ناحية البنت وقالت : « اضربها » .

« لا ياست ام حسين ، قبل كده او كده ، فيه ناس كبيرة لازم الواحد يرجع لهم ،

وانت دلوقت الكبيرة بتاعة الدكان » .

« ولما انا الكبيرة بتاعة الدكان ، اسيب البيع والشراء ، واقوم اجرى ورا عيلة ؟ »

« طيب والحل ياست أم حسين ؟ »

« ما انا بقولك مش عاجبك . لما تلاقيها بتعمل كده ، امسكها اقطم رقبتها » ، ثم صاحت : « قومي يا بنت من عندك ، انا عارفه إيه اللى عاجبك فى المخروبة دي » .

والبنت قامت ، وراحت تجري ضاحكة . ومحمد افندي قال إنها لو كانت مسالة يوم او يومين ، كان تركها تلعب كما تريد ، ولكنها مسالة طويلة : « الست أم عبده عندها فكرة كاملة عن الموضوع » ، والتفت الى الناحية الاخرى من شارع فضل الله عثمان وقال : « هبه الضهر ادنت ولا لسه ؟ » .

وقالت أم حسين إنها لم تسمع : « ماهي حاجة تقلب الدماغ » .

واستدار محمد أفندي ودخل البيت ، ومد يده بهدوء ، ودفع الباب الخشبي الموارب وهو يستمع إلى صريره البطىء ، ورأى الست أم عبده وهي تجلس على طرف الكنبة من هذه الناحية ، وحافة برواز صورة المرحوم محمد أفندي عثمان ، ثم رفع الجلباب ، وراح يصعد السلم لغاية ما وصل الى السطح ، كان ابن بنته اصلاح قد رفع جلبابه عن بطنه الصغير المنفوخ ، ووقف يبول على الصبارة : « آه ياكلب » . وراح الولد يجري ضاحكاً دون ان يترك الجلباب او يكف عن التبول . وظل محمد افندي يتطلع إليه صامتاً ، ثم اتجه الى السور مرة اخرى ، ونظر على فضل الله عثمان ، ورأى العربة مركونة أمام الباب ، وام حسين البقالة ، ولمح البنت الصغيرة وهي تاتي من هناك ، فتراجع على الفور وخبأ نفسه جيداً ، وفكر ان يتركها حتى تطمئن ، وتلعب في العجلة ، ثم يذهب إلى الحمام ، ويملأ كوب الماء الكبير من الحنفية ويصبه عليها من هنا ، وتطلع إلى الصبارة الصغيرة المتربة ، ورأى آثار البول وقد تناثرت على أوراقها الممتلئة ، وبينت لونها النظيف الغامق ، وقال إنها تجلس الآن على الأرض بجلبابها الحريرى الاخضر ، فى يدها عود الكبريت ، والهواء المحبوس يندفع ويطير شعرها الناعم ، وهز راسه موافقاً ، واقترب على أصابع قدميه حتى التصقت بالسور ، ومال بنفسه فجاة ، ولكن محمد أفندى الرشيدي ، لم يستطع أبداً ، ان يراها .

دَمُّـــون

عندما علم امرؤ القيس خبر مقتل ابيه قال :

تطـاول الليـــل علينـــا دمـــون ،

دمـــــون إنـــا معشـــر يمانـــون

وإننـــا لأهلنـــا محبـــــون

و « دمون » هي القرية التى اقسم فيهـا امرؤ القيس أن يثار لابيـــه .

شعر : الدكتور محمد فوزي مصطفى



مازال الليـــل طويـــلا
يا دَمُّـــون
مـــازال الحـــق دفيـــنا
في قبـــو مكنـــون
وعلى الخـــدين ســـؤال وملامـــه
وصغـــيرى فى صـــبرا
فى كومـــة انقـــاض مدفـــون
وحصـــادي يازمـــني
اشتـــات اشتـــات
وعلامـــة نصـــر ثكلى
لا تخـــفى عـــني لحظـــات
وعجـــوز تـــبكي وتنـــوح
فالابـــن يمـــوت
والأم تمـــوت
والحـــق يموت
والكل يغـــني يا دَمُّـــون
مـــازال الليـــل طويـــلا
ماعـــاد القـــوم .. يمانـــون

الميلاد في أزمنة الموت

شعر: محمد صالح الخولاني

وهاهي تمت فصول الروايـــة
وأسـدل ليل الأسى فى النهايـة
وعدتم أشقـاءه من جديـد
لترووا عن الذئب والدم فوق القميص .
وتنتحلون المعـاذير زيفـاً
وتستمطـرون الدمـوع الكواذب فوق التـراب
« فانـا ذهبنـا به ميعـة
وعدنـا به مزقـة من ثيـاب
ولوثـــة دم »

• • •

أشقـاء يوســف
يـا من نفيتـم أخاكم الى ظلمـة الجـب فـرداً
أمـا يعلم الآن فيكـم أخ
بـأن الـذي غاص فى ظلمة الجـب أنتم جميعـاً
وهيهـات من ظلمة الجـب أن تخرجـوا .

• • •

أشقاء يوســف
أيقـدر فيكم أخ أن يقـول
إذا لهفـة الحـزن فى عين يعقـوب تسـأل
أيقـدر أن يرفـع الزيف والكلمات الصفيقـة
لتهتـك في القلـب نـور الحقيقـة

• • •

أشقـاء يوســف
لقـد كان يحلم فـيكم شموسـاً
تضيء له ظلمـات الزمـن
وتدفـع عن ساعديـه الوهـن
تشـد الخطى المتعبـات الكليلـة
لتدنـو من ليلـه المستكن
تباشير لحظتـه المستحيلـة
وهاهـو ذا الحـلم أضحى سرابـاً
وأضحـت ينابيعـه المترعات الخصيبـة
خـرابا خـرابا .

• • •

أشقـاء يوســف
أتلك كمـا كنتمو تحلمـون النهايـة
شبعتم نكايـة
شبعتم زرايـة
شبعتم ترصـون فى المحفظات الأنيقـة
مقالات شجـب تريقون فيها حُمَيّاً الغضـب
وتندلعـون انتحاباً وحـزناً
فمـن يعلم اليـوم ماقد يكـون
لعل السنيـن
تسائلكم يـوم يـورق فى ساعديها الغضب
فتلتجئـون الى ما تعي المحفظـات الأنيقـة
وتستنطقـون الحـروف الصفيقة
فتبـرأ من فورها ساحة المذنبين .

• • •

مريدي النبي يسـوع المسيـح
بـكم بعتم الأرض والعرض والوطن المستباح الجريح
لوجه يهوذا الزريّ القبيـح
بكم بعتم الدار والمزرعـة
وفى الزمن المـر كنتم معـه

• • •

لكم لحـم أكتافه أولمـه
سقـاكم دمـه
وعـدتم تبيعـون وجه النبي
ببخـسٍ كبيـع سفيهٍ غبي

بكم بعتمو طرقات المدينة
لأقـدام جيش التتـار اللعينة
وكـم من سبيّـة
أبحتم .. سفحتم دماهـا الزكية
وأهدرتها الكبريـاء العصيّة
فما أحـوج الليل حين تضـاء شموع المدينة
وتنسـلُّ عن مقلتيها الدمـوع الحزينة
الى أن تضـاء وجوه المرايـا
بجبـش السبايـا
وتولـم للأعيـن الجائعـات
مآدبهـا من لحوم الصبايـا

• • •

أحباءنا فى الأماسي الرخية
وفى الزمن المورق المستظـل
حملتم الينا هداياكم المترعات السخية
حروفـاً مزوقـةً منتقاه
عن النصرة البطـل العنترية
وعن سبحات المنى اليعربيـة
عن الشجب يقطـر سُماً نقيعاً
وتحترق الأرض فيه جميعـا

• • •

حملنا هداياكم المنتقـاة السخية
إلـى حيث ينبت فينـا الغضـب
ليالي سهـد ورعد ودم
سنابل .. أجنحة من لهـب
نطير بها فـوق متن الريـاح
ونعدو بهـا فى الدروب الحزينـة
ليستيقظ الفجـر ريـان يومـاً
ونشهـد فيه انبـلاج الصباح

• • •

أحباءنا فى السنين الجديبـة
وخلف الخطى المجهـدات العصيبة
بحثنـا عن الموعـد فيما تضم الهدايا
عسى أن نرى
لبعض الذى حُمِّلتْ من بقايـا
وجدنـا حروفاً حروفاً حروفاً
تقاد ويالأسى والهـوان
«بليل» . وكنا قديماً .. وكان

• • •

حراس جرحنا الذى مازال ينزف الصديد
يـا وجه أمسنا الممـزق الشريـد
ونور فجرنـا المضمـخ البعيـد
أقـرأ فى أسفار موتكم صحائف الميـلاد
وأشهـد اندلاعة المخاض فى المرافيء الحزينة
وأقـرأ التاريخ مرتين .

• • •

لأشهد انكسار جرحنا المهيض مرةً
ومرةً لأرصد انتفاضة الأرحـام بالأجنة العنيدة
فأرضنا وإن تنافرت ظـلالها
لـم تزل مرارة السنين تستفز جرحها القديم
ومايزال في العيون قدرة على التطلع العنيد
وفي الأكف ماتزال تنحني
أصابع معقوفة على الزنـاد

(محمد صالح الخولاني)



الفنان غازي الخالدي في مرسمه الذى خرجت منه كل لوحاته التى استوحى موضوعاتها من واقع حياته المعاشية ورؤيته الخاصة للانسان



مع الفنان غازي الخالدي

أصالة المدينة جعلتني أرسم حارات دمشق

أجرى الحوار : نادر أصفهاني

بين غازي الخالدى والابداع الفني علاقة أكثر من حميمة ، هو ابن الحارة الدمشقية العريقة ، والغنية بتنويعاتها التشكيلية ، لهذا جذبته إليها ، وسجلها هو عبر لوحاته وألوانه بشوق وحب ، وهو أيضاً كائن اجتماعي نشيط ، ولهذا ـ أيضاً ـ فهو يقيم حواراً دائماً مع مشاهدي لوحاته ، وتراه يخبرهم بشيء ما ، أمام لوحاته أنت بانتظار حوار سوف يبدأ بعد لحظات ، تتوقف أكثر ، فتشعر أن الحوار بدأ ، وقد لا ينتهى بسهولة .

الانسان حاضر دائما فى لوحاته ، وحتى عندما يغيب شكلا ، تشعر أنه مختبىء وراء ذاك الجدار ، أو تلك النافذة ، في لوحاته الشعبية تشعر بالانسان وراء الظلال .

أيضاً فى معالجته التشكيلية للمواضيع الوطنية ، ينفرد بكونه يخبر مشاهده تشكيلياً بما يريد لا اخباريا ، يصوغ طريقته فى الاحاطة بالموضوع الذى يريد ، ولهذا فان لوحته تقرأ على أكثر من مستوى .

اثنان وثلاثون عاما هذا هو عمر التجربة الفنية للفنان السورى غازي الخالدى ، وفى أعماله التى رسمها خلال هذه الفترة سجل علاقة حميمة مع شخصيات وأماكن لوحاته ، تسترعى انتباهه الأجواء الواقعية ، ومعها مفردات الطبيعة وعلاقتها بالانسان ، وأكثر من هذا وذاك المواضيع الوطنية .

يسجل عبر لوحاته موضوعه كاملا ، اللوحة عنده قصة فى بعض الاحيان ، المواقف الانسانية يتأملها ويستوعبها ثم يحركها مرة أخرى في لوحته ، عودته الى الحارة الشعبية هو افتخار بكل ما هو أصيل وعميق التجذر بالأرض .

الطفل ، الأم ، الحصان ، كلهم يتعشقون الوطن فى اللوحة ، انفعالاتهم يسجلها الخالدى ، وهو نفسه يعيش علاقة خاصة جداً مع الناس ، ومع الفن بالاطار العام .

تواضعه مذهل ، ترتاح له منذ البداية ، وتتعبك حركته الدائمة ، كثيرة الأشياء التى يريد أن يقولها ، وانفتاحه هذا يشجع على محاورته .

حياته الفنية

فى دمشق كان لـ (الدوحة) معه هذا الحوار :

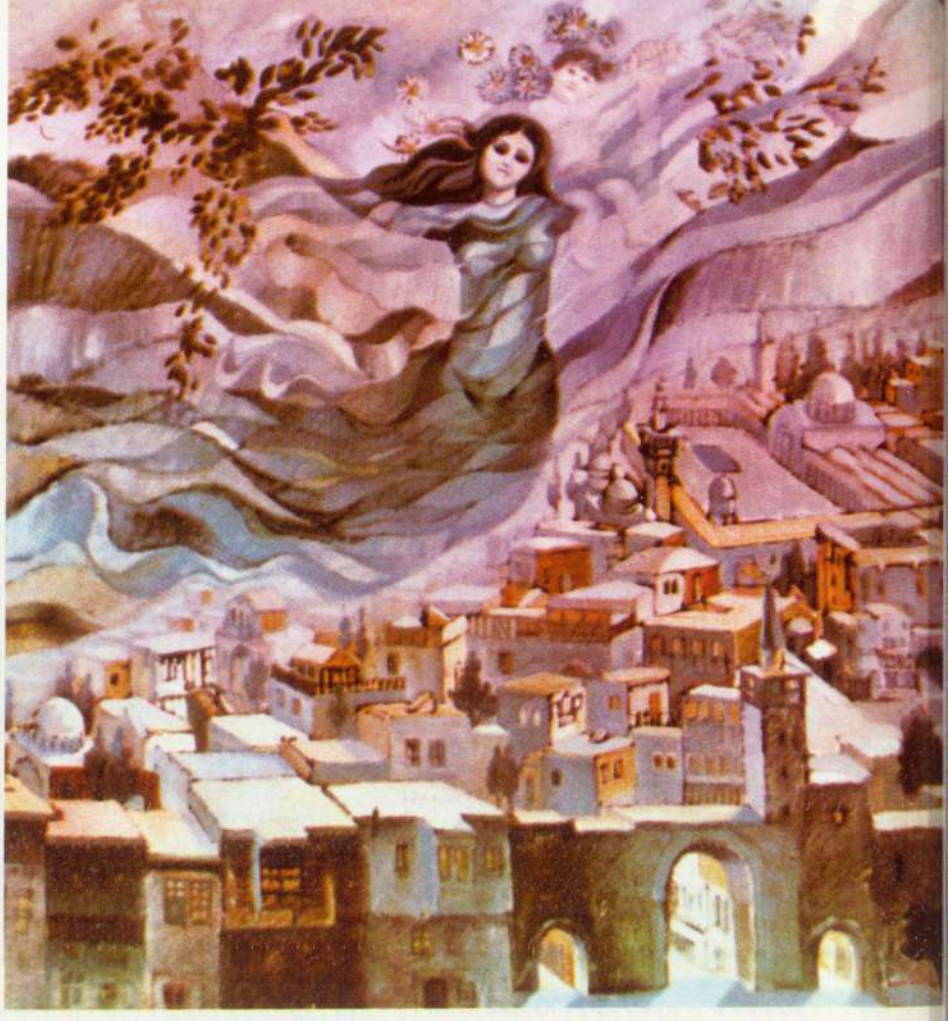
● غازى الخالدي ، ماهي المراحل الفنية التى مررت بها ؟

ـ مراحل العمل الفنى التى مررت بها يمكن حصرها فيما يلي :

المرحلة الأولى : مرحلة ما قبل الدراسة فى كلية الفنون الجميلة . وتبدأ من ١٦ آذار ١٩٥٠ تاريخ اقامة معرضي الأول وتاريخ اشتراكي فى أول معرض جماعي اقامته الدولة فى المتحف الوطني عام ١٩٥٠ . وكانت مرحلة اعتمدت على التجربة الشخصية والتأثر باساتذة الفنون فى المدرسة الثانوية .

المرحلة الثانية : مرحلة الدراسة فى كلية الفنون الجميلة فى القاهرة عام ١٩٥٨ ولغاية عام ١٩٦٢ . وهي المرحلة التى تعلمت فيها مباديء أكاديمية ضرورية لكل فنان اختار هذا الطريق . وتتلمذت على يد بيكار وحمودة ودرويش وهم من كبار فناني مصر .

المرحلة الثالثة : مرحلة مابعد التخرج ، وتبدأ من عام ١٩٦٢ وحتى ١٩٧٢ ... حيث اقمت فى هذه الفترة معرضين ، واستطيع



لوحتان للفنان .. الاولى بعنوان : دمشق .. واللوحة الاخرى بعنوان : امرأة ..



ان اعتبر معرض ١٩٧٢ كنقطة تحول اساسية فى اللون والموضوع وطريقة تناول الوضوعات ، فقد ترسخ عندى حب اللونين الأساسيين في جميع لوحاتي الفيروزي والعنابي أي / الأزرق السماوي ، والأوكر أي العسلي .

والمرحلة الرابعة : بعد عام ١٩٧٢ وحتى الآن ... بدأت تظهر عندي النزعة الأساسية في مضمون اللوحة ، فى توضيح علاقة المرأة الأم بالشجرة والبيت ، والحصان ، والطفل ... هذه أصبحت عناصر أساسية استخدمها فى أكثر أعمالي كرمز اطلالة على فكرة الوطن ، الوطن بمعناه الكبير ، الوطن الذى يجب أن نحبه وندافع عنه عبر نضال أمتنا العربية لتحقيق وحدة الوطن العربي كله .

لمن تنتمي ؟

قلت لغازي الخالدى :

لو تحدثنا عن الجيل الفني الذى تنتمي إليه تجربتك القديمة ، ما الذى يخطر فى ذهنك الآن ؟

– موضوع الجيل الفني الذى تنتمي إليه أعمالي يمكن أن أقول ان مجمل الزمن الذى عشته فى تجربتي بدأ من عام ١٩٥٠ ولغاية اليوم ، أي حوالي اثنين وثلاثين عاماً ... وهذا يعني أن مفهوم الجيل يعني فترات زمنية غير متباعدة ، ولكن إذا كان المقصود من السؤال هو التجربة الفنية ذاتها ، فانني أقول : إننى أميل الى الفكر الواقعي من خلال الرمز ، فجميع لوحاتي واقعية ، أما الصياغة ففيها هذه الخصوصية التى تعتمد على الايحاء غير المباشر ، أي على الرمز .

● بين الواقعية المؤثرة / الحارة الشعبية / والواقعية التى تستعير أشياء من الاعلان السياسى ، تدور أعمالك ، حدثنا عن هذه الملاحظة ؟ .

– هناك فرق أساسى بين الاعلان السياسى ولوحة التصوير الزيتي ، فالاعلان السياسى من أهم شروطه أن يعبر عن زمان ومكان محددين بالضبط ، أي انه يعكس موقفاً محدداً من حدث معين ، وينتهي دوره بانتهاء الحدث ، وبمجرد مرور الزمن عليه ، ويشترط فيه أن يكون ملفتاً للنظر ، مؤثراً وبشكل مباشر على الناس .

أما اللوحة الزيتية السياسية فهي تعتمد على الايحاء غير المباشر ، ولا تعتمد على تسجيل الحدث فى زمان أو مكان محددين ، كما أن دورها يبقى ، ولا تنتهي بمجرد انتهاء الحدث أو المضمون الذى عبرت عنه .

ولوحاتي ليس لها علاقة بالاعلان السياسى إنها فقط تطرح مضامين سياسية ، ذات طابع قومي قائم منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن ، ومستمر مع استمرار نضالنا حتى التحرير والنصر ، وهذا فرق كبير بين اللوحة والاعلان السياسى .

● ولكن لوحتك كيف تتم عملية الخلق الفني لها ؟

– اللوحة لا ترسم بقرار ، ولا يتم رسمها بقرار مسبق ، اللوحة هي المكان الذى تتجسد فيه مجموعة معاناة طويلة أو قصيرة ، يعانيها الفنان عبر حياته اليومية وقد نجد أنفسنا نرسم خاطرة فى يوم وليلة واحياناً نجد أنفسنا نرسم مجموعة دراسات ونحضر مجموعة اسكتشات و / كروكيات / عديدة من اجل بناء لوحة كبيرة أو صغيرة ، وقد نوفق أو لا نوفق ، إلى أن نقتنع ولو جزئياً ، ثم نقول إننا رسمنا لوحة .

إن رسم اللوحة أمر صعب ، وفيه كل معاني الخبرة والصبر والاستيعاب للفكرة التى سنعبر عنها فى اللون و الخط ، وإذا لم يرافق كل ذلك حب حقيقي للفن ، وايمان صادق بالفكرة ، فان اللوحة تكون مجرد ألوان ومجرد زخرفة ، ومجرد صفحة ملونة ليس لها علاقة بالفن على الاطلاق .



على اليمين لوحة من اعمال الفنان فى عام ١٩٥٧ وهي بعنوان : تكوين .. واللوحة الاخري بعنوان : نار فى القدس .. القلب ... وفيها يبدو ارتباط الفنان بقضايانا الوطنية



مع الفنان عازي الخالدي

● إلى أي مدى يمكن اعتبار أعمالك تسجيلا فنياً لأحداث جرت فى سورية ؟

ـ ليست مهمتي التسجيل ، وليست مهمتي التاريخ ، وإنما أرسم لأنني ابن هذا العصر ، وأحاول بكل صدق أن أتمثل هذا العصر الذى نعيش كل أبعاده ... الانسانية ، والقومية ، الوطنية ، الجمالية وأنا أفهم الوطن من خلال معطياته البشرية والحضارية والسياسية . إذا ما رسمت هذا الأمر فانني أعكس جانباً أو جوانب منه ، وأما مفهوم التسجيل ، فهو نقل كل وقائعه بشكل حرفي ، بينما عندما أرسم هذا العصر ، فانني أرسمه من وجهة نظري ، ومن خلال قناعاتي وليس من خلال ما هو واقع فعلا ، أو هو حرفي فعلا .

وهنا أقول : ما هي قيمة العمل الفني إذا لم يكن فيه رأي الفنان وموقفه الصريح والصادق من محيطه .

● تقترب من الحارة الشعبية ، بل إنك تغوص فى مفرداتها ... أين أنت من الحارة الشعبية الدمشقية ؟؟

ـ عندما رسمت الحارة الدمشقية الشعبية ، لم أقصد أن أفرق بين حارة شعبية وحارة دمشقية ...

إنني أفهم أن الذي يحب مدينته يحب وطنه ، ومن يحب وطنه يدافع عنه ، ويقاتل من أجل حمايته .

هكذا فهمت موضوع رسم الحارة الدمشقية القديمة ... قدم التاريخ ، العريقة عراقة العرب واصالتهم ...

إن رسمي لحارات دمشق القديمة هو جزء من ايماني باصالة هذه المدينة ، واصالة أهلها ، فهي جزء هام من تاريخ شامخ وعريق واصيل لهذه الأمة المناضلة .

أنا أرسم البيوت ، ومن خلالها أحس بالناس وبالحب وبالمعاناة التى يعيشها الناس ، خلف هذه البيوت ، وفي هذه الحارات .

● معرضك الأخير الذى أقيم فى دمشق منذ شهور ضم هذه المرة القديم والجديد ؟

ـ لكي أعطي فكرة لمن يعرف تجربتي القديمة ، الى أين وصلت تجربتي الجديدة بالمقارنة مع أعمالي القديمة ، أما الذين يتعرفون علي وعلى أعمالي لأول مرة ، فمن المفيد أن يطلعوا على أعمالي القديمة ليتاح لهم أن يعرفوا ماضي الرسام وتجربته وحتى يكون لديهم الرأي والقناعة بمدى فشل أو نجاح الرسام على ضوء الأعمال التى بين أيديهم مباشرة دون الحاجة الى وسيط .

القصة فى وجداني

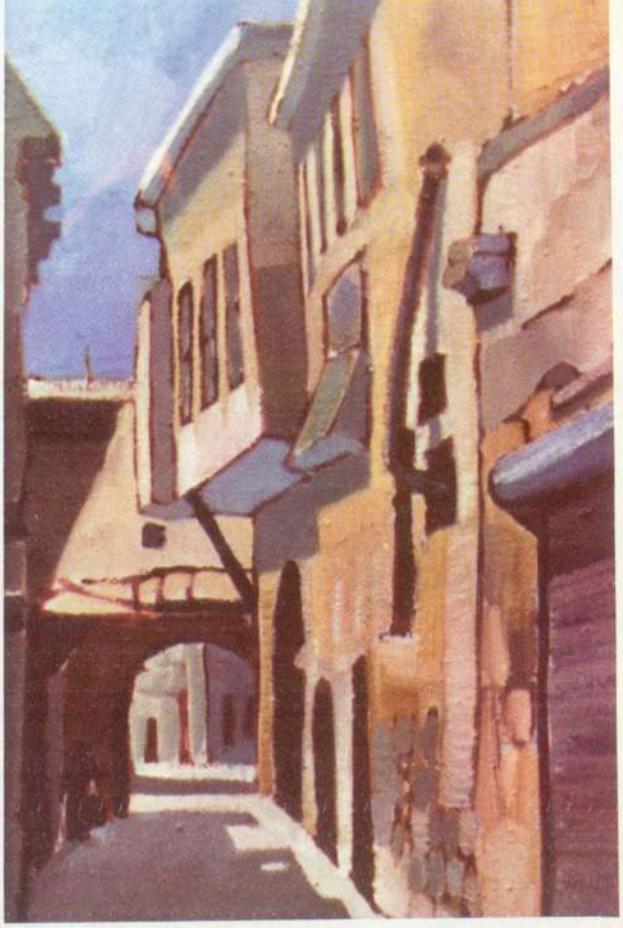
وهنا كان لابد أن نتطرق الى القصة فى لوحاته ، قلت له :

● في لوحاتك قصص ، هل جربت رواية القصص بغير الأسلوب التشكيلي ؟ .

ـ نعم ، كتبت قصصاً قصيرة فى مطلع الخمسينات ، ونشرت عدداً كبيراً منها فى

من هو ؟

- من مواليد دمشق ١٩٣٥ م
- خريج كلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٦٢م .
- مدير مركز الفنون التطبيقية بدمشق من عام ١٩٦٢ حتى عام ١٩٦٨ .
- أمين سر نقابة الفنون الجميلة من ١٩٧١م ـ ١٩٧٤م
- أمين سر الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب حتى ١٩٧٩م .
- نقيب الفنون الجميلة فى سورية من ١٩٧٤ وحتى أوائل عام ١٩٧٩ .
- رئيس مكتب الفنون الجميلة فى منظمة الطلائع .
- مدرس تاريخ الفن وفلسفة الجمال فى المعهد العالي للفنون المسرحية .



حارة من دمشق .. لوحة للفنان عبر فيها عن تعلقه بالاصالة والشموخ فى البيـوت القديمة .. ثم لوحة اخرى بعنوان : بيت من الشام .. وهي تسجيل للتراث النابض بالحياة فى المدينة القديمـــة.



الصحافة السورية والعربية . وشاركت فى مجموعة قصص صدرت عن دار الجمهورية فى القاهرة باسم « ١٥ قصة سورية » ، وكان لي مجموعة قصص تحت الطبع بعنوان « ناس من بلادي » قدم لها الدكتور عبد القادر القط ، وصمم الغلاف الفنان المعروف كمال امين ، لكن لم تصدر المجموعة .

المهم أن فكرة رواية القصة موجودة فعلا فى وجداني دائما ، ولكني احرص دائما أن أقدم القصة من خلال موقف واضح من احداثها ، وليس من خلال موقف محايد .

● بين عام ١٩٥٠ وايامنا هذه فسحة كبيرة ، رؤيتك الفنية فى تطورها خلال هذه الفسحة . ماالذى اثر فيها ؟

– بين هذين العامين حوالى اثنين وثلاثين عاما ، وهذا يعنى مرور مجموعة اجيال مرت وتمر عبر مسيرة الحركة الفنية ان اهم ما اعتبره مؤثراً في تجربتي الفنية ، هو شعوري بمزيد من المسؤولية فى تناول اي موضوع ، وبالتالي ، الابتعاد بقدر ما استطيع عن اللهجة الخطابية ، عن الصراخ فى طرح مضمون اللوحة .

كما أن اهتمامي بالأمور الشكلية والتقنية ، اختلف كثيراً عما هو عليه فى معرضي عام ١٩٧٢ ، فقد كان يشغلني ملمس اللوحة كثيراً . والآن يشغلني جو اللوحة العام ومضمونها ، ومحاولة ربط الانسان بالارضية ربطاً عضوياً ومتكاملا .

● إذن الى اي مدى يؤثر المفهوم التشكيلي الشعبي فى لوحاتك ، وما هي الابعاد الجديدة فى استخدامك لهذا المفهوم ؟ .

– لا اعتقد انه يوجد شيء اسمه مفهوم تشكيلي شعبي (...) وإذا كان المقصود هو الحارات والمدينة القديمة ، فهي جزء من حضارة الشعب ، وجزء من تراثه وماضيه واصالته . ولكنه لا يسمى مفهوماً تشكيلياً شعبياً ... وإنما هو مضمون لحياة الشعب، وما قصدت ابعد من ذلك ، حياة الناس ، وبيئتهم ، وبيوتهم ، هذه الحياة الصادقة والجميلة والمتميزة ، والتى تعطي هوية المدينة ... بالمقارنة مع اية مدينة اخرى .

● هل ترسم فى ذهنك تجارب فنية جديدة ؟ ، ماهي ؟ وإلى اين يذهب طموحك المستقبلي ؟ .

– لا استطيع ان احدد مسبقاً تجارب فنية جديدة ، فالتجربة كما هو معروف تاتي من الممارسة العملية ، ولكنني استطيع ان اقول إنني لم ارسم اللوحة التى اريدها بعد ، واتمنى من كل قلبي قبل ان اموت ان ارسم واقدم عملا كبيراً وهاماً وجيداً ومتميزاً لوطني ولشعبي ، يساعد على توضيح جانب من جوانب التطور الحضاري لوطننا الغالي .

نادر أصفهانى – دمشق

معارضـــه

المعرض الاول ١٩٥٠ / اذار فى دمشق – بمنزله .
المعرض الثاني ١٩٦٤ / حزيران ١٩٦٤ / فى صالة الفن الحديث العالمي بدمشق .
المعرض الثالث ١٩٧٢ / نيسان / فى صالة الشعب للفنون الجميلة
المعرض الرابع ١٩٧٤ / آيار / فى صالة الشعب للفنون الجميلة
المعرض الخامس ١٩٧٦ / تشرين١ / فى صالة الشعب للفنون الجميلة .
المعرض السادس ١٩٧٨ / كانون١ / فى صالة الشعب للفنون الجميلة .
المعرض السابع ١٩٨٢ / شباط / فى صالة الشعب للفنـــون الجميلة .

مات رجل وعاشت نظرية

بقلم: د. عبدالمحسن صالح

الكشف عن:

الحلقات المفقودة في نسب الإنسان

عندما ينظر الناس للخلق نظرة سطحية ، فالأغلب الأعم أن يسألوا أسئلة سطحية كذلك أو قد تبدو تساؤلاتهم أحياناً بغير ذات معنى ، فكثيراً ما يتردد بينهم سؤال ساذج مؤداه : اذا كان المعتقدون فى تطور الكائنات يزعمون أن انساب البشر تعود الى سلالة من القرود ، فلماذا لم نشهد حقاً قروداً تحولت الى بشر ؟

والجواب ببساطة شديدة : ان التطور له أصول وجذور موروثة فى لب الكائنات ذاتها ، ومع ذلك ، إذا أرادوا أن يشهدوا تحول نوع الى نوع آخر فى التو واللحظة ، فليرقبوا السحرة أو الحواة ، ليروهم وهم يحولون العصا الى حية ، والحية الى طير ، والطير الى أرنب .. ومن الممكن أيضاً ـ لو أرادوا ـ تحويل قرد صغير الى صبى صغير .. وعندئذ لا يملك المشاهدون إلا إظهار إعجابهم بالتصفيق الحاد .. يصفقون لمن خدعهم ، وهم يعلمون أنها خدعة !

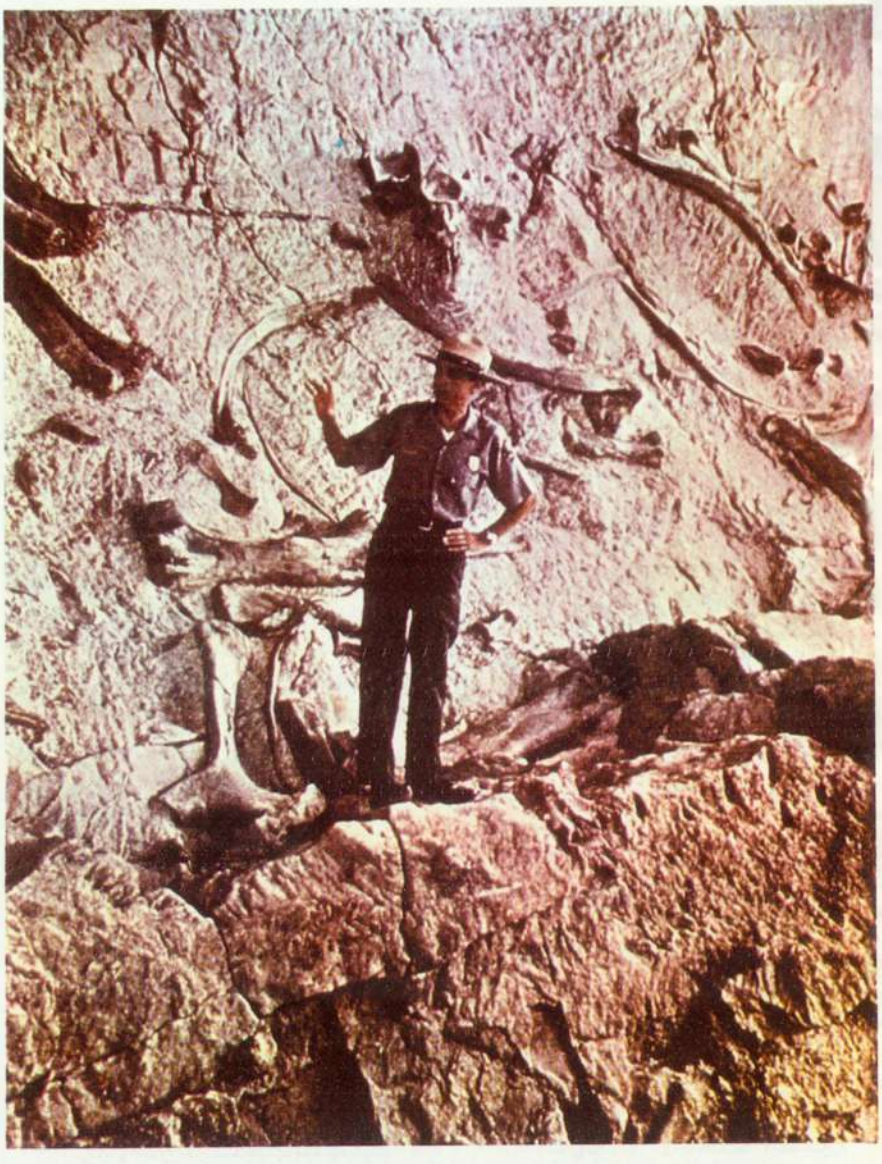
أوليس هذا مزاحاً ثقيلا ؟ .. ربما ، لكن ما حيلتنا إلا فى مثل هذه الاجابة التى تناسب ذاك الحال .. ومع ذلك ، فان الناس لا يرون «لعبة» الحياة الخالدة ، وهى تحول الأنواع ، لأن العملية جد بطيئة ، خاصة مع الكائنات الأرقى ، أى أنها لا تحدث فى مائة أو ألف أو عشرة آلاف عام ليشهدها الناس ، بل لابد من مئات الألوف أو ملايين السنين ، وهى بمفهومنا زمان جد طويل ، لكنها بالنسبة لعمر الحياة على الأرض ليست إلا لحظة خاطفة ، كاللحظة التى يخدعنا فيها الحاوى ، ويحول الأشياء من صورة الى أخرى ، لكن التحول أو التنوع فى الكائنات ليس خدعة ، ولا يمكن أن يقارن بتمويه السحرة ، لأن أصول التنوع محكومة بالطفرة ، وهى التى لعبت لعبتها الخالدة على هذا الكوكب منذ أن ظهرت فيه «بذور» الحياة البدائية ـ أى منذ حوالى ٢٥٠٠ مليون عام !

تلك آثارنا تدل علينا

والذين يقولون انهم لم يروا تحول المخلوقات من أصول سابقة الى أصول لاحقة ، حتى يحكموا ويصدقوا ، لهم بعض العذر فيما استنبطوا ، ثم انهم يستندون على ذلك من دليل جاءت به الآية الكريمة «ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم ، وما كنت متخذ المضلين عضداً» (الكهف / ٥١) .. وهذا حق ، ذلك أن أحداً لم يكن حاضراً أو موجوداً ليرى بدايات الخلق ، لكن لكل شىء آثاراً تشير اليه ، وتدل عليه .. نحن مثلا لم نشهد الله جهرة ، ولا نستطيع .. لكن آياته فى الأرض والسماوات هى «آثاره» التى تأمل فيها الانسان من قديم الزمن ، وهدته فطرته السليمة الى وجود خالق مقتدر ، فكل شىء يشهد على تجلياته فى خلقه .

تحضرنا بهذه المناسبة رواية سمعناها ، وهى هادفة بالنسبة لموضوعنا الحساس الذى سنتناول فيه أصل الانسان .. تقول الرواية : « مر رجل غير مؤمن على جمل يصلي ، وبعد أن فرغ من صلاته ، سأله : ماذا كنت تفعل ؟ .. فأجاب : كنت أصلي لله .. قال : وما دليلك عليه ؟ .. قال : سبحان الله ، بعرة تدل على البعير ، وأثار أقدام تدل على المسير ، وتلك أرض مبسوطة وجبال منصوبة وسماوات مرفوعة . أفلا يدل ذلك على الله القدير» .

وبمثل هذا المفهوم البسيط ، يسير العلماء أيضاً على نفس الطريق ، ذلك أن



طبقات الصخور بمثابة صفحات كتاب مطبوع ، وفيها نستطيع ان نرى آثار الحياة الغابرة ، وعلى هذه « الصفحة » او الطبقة توجد عظام أحد الديناصورات الضخمة المنقرضة .. صحيح اننا لم نشهد ديناصوراً حياً يعيش الآن معنا ، لكن آثاره تدل عليه

لكل شيء بداية وجذورا ، والجذور كامنة فى الصخور ، وفى الصخور نستطيع أن «نقرأ» صفحات كتاب مسطور ، لكن سطوره ليست كلاماً مكتوباً ، بل صوراً مطبوعة ، وأخرى مجسدة ، وهى دليلنا على أحداث حياة غابرة ، وكائنات منقرضة ، ليس لها مثيل فيما بين أيدينا من مخلوقات حية حاضرة ، ولهذا كانت مرشدنا عن الحلقات التطورية الناقصة ، ومنها - بطبيعة الحال - الحلقات التى تضيق الفجوة الواسعة بين القردة العليا والانسان .

وطبيعى أن آثار الحياة الغابرة آثار مهلهلة ، بمعنى أننا لا نستطيع أن نجد كائناً منقرضاً بحالة متكاملة ، لكن يكفينا منه جمجمة ، أو جزءاً من جمجمة ، أو حتى ناباً أو ضرساً ، أو عدة فقرات غير مترابطة أو عظام حوض أو كتف أو ذراع أو ساق أو كف .. الخ ، فهذه أو غيرها تمهد لنا الطريق لمعرفة النوع أو الجنس أو العائلة أو الرتبة التى ينتمى اليها الحيوان المنقرض بما ترك بين الصخور من آثاره الدالة عليه .

وهو استفسار وجيه على أية حال ، لكن ما قول المعترضين فى أنه بالامكان الآن الكشف عن حقيقة الجرائم التى تقع فى كل آن وحين ؟ .. إن كشف الجريمة قد يعتمد على شعرة ، أو قطرة دم ، أو بصمة ، أو رصاصة ، أو مسحة من دهان ، أو أى شيء آخر ترك فى مسرح الجريمة ، ولا يشكل بالنسبة لنا فى الكشف عنها أية قيمة ، لكنه ذات قيمة كبيرة فى الدراسات المقارنة التى يقوم بها علماء الكشف عن الجريمة ، أو حتى عند الأعراب المتمرسين على اقتفاء الآثار ، فيعرفون أى نوع من الكائنات تركت خطواتها على الرمال .

كذلك الحال مع علماء الحفريات ، فمن الدراسات المقارنة بين هياكل الحيوانات الحاضرة والمنقرضة ، يستطيعون تحديد إن كان هذا الفك لقرد أو شمبانزى أو ثعلب دفن منذ ملايين السنين ، وهل يشبه من قريب أو بعيد فك أحد الحيوانات التى تعيش الآن . أم أنه كان لنوع آخر انقرض ، دون أن يترك ذرية تواصل الحياة مع الكائنات الأخرى ، كذلك يعرفون - الى حد بعيد - نوع الطعام الذى كان يتناوله الكائن المنقرض عن طريق أنيابه أو ضروسه وأسنانه .. المهم أن كل من مارس هذه الدراسات خبير فيما يبحث ، ومع ذلك فالعلماء فى الوقت الحاضر يختلفون فى أشياء ، ويتفقون فى أخرى ، ثم انهم يضيفون كل عام الى حصيلتهم العلمية الكثير من العينات الحفرية ، وكلما كانت الاضافات أكثر ، جاءت الاستنتاجات أقوم ، والنظرة الى الجذور نظرة أتقن وأسلم !

ومن حسن حظ العلماء أن أسنان وجماجم الكائنات المندثرة ، كانت أكثر مقاومة لعوامل التآكل والتعرية ، وذلك بحكم طبيعتها الصلبة ، وتكوينها وتراكبها الذى يساعد على حفظها بطريقة شبه جيدة ولقد جمع العلماء منها حصيلة لابأس بها ، ولايزالون ينقبون بين طبقات الأرض ، بحثاً عن المزيد الذى سيمهد لهم تكوين صورة متكاملة عن الحلقات التطورية المفقودة فى مملكتى النبات والحيوان .

أصول مشتركة

وكاليتيم الذى فقد أحد والديه أو كليهما ثم راح يطوف الآفاق بحثاً عنهما ، علّه يهتدى الى أصله ونسبه ، يذهب العلماء الى أبعد من ذلك ، ليس لأنهم أيتام ، بل يريدون معرفة أصل الانسان ، أى هل جاء الى الحياة كنوع «يتيم» ووحيد ، أم أن له حسباً ونسباً وأصولا وجذوراً تضرب فى أعماق الزمن ؟

إن الذين ينادون بفكرة الخلق المستقل ، أى أن الانسان جاء خلقاً قائماً بذاته ،

الكشف عن :

الحلقات المفقودة في نسب الإنسان

وليس له أصول مشتركة مع ما سبقه ، يأخذون الأمر أخذاً ميسراً ، فيريحون ويستريحون ، ولكن العلماء لا يريحون ولا يستريحون ، ليس ذلك لأنهم يتبعون مبدأ خالف تعرف ، ولا حباً فى العناد والاعتراض ، بل يرجع ذلك أساساً الى وجود فكرة مسبقة تشير اليهم بأن الخلق جميعاً تجمعه صفات مشتركة ، وأن هذه الصفات ترتقى فى الكائنات بمرور الزمن ، حتى يأتى الانسان فى النهاية متوجاً لهذه الفكرة التى أرسى الله قواعدها فى كل المخلوقات ، فما من نسيج أو عضلة أو عضو من الأعضاء التى تظهر فى المخلوقات الأرقى ، إلا ولها أصول نشأت منها فى المخلوقات الأدنى .

خذ على سبيل المثال رأس الانسان ، وقارنه ظاهرياً برأس الحيوانات التى تليه فى مرتبة أدنى ، نجد أنها تحتوى على مخ وعينين ولسان وشفتين وأذنين وأنف وأسنان وأنياب .. الخ .. الخ ، فالأجزاء مشتركة ، والوظائف واحدة ، والأنسجة متشابهة ، لكن النسب مختلفة ، وكلما تعمقت فى أساس هذا الخلق أكثر ، وجدت التشابه فى الأصول أعظم ، أى عليك أن تنظر على مستوى الخلايا ، ثم على مستوى الجزيئات المكونة لهذه الخلايا ، تجد أن ٩٩٪ من العمليات الكيميائية الحيوية متشابهة بين انسان وقرد أو ما دون ذلك .. لكن هذا موضوع آخر كبير قد نعود اليه لنوفيه حقه .

ومع ذلك ، فالعلماء متفقون مع الناس على أن الفجوة واسعة جداً بين قرد وانسان ، ولا يمكن والحال كذلك أن يكون الانسان قد نشأ عن هذه الأسلاف التى نراها اليوم فى شمبانزى أو غوريلا ، وفكرة التطور التى يعتقد فيها العلماء لا تفسر لنا معنى هذه القفزة الهائلة ، إذ لا يمكن أن يجىء مخلوق بقامة معتدلة ، وتناسق واضح ، وعقل راجح ، ولسان فصيح ، ووجه مليح ، وجسم أملس (نسبياً) ، ونهود بارزة فى الاناث ، وغير ذلك من الصفات الراقية التى لا يمكن أن تظهر هكذا فجأة وبدون مقدمات ، ولابد ـ والحال كذلك ـ أن يحنى العلماء رؤوسهم لأصحاب فكرة الخلق المستقل .

وحتى داروين نفسه أجرى مقارنة تشريحية بين رأس الانسان وحجم مخه ، وبين رؤوس وأحجام أمخاخ القردة العليا ، وأدرك أن مخ الانسان أكبر حجماً ، وأرقى تكويناً ، وأعظم استيعاباً ، وأكثر تطوراً فى مراكز الاحساس والعاطفة والذاكرة والادراك .. الخ ، من أى فرد من أفراد القرود العليا ، فحيث يصل حجم المخ فى الغوريلا الى حوالى ٤٨٠ سنتيمتراً مكعباً فى المتوسط ، وفى الشمبانزى ٣٦٥ ، وفى انسان الغاب ٣٧٥ ، نجد أن حجم مخ الانسان يصل فى المتوسط الى حوالى ١٤٠٠ سنتيمتر مكعب .. انها فجوة واسعة لا تنفع فى تفسيرها نظرية التطور التى تستلزم عمليات تدريجية ، تؤدى الى أمخاخ تصبح أحجامها وسطاً بين القردة العليا وبيننا ، وهذا ما يسعد حقاً المنادين بفكرة الخلق المستقل .

ثم انك لو عدت الى الأصول التى نشأت على أساسها الأطراف فى الانسان والقردة أو ما دون ذلك ، لوجدت صفات كثيرة مشتركة ، لكن الهوة واسعة بين يد الانسان وقدمه ، وبين يد وقدم القرود ، فالانسان ـ بعقله المتميز ـ صاحب حضارة لكن عقله لن يسعفه فى صنع الأدوات والرسم والنحت ، ما لم تكن العضلات والعظام التى كونت يديه وذراعيه قد امتلكت حرية هائلة فى الحركة ، وبحيث تساعده على أداء انجازات ضخمة لا يستطيعها أى حيوان آخر ، وهذا ما أشار اليه داروين أيضاً ، واعترف به ، ومع ذلك ، فقد كان لا يساوره شك فى ان الانسان له أصول قديمة .

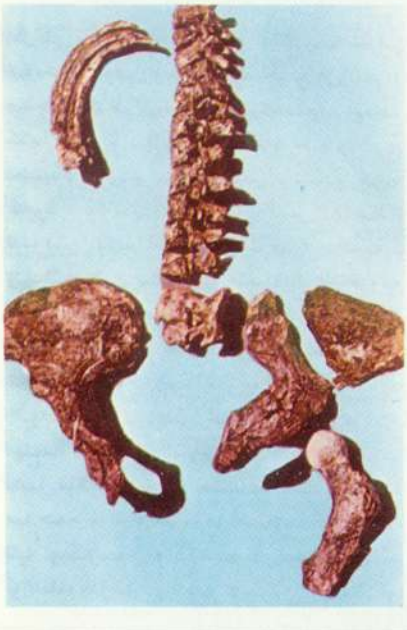
التنبؤ بالأصول

ورغم أن داروين ـ في زمانه ـ لم يكن يعرف حلقة واحدة من الحلقات التطورية الناقصة ، والتى يمكن أن تساعد على سد الفجوة الكبيرة التى تفصل الانسان عما دونه ، رغم ذلك ، فلقد هدته بصيرته الى

إحدى الحلقات المفقودة التى عثر عليها العلماء واخذوا يدرسونها بعناية فائقة وصولا للحقيقة العلمية



من بقايا هذه العظام المتحجرة استطاع العلماء أن يتوصلوا الى معرفة نوع الكائن المنقرض وجنسه وعائلته ورتبته .. فمن خلال بعض فقرات العمود الفقري وبعض الضلوع وعظام الحوض وراس عظمة الفخذ ، يمكن التوصل الى أن هذا التكوين ليس لانسان ، ولا لاحد القردة العليا ، بل هو لكائن كان يمشي على ساقين ، اكتشفوه فى افريقيا الجنوبية ، واكتملت الصورة بالكشف عن جمجمة هذا الكائن





احدى الجماجم التى اكتشفها رايموند دارت لطفل عمره ست سنوات واعتبرها بمثابة الحلقة المفقودة . ولقد توصل الى هذه الحقيقة لان تكوين الجمجمة ليس له مثيل فى الكائنات التى تعيش معنا الآن .. اي ليست لقرد ولا لانسان ، بل حالة وسطية في تكوين الفكين والاسنان وحجم المخ ... الخ



رائدان من الرواد الاوائل فى التنقيب عن الحلقات المفقودة ، هما دكتور رايموند دارت (يمين) ودكتور لويس ليكي ، وامامهما حصيلة من الحفريات المكتشفة فى جنوب وشرق القارة الافريقية ، وبها يحددان إن كانت هي لمخلوقات اقرب الى القرود او اقرب الى البشر .

نبوءات املتها عليه الدراسات الكبيرة التى اجراها على كثير من الكائنات الحية ، وبعض الكائنات المنقرضة ، ومنها توصل الى استقراءات ثبت ـ بعد ذلك ـ ان معظمها صحيح ، من ذلك مثلا ان داروين كان مقتنعا تماما بان اسلاف الانسان قد انتصبت قاماتها ، ومشت على ساقين ، قبل ان تتطور امخاخها ، وتاخذ وضعها بنفس الدرجة ، اي ان الأطراف لابد وان تكون قد سبقت الامخاخ فى عملية التطوير .

ثم ان انتصاب القامة يستلزم تحويراً كبيراً فى العمود الفقري ، وفى عظام القدمين والساقين والمفاصل وما يتصل بها من عضلات تساعد على المشي والجري ، بدلا من تسلق الأشجار ، والتعلق بالاغصان ، كما تفعل القرود ، ولا يمكن أن يتم كل هذا فى خطوة واحدة ، بل لابد من حلقات تطورية يتم فيها ذلك بالتدريج .

ويشير داروين الى ان القارة الافريقية قد تكون اكثر القارات مهداً طبيعياً للبحث عن هذه الحلقات ، وفى هذا يقول « فى كل منطقة كبيرة من العالم تبدو الحيوانات الثديية اقرب شبهاً بالحيوانات المنقرضة ، ومن اجل هذا ، فانه من المحتمل ان تكون قارة افريقيا قد ضمت فى الماضى قردة عليا منقرضة ، وذات صلة وثيقة بالغوريلا والشمبانزي (وهما النوعان اللذان لا يزالان يعيشان فيها حتى الآن) .. وان هذين النوعين هما اقرب الحيوانات الحية شبهاً بالانسان ،ولهذا فانه يبدو لي ان اسلافنا الأوائل ربما عاشوا فى القارة الافريقية اكثر من اي مكان آخر » ! .

لكن داروين لم يكن يقصد من ذلك ان الانسان قد جاء من سلالة القرود ، أو القردة العليا ، بل يعني « بالأسلاف » حيوانات تدرجت فى الصفات ، لتصبح وسطاً بين الانسان وبين اصل قديم انفصل منذ ملايين السنين عن باقي القرود ، ومنه اشتقت « شجرة العائلة » التى ننتمي إليها ، ولقد تفرع منها نوع من وراء نوع ، وفي كل حقبة زمنية طويلة (مئات الالوف او ملايين السنين) ، يتميز النوع اللاحق عن النوع السابق بصفات تجعله اقرب الى البشر منه الى القرود ، أو هي ما نطلق عليها اشباه الانسان .

لكن مهما افتى داروين وتكلم فى اصل الانسان ، ومهما تحدث الذين جاءوا من بعده ، وكتبوا واطنبوا فى آراء تبدو امامنا كخيال ، فان العبرة ليست بكلام يتردد ، ولا تكهنات تطلق ، بل لابد من ادلة صحيحة ومقنعة ومجسدة ومرئية ، وإلا كان كل ماقدمنا فاوجزنا بمثابة زبد يذهب جفاء ، او هشيم تذروه الرياح .

أول الغيث قطرة

وطبيعي اننا لن نتعرض هنا إلا للأسلاف القريبين منا ، أي لعائلة اشباه الانسان ، وهي التى كشف العلماء عنها الحجاب ، ليس ككائنات حية ، بل ككائنات منقرضة أدت دورها على مسرح الحياة لعدة ملايين من السنين ، ثم بادت ، وربما كان الانسان الأول الذى جئنا من صلبه (البعض يفضلونه آدم ـ لاباس !) كان سبباً فى ابادة اسلافه ، لكن ذلك موضوع آخر قد يباعد بيننا وبين ما نحن بصدده ، وطبيعي ان لإسلافنا اسلافاً .. ثم اسلاف ترجع جذورها الى حوالي ٤٠ مليونا من الأعوام ، لكن ذلك ايضاً موضوع آخر .

ولاشك ان الوسائل التى يتبعها العلماءللكشف عن هذه الأصول مجهدة وعويصة وتحتاج لذكاء وصبر وزمن ، ثم معرفة باصول الكائنات الحية التى تعيش الآن بيننا ، حتى يمكن عمل مقارنة واستنباط سليمين بين الحي والمنقرض .. فكشف الأصول أو الحلقات الناقصة يستلزم النبش والتنقيب فى طبقات الأرض وهي عملية شاقة ، وفيها تلعب الصدف دوراً هاماً ، فقد يستمر التنقيب سنين طويلة ، دون الوصول الى نتيجة ، وقد يلعب الحظ لعبته السعيدة ، فياتي الكشف على غير ما يتوقع النابش .

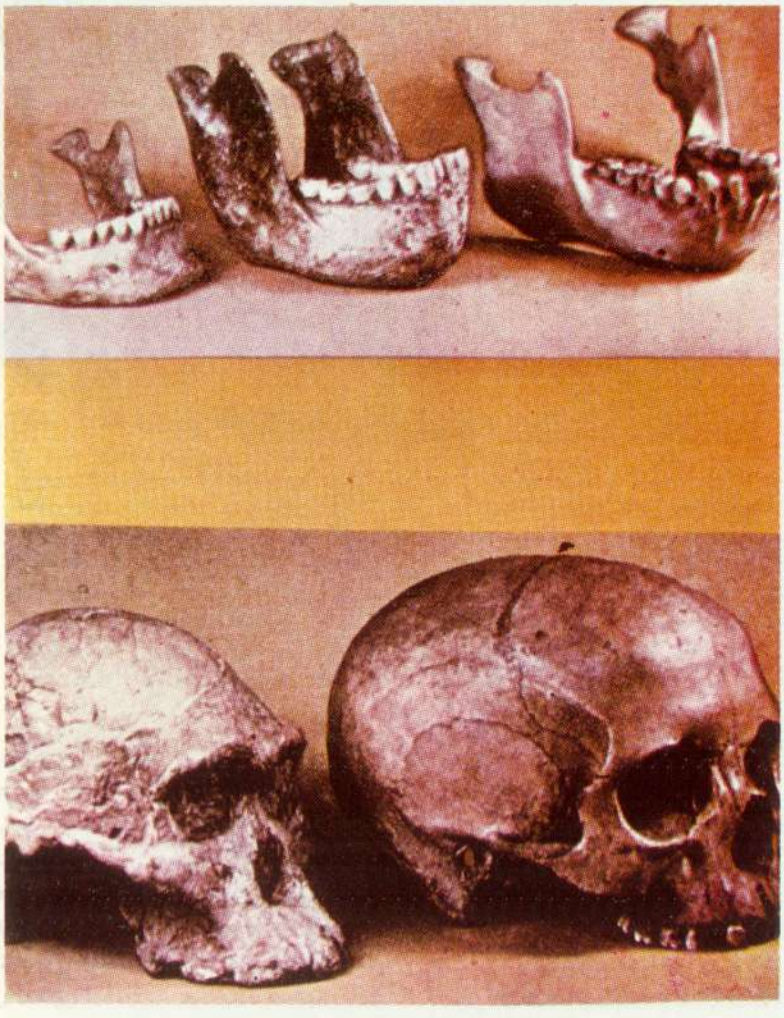
إن اول كشف هام ، عن مخلوق حفري لا هو قرد ولا هو انسان ، وقد اعلن عنه رايموند دارت Dart فى عام ١٩٢٥ ، و « دارت » كان يشغل وظيفة استاذ للتشريح فى جامعة ويتووترزراند فى افريقيا الجنوبية ، لكنه ـ فى الوقت ذاته ـ كان مهتماً بالبحث فى الحفريات ، ولقد وصله صندوق خشبي مشحون ببقايا عظام وصخور قديمة ، وكانت المفاجاة عندما اكتشف بينها كتلة متحجرة وكانما هي مصبوبة داخل فجوة الراس ، لانها اتخذت شكل المخ تماماً ، ولقد كان كل امله ان تكون مخاً لقرد متحجر ، لكن لدهشته كانت اكبر من حجم مخ اي قرد معتبر بحوالي ثلاث مرات ، واكبر كذلك من حجم مخ الشمبانزي بشكل واضح ، وفجاة لمعت فى راسه فكرة ، وتساءل : هل يمكن ان يكون ما بين يدي الآن احدى الحلقات التطورية الناقصة ؟ .

وعاد دارت للبحث فى الصندوق ، عله يجد بقايا الجمجمة المتحجرة التى ربما تكون قد تهشمت اثناء قطع الاحجار من محجر قريب ، ومن حسن حظه وجد ضالته وظل اياماً طويلة وهو يعالج بقايا الجمجمة بعناية بالغة ، عله يزيل منها الصخور المتحجرة ، ثم جمع اجزاءها واحدة بجوار الاخرى ، حتى صارت جمجمة شبه متكاملة ، واغرب من ذلك ان المخ المتحجر قد شغل تماماً فراغ الجمجمة (انظر الشكل الدال على ذلك) .

ولقد ظل دارت ينظف ويزيل كل ماترسب على فكي وعظام الجمجمة ثلاثة شهور متواصلة ، وكلما اتضحت المعالم اكثر ، كلما زاده ذلك اقبالا على العمل اعظم ، وهو كاستاذ للتشريح المقارن ، لم يجد عناء فى تحديد عمر صاحب الجمجمة ، إذ تبين انها

الكشف عن :

الحلقات المفقودة في نسب الإنسان



ثلاثة فكوك سفلية (إلى أعلى) .. احداها (الى اليمين) لانسان الغاب (الاورانج اوتان من عائلة الشمبانزي) . والتى الى اليسار فك إنسان ، وفي الوسط فك إحدى الحيوانات المنقرضة وهي حالة وسطية او انتقالية ، اي انها ارقى تكويناً من فكوك القردة العليا ، واقل تطوراً من فك الانسان .. وفى الصورة السفلى جمجمة كاملة للانسان الحديث (الى اليمين) والأخرى (الى اليسار) جمجمة الكائن الذى اكتشف فى جنوب افريقيا

لطفل يبلغ من العمر حوالي ست سنوات ، فلقد اكتملت على فكيه الأسنان اللبنية ، وبدأت الضروس في الظهور ، أما الأنياب فكانت صغيرة كانياب طفل الانسان ، كما اوضح قاع الجمجمة انها لمخلوق كان يمشي منتصباً على قدمين .

لكن هذا الكشف كان مميزاً عن كل الكشوفات السابقة التى اكتشف فيها علماء آخرون جماجم كانت اقرب الى جمجمة الانسان شكلا وحجما وتكويناً ، ولقد اطلقوا عليها اسماء على حسب المواقع التى اكتشفت فيها ، فهذه لانسان بكين ، وتلك لانسان جاوه ، وغيرها لانسان نيندر- نسبة الى فرع من نهر الراين بالمانيا يسمى بهذا الاسم ، وهي جميعاً لبشر يحملون بعض صفات القردة العليا ، لكنها وضعت تحت جنس الانسان كانواع اكثر بدائية من الانسان الحكيم او المدرك .. (في علم التقسيم نطلق على انفسنا الاسم العلمي هوموسابينس . Homosapiens

وهومو اسم الجنس ، وسابينس اسم النوع ، وسوف تتضح لنا الأمور اكثر ، كلما توغلنا في الموضوع) .

وثار جدل كبير

لكن جمجمة طفل دارت كانت بالتاكيد لجنس آخر غير الجنس البشري ، ولهذا لم يتردد مكتشفها فى اطلاق اسم لاتيني فج هو « اوسترالوبيثيكوس افريكانوس »

(« اوسترالوس » تعني جنوبي ، و «بيثيكوس» تعنى قرداً من القردة العليا) – اي قرد جنوب افريقيا ، لكنه قرد ذو مخ كبير ، وقامة معتدلة ، ثم انه يجمع بين الملامح البشرية وملامح الشمبانزي ، اي ارقى من القردة العليا ، واحط من الانسان .

ولم يتردد دارت فى كتابة تقرير علمي مفصل عن هذا الكشف المثير ، وارسله فى فبراير عام ١٩٢٥ الى المجلة العلمية المشهورة « نيتشر » (الطبيعة) ، وتضمن خطابه الى المجلة عبارة لافتة للنظر تقول :

« إن العينة من الاهمية بمكان ، لانها توضح سلالة منقرضة ، تقع فى مرتبة وسط بين القردة العليا والانسان » ..

ويبدو ان المجلة قد اعتبرت ذلك تسرعاً في الحكم ، ولهذا اجلت نشر الموضوع الى ان يفحصه ويعلق عليه بعض العلماء المتخصصين فى هذا المجال ، لكن صحيفة « جوهانسبرج ستار » التى تصدر فى جنوب افريقيا قد هزها النبأ ، فسارعت بنشره بطريقة صحفية مثيرة ، وبعنوان بارز « كشف الحلقة المفقودة بين القرد والانسان » .. وتناقلت الانباء الخبر ، لتنشره فى معظم صحف العالم ! .

وعند هذا الحد بدأ النقد والهجوم على هذا الكشف ، وخاصة من علماء افذاذ مثل « سير » آرثر كيت ، و«سير» آرثر سميث وودورد ، واليون سميث وغيرهم ، وقيل ضمن ما قيل ان الجمجمة ليست إلا لشامبانزي ، ولكنها جاءت بطريقة مشوهة، وعندئذ لزم دارت الصمت ، ولكن امله تجدد عندما وصله خطاب تهنئة على كشفه من دكتور روبرت بروم ، وهو طبيب اسكتلندي كانت له اهتمامات عظيمة بعلوم الحفريات ، مما جعله يكرس معظم وقته فى علميات تنقيب أدت الى الكشف عن الحلقات المفقودة بين بعض رتب الكائنات الأقل تطوراً من الحيوانات الثديية ، ثم ان بروم لم يستطع ان يكبح جماح شغفه بفحص ما توصل إليه دارت ، فكان ان حزم أمتعته ، وترك اسكتلندا متوجهاً الى جنوب افريقيا ، قضى أياماً فى معمل دارت وهو يفحص الجمجمة فحصاً دقيقاً ، واقتنع ان دارت كان على حق ، ومن ثم أرسل الى مجلة نيتشر تعليقاً على صحة الكشف ، ومع ذلك فقد تحفظ العلماء فى ابداء رأي قاطع ، خوفاً من التسرع والوقوع فى خطأ قد يجر عليهم المتاعب . وبعد ذلك باربع سنوات ، اي فى عام ١٩٢٩ نجح كل من دارت وبروم فى فصل فكي الطفل المتحجرين بعد عناء وحرص شديدين ، ولأول مرة يتضح امامهما تكوين

الانسان بشكل يؤكد انها وسط بين السمبانزي والانسان ، وخاصة فى الانياب الى جاءت أكبر من انياب الانسان .

ولقد تحمس بروم لهذا الكشف تحمساً شديداً ، وتمنى لو قدر له أن يكشف عن مخلوق متحجر بالغ من هذا النوع ، أو حتى على جمجمة أو فك ، ولقد ذهب حاسه الى أبعد من ذلك ، وقرر هجر وطنه اسكتلندا للتنقيب في مناجم ومحاجر افريقيا الجنوبية بحثاً عن ضالته التى يتوق اليها ، وشجعه على ذلك الفيلد مارشال ج . ك سمتس Smuts رئيس وزراء افريقيا الجنوبية وقتذاك ، وعينه امينا لمتحف ترانسفال ببريتوريا وكمقيم او استاذ لعلوم الحفريات الفقارية ولانثروبيولوجيا الطبيعية (وهو علم يبحث فى تاريخ الجنس البشري) ، ولقد تعرف وقتذاك على ج . و . بارلو مدير المناجم والمحاجر هناك ، وكان مشرفاً ايضاً على المحجر الذى اكتشفت فيه جمجمة الطفل قبل ذلك ، وهو الذى بعث بها الى دارت ، ثم ان لديه معرفة مبدئية عن معنى الحفريات التى قد تنشق عنها طبقات الأرض اثناء عمليات الحفر ، ولقد رجاه بروم أن يحيطه باي شيء حفري يمكن ان يكون محتفظاً به ، او يظهر اثناء التنقيب ، فاسر إليه بارلو انه كان يبيع لزوار المنجم فى أيام الآحاد حفريات مما يجذب اهتمام الناس ، ووعده بان يكون خير معين له فى هذا المجال .

كشف آخر مثير

بعد تسعة أيام ، حضر المدير الى الاستاذ ، وقدم اليه شيئاً وسؤالا : هل هذا الذى تريده ؟ .. وامسك بروم بين يديه كتلة صخرية متحجرة ، ولكن شكلها يدل على انها بمثابة « قالب » لثلثي جمجمة قديمة ، وظل يعالجها ويفتتها بعناية بالغة ، الى ان اتضحت له بعض معالمها ، واستخلص منها قاع جمجمة ، وشقى فك علوي وبعض عظام الراس .. وظل بروم يوفق بين ماحصل عليه من أجزاء متناثرة ، الى ان اتضح له انه بالفعل امام جمجمة مخلوق بالغ ، ومن نفس نوع جمجمة الطفل المكتشف قبل ذلك .

وظل بروم يتردد على المحاجر والمناجم طيلة ثلاث سنوات ، عله يعثر على شيء هام ، وجمع ثروة من الحفريات لم يكن بينها انسان ولا اشباه انسان ، وفى احد أيام يونيو عام ١٩٣٨ تقابل معه بارلو ، وأخبره بان لديه أخباراً طيبة ، وقدم له فكاً علوياً لاحد أنواع أشباه الانسان ، وبالفك ضرس وحيد ، وساله بروم عن مصدره ،



الكائن الذي اكتشفه دارت في جنوب افريقيا ، وكان يسير منتصباً على قدمين وملامحه اقرب إلى القرود ...

فقال مدير المناجم انه حصل عليه من أحد تلاميذ المدارس الثانوية الذى يسكن فى مزرعة غير بعيدة ، وأسرع بروم الى منزل التلميذ ، فعلم انه فى المدرسة ، وانطلق اليه هناك ، وتحدث معه عن قصة الفك ، فاخرج الصبى من جيبه ـ وكما يصفها بروم ـ «أربعة من أروع الأسنان التى عثر عليها فى تاريخ هذا العالم» ثم صحب الصبي عالم الحفريات الى الموقع الذى وجد فيه الفك والأسنان ، وأخرج من مخبأ صغير ـ كان يضع فيه أدوات التنقيب ـ قطعة نادرة من الفك الأسفل لنفس المخلوق ، وخلال يومين نبش كل من بروم والصبى الموقع الذى وجدت فيه هذه العينات ، فوجدا عدداً من العظام المتناثرة وبعض الأسنان ، وعاد بروم الى معمله بهذا الصيد الثمين ، وظل أسابيع فى عمل متواصل ، لينسق ما أفسدته عوامل التآكل وخرج من ذلك بجمجمة ذات وجه أعرض ، وفكين أسمك ، وأسنان أكبر من العينة التى حصل عليها من قبل ، وأهم من ذلك أن الجمجمة كانت أقرب الى جماجم الانسان الحديث ، لكنها لازالت تحمل بعض بصمات القرود !

ونشر بروم بحثاً مستفيضاً ، وفيه قارن بين العينات المكتشفة ، أى جمجمة الطفل ، والجمجمة التى أهداها له بارلو ، وجمجمة التلميذ ، وأمام هذه الأدلة المجسدة ، بدأ العلماء المتخصصون يأخذون الأمور بشيء من الجدية الممزوجة بشيء من الحرص ، خاصة عندما أشار بروم الى أن العينات الثلاثة ترجع الى أزمنة متفاوتة ، فجمجمة الطفل يرجع عمرها الى حوالى مليونين من الأعوام ، وجمجمة بارلو مليون ومائتى الف عام ، وجمجمة التلميذ الى حوالى ٨٠٠ الف عام ، ونظراً للاختلاف الملحوظ بين الجماجم الثلاث ، فقد ذهب بروم الى أبعد من ذلك ، ووضع كلا منها فى جنس مستقل بذاته ، وضمها فى عائلة أسماها أشباه الانسان ـ أو عائلة البشر القرود الجنوب افريقية (Amstralapthecinae)

ويبدو أن عقول العلماء كانت غير مهيأة لتقبل مثل هذه الأنباء المثيرة والمتلاحقة والسريعة ، إذ كيف يمكن التوصل الى كل هذا بمجهودات فردية ، وفى أزمنة قياسية ، وفى منطقة محدودة من جنوب القارة ، ولقد تهكم بعضهم على ذلك ، وقال : ان بروم قد يتحفنا فى القريب العاجل ، بجنس رابع ، أى كائنهم يتشككون ، والشك أول درجات اليقين ـ كما يقولون .

وقامت الحرب العالمية الثانية ، وشغلت الناس ، وهبطت حمى الجدل التى ثارت بين العلماء عن أنواع البشر القرود ، وحقيقة وضعهم فى المملكة الحيوانية ، وصلة القرابة بينهم وبيننا وبين القردة العليا ، لكن بروم لم يضيع وقته ، وجاءه من يشد أزره فى أبحاث متواصلة ، إذ أصبح ج.هـ. شيبرز ساعده الأيمن ، وأظهر تفوقاً مع أستاذه فى ربط الحقائق المهلهلة المدفونة فى طبقات الأحجار والصخور ، وبعد عشرين عاماً كاملة ، خرجا على العالم بكتاب جميل متكامل ، وعليه يعلق روث مور فى كتابه الممتع «التطور» .. فيقول «ان العلم قد استيقظ من سباته بالصدمة التى أحدثها كتاب بروم وشيبرز ، ذلك أن النتائج المدونة لم تكن تحتمل الشك فى صحة هذه الحفريات الدالة على أن هذه الكائنات المكتشفة كانت أشباه بشر ، وهى تمثل مرحلة هامة فى التطور للوصول بالانسان الى وضعه الحالى ، ومع ذلك ، فان وضع هذه الكائنات الحفرية بالنسبة لنا ظل موضع نقاش ، فلا أحد يعرف وقتها ان كانت هى أسلافنا أو أولاد عمومتنا» !

لكن فصول كتاب الحفريات المسجل على طبقات الصخور لم تكتمل بعد ، إذ أن فصولا أخرى هامة قد اكتشفت فى أواسط افريقيا والحبشة ومحافظة الفيوم بمصر ، ولها دراسة أخرى قادمة ، لنعلم ما لم نكن نعلم عن أسلافنا الذين مهدوا الطريق لظهورنا ، حيث تركوا مسرح الأحداث للانسان الحديث ، لكى يبحث وينقب عن أصله ونسبه ، عله يهدأ ويرضى ، أو قد تنهال عليه اللعنات مع انسان آخر يغمض عينيه ، ويصم أذنيه ، حتى لا يرى الحقيقة ولا يسمعها ، ومع ذلك فالعلم يسير !

د. عبد المحسن صالح

فنانون هواة
ينافسون الفنانين المبدعين!

بقلم: مريم آل سعد



جيل الهواة الجديد داخل المرسم الحر حيث يعبرون عن مواهبهم المبكرة فى مجال التشكيل.

● الفتاة القطرية أكثر التزاماً واقبالا على الرسم من الشاب القطري .

● الجائزة الثانية فى مسابقة ٢٢ فبراير الماضى .. كانت من نصيب المرسم الحر .

● تم تخريج ٣٠٠ منتسب ومنتسبة من المرسم أصبحت لديهم قاعدة من التفهم والوعي لشمولية الفن ...

لن يقف احد من المهتمين بالفنون التشكيلية ـ بعد اليوم ـ فاغراً فاه ، امام لوحة او تحفة فنية ، عاجزاً عن استيحاء جمالها وتذوق لغتها الابداعية ، ولن يعجز احساسه عن استشفاف رموزها ومعانيها العميقة ، وإن امتدت به اهتماماته ليبحر فى عالم هذه الخطوط والالوان والاشكال ، فلن يتأخر مركبه فى الابحار على أمواجها الهادئة ، وذلك إذا امضى فترة بعد الظهر ولأيام معدودة من الأسبوع منتسباً للمرسم الحر التابع لادارة الثقافة والفنون فى وزارة الاعلام القطرية .

جيل متذوق للفن

ورحلة المرسم الحر ابتدات منذ عام ١٩٧٩ وظهر الوجود النسائي فى عام ١٩٨٠ .

والانضمام الى المرسم الحر لا يتطلب سوى أن يكون العمر ابتداء من الثالثة عشرة فاكثر . والاختيار مفتوح لكي ينضم كل هاو الى ما يجذبه من انواع الفنون المختلفة .

والملاحظ على المرسم صغر حجمه نسبياً ، حتى يستوعب مجالات خدماته التى تتسع وتتشعب . ـ وايضاً ـ قلة الموجهين والاساتذة ، حيث يقتصر المرسم حالياً على خبير فى الفنون التشكيلية ، ومساعدة له تختص بالمنتسبات من الدارسات ..

وحيث أن من أهداف المرسم الحر ، تشجيع الاهتمامات المختلفة للهواة المنتسبين ـ كالنحت والفخار (السيراميك) والتصميم والديكور ـ فان النقص فى اساتذة هذه الفنون ، قد يشكل حائلا دون تطويرها وترسيخ وجودها ، الى جانب الأعمال الابداعية فى الرسم ، والتى نبغ فيها عدد كبير من الهواة من كلا الجنسين .

وتنظيم العمل فى المرسم الحر ، يستوجب وجود إدارة داخلية فى نفس المبنى ، ليتم التلاحم ما بين التوجيه والمتابعة ، وبين العمل والانتاج .

ومن الحوافز الجيدة تخصيص مكافات شهرية لجميع المنتسبين الهواة ، مما كان له الأثر الايجابي فى انضمام اعداد لاباس بها لصفوف المتدربين ، وإن لم توجد جذوة الموهبة في بعضهم . ولكن مهمة خلق جيل متذوق للفن ، متعرف على قواعده الأصلية ، مستشف لمعانيه وصوره الريادية ، لا تقل اهميتها عن تكوين الفنان الملتزم نفسه .

لأنه لا فن مؤثر بدون قاعدة متفهمة ، تعكس ابعاد وعيها على مضامين الفن المعروض عليها .

وايضاً كلن لوجود المواصلات وتوفيرها فى خدمة اعضاء المرسم الحر ، مردودها الايجابي فى نجاح هذه الفكرة .

بداية الفكرة

يقول جمال قطب الخبير فى الفنون التشكيلية والمشرف على المرسم الحر : المرسم الحر فكرة وردت من الغرب ـ من



زهور .. لوحة من اعمال الفنانة المنتسبة منى محمود

في المرسم الحر..

فنانون هواة
ينافسون الفنانين المبدعين!



بعض الدارسات في المرسم الحر في لحظة انهماك مع الريشة والالوان .



احد الدارسين في المرسم الحر امام بعض لوحاته .



نماذج من واقع البيئة

عصر النهضة ـ حيث اقام الفنانون المتفرغون في فرنسا وايطاليا ومختلف الدول الاوربية مراسم حرة ، لكل فنان يرغب في تطوير اسلوبه ، وبلورة مفاهيمه وموهبته .

من الدول العربية نجد اهتمام مصر والكويت بتكوين مثل هذه المراسم . وفي قطر كان الموعد لتنفيذ فكرة انشاء المرسم الحر فيها منذ حوالي ثلاث سنوات ..

ويضيف جمال قطب :

قامت فكرة انشاء المرسم الحر على اتاحة الفرصة امام الكفاءات وتشجيعها ، ولم تقيد طلبات الانضمام الى المرسم إلا بشرط واحد وهو السن .

بحيث يبدأ من الثالثة عشرة فأكثر ، حتى لايتحول المرسم الى فصل في مدرسة ابتدائية .

والمنتسب إلينا تكون لديه الموهبة او الرغبة في تعلم الرسم ، ويختار كل مشترك الفن الذي يميل اليه سواء نحت أو رسم ، وهو انواع وتشعبات ، مثل الحفر والتصوير والزخارف وفنون العمارة .

العنصر النسائي

وعن افتتاح باب التسجيل للعنصر النسائي تقول نجاح المدني : كانت البداية في ٦ يونية ١٩٨٠ ، وفي نفس هذا المبنى ، ولكن في ايام تختلف عن ايام البنين ، حيث تم التخطيط يومان في الاسبوع للبنات وثلاثة ايام اخرى للبنين .

ونحن نواجه حالياً اعداداً كبيرة من الفتيات يرغبن بالالتحاق به ، وتعتبر الفتاة القطرية اكثر التزاماً واقبالا على الرسم من الشاب القطري .

حيث تنوى الكثيرات منهن على دراسته اكاديمياً مستقبلا ، بينما تعتبره فتيات اخريات هواية يحاولن تنيمتها بالاضافة الى دراستهن او اعمالهن في مجالات اخرى وهناك فئة من الفتيات ياتين لقضاء



موهبة ناشئة تحاول ان تعبر عن مشاعرها الفنية فى هذه اللوحة

العطاء الفني

ولا يعتمد المرسم الحر فى علاقته مع المنتسبين إليه على منهج دراسي محدد ، أو ملازم وكتب مقررة ، فيقول بصدد ذلك جمال قطب :

الكتب والملازم ممكن ان تكون موجودة فى تعامل المرسم الحر كمطالعات ، ولكن ليست كمناهج ، لانه ليس هناك مرسم حر ياتي بكتب وإلا تحول إلى معهد نظامي .

ومهمة المرسم فتح السبل والآفاق امام المنتسبين لتنمية هواياتهم الفنية والاطلاع على اصول فن الرسم والظلال والتكوينات والاضاءة والتمييز بين الالوان ، وذلك من خلال المحاضرات التى تاخذ طابع الجلسة فى إحدى قاعات المرسم ، حيث تدار بعدها المناقشات الحرة ، ويتم تبادل طرح الأسئلة والأجوبة .

وتتيح مكتبة المرسم ـ للمنتسبين ـ متابعة مايرغبون من مواضيع من خلال كتبها المختارة ، وذلك على حسب اعمارهم ومستوياتهم الدراسية والثقافية .

وتضيف الآنسة نجلاح المدني :

والمرسم مقتصر على الهواة المتفاوتين فى مستوى اعمارهم وثقافتهم ومستوياتهم الدراسية لذلك تكون الدراسة شبه اكاديمية تعدهم لتكوين اسلوبهم واتجاههم الخاص بهم .

ويفصل المنتسبون الجدد فى قاعة اخرى عن من سبقهم من الهواة ، حتى لا تسبب عبارات التوجيه او ابداء الملاحظات إزعاجاً لهم وخصوصاً عندما يندمج بعضهم فى مشروع لوحة جديدة .



نجلاح مدني .. المشرفة على قسم البنات فى المرسم الحر

هل الموهبة مطلوبة ؟

وتقول نجلاح المدني :

ليس شرطاً ان تملك الفتاة المنتسبة الى المرسم الحر موهبة الرسم .

وتضيف : نستطيع تطوير جزء بسيط من احساسها الفني ، وسوف تكتسب من مرانها وعمق ممارستها ، معرفة الاصول الاساسية لموضوع الرسم ،وكونه ينطلق من زاوية علمية فى تحديد الخطوط الرئيسية ومعرفة الالوان وعملية الخط .. الخ .

وليس المطلوب من كل الموجودات تحقيق الابداع الكامل .

وقت فراغهن فى تعلم فن جمالي مفيد كالرسم ، ويحاولن الاستفادة من المعلومات الفنية التى يحصلن عليها من خلال ممارستهن لهذه الهواية او احتكاكهن بالجو الفني داخل المرسم .

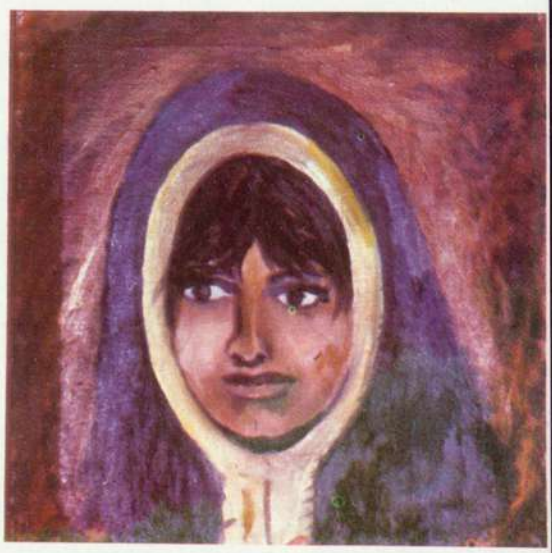
معظم الفتيات أتين على أساس الرغبة الأكيدة فى التعلم والاستفادة والتطوير ، ومهما يكن من استعداد الفتاة فعلى مسؤولية شدهن الى هذا المجال وترغيبهن فيه ، واشعارهن بان الرسم ليس فقط تمضية وقت فراغ ، ولا حتى اشباع هواية، بل هو رسالة اجتماعية ثقافية تؤدى دورها كاي مجال آخر .



طبيعة صامتة الخطوة الاولى للاحساس باللون

في المرسم الحر..

فنانون هواة
ينافسون الفنانين المبدعين!



وجه طفلة .. من أعمال أحد المنتسبين للمرسم الحر

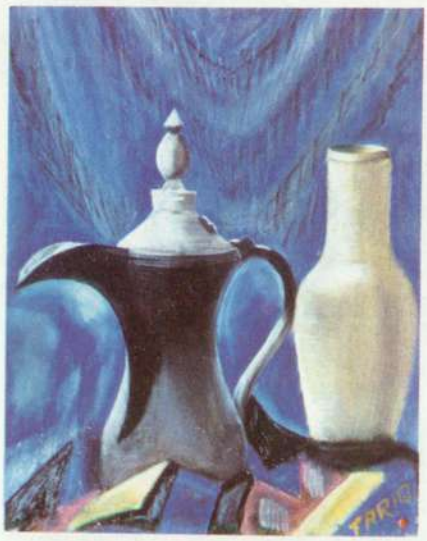
وعدد المنتسبات يصل تقريباً الى خمسين فتاة ، معظمهن ياتين بانتظام الى المرسم ، وبعضهن ـ لظروف معينة ـ تكون متابعتهن بيتية ، بحيث ياتين لأخذ الألوان والمواد الخام ويتزودن بالارشادات المطلوبة . ومنهن العاملة والطالبة وربة البيت المتزوجة والأم .

وهناك مواهب ممتازة تمنيت تواجدهن في المرسم ، ولكن ظروفهن الاجتماعية تمنعهن من ذلك ـ كما اخبرنني ـ والغريب ان بينهن مدرسات قطريات .

ومع أنهن يتعاطينه كمهنة ، ولكن لا يستطعن ممارسته بعيداً عن نطاق التربية والتعليم وذلك بسبب صرامة القيود الاجتماعية التى مازالت تعتبر الفن أداة غير مثمرة ولا جادة .



لمسات لونية جريئة يتدرب عليها المنتسبون للمرسم الحر .



هذه لوحة للمنتسب « طارق » الذى يبشر المشرفون على المرسم الحر بموهبته المبكرة

معرض الهواة الأول

وفى الشتاء الماضى كان هناك معرض الهواة الأول الذى شارك فيه المرسم بـ ١٦ لوحة من أعمال المنتسبين .

وفى مسابقة ٢٢ فبراير الثانية كان حضور المرسم الحر قوياً حيث حصل أعضاء المرسم الحر على الجائزة الثانية وجوائز أخرى أيضاً .

وكان معرض الهواة الأول يحمل نوعاً من التشجيع للمشتركين والمشتركات ، وتعويدهم على المشاركة فى عالم المعارض بما يحمل من شعور بالفرحة ، وبما ينتج عنه من تقييم حقيقي لاعمال المساهمين .

والمرسم حالياً يتطلع الى الدخول في المعارض الخارجية حتى يتعرف المهتمون بالرسم على هذه الحركة الفنية الشابة فى قطر ، الساعية إلى الأفضل دائماً .

وقد ساهمت المكافآت الشهرية التى خصصت اخيرا للمنتسبين الى المرسم فى حجم الاقبال الواضح الذى لاحظناه على المشاركين فى المرسم ، وذلك بعد الاعلان عنها ، لأنه لا يمكن أن نطالب الآخرين بالانضمام الى عملية تفرغ فني دون تحقيق الظروف المادية المناسبة لهذا التفرغ .. خاصة وأن المؤسسات الأخرى كمعهد الموسيقى والفرقة الشعبية والجامعة نفسها توفر هذه المكافآت ..

نظرة إلى الامام

وينفى المسئولون عن المرسم الحر بعض الأقوال التى تشيع بأن المرسم يتوقف ـ عادة ـ عن ممارسة نشاطاته لفترات طويلة

فالمرسم الحر بالنسبة للفتيات لم يتوقف نشاطه إلا فى فترة الامتحانات التى تؤثر فى عدد المشاركات ، لارتباطهن الدراسي فى هذه الفترة الحساسة من مستقبلهن .

ويؤكد هؤلاء المسئولون نجاح رسالة المرسم بحيث يبدو ذلك ظاهراً فى تخريج ٣٠٠ منتسب ومنتسبة ، أصبحت لديهم قاعدة عريضة من التفهم والوعي لماهية الفن .

كما تؤكد نجاح المدنى على فنية سبع منتسبات للمرسم الحر ، وتتنبأ لهن بمسار فني ناضج ، حيث بدأت أبجديات موهبتهن تخط لهن طريق الابداع .

وتتابع المشرفة على الفتيات فى المرسم الحر حديثها :

أرجو أن يبرز المرسم الحر كمركز فني من خلال وجودنا والامكانيات المتوافرة ، والتزام الموهوبين والموهوبات وتعاون الجمهور معنا .

ويتابع الخبير فى الفنون التشكيلية موضوع المستقبل قائلا : سوف تكون هناك حوافز أسبوعية ، سيارات رسم للمناظر الخارجية ، ميزانية لشراء احتياجاتنا من مكتبة وشاشات عرض وقاعة محاضرات مجهزة . وفي التخطيط الجديد للمبنى سيكون هناك أقسام للخزف والنحت والديكور والرسوم المتحركة . وهذا يتطلب خبراء وأساتذة زوارا ، وكادرا قطريا مؤهلا من خلال البعثات ، أو من الكفاءات التى نزكيها ـ من أعضاء المرسم ـ للدراسة في الخارج .

مريم آل سعد

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● نابليون في منزله ●● أبو كلشوم الوفدي ●●● العبقرية ٩٩٪ عرق
●●●● أطفال كبار ●●●●● نقود ذهبية من عهد العباسيين

نابليون في منزله

كان نابليون من ذوي العبقريات الحربية النادرة التى عرفها العالم ، وكان من أعظم رجال السياسة والادارة الذين عرفهم التاريخ . وقد اشرفت شخصيته الجبارة على اوربا ولما يبلغ الخامسة والثلاثين . فماذا عسى ان تكون حياته المنزلية ؟ .

كان نابليون يستيقظ من رقاده فى أي ساعة من ساعات الليل ، فيستحم بالماء الساخن ، وكان يجلس فى حوض الماء وعلى راسه لفافة كالعمامة يتدلى طرفاها على عنقه . وكان يامر بتدليك صدره بفرجون من الحرير فى كثير من الاحيان .

ويقوم خدمه بالباسه فى الوقت المعتاد . فاذا اراد ان يحلق لحيته ، غمر كل شيء فى وجهه بالصابون إلا منابت الشعر ، ويتناول « الموسى » فى تعسف ، فلا يكاد يمر بها على وجهه ، حتى يملأ خده الناصع بالجروح . وكثيراً ما كان يشرد لبه وهو يقوم بهذا العمل ، فيترك جانباً من وجهه كما هو ، ويخفى الجانب الآخر .

ولم تكن احذيته انيقة المظهر ، او جيدة الصنع ، ولكنها كانت دائماً مبطنة بالحرير . أما قبعاته فكانت مهدمة الاركان ممزقة من بعض النواحي إذ ان القبعات الجديدة كانت تحز فى جبهته وتجلب الى راسه الصداع . ولم



نابليون بونابرت

يكن نابليون يلبس الحلى أيا كان نوعها ولم يكن يحمل كيساً للنقود او يضع فى جيوبه شيئاً منها .

وكان يحب من الذين يقومون بخدمته ان يجيبوه اجوبة سريعة حازمة ، وإن كان قل ان يصغى الى ما يقولون . فاذا كان معتدل المزاج فلا باس من ان يفرك لاحدهم اذناً او يصفعه مداعباً على خده . وكان نابليون سريع الغضب فى اكثر الاحيان ، وكثيراً ما كانت تعتريه نوبات نفسية عنيفة تطغى على اخلاقه ولكنه كان سريعاً إلى الهدوء سريعاً الى الصفح .

وكانت تصيبه نوبات عنيفة من سوء الهضم لعدم عنايته بمضغ الطعام فيستلقى على الارض وتاخذ زوجته براسه فتضمه على صدرها وتدلك بيديها على جبهته وصدره ، وكان يكره تناول العقاقير على اختلاف انواعها .

ومن عادته ان يلعب الورق مع زوجته واصدقائه عقب الغداء ، إذا لم يكن مصاباً بعسر الهضم .

وكان يقرأ الكتاب ، فاذا لم يعجبه مافيه ، القى به الى النار . فاذا رأى احداً من اصدقائه يقرأ فى كتاب لا يوافقه ، اخذه من يده ودفع به الى النار .

وكان نابليون سريع التاثر بالبرد حتى إنه ليامر بتدفئة فراشه بالطرق الصناعية فى جميع فصول السنة . وكان مصاباً بعادة قرض الأظافر . ومن المعروف عنه انه كان يغار على زوجته الى درجة تشبه الجنون إلا انه كثيراً ماكان يخضع لها ويسالها العفو وإن كان الخطأ فى جانبها .

هذه صورة مصغرة لحياة الرجل الذي هزم ايطاليا وهو فى السادسة والعشرين وفتح مصر وهو فى الثامنة والعشرين ، وكان دكتاتوراً لفرنسا فى الثلاثين وسيداً لأوربا فى الثانية والثلاثين من عمره : نابليون بونابرت .

ابريل ١٩٤٠

أبو كلثوم الوفدي



للدكتور زكي مبارك
١٩٣٩

ما كنت انتظر ان اجد في « شبرا » ما رايت هذه الليلة .. فشبرا حي صخاب لا مثيل له فى الحركة والضجيج بين احياء القاهرة . هو في الأصل من الضواحي الهادئة الوادعة المجملة الشوارع باشجار الجميز والتوت ، ثم تحولت فى مدة قليلة الى محلة مزدحمة بالتجار وارباب الاعمال .

كانت سهرة هذا المساء في منزل صديق عزيز يسكن تلك المحلة ، وكانت السهرة مثقلة بالحديث عن مشروعات وزارة المعارف ، فلم يكن فيها جانب واحد من جوانب الهدوء والصفاء .

ومن عيوب رجال التعليم فى مصر انهم يحملون شواغلهم فى كل مكان ، حتى لتحسب ان تلك الشواغل هي كل ما يملكون من زاد الحديث فى سهرات الأندية والبيوت ... لطف الله بكم يازملائي ! .

وزاد في عنف الجدل ان معالي النقراشي باشا كان تحدث مع جريدة المقطم فى اشياء تفتح المجال للنظر والتامل ، وتقدم للمشتغلين بالتعليم فرصا كثيرة لحركة الأفكار والعقول .

واردت ان اخرج قليلا من ذلك الميدان الذى كنت اركض فيه وقت الصباح ، ونويت ان اخلص من شواغله وقت الليل ، فاقترحت ان تتفضل « روحية » فتقرا علينا حديث النقراشي باشا بصوتها الذي يشبه بغام الظباء ، وانا ارجو ان احول تلك المعضلات التعليمية الى مشكلات وجدانية .

ولكن روحية تلحن حين تقرا ، واللحن من مثلها لا يغتفر : لانها طالبة باحدى كليات الجامعة المصرية ، ومن البعيد ان اطرب لكلامها الملحون ، فقد كان المقام مقام تعليم ، ولم يكن مقام تشبيب ، وإن كنت قصدت ان يفيض صوتها على ذلك الموضوع الجاف نفحة من نفحات الوجدان .

فهل غيرتني الأيام حتى صرت أعد اللحن من ذنوب الملاح ؟! معذرة ، ياروحية ، فان عمك نقله الزمان من حال الى احوال ! .

خرجت مكروب الصدر افكر فى اشياء واشياء ، ولكن القمر طالعني بوجه اصبح وهاج ، فنظرت إليه برفق وحنان ، وكدت انسي ما في الصدر من هموم واثقال ... والشعراء كالأطفال ينسون اشجانهم الفوادح فى لحظات !

قال رفيقي : اين تقع هذه الليلة من الشهر ؟

فنظرت فى المقطم على نور القمر فرايتنا فى مساء اليوم الثالث عشر من شوال ، فقلت : هذه ليلة البدر ، يارفيقي !

وما هي إلا لمحة حتى كان المذياع يصافح آذاننا بجلجلته من منزل بعيد فهرعت إليه وانا ماخوذ ، فجذبني الرفيق من يدي وهو يقول : إن لم يكن بد من السماع فارجع بنا نسمع المذياع فى البيت ؟ .

فقلت : اريد ان اسمع من قوم لا يعرفون وزارة المعارف، ولا يفكرون فى المناهج ، ولا تهمهم مصاير التلاميذ !

وقفت اسمع كما وقف ابن عبد ربه يسمع اكثر من تسعة قرون ، ولم اخف مما وقع لابن عبد ربه ؛ فقد طردوه باسلوب قبيح رموه بجرة من الماء ليحرموا اذنيه الحان الغناء !

ثم نظرت فرايت الدنيا حولي تذكر بمحلة الصدرية فى بغداد هي والله محلة الصدرية بمنازلها المنثورة بلا نظام ولا ترتيب ، وفي ثناياها نخلات طوال تخيلتها نقلت من هناك .

قال رفيقي : إن المذياع فى بيت ليس فيه ضياء .

قلت : إنه يغني اهل البيت فى لحظة صفاء .

فقال : الا يكون من الادب ان ننصرف ؟ .

فقلت : ومن الخير ان ارجع الى داري لاكتب كلمة عن ابي كلثوم الوفدي ، فقد تذكرته حين رايت فى شبرا صورة الصدرية فى وطن الاهل والاحباب ، إن بقى لي فى الدنيا اهل واحباب !

• • •

فمن هو ابو كلثوم الوفدي ؟

هو ابو كلثوم : لانه مفتون كل الفتون باغاريد ام كلثوم

وهو يهذي بها فى كل وقت .

وهو وفدي : لأنه حقاً وصدقاً من اشياع الوفد المصري[٦] وهو يهفو إليه فى كل حين .

فمن هو ابو كلثوم الوفدي الموزع القلب بين القاهرة وبغداد ؟ .

هو الأخ العزيز الأستاذ محمد باقر الشبيبي أحد الشعراء المجيدين في العراق .

وماكان باقر الشبيبي أول من فتن بأغاريد أم كلثوم ، فقد فتن بها الزهاوي والرصافي والبناء ، ولهم فى الهيام بأغانيها قصائد جياد ، وربما جاز القول بان ام كلثوم شغلت جميع شعراء العراق ، فمن النادر ان تمر اغانيها هناك بلا تشوف . وقد زاد الاهتمام بام كلثوم عند اهل العراق بعد ان عرفوا ان حنجرتها مسروقة من الحمامة الموصلية التى تقيم باحدى نوافذ المنارة الحدباء .

لم يكن باقر الشبيبي اول المفتونين بأغاريد أم كلثوم ، ولكن هيامه بها قد اتصل بنزعة نبيلة هي الجزع من الانشقاق الذى وقع فى الوفد سنة ١٩٣٢ وخرج به على الزعامة ثمانية اعضاء[٧] .

فى تلك الأيام ذهبت أم كلثوم لزيارة بغداد فاستقبلها الشاعر بخفقة من القلب والروح وهو يهتف :

على الشاطىء صيداح ... هنيئاً لك يادجلة
سارعى النجم للصبح ... واحيي الليل فى الحفله
فاهلا ظبية النيل ... ومرحى جارة الرمله
وبوركت على السير ... وهنئت على الرحله

هنيئاً لك بغداد ... فهذي أم كلثوم
من الغيد الاعاريب ... اتتنا ، لا من الروم
لقد أحيت لياليك ... بتغريد وترنيم
فعذراً فرحة النفس ... إذا قصر تكريمي

اعيدي السجع والصدح ... وغنينا الى الفجر
فهذى الأنجم الزهر ... مطلات مع البدر
غني أروع الشعر ... وصوغيه مع السحر
فمن نحرك للثغر ... ومن ثغرك للنحر

أطلي بنت فرعون ... على المسرح والملعب
ورفقاً ربة الصوت ... باحشائي ان تنهب
فانت الكاعب الرود[٨] ... فما الظبي وما الربرب[٩]
خذي روحي إلى مصر ... فمصر الوطن الأقرب

ثم تثور النزعة الوفدية فى صدر الشاعر فيصيح :

سلي قلبي عن الحب ... فقد ذاب من الوجد
فكم لاب[١٠] على الروض ... وكم حام على الورد
سليني شاحب اللون ... فمن سهد الى سهد
خذى قلبي للوفد ... فاني فى الهوى وفدي

ولم يكتف « وفدي الهوى » بهذه الزفرة ، بل انتقل الى انشقاق الوفد وهو يصرخ :

عجبا أم كلثوم ... من الحادثة الكبرى
لماذا انقسم الوفد ؟ ... ومن ذا بيت الأمرا ؟
الا من يجمع الشمل ؟ ... الا من يطرد الشرا ؟
خذى حذرك يا مصر ... وردي الكيد والمكرا

وتوجع الشاعر لما صار اليه سعادة الأستاذ محمد نجيب الغرابلي باشا فقال :

رايت الخصم جذلان ... بما جد من الخُلف
احقاً فصل الوفد ... « نجيبا » وهو فى الصف
فهذا الحادث البكر ... ارانا موطن الضعف
إلى الوحدة يامصر ... إلى الاشفاق والعطف

• • •

نظمت تلك القصيدة فى مثل هذه الأيام من سنة ١٩٣٢ فهل كانت آخر زفرة من زفرات الأستاذ باقر الشبيبي فى التشوق إلى أم كلثوم وإلى الوفد المصري ؟ .

إليكم هذا الخبر الظريف :

في بواكير الربيع من سنة ١٩٣٨ اجتمع نادي القلم العراقي بمنزل سعادة الدكتور فاضل الجمالي ، وكانت الجلسة برياسة معالي الأستاذ محمد رضا الشبيبي ، وكانت الكلمة يومئذ للأستاذ عبد المسيح وزير ، فما الذى قال ؟ أخذ يقرأ قصة من قصصه ، فاشتركت مع الاستاذ عباس العزاوي فى السخرية من خياله الجميل ! وعند نهاية القصة طلبت الكلمة لاحاسب « القاريء » ، ولكن معالي الأستاذ محمد رضا الشبيبي خشي عاقبة الهجوم على الأستاذ عبد المسيح فاقترح ترك التعقيب ، ثم قال إن عنده موعداً وانصرف .

واستؤنفت الجلسة برياسة الدكتور الجمالي فقلت : إن معالي الرئيس اغلق باب التعقيب لأنه مشغول ، وهو قد انصرف ، فانا أطلب الكلمة من جديد ، ثم قلت : إن

أبو كلثوم الوفدي

الغرض هو إلقاء محاضرة ، لا قراءة قصة ، فكيف جاز للأستاذ عبد المسيح وزير أن يحبسنا ساعة لنشهد طريقته فى التلاوة ؟ . فقال الدكتور عقراوي : الأصل أن يلقى العضو محاضرة ، ولكن ما الذي يمنع من أن يقرا شيئاً من آثاره الادبية ؟ إن الادب هو الاصل والتعليق عليه هو الفرع ، فالقصة كالقصيدة لون من الادب الصرف

وقال الدكتور الجمالي : فليكن هذا تقليداً جديداً من تقاليد نادي القلم العراقي ، ومن حق الشعراء من اعضاء نادي القلم أن ينشدوا بعض قصائدهم فى الجلسة المقبلة ، وستكون فرصة نسمع فيها صوت الدكتور زكي مبارك ، فقد سمعت أنه شاعر ، وله ديوان .

فقال الدكتور عقراوي : ولا يشترط أن يكون الشعر جديداً ، فالدكتور مبارك شاعر مقل ، وعليه واجبات فى دار المعلمين العالية قد تعوقه عن نظم قصيد جديد .

وبهذه المحاورة نجا الأستاذ عبد المسيح من لساني ، وما كاد ينجو ، مع أنه ابو إيناس .

انـا شـاعر مقـل ؟

هذا صحيح ، ولكن كيف القى نادي القلم العراقي بقصيد نظمته منذ سنين ؟ وكيف اضيع الفرصة فلا اقرع اسماع بغداد بقصيد جديد ؟ ومضيت وانا احاور شيطاني فنظمت قصيداً (فى احد عشر ومئة بيت) عنوانه :

« من جحيم الظلم فى القاهرة الى سعير الوجد فى بغداد » . وانشدته فى الأسبوع التالي بالرستمية . فقال معالي الأستاذ محمد رضا الشبيبي : كيف استجزت يادكتور قتل هذه الشاعرية ؟ فقلت : قتلها التاليف ، وهو يشغل الفكر عن الغناء .

وصاح الدكتور الجمالي : سيجيبه الأستاذ باقر الشبيبي حين نجتمع فى منزله بالزوية فى الأسبوع المقبل ،

واجتمعنا فى الزوية فى مساء مقتول النسيم ودجلة تصغى إلينا فى تودد وترفق ، والاخوان ينتظرون قصيدة السيد باقر الشبيبي ، فهتف البلبل :

وفاء بعهدي أو نزولا على وعـدي
وقفت أحيي معشري وبني ودي
وقفت أحيي عصبة عربية
بها نستبين الرشد حقاً ونستهدي
فاهلا بكم فى روضة الحب والصفا
واهلا بكم عند المسرة او عندي
وهيجني فى الرستمية شاعر
به مثل ما بي من أنين ومن سهد
به من هوى ليلى رسيس من الهوى
وبي لهب لا ينطفى من هوى هند

وما كاد يصل الى هذا الحد حتى حدثني القلب بانه سيتحدث عن أم كلثوم والوفد لأن القافية دالية ، فقلت : أراهن أنك ستعلن انضمامك الى الوفد ! فضحك ضحكة كادت تزلزله من مكانه ، ثم مضى يقول :

وذكرني عهد الصبا فى نشيده
سلام على عهد الصبا فى ربا نجد
هواه على أجراف دجلة وافد
وأما هوى قلبي فللنيل و « الوفد »

فصاح الاعضاء : صحت فراسة الدكتور مبارك فى « الوفد » فهل تصح فى « أم كلثوم » ؟ فمضى الشاعر فى النشيد :

فلا تحسبوه شارد اللب وحده
ولا تحسبوني سادراً فى الهوى وحدي
صريع الغواني ، لا تلمني فانني
صريع اغاني أم كلثوم لا دعد
سلام على تلك الأغاريد إنها
أغاريد من وحي الصبابة والوجد

أما بعد فهذا حديث أبي كلثوم الوفدي ، اعزه الحب ورضيت عنه العروبة المصرية والعراقية ، فان كنت فضحت هواه فلا يلمني « فاني فى الهوى وفدي » وربما صرحت فقلت إني عالمي فى الحب : فلي صبابات تغرب فتصل الى باريس ولواحق باريس ، وتشرق فتصل الى بغداد ولواحق بغداد من حواضر العراق ، وهل تركتني دمشق وبيروت بلا عقابيل ؟ .

إن حـالي لعجيـب ما يرى أعجـب منـه
كل أرض لـي فيهـا غائـب أسـال عنـه

زكي مبارك

هوامش

١ ـ محمود فهمي النقراشي كان وزيرا للمعارف فى مصر عند كتابة هذا المقال سنة ١٩٣٩ .

٢ ـ بغام : صوت والظباء : الغزلان .

٣ ـ تلحن : على وزن تغضب من اللحن أي الخطا فى إعراب الكلمات .

٤ ـ التشبيب : الغزل

٥ ـ بلد الأهل والاحباب إشارة الى بغداد التى قضى فيها زكي مبارك عاماً دراسياً سنة ١٩٣٨ وكتب عنها الكثير وتغنى بحبها فى اكثر من كتاب اشهرها كتاب « ليلى المريضة بالعراق » .

٦ ـ حزب الوفد المصري الذى انشاه سعد زغلول وتولى زعامته من بعده مصطفى النحاس .

٧ ـ وقع انشقاق في حزب الوفد صيف سنة ١٩٣٢ حيث خرج على الحزب ثمانية أعضاء هم : نجيب الغرابلي وفتح الله بركات وحمد الباسل ومراد الشريعي . وكان هناك نكتة سياسية حول هؤلاء المنشقين الثمانية حيث اطلق عليهم اسم حزب « السبعة ونصف » حيث ان اشهرهم هو نجيب الغرابلي باشا وكان قصيراً جداً ، فاعتبرهم الساخرون سبعة ونصفاً بدلا من ثمانية ، وقد كان لهذا الانشقاق فى الوفد اثر سيىء على الحركة السياسية الوطنية .

٨ ـ الرود : الجميلة الحسنة

٩ ـ الربرب : بقر الوحش ويضرب به المثل فى الجمال عند العرب .

١٠ ـ لاب : أي ظمىء وعطش .

العبقرية ٩٩٪ عرق

بقلم : الدكتور إبراهيم ناجى



العمل قوام الحياة ، والدعامة التى تقوم عليها . بل هو الدريئة التى نستتر وراءها لننسى متاعبنا واشجاننا ، فمادمنا نعمل ، فنحن فى شاغل من عملنا ، لا نبالي بسفالات الناس ، ولا باقاويلهم ، ولا بسخافاتهم . ولكن هل مجرد العمل يكفي ؟

كلا ، لابد ان يكون العمل مثمراً ، لابد من الجني الشهي ، لابد من الراحة بعد التعب ، والراحة ذلك الجني الشهي !

حقيقة إن المواهب تختلف ، وان الله ينعم على هذا بالعبقرية ، ويجعل ذلك فى مستوى عادي .

ولكن حتى العبقرية تموت ، إذا لم يتعهدها العمل المنظم .

فقد كان « جيته » لا يخجل من ترتيب عمله .

وكانت ساعات عمله منظمة ، وهو العبقري المشهور ، وكان لا يخجل ان يطرد عنه الزائر البغيض ، وكان يقول للذي يشغله فى جراة : ارجوك ان تنصرف ، فانى مشغول .

وفى الامثال : اثقل الثقلاء من شغل مشغولا !

ولكننا نتورط ، ونجامل ، وبذلك نضيع وقتنا .

ومن اسرار السعادة ، ان نتبع الافضل ، ولانتبع سبيل المجاملة ، وقد قال المرحوم احمد عبد الوهاب باشا : إن من اسرار النجاح ان تقول « لا » حين يجب ان تقولها .

إن هذا التورط ضرب من الفوضى ، ضرب من قلة الضوابط التى يتبعثر بواسطتها الزمن ، وتتمزق الجهود ،

وقد قال احد عظمائنا : إن آفة الشباب عندنا ، انهم يجاملون وسطا فيه « فرامل » لا يستعملها اهلها ! .

قال اديسون : إن العبقرية ٩٩٪ عرق !

يعني أن العبقرية لا تعني الكسل ، بل الجهد الدائم ، والحيوية المتدفقة . ولقد يخيل للذي يرى اثر العبقرية فى الفنون ، ان القصيدة او الرسم ، الذى يقوم به العبقري فى ساعة او بعضها ، من نتاج العبقرية وحدها . وهو واهم ، فان خطاً واحداً يرسمه مصور ، هو جهد سنين ، وبيت شاعر قد يلوح بسيطاً ، ولكن هاته البساطة خلاصة عهود وازمان من النصب والتعب .

ويشترط فى العمل ان تتخلله الراحة ولا يهزأن احد بذلك ، ولا يتخيلن احد أن الانسان فى راحته تنقطع الصلة بينه وبين عمله ، ... كلا ، فالعقل الباطن يشتغل دائما ، والانسان فى الراحة يستجم .

هذه هي أسرار الحياة ، وفنها الرفيع فلعلي اكون قد اصبت الحقيقة .

ابراهيم ناجي

مايو ١٩٤٩

أطفال كبار...

لا يختلف الطفل فى امريكا الجنوبية عن الشباب البالغ ، إلا بانه اقل سنا واقصر قامة . ولكنه لايختلف عنه من الناحية النفسية على الاطلاق ، والطفل فى كل مدينة وفي كل اقليم يشترك فى مظاهر الحياة العامة على اختلافها . ومن المظاهر المالوفة فى « كويتو » ان يرى الطفل البالغ من العمر ست سنوات يطوف الشوارع فى ثيابه الرسمية وعلى قبعته الرقم الذى يشير إلى وظيفته فى الخدمة العامة .

فاذا بلغ الطفل الثالثة من عمره اخذ أهله فى تدريبه واعداده للمزاحمة فى الحياة . ويشاهد الاطفال فى تلك البلاد وهم فى الخامسة من اعمارهم فى الأسواق العامة يبيعون السجائر والفاكهة والمجلات وانواع الحلوى . ويرى المكاريون والسعاة من بين الأطفال الذين فى الثامنة او التاسعة من اعمارهم .

والطفل فى امريكا الجنوبية فى السنتين الأوليين من حياته ، يعد لعبة طريفه عند والديه ، يلبسانه ثياب الخز والديباج ويعرضانه فى زهو وعطف على اصدقائهم . فاذا بلغ الثالثة او الرابعة من سنه ، بدأ يتبع نسق الحياة الذى اتخذه والداه . فاذا كان من الطبقة الفقيرة كان عليه ان يكسب بعض النقود عندما يبلغ الخامسة من عمره .

وقد تشاهد فى منتصف الليل كثيراً من البنات اللاتي لم يتجاوزن السابعة من اعمارهن على عرض الطريق يبعن الحلوى والأزهار . وكذلك الغلمان فى هذه السن وهم يحملون اوراق النصيب او علب الورنيش . ولا ينقطع هؤلاء عن الشارع فى الليل او النهار ، فلا تعرف في اي وقت يخرجون وفي اي وقت ينصرفون ؟! .

والطفل فى جنوب امريكا يعد عضواً عاملا فى اسرته ، يرتدي زي الكبار ، وله مالهم من الحقوق . فالبنت الصغيرة مثلا تتحلى بالخواتم وتلبس الأقراط ، وترتدى ثياب الحرير وتضع الطلاء وتتعطر بالروائح الزكية . وتصفف شعرها كما تفعل امها على حد سواء . وكذلك يتزيا الصبي بزي ابيه ، فيلبس القبعة الفاخرة ويرتدى الملابس الطويلة ويقتني الحلى والجواهر .

إن جهاد هؤلاء الأطفال فى الحياة العملية ليدعو حقاً إلى الاعجاب . فقد رايت طفلا فى العاشرة من عمره يقوم بعمل حارس الليل فى سفينة على نهر « كاتالمبا » فى فنزويلا . حيث الملاريا والحمى الصفراء والدوسنطاريا والتماسيح ، لا يساعده فى هذه العزلة الموحشة إلا امراة واحدة ، وهو بعد مسئول عن صحة الركاب الذين لايقلون عن مائة شخص ، مسئول كذلك عن راحتهم ، ويقوم باعمال الندل فى بعض القطارات اطفال فى العاشرة والحادية عشرة من اعمارهم ، ويدير مصلحة تنظيف الشوارع فى مدينة « كويتو » اطفال فى السابعة ويقومون بعملهم على احسن وجه .

ابريل ١٩٤٠

نقود ذهبية من عهد العباسيين

بينما كان احد الفلاحين يستخرج السماد من بعض التلال الاثرية بناحية سيدي سالم بمديرية الغربية ، إذ عثر على ١٩ قطعة ذهبية يرجع عصرها الى الخلفاء العباسيين وقد صكت في عهد هارون الرشيد والمامون والمهدي .

وقد ابلغ الأمر إلى إدارة حفظ الآثار العربية فى مصر فاوفدت احد مفتشيها فتسلم القطع الذهبية التى عثر عليها .

وقد نقش على احد وجهيها بالخط الكوفي « لا إله إلا الله وحده لا شريك له » ونقش على الوجه الثاني « محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » وارخت بالتاريخ الهجري وهي من الذهب الخالص فى حجم القطعة الفضية ذات القرشين ولكنها اثقل منها وزناً .

القاهرة ـ فبراير ١٩٤٠

خيوط العنكبوت

قصة بقلم : عبد الرحيم أبوعوف

كان من المتوقع أن تنتهى دراستنا الجامعية دون أن يلحظ احدنا زميلنا الطالب «ح» لولا ما حبته به الطبيعة من مظهر وسيم وقوام رياضى ملحوظ ، فلم يعرف عن زميلنا «ح» انه اشترك طوال ايام دراستنا الجامعية فى اى نشاط جماعى من اى نوع سواء فى الحفلات او المباريات او الأنشطة الاجتماعية والثقافية الاخرى التى كانت تملأ حياتنا خلال تلك الفترة من

دراستنا ، وكان من المعروف عنه انه لم يتبادل مع اى طالبة او طالب من الزملاء كتاباً او كراسة او اى منفعة اخرى يمكن تبادلها كقرض صغير او دعوة على كوب من الشاى او قلم زائد عن الحاجة ، فهو من ناحية لم يطلب اى شىء من اى انسان فاذا طلب منه زميل اى طلب سواء اكان خدمة او شيئاً مادياً فانه كان يعتذر ويتباعد بابتسامة رقيقة ولكن بشكل حاسم ملحوظ .

ولا يعنى ذلك انه كان شاذاً او متباعداً فى علاقاته الاجتماعية فلقد كانت له قدرة محببة على أن يتحدث مع اى زميل او زميلة ببساطة وود وقد جعلته صفاته هذه يحظى باعجاب الفتيات من الزميلات فسعت اكثر من فتاة لاكتساب صداقته الثابتة ولكنه لم يكن يسمح بمثل هذا الارتباط باسلوب زئبقى حصيف .

ولقد احتفظ بنفس الاسلوب مع زملائه من الفتيان ، فعلى الرغم من وجود علاقات ود متعددة مع زملائه إلا انه لم يتح لاحداها ان تتطور لتصبح صداقة وطيدة ،

فلم يتح الفرصة لاى من زملائه أن تتبسط الأمور بينهما بحيث تسمح لزميله ان يمر بمنزله حيث كان يعيش وحيداً بعد ان فقد والديه فى ظروف غامضة لم تكن معروفة لنا ، وقد شاع بين الزملاء خبر زميلنا الذى مر على « ح » فى منزله وبصحبته زميلتان ليصحبوه الى حفل راقص حيث قابله « ح » بفتور واعتذار مهذب حاسم جعل زميلنا لا يعيد المحاولة مرة اخرى كما نبهنا جميعاً الى حدود العلاقة التى يقبلها «ح» .

ولما كنت منذ شبابى المبكر فضولياً ، وهى احدى المقومات التى جعلت منى كاتباً

بعد ذلك ، فلقد كانت تصرفات «ح» وشخصيته تستلفت نظرى ، فبينما كان يملك كافة الصفات التى تمكنه من الاستمتاع بحياة مرحة دافئة ناجحة كان يبدو غير حريص على تحقيق هذا النجاح .

وقد حركت واقعة معينة فضولى إذ اراد مدرب العاب القوى ان يضمه الى فريق الكلية الرسمى وهو شرف يتمناه كل طالب

إلا أن «ح» سارع بالاعتذار معللا رفضه بانشغاله فى دراسته ، ولم تسفر بعد ذلك جهود المدرسين والزملاء عن اى نجاح

لدفعه الى تغيير قراره ، وكنت اعلم كما يعلم الكثيرون من الزملاء وكذلك مدرب العاب القوى ان زميلنا «ح» يحضر يومياً

فى الصباح الباكر وقبل بدء الدراسة الى ملاعب الكلية حيث يمارس رياضات العاب

القوى منفرداً ، وانه كان اثناء التدريب يتغلب على كل اعضاء فريق الكلية

خيوط العنكبوت

لألعاب القوى سواء فى مسابقات الجرى او الحواجز او القفز او فى العاب الرمى دون ان يبدو عليه حرصه على تحقيق هذا الفوز او اهتمامه به ، وكان إذا انطلق فى نهاية تدريبه وهو يجرى بسرعته القصوى حول الملعب يبدو خلاباً بعضلاته الانسيابية حتى شبهه البعض بالحصان العربى الأصيل .

حادثة اخرى تالية اشعلت فضولى ، فلقد اعلنت ادارة الكلية عن تشكيل جمعية لرعاية العجزة وسارع جميع الطلاب بالاشتراك فيها بتبرعات صغيرة كما شكلت لجان لاقتراح انشطة مختلفة لتحقيق اهداف الجمعية ، وفاجانا جميعنا «ح» برفض الاشتراك فى الجمعية مما كاد يسىء الى صورته بين الأساتذة والطلبة ولكنه تبرع للمشروع بخمسة اضعاف ما تبرع به كل منا دون ان يوافق على الاشتراك فى الجمعية او حمل شارتها مما اربكنا جميعاً.

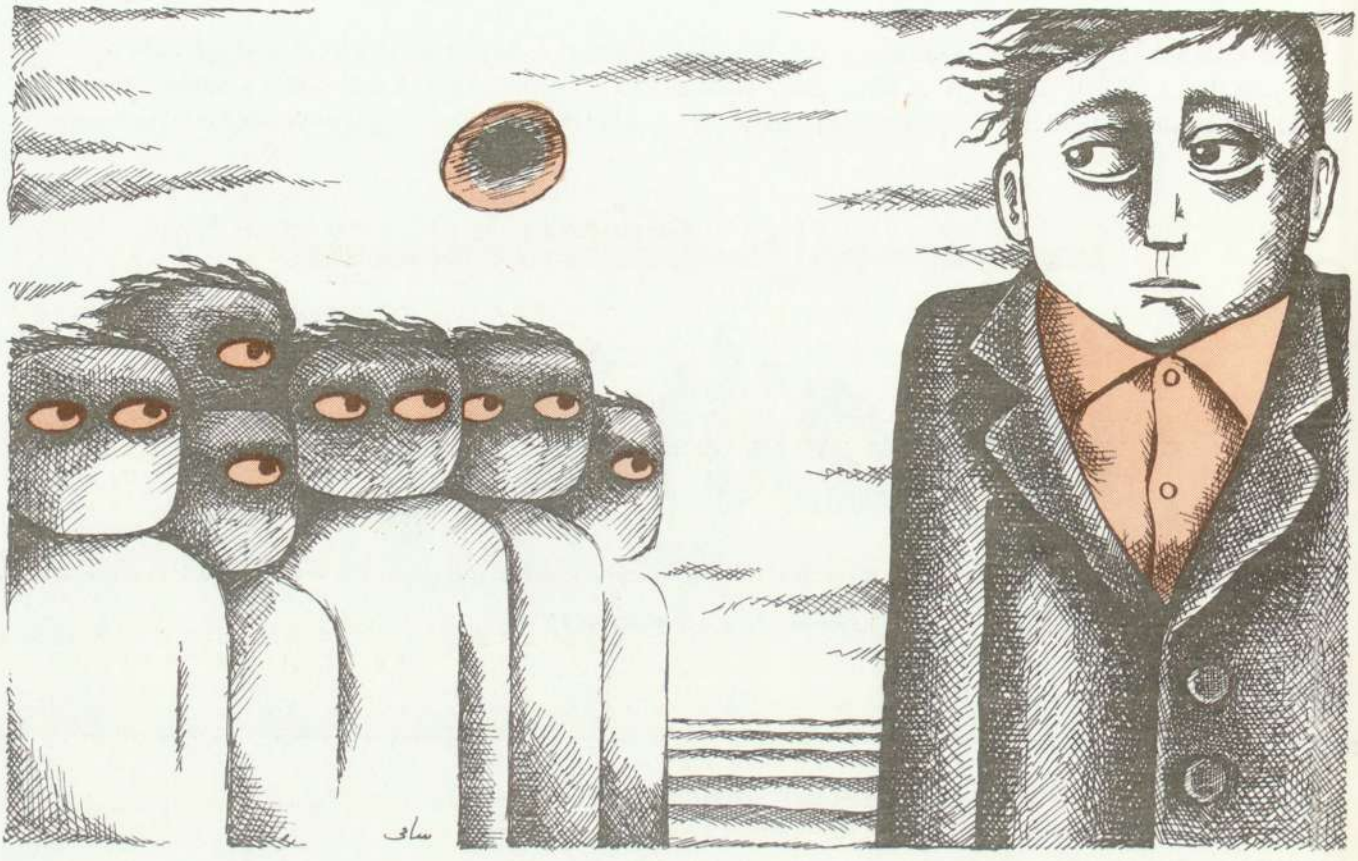
عقب هذه الواقعة مباشرة قررت مقابلته واشباع الفضول الذى بدا يثقل صدرى ، ولكن بدلا من ان اسعى الى اكتساب صداقته لعلمى بانه سوف يرفضها فلقد ذهبت ذات ليلة الى منزله دون موعد سابق وبمجرد ان فتح لي باب شقته الصغيرة حييته باقتضاب وانسللت الى داخل الشقة فى هدوء حيث وجدت شقة صغيرة تتكون من غرفة واحدة واسعة فتوجهت الى المقعد الوحيد بها وجلست ، وظل «ح» يتابعنى بنظره وهو لايزال يقف بجانب الباب ، ثم اغلق الباب فى هدوء ودخل الى الغرفة وهو ينظر إلي نظرة متسائلة لم تخل من الدهشة وان خفف من وطاتها بشبح ابتسامة على زاوية فمه ، واحس «ح» أنه لن يتخلص منى بسهولة فتوجه الى المطبخ الصغير وعاد ومعه زجاجتان من عصير الفواكه ناولنى احداها فى صمت ثم سحب كرسياً صغيراً من امام مكتب فى ركن الغرفة وجلس وقد زادت ابتسامته وضوحاً كانما قد اثارتها تصرفاتى .

كانت الغرفة المتسعة تضم اثاثا قليلا بسيطاً إلا انها كانت تبدو شديدة النظام والاناقة ، ولفتت انظارى سجادة صغيرة فاخرة تتوسط الغرفة ولوحة زيتية لمنظر طبيعى داكن تحتل الجدار المواجه لي ، فقد بدتا غير منتميتين الى هذا المكان .. وكانت الغرفة تتناثر فيها الأضواء والظلال برقة بالغة مريحة ولاحظت لأول مرة ملامح وجهه التى يختلط فيها بشكل جذاب رضا واطمئنان وثقة بالنفس مع حزن عميق هادىء دفين .

واحسست وانا احتسى عصير الفاكهة الذى قدمه لي ببعض الحياء من اعتدائى بشكل ما على عالم خاص لانسان متفرد الصفات ، ولكن بعد ان انهيت شرابى ووضعت الزجاجة الفارغة على منضدة صغيرة امامى - استجمعت ارادتى .. وتغلبت على حيائى ونظرت اليه - «تدهشنى .. كما تدهش الكثيرين من اساتذتنا وزملائنا بتصرفاتك ..» هكذا بدأته الحديث ، ولم تتغير تعبيرات وجهه فتابعت حديثى «إنك تملك مزايا متعددة تمكنك بكل بساطة ويسر ان تتبوا مركزاً رائعاً بيننا ، فانت دائما من اوائل الناجحين ، وانت رياضى متميز ولقد وهبك الله مظهراً حسناً وذكاء ولطفاً ومع ذلك فانت تتباعد عن كل فرصة تتاح لك لتتبوا مركزاً متميزاً بيننا .. فلماذا .. ؟» وظلت تعبيرات وجهه على ثباتها ولم يتاثر بالمديح الذى قلته له بحماس افلت منى بلا قصد ، واجلب بعد فترة صمت كادت تطول «هل هذا حديث صحفي او شيء من هذا القبيل ؟» وسارعت بالنفى مؤكداً اننى اريد ان اعرف لاشبع فضولى الشخصى خاصة وانا اعجب به . وابتسم لزجاجته التى لم يكن قد انتهى من شربها بعد ابتسامة هادئة ثم رفع إلي نظراته قائلا .. «اننى اعرف فيما اظن ما تريد .. وانا اعرف نوعك من الناس .. واطمئن اليك ..» وعلى عكسه دفعت مجاملته الدماء الى وجهى حياء ... واستمر «ح» بنفس نبرته الهادئة والتى تناسبت بشكل كامل مع الاضاءة الخافتة التى احاطتنا .. «هل تعرف كيف مات والدى ؟» ولأول مرة اكتسبت نظرته ثباتاً وهو يحملق فى وجهى بطريقة احرجتنى .. وتنحنحت لاخفى ارتباكى ثم اجبته بصوت خرج خافتاً «لا» .. ، وسقطت راسه فى هدوء واطال التحديق فى السجادة الصغيرة الفاخرة التى تنتصف الحجرة ثم رفع راسه مرة اخرى وقال «لقد انتحر والدى .. وبعده بيومين انتحرت والدتى» واصابنى دوار ، وتوقف عقلى عن العمل ، ولم أستطع حتى التفكير فى العلاقة بين هذا الأمر وتصرفاته الحالية .. وطال الصمت لحظات اخرى وهو لايزال يحدق فى السجادة .. ثم اكمل بصوت واضح خافت .. «لقد كان والدى رجلا عذباً لا تجد له مثيلا بين البشر ، كان شديد الحنان ينسبغ حنانه على كل من حوله وكان شديد الارتباط بالآخرين يحمل على اكتافه معاناتهم ويسعد لسعادتهم ، كان سخياً كريماً ولم يعرف طوال حياته ان يقول لا ..

ودفعه ذلك الى ان يشارك العديد من اصدقائه فى مشاريعهم ومغامراتهم المالية .. كما كان يدين الكثيرين منهم بمبالغ كبيرة وصغيرة ، ولم يكن يتابع فى حرص استرداد هذه الديون إلا حين اقتدارهم وقيامهم بسدادها دون سؤال .. وهو ما لم يتوفر للكثيرين منهم ، وعلى الرغم من نجاح والدى فى اعماله إلا انه بحكم ارتباطاته المتعددة وما شكلته من اعباء مالية جعلته يلجا الى الاستدانة .. وكشخص عف النفس .. استدان من البنوك ونظراً لأن البنوك لا تملك قلباً يحركها فلقد ظلت ديونه تتزايد بتدرج شيطانى زاد تاثيره مع الايام» .. وصمت قليلا وبلل شفتيه برشفة من زجاجته .. ثم قال ..

«وبدلا من ان يلجا والدى الى مدينيه ويقسو فى الطلب فان قلبه المرهف الحس لم يطاوعه واخذ يضاعف جهوده لتوفير الأموال اللازمة لسداد ديون البنك ، وعاش أعوامه الأخيرة فى عمل مرهق ليل نهار ، ولقد منعته رقته من ان يشرك احداً حتى امى فى مشاكله ،ثم بدأ المحضرون القانونيون يزورون منزلنا لتوقيع الحجز على ممتلكاتنا ، وكان ذلك فى وقت بدات اتفتح فيه على الحياة وافهم ما يجرى حولي ، ولم تحاول امي ان تتدخل ، وقابلت مايجرى حولها بهدوء وطيبة واستسلام ، فلقد كانت تعرف ان كلامها لن يغير من طبيعة والدى ، كما ارادت ان تحافظ على



مشاعره المرهفة ، ولقد كانا يتبادلان حبا عميقا واحتراما صامتا وحنانا بالغا .. وظللت فى صباى الاحظ بعيون دامعة حجرة المكتب المضاءة التى يسهر فيها والدى الى وقت متاخر ، وحجرة النوم المطفاة الأنوار التى كانت تتسرب الى اذنى منها تنهيدات امى ودعواتها» .. وصمت «ح» طويلا وخفت صوته وإن ظل واضحا فى هذا الهدوء المثير .. ثم اضاف .. «ويبدو ان والدى قد وجد نفسه امام موقف صعب ... وفى ليلة سوداء ايقظنى من النوم قبيل الفجر صوت طلق نارى اخذ يدوى فى اذنى منذ ذلك الحين .. ومازلت اسمعه حتى الآن .. وعلمت من دموع امى التى ظلت تنهمر بدون انقطاع شفقة ولهفة على والدى الحنون حقيقة ما حدث ، وخلف دموعها كانت امى تنظر إلي فى شفقة وجزع لم استطع تفسير سببها إلا بعد ثلاثة ايام من موت والدى حيث افتقدت حتى دموع امى بعد ان قطعت شرايين يدها وهى متحصنة بغرفة نومها ، فقد كانت اكثر رقة من ان تواجه قسوة هذا العالم وحدها » ..

وصمت «ح» طويلا والتمعت عيناه بالدموع دون ان يتاثر صوته او يتهدل .. ثم رفع راسه إلي وقال .. «منذ ذلك الحين عاهدت نفسى ان اسير فى حياتى وحيدا بلا ارتباط .. فكل ارتباط بالآخرين خيط عنكبوت يصيد ويعيق حركتنا فى الحياة .. وكلما زاد الارتباط زادت خيوط العنكبوت قوة وتماسكا ... لقد اكتشف احد اعمامى الذى قام بتصفية التركة وبجمع ديون والدى لدى اصدقائه وسداد ديون البنك ان والدى كان قادرا على مواجهة ازمته المالية لو كان قد الح فى طلب ديونه لدى اصدقائه ، بل وبقيت لي هذه السجادة الصغيرة وتلك اللوحة الزيتية وبعض الأموال التى تكفينى حتى انتهاء دراستى ... وهكذا اتضح لي ان والدى قد وقع فى لحظة اختيار بين ارتباطاته العميقة بالآخرين وبكل مشاعره المرهفة .. وبين حياته .. ووجد بان التضحية بحياته كانت اخف وطاة على نفسه من تمزيق ارتباطاته» ..

بعد لحظات من الصمت اضاف «ح» وانا اعي تماما اننى اقاوم غريزة انسانية عميقة ... ولكننى اعي فى الوقت نفسه اننى بامتيازى فى عملى احقق الاستغناء عن طلب المساعدة من الآخرين ، اما مساعدتى للآخرين فانا احاول دائما الا يعتاد من حولى الاعتماد علي ، (وان يكون عملى وانتاجى فى المستقبل هو اسهامى الأساسى فى خدمة المجتمع والآخرين) ... وعلى عكس والدى حرصت دائما ان اقول .. لا .. وحتى اخفف من قسوتها فاننى اقولها دائما بصوت خافت .. وبكل ما املكه من رقة موروثة» .. وصمتنا طويلا .. وقد اجهد « ح » الحديث وسالت بصوت خافت: «والزواج ؟ هل ستعيش حياتك وحيدا بلا زواج ؟» .. واجاب بعد فترة صمت ... «إن الزواج ارتباط شديد القوة .. يحتوى الافا من خيوط العنكبوت ... والأبناء ارتباط اعمق واشد ... وانا لا افكر فى ذلك حاليا فامامى وقت طويل ... ولكن يبدو انه ارتباط لا مفر منه .. وعندما يحين وقته اعتقد اننى سوف ابحث حولى عن عيون امى الحنونة .. وعندما اجد فى عينى فتاة هذه النظرة الواعية الحنونة الهلوعة .. فاننى سوف اتزوج ..»

على باب منزله وهو يودعنى .. قال فى ثقة .. «اننى اعلم انك سوف تصون سرى ... ولن تجعله مضغة فى الافواه .. ولكن ارجو ان تكون لقاءاتنا القادمة إذا اردت فى ملعب العاب القوى بالكلية فانا لا امانع فى ان نمارس الرياضة سويا .. وخاصة العاب القوى .. فهى لعبة فردية كما تعرف» ...، وفهمت ما يريد قوله ... واحترمت ارادته .

عبد الرحيم أبو عوف

طريقتنا فى تحويل هذه المادة التاريخية الى مقالة قصصية ، هى أن نكتبها في شكل مذكرات شخصية على السنة أبطالها ، يلتقى الخيال فيها بالحقيقة ، مع احتفاظنا بالقدر المناسب من طرائق القدماء فى التعبير ، استحضاراً « للجو التاريخي » عند نظرتنا المعاصرة الى اولئك القدماء على اختلاف أدوارهم التاريخية ..

مذكرات نابغة النصّابين

بقلم : كمال النجمي

ـ ١ ـ

● أنا والله نابغة النصابين جميعاً ! .. إن كنت لاتصدقنى فاسمع قصتى ! ..

الناس يسمونى احمد النصبى ، وانما انا احمد النصاب ، فليس على ظهر الأرض من يبارينى فى فن النصب ! ..

اسمى أحمد بن اسامة الهمداني « ١ » من صميم قبيلة همدان العظيمة .. عشقت الغناء ، فقيل : هذا هو العاشق الغاوى ! .. وما غويت ـ والله ـ ولكنى وجدت فى الغناء لذة للنفس والقلب تكتمل بها اللذة التى اجدها فى سماع الأشعار الجيدة ، وليس فى الغناء ولا في الشعر ما ينتقص من المروءة شيئاً ..

ولقبى « النصبى » الذى التزق باسمى ، ماخوذ من « النصب » ـ بسكون الصاد ـ وهو ضرب من الغناء الرقيق يشبه الحداء وما هو بالحداء ، ولا هو بالغناء الذى لايصلح إلا بالضرب على العود ..

هذا « النصب » انا صاحبه ولا فخر ! .. اخترعته اختراعاً ، وغنيته على الطنبور ، واحدثت فيه الحانا كثيرة بارعة يعجز عن مثلها جميع الطنبوريين ، بل يعجز عنها اصحاب الغناء المتقن ، اولئك الذين تنتفخ اوداجهم وهم يضربون بالعيدان ويتمايلون طرباً ...

فلما كثرت الانصاب التى غنيتها على الطنبور ، قال العارفون بقدري فى هذه الصناعة : هذا هو النصاب الذى كثرت انصابه حتى اوشكت ان تتعلق كالاقراط بكل اذن امراة ، او رجل او غلام فى العراق والشام والحجاز ! ..

وظن الطنبوريون ان النصب صناعة سهلة ، فقلدونى فى غناء « النصب » فلم يجيئوا بصناعة حسنة فيه ، لانهم جهلوا سر الصناعة التى انا وحدى صاحبها ، الخبير بسرها ..

وبلغنى ان ابن مسجح وابن نحرز وابن سريج « ٢ » سمعوا انصابى من بعض الرواة فاعجبتهم .. وحسبك باعجاب هؤلاء المغنين الفحول من شهادة لى ولنصبى ، مع انهم يغنون على العود الغناء المتقن ، ورايهم ان الغناء على الطنبور عمل باطل لايدخل فى صناعة الغناء ! ..

هؤلاء وغيرهم كسبوا من خدمة الكبراء والعظماء ، اما انا فلم اخدم بغنائى حاكماً ولا والياً ولا قائداً ، ولا نظمت الشعر وإن كنت اعشق سماعه ، وانما اغنى اكثر غنائى فى شعر صديقى وقريبى اعشى همدان الذى لم ازل مواخياً له منذ الصبا .. لانه همدانى مثلى ، وشاعر مقلق فى طليعة الشعراء ! ..

وكثيراً ما يقول لى الاعشى :

ـ ما أراك زهدت فى خدمة الكبراء والوزراء والاثرياء بغنائك هذا الجميل ، إلا اكتفاء بما أفاء الله عليك من اليسار .. ولو كنت محتاجاً الى المال لدخلت فى خدمتهم كما دخل غيرك ! .. وقد تعلم يانصاب مااجتناه مغنو مكة والمدينة ودمشق من الثمرات بغنائهم فى مجالس هؤلاء السادة الكرام ، وانت مقيم بالكوفة لاتقصدهم ! ..

فاقول للأعشى :

ـ بلى والله ، فانى لاقصدهم ولا اغنى الا تلذذاً بالغناء ، وهبنى قصدت أحدهم فامرنى ان اغنيه الغناء المتقن على العود ، فقلت له عندئذ : إنما انا نصاب لا اغنى إلا النصب على الطنبور ! .. فماذا يحدث لو طردنى او امر غلمانه فدفعونى فى قفاى دفعاً ؟! ..

يضحك الأعشى ويقول :

ـ دع ذا عنك ، فانك انما استغنيت بما تحصل عليه من الربا ؟! ..

أغضب واصيح فى وجهه :

ـ والله ما انا كذلك ، وقد زعم أهل الكوفة انى شديد البخل وانى اقرض الناس بالربا ! .. وهذا بهتان ، فما انا بالبخيل ولا المرابى ، ولكنى رجل حريص لا اجاوز بالمال موضعه الصحيح من الانفاق ، ولا اعطي من يسالني بغير حق ! وكل من رمانى بنقيصة فليس يخلو فى أن يكون كاذباً او حاقداً .. فانا رجل كريم ، شجاع حاربت فى عسكر الحجاج بن يوسف الثقفى وأبليت أحسن البلاء ، وما زلت اجيب كل دعوة الى القتال ، وإن الحجاج كما تعلم لكثير الحروب لكثرة الخارجين عليه لظلمه ، وما انا بالمحب لسياسته ولكنى مقاتل لا اقعد مع القاعدين ! ..



الطنبور آلة موسيقية قديمة ، يسميه أهل الشام «البزق» وفى الغرب يسمونه «تامبور» وهو آلة وترية من عائلة العود ، ولكن له أربعة أوتار مفردة بدلا من أوتار العود الخمسة المزدوجة ، وكان الغرب يسمون العزف على «الطنبور» باسم «النصب» أما العازف على الطنبور فاسمه عند العرب «النصاب»

— ٢ —

● عدت من غزوة فى بلاد بعيدة ، وكان اعشى همدان معي فى المقاتلة وهم كثيرون من جميع القبائل ، فلما فرغنا من الغزو أخذنا طريقنا عائدين الى الكوفة ، فنزلنا فى بلدة « ساباط المدائن » على رجل كريم هو سيدها واسمه صالح بن سعد العنبرى ، فاحسن الرجل استقبالنا ، واطعمنا واسقانا ، وأمر لدوابنا بعلوفة .. ثم سامرنا ساعة واستاذن فى الانصراف ليبيت فى سطح منزله ، وكان مبيتنا نحن فى أحسن حجرات المنزل ..

فلما انصرف قلت للأعشى :

ـ أما رأيت جميل صنع هذا الرجل بنا ؟! .. إنه والله لسخى ذو مروءة يستحق أن تمدحه بشعرك ! ..

قال الأعشى :

ـ نعم .. وكرامة ، ولكنى اشترط عليك أن تصنع لحناً فى هذا الشعر ، تغنيه لنا فنتسلى حتى ننام ، أو نسهر على اسماعه حتى مطلع الفجر ..

ثم تحرك الأعشى فأخذ ينشد شبه مرتجل قصيدة طويلة فى مدح الرجل ، أخذت منها الأبيات الأولى وهى فى الغزل :

يا أيها القلبُ المطيعُ الهوى
أنّى اعتراكَ الطربُ النازحُ
تَذْكُرُ جُمْلاً فاذا ما نأَتْ
طار شَعَاعًا قلبُكَ الطامحُ
ياجُمْلُ ما حُبِّى لكم زائلٌ
عنى ولا عن كبدى نازحُ

فلحنت الابيات وغنيتها وانا اضرب بقضيب على دواة ، والأعشى يصرخ طربا ويستعيدنى ، حتى ظننت ان اهل الحى كلهم قد استيقظوا من نومهم ، فقلت له مستنكراً أو معاتباً :

ـ ايقظت بصياحك الناس ، ولا أستطيع تسكيتك ، واخشى ان يسمعنا صاحب الدار فيستخف بنا ، ويستحقر مروءتنا ، وينحى على نفسه باللوم والتغليط إذ انزلنا فى بيته ! ..

قال الأعشى غير مبال بكلامى :

ـ ومن الذى يسمع انصابك هذه ياأحمد ولايصيح من حرقة الطرب ؟! .. فاسكت انت عن الغناء ، أسكت انا عن الصراخ ، فانما صياحى وصراخى من اثر غنائك فى قلبى ! .. كأنك ـ والله ـ اوقدت فى سويدائه ناراً ! ..

فبينا نحن كذلك دخل علينا صاحب المنزل ، وقد اصفر وجهه وتهدج صوته فقال

ـ سمعت شعراً ما سمعت أحسن منه ، وغناء لايقدر على مثله أحد من حذاق المغنين .. فهلا أخبرتمانى ـ أمتع الله بكما ـ من انتما .. زادكما الله فضلا ومروءة ؟!..

قلت له :

ـ أما الشعر الذى سمعته فلهذا الرجل ، وهو الشاعر المشهور اعشى همدان .. وأما الغناء فانه غنائى ، وانا احمد بن اسامة الهمدانى المعروف بالنصبى ! ..

فانكب الرجل على رأس الأعشى فاشبعه تقبيلا وقال وهو يكاد يبكى تأثراً وسروراً :

ـ ياسيدى .. مدحتنى بشعر تتمنى مثله الملوك ، وما صنعت لك شيئا استحق به مدحك !

ثم تحول ناحيتى فاشبع رأسى انا ايضاً بقبلاته وقال لى :

ـ ياسيدى .. والله ما ظننت أن زمانى يبلغنى هذا الأمل.. فاسمع غناءك في شعر يمدحنى به اعشى همدان ! .. فقد ذهب والله عمرى كله وراء ظهرى ، وبقيت لى منه هذه الليلة وحدها ، إذ خولتمانى فيها هذا الفخر العظيم ، فضلا منكما ، لم ابذل فى سبيله شيئاً ! ..

فقمت فاقعدت الرجل وهدأت من روعه ، وقلت :

ـ والله ما صدق الأعشى قط فى مدح أحد ، صدقه فى مدحك ، لأنه جاء من طبعه ومحبته ، لامن جائزة ينتظرها ..

قال الرجل :

ـ كتمتمانى انفسكما ، واوشكتما أن تفارقانى ولم أعرفكما ولم أعلم خبركما ، ولو حدث هذا لذهبت نفسى وراءكما حسرات ، ووالله ما تطيب الآن نفسى برحيلكما عنى أبداً ..

فأقمنا عنده شهراً ، ثم حملنا الرجل على فرسين فارهين ، وقال :

ـ خلفا عندى دوابكما ، فانى أظنكما راجعين الى الغزو فى جند الحجاج ، فاذا عدتما سالمين غانمين ان شاء الله ، نزلتما عندى ! ..

انصرفنا .. وكان الرجل ذكياً اذ عرف اننا راجعان الى الحرب التى كنا فيها منذ مدة .. ووالله ما نغشى هذه المواقع المهلكة امتثالا لأمر الحجاج الثقفى الذى لاتنتهى حروبه ، بل رغبة فى رأب صدع الاسلام والمسلمين فى هذا الزمن الذى كثرت فيه فتوق الخوارج ، وكل ذاهب مذهباً لا يعرف المسلمون له اصلا ! ..

ـ ٣ ـ

ينسى المرء فى الحرب الطاحنة كل مباهج السلام ، فلا يذكر الشعر ولا الغناء ولا الحب ! .. فان ذكر شيئاً من ذلك مر على خاطره مرور الغيمة السوداء ، تكون حجاباً على نور الشمس وعلى نور القلب ! ..

ويتذكر المقاتل فى ساعة راحته المتوترة ، ماضيه كله ومستقبله الذى اختلط بالماضى فصارا كانهما قطعة واحدة من الزمن ذهبت الى غير رجعة ! ..

وقد يهجم المحارب على الأعداء وهو يرتجز ويهز الرمح ، ولكن الشعر الحقيقى لايولد فى غابة الرماح التى تمطر دماً .. وكل خفقة سيف على عنق رجل ذبيح ، تذبح معها معنى الشعر فى قلب صاحب هذا السيف المنتصر ! ..

كذلك الغناء ! .. فانى أنسى فى المعركة ، وقبل المعركة ، وبعد المعركة ، أننى مغن وأن لى مذهباً خاصاً في الغناء ، وطنبوراً أغنى عليه .. وأنسى أسماء المغنين والمغنيات الذين سمعتهم فى حياتى وأمتلأت من غنائهم طرباً حتى ظننت أن الدنيا هى الغناء وأن الناس هم المغنون !.

جلست مع الأعشى عقب اشتباك دموى مع الأعداء ، وقد حجز الليل بين المتحاربين ، فقلت له :

ـ أتذكر يا أعشى قصيدتك فى ذلك الرجل الكريم سليم بن صالح العنبرى ؟!

ـ نعم .. وكيف أنساها وقد غنيتنى فى بعض أبياتها ؟!

ـ هل تذكر قولك فى مدحه :

إنى لمن سالمت سلم ومن
عاديتَ أمسِى وله ناطحُ
فى الرأسِ منه وعلى أنفه
من نقماتى ميسم لائح

فانت تزعم أنك تسالم من يسالم سليم بن صالح ، وتنطح من يعاديه حتى يلوح على أنفه وفى رأسه ميسم من نطحك الشديد ! .. فماذا تفعل لو دعاك الحجاج الى هجاء سليم بن صالح ونطحه على رأسه وأنفه ؟!

تفكر الأعشى لحظة مطرقاً عابساً .. ثم لَجْلَجَ قائلا :

ـ لا أراه يدعونى الى مثل هذا ،، وانما يحتاج الحجاج الى سيوفنا لا الى السننا !.. وماذا بينه وبين سليم بن صالح مما يدعوه الى طلب هجائه أو قتاله ؟! ..

ثم تضاحك الأعشى قائلا :

ـ ما أظن أن الحجاج يخطر بباله أن مغنياً عظيماً مثلك يحارب فى صفوفه ، وأن له مذهباً في الغناء اسمه « النصب » .. وأنه نابغة النصابين جميعاً وكبيرهم الذى يعلمهم هذا السحر ! ..

ـ ٤ ـ

بعد المعركة قلت للأعشى :

ـ نمر على ديار سليم بن صالح العنبرى كما وعدناه ، وأسالك اذا بلغنا منزله أن تمدحه بقصيدة جديدة ، ولئن فعلت لأغنينك فى أبيات منها إن شاء الله ..

فلما شارفنا منازل سليم بن صالح رأيت على سطوحها ثعالب ، فدهشت وتوجست خيفة ، لأن عهدى بديار هذا الرجل انها معمورة محروسة ، فكيف طرقتها الثعالب وصعدت فوقها ..

حدثت الأعشى بمخاوفى فوجم وقال :

ـ لئن صدقت مخاوفك فما بقى فى البلدة أحد ! ..

ـ وكيف يقع مثل هذا الحادث العجيب الرهيب ؟!

ـ الطاعون أصابهم ! .. أو ما هو شر من الطاعون ! ..

ـ فكيف ندخل قرية أصابها الطاعون ؟!

ـ إن الطاعون لايبقى فى قرية بعد أن يقتل أهلها ! ..

مشينا خائفين محزونين فى طرقات القرية فلم نلق إلا شيخاً حطمته الأيام والأحزان حتى ظنناه أول ما رأيناه شبحاً أو عفريتاً من الجن !.. سألناه عن خبر القرية .. قال وهو يجود بنفسه وقد حضره الموت :

ـ إن الحجاج الثقفى قبض على شيخنا سليم بن صالح وطالبه بمال عظيم لايملك منه شيئاً ، فلما عجز عن ادائه ، صادر أملاكه وأملاك أهله أصحاب هذه القرية فخربت ، وتفرقوا ، بعد أن أمات الحجاج أكثرهم ، وأعمل فيهم النهب والسبى كأنهم من كفرة الروم !..

ـ وما كان مصير سليم بن صالح ؟!..

قال الرجل وقد غاب صوته فى احتضاره:

ـ باعه الحجاج عبداً فى سوق الرقيق !

أذهلنا هذا النبأ المروع ، وصاح الأعشى مستنكراً وقد جن غضباً :

ـ كلا !.. وهل يحل له هذا البيع ، وانما سليم بن صالح رجل حر لم يمسه الرق ، ولم يأسره الحجاج فى حرب مع الكفار ؟!..

وأمسك الأعشى بتلابيبى يسالنى ، كأننى أملك من الأمر شيئاً :

ـ ايسبى المسلم ويباع فى دار إسلام ؟!.«٢»

قلت للأعشى مهدئاً إياه وقد اعترانى انكسار شديد ..

ـ ويحك يا أعشى !.. أهذا منطق تواجه به ذلك الطاغية ؟!..

لم نكد نعود الى الكوفة حتى فوجئنا بسليم بن صالح يخرج من بعض منازل أشرافها وعليه ثياب حسنة ، ومعه بعض أقاربه ، فطرنا اليه نقبل رأسه ونبكى ونسأل عن قصته ..

قال صالح :

ـ لا بأس علينا والحمد لله ، أنا ومن بقى من قومى ، فان صاحب هذا البيت الكريم قد « اشترانى » و « اشتراهم » وأعتقنا جميعاً لوجه الله تعالى ..

كمال النجمى

هوامش

(١) ترجمة النصبى فى الجزء السادس من كتاب الأغانى ، طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) هؤلاء شيوخ الغناء المتقن فى العصر الأموى .

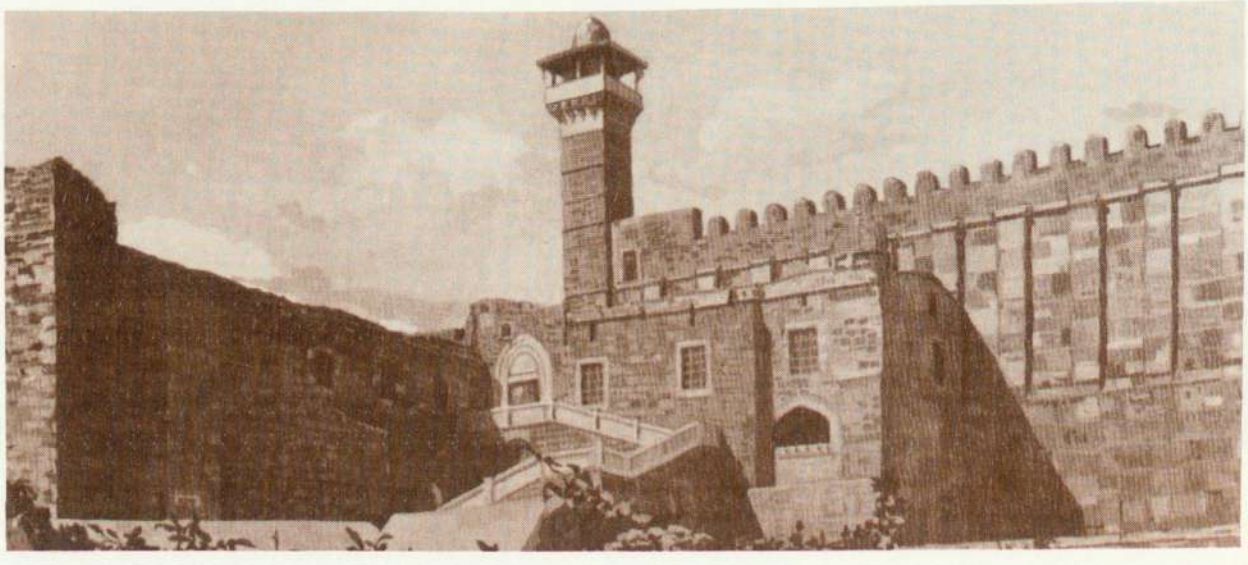
(٣) بحثنا عن تكذيب لهذه القصة فى كتب التاريخ فلم نجد تكذيبا ، ولم يبق إلا تصديق ما رواه كتاب الأغانى .. وليست القصة بكبيرة على « الحجاج » فله اكبر منها !..

لوحة الغلاف الأخير

الخليل : الحرم الإبراهيمي

بقلم : يوسف الخطيب

إعداد الفنان : عزيز إسماعيل



يبلغ عمر مدينة الخليل مايزيد على خمسة وخمسين قرناً ، أي ماينا هز عمر اهرام مصر .. وقد بناها منذ ذلك الزمن السحيق الزعيم العناقي « الاربع ابو عناق » وظلت المدينة تعرف باسمه « قرية اربع » زهاء عشرين قرناً . والعناقيون هم احد بطون الموجة العربية الكنعانية التى استوطنت فلسطين منذ فجر تاريخها المعلوم ، وقد بسطوا سلطانهم على مثلث مابين الخليل وغزة وبئر السبع وعرفوا فى التوراة والقرآن بشدة البأس والجبروت لدرجة أن جواسيس النبي موسى الذين أوفدهم من سيناء لاستطلاع مداخل فلسطين الجنوبية ، قد أعلنوا تمردهم عليه ، ورفضوا أن يدخلوا فلسطين من جانب أرض العناقيين : « قالوا : ياموسى إن فيها قوماً جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون » و « قالوا ياموسى انا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » (سورة المائدة ـ الآيتان ٢٢ و ٢٤).

ثم مع اجتياح اليهود القدامى لأرض كنعان ، على يد « يوشع بن نون » فلقد اقطعها هذا لاحد قادته العسكريين « كالب بن يفنه » الذى بدل اسمها باسم أحد أولاده « حبرون » وقد ظلت المدينة تعرف باسمها اليهودي الدخيل هذا ، الى ان غلب عليها مع الفتح العربي ، اسمها الحالي « الخليل » نسبة الى خليل الرحمن النبي ابراهيم ، الذى يرقد واسرته فى مدفن تحت حرمها الشريف .

تظهر لنا هذه الصورة جانباً من الحرم الابراهيمي . منظوراً إليه من الجنوب الغربي باتجاه الشمال الشرقي ، والثابت لدينا الآن أن الكتلة السفلى من هذا البناء الحجرى العملاق ، ترجع الى عصر هيرود الكبير الذى يسمى عادة « ملك اليهود » رغم أن أباه أدومي من شرقي الأردن وأمه اميرة عربية ، وهو الحاكم الفولاذى القبضة الذى انتدبته روما ملكاً على فلسطين ، وكان شديد الولع بتشييد القلاع والحصون العملاقة على أطراف البادية بوجه خاص ، بما فى ذلك قلعة مسعدة الشهيرة التى رفعها على الكتف الجنوبي الغربي للبحر الميت ، وحشر فيها اليهود الزيلوتيين « المتحجرين » حتى نهايتهم ، وإلى هذه القلعة تعزى « عقدة مسعدة » التى قد يكتبها بعض المترجمين عندنا « عقدة مسادا » وهي تعني بالنسبة لليهودي « النهاية والاضمحلال » . فكتلة الحرم السفلى إذن هي من بناء هيرود الكبير ، بينما بنيت كتلته العليا فى عصور عربية اسلامية لاحقة ، خاصة عندما جلس المهدي على عرش مصر ، وكان الدخول الى الحرم الابراهيمي عبر جدرانه الحجرية الصماء شبه مستحيل : « فامر بفتح باب فيه ، وزينه ، وفرشه بالسجاجيد ، وادخل على عمارته اصلاحاً كثيراً » (ناصر خسرو ـ سفرنامة ـ ص ٣٢) .

من ابرز اعلام جبل الخليل ، القائد الفلسطيني الفذ موسى بن نصير الذى شارك فى فتح الاندلس مع طارق بن زياد ، وكذلك ابو الفضل الربيع بن يونس وزير ابي جعفر المنصور ، ومن ثم ابنه الفضل ابن الربيع الذى تولى ، من بعد تصفية البرامكة ، وزارة هارون الرشيد .

يوسف الخطيب

قصة سيجارة وفنجان قهوة !

السيجارة التى تدخنها بحكم العادة رغم خطورتها كان أول من عرفها هم الأسبان فى القرن السادس عشر .. أما فنجان القهوة الذي يؤثر على الأعصاب والصحة عند الذين يتناولونه بصورة منتظمة فقد كان أقدم من شربوه هم الأحباش ! .

بقلم : الدكتور عزالدين فراج

لم تعرف عادة تدخين لفائف التبغ إلا بعد اكتشاف امريكا ، فقد اعقب هذا الحادث الجغرافي العظيم حركة انتقال السكان ، وحركة تبادل المزروعات والمنتجات . وكان التبغ فى طليعة النباتات التى حملت من هذا العالم الجديد الى العالم القديم . ويعد الأسبان اول من عرفوا نبات الدخان ، إذ كان قد احضره لهم القنصل الفرنسي « جان نيكوت » فى القرن السادس عشر فنسبت إليه مادة النيكوتين.

ولم يكن يدر بخلد « جان نيكوت » ان عادة تدخين أوراق هذا النبات ستصبح مالوفة الى حد ان تصبح نسبة باعة التبغ إلى باعة الخبز كنسبة ١٠:١ ، وعندما زرع التبغ لاول مرة فى اسبانيا تفتحت عيون اهلها على نبات جديد يعلو إلى طول الفرد العادي او اقل قليلا ، وينتهي بازهار طرفية الوضع محمرة اللون ، اما اوراقه وهي الجزء الاقتصادي الهام ، فيتراوح طولها بين ١٥ و ٣٥ سنتيمتراً .

وانتهت مرحلة استيراد نبات التبغ واقلمته بان استقرت زراعته فى اقطار معينة يلائم مناخها انتاج اجود الاصناف . وفى هذه الاقطار ، احتكرت حكوماتها زراعة هذا النبات و منحت حق احتكاره لشركات نظير دخل سنوي معين . اما الحكومات التى لم تنجح بلادها فى انتاج اصناف جيدة من التبغ فقد منعت زراعته بصفة رسمية واكتفت بفرض ضريبة على الدخان الجيد المستورد .

ويلذ لنا ان نعرف نتائج التجارب التى اجريت على اعقاب السجائر لتقدير النسبة المئوية للنيكوتين الذى تحجزه الاعقاب اثناء عملية التدخين . ويمكن تلخيص ذلك بان الاعقاب تحتوى حوالي ١٣, فى المائة نيكوتين إذا قورنت بالنسبة الأساسية وهي ١,٨٣٪ .

وعلى هذا فان متوسط عشرة اعقاب تحجز ما يقرب من ثمانية ملليجرامات من النيكوتين بينما يحتوى دخان السجائر العشرة على مايقرب من ١٦٠ ملليجراما ، وإذا كنا نحسب حساباً للرطوبة التى يحتفظ بها العقب وكذلك للمواد الاخرى غير النيكوتين امكن القول إن الاعقاب تحجز من ٥ ـ ٨ فى المائة من النيكوتين الموجود فى الدخان الذى يحترق .

اما الدخان المتصاعد فيحتوي على طائفة من المواد الصلبة سابحة فى بعض الغازات ، كما يحتوى على دقائق صغيرة من مواد سائلة سابحة وسط المخلوط المعقد التركيب . ومن أهم هذه المواد نذكر : ثاني اكسيد الكربون ـ اول اكسيد الكربون ـ كبريتور الايدروجين ـ غاز حمض الهيدروسانيك ـ غاز النوشادر ـ نيكوتين ـ مواد قطرانية ـ مواد صمغية ـ مشتقات الفينول . وإذا امعنا النظر فى تلك الطائفة من المركبات التى يتكون منها الدخان نجد ان اغلبها ضار بالصحة ، وقد اجمع الأطباء على ان التدخين يسبب زيادة حموضة المعدة ، كما يسبب قرحة فيها . اما اطباء العيون فمتفقون على ان ضعف النظر وتصلب الاوعية الشعرية تنشا فى بعض الاحايين عن عادة التدخين .

مواجهة النيكوتين

ويحدث الادمان على التدخين التهابات فى الحنجرة والأجزاء العليا من القنوات التنفسية . فتسبب خشونة الصوت وتزيد من افرازات الغدد المخاطية . والسبب في



ذلك استمرار التاثير عليها بابخرة قلوية .

كذلك يحدث التدخين التهابات مماثلة فى اللسان ، وعلى الاخص فى تدخين الغليون حيث يلمس الدخان الساخن اللسان باستمرار ، وهذا يسبب تعرض اللسان للاصابة بالسرطان . أما اثر النيكوتين الذى يبلع من الفم فهو فقدان الشهية وعسر الهضم ونقص الوزن ، وذلك يرجع الى تهيج موضعي يحدثه النيكوتين المبتلع من اللعاب .

وبالرغم مما يحدثه التدخين من الضرر على الصحة ، فان من منافعه انه قاتل للميكروبات . فاكثر الناس يرى الأطباء يدخنون حتى لا يتعرضون للعدوى . وقد دلت الأبحاث على ان الدخان المتصاعد من السيجارة إذا مر فى محلول مخفف من اللعاب ، فانه ينقص البكتريا الى ٣٥٪ ، اي انه يقتل ٦٥٪ منهـــا .

مما سبق يتضح انه يحتوى على بعض المواد الضارة بالصحة ، ولذلك فكر الكثيرون فى إيجاد طرق صناعية للتخلص من كل هذه المواد او بعضها ، وقد هداهم التفكير الى مواد تمتص تلك المواد الضارة، بوضعها فى طريق الدخان ، فتحجزها ويصل الدخان الى الفم مرشحاً وخالياً من كثير من تلك المواد الضارة .

واهم ما استعمل من تلك المواد الماصة للنيكوتين مادتا السيلكا الغروية والالمنيـــا الغروية . وتستخدم مبدئياً خواص الامتصاص الموجودة في الالمنيا الغروية ، وذلك بوضعها فى انبوبة الغليون او فم السيجارة . وهذه المادة عبارة عن أكسيد الالمنيوم الحبيبي شديد الامتصاص .

علاوة على تلك المواد المستعملة السابقة الذكر ، تستخدم بعض الطرق الاخرى كقطعة من القطن او سيجارة من صنف رخيص توضع بداخل الفم المصنوع بطريقة خاصة ليتسع لوضع سيجارة كمرشح بداخله . وهذه الطريقة الاخيرة لوحظ انها عظيمة النفع إذ ان السيجارة الموجودة بداخل الفم يمر عليها تيار الدخان فيمتص نسبة كبيرة من النيكوتين ومحتويات الدخان الأخرى غير المرغوب فيها كالقطران .

وقد درس « بال » العالم بالطرق الاحصائية معدل الذين يبلغون السبعين من العمر بحوالى ستة آلاف فرد منذ ان كانوا فى الثلاثين ، فوجد ان ٦٤٪ من غير المدخنين عاشوا الى السبعين ، مقابل ٤٥٪ من المدخنين باعتدال ، ٣٠٪ من المدخنين بكثرة .

قصة فنجان القهوة

نحن مدينون بفنجان القهوة إلى شجرة البن ، تلك الشجرة الدائمة الخضرة ، التى قد يمتد عمرها ثلاثين عاما او اكثر . وتبدأ هذه الشجرة فى اعطاء باكورة اثمارها فى العام الخامس من عمرها ، واكبر محصول لها يبدأ من العام الثامن ، وتزهـر شجرة البن أزهاراً بيضاء جميلة تتحول فى وقت قصير الى ثمار خضراء ، تتحول بدورها الى اللون الأحمر الذى يعتريه السواد تدريجياً حتى يعم كل الثمرة . ومتى تم هذا التحول فى اللون وجب قطف الثمار ، وترك مالم يتم نضجها ، لأن ثمار الشجرة الواحدة لا تنضج عادة فى وقت واحد .

اما كيف استخدمت ثمار هذه الشجرة لاول مرة ، فهناك قصص عديدة مسلية ، تنسب إحداها الى أحد الآباء المارونيين ، عندما لاحظ ان اغنامه اكلت من ثمر شجرة معينة لم يغمض لها جفن ، واخذت ترقص طيلة الليل . وتقول قصة اخرى إن احدى طوائف الدراويش قد ادخلت عادة شرب القهوة الى البلاد العربية ، فقد كانت تريد قضاء الليل فى عبادة مستمرة ، فاهتدت الى أن شرب القهوة ، هو الوسيلة الوحيدة للوصول الى هذا الغرض ، دون ان يتطرق النوم لاحد من رجالها .

وتاريخ القهوة من اعجب التواريخ ، فقد كان الاحباش اقدم من شرب القهوة ، وكان اليمنيون يسافرون الى الحبشة للتجارة فعرفوا منها القهوة وحملوا البن الى اليمن فى القرن الخامس عشر ، ومن اليمن انتقلت القهوة الى الحجاز ومصر حيث قوبلت بضجة كبيرة .

مقاهي العالم

ووجدت القهوة سبيلها الى اوربا عن طريق الاستانة حيث انتقلت الى ايطاليا . ويقال إنها رؤيت لاول مرة فى البندقية عام ١٦٢٤ .

واول مقهى افتتح فى باريس ، كان لأرمني يدعى مهران ، فغشيها السوقة يضجون ويصخبون فازدراها العلية وكثرة رجال الادب والعلم القعود فيها للحديث والنقاش . فانشا « بروكوب » رجل من البندقية اشتهر بحسن الذوق وكمال الادب مقهى فى منزل قائم بنفسه حوله حديقة ، واقتصر على القهوة والمثلجات . وتعاقب افتتاح المقاهي ، على درجات من البذخ والترف ، ثم عم باريس صنوف منها .

ولعل اشهر مقاهي باريس فى القرن الثامن عشر هو المعروف باسم « دي لورانت » فقد كان يختلف إليه نخبة ادباء العصر ومفكريه وعلى راسهم جان جاك روسو .. وروسو ناري المزاج هجاء بالسليقة ، صريح يقدس حرية الراي ، فثار على زبائن هذا المقهى الارستقراطي ، وبسط فيهم لسانه ونظم قصيدة هجا فيها جميع من يحتسون القهوة ، فكانت قصيدته ذريعة الى نفيه من باريس الى سويسرا وروما . وفى عام ١٦٥٢ افتتح اول مقهى فى لندن ، وسرعان ما انتشرت المقاهي واصبحت منتديات الطبقة الراقية ، يؤمها رجال السياسة والاجتماع والثقافة يتبادلون فيها الآراء والأفكار .

وكانت المقاهي الانجليزية فى اول امرها هي المقر الأول للاحزاب السياسية ، فكانت هناك مقاه لا يستطيع دخولها عضو من حزب الاحرار ، واخرى لا يستطيع دخولها عضو من حزب المحافظين . وهذه المقاهي الانجليزية هي الأصل الذى تفرعت منه نوادي لندن المشهورة التى نجدها اليوم مؤسسات اجتماعية وسياسية ثابتة الأركان.

ولم تنتشر عادة شرب القهوة فى المانيا إلا بعد أن غمرت اكثر اقطار اوربا ، ولكنها لم تلبث أن تمكنت من الشعب الى درجة حملت فردريك الاكبر على أن يقول متذمراً : إن الزيادة المضطردة فى استهلاك القهوة عدت أمراً لا يطاق ، فما من احد من عامة الناس وفقرائهم إلا وينفق جزءاً كبيراً من اجره فى اجابة هذه العادة المرذولة .

ووصلت القهوة الى روسيا عن طريق تركيا من ناحية ، وعن طريق النمسا من ناحية اخرى ، ولكنها كانت هناك عزيزة المنال لغلو ثمنها فلم تنتشر بين عامة الناس كما انتشرت فى سائر اوربا .

وتعد القهوة هدية العالم القديم الى العالم الجديد ، فامريكا لم تعرف نبات البن حتى حوالي عام ١٧٢٠ ، فعندئذ حمل أحد الضباط الفرنسيين معه ثلاث شجيرات من البن وهو فى طريقه الى جزر المارتنيك . وبينما هو على ظهر السفينة هبت عاصفة عاتية عاقتها عن المسير وحجزتها فى عرض البحر بعض الوقت ، ومنعتها من الوصول الى هدفها فى الموعد المقرر . وقد تسبب عن هذا التاخير نقص الاغذية والماء عن حاجة ركابها ، فاضطروا الى تخفيض حصصهم من الماء العذب ، فما كان من هذا الضابط ، فى سبيل المحافظة على هذه الشجيرات الثمينة ، إلا أن حرم نفسه حصته من هذا الماء ليروي بها هذه الشجيرات فوصل بها سالمة الى جزر المارتنيك فكانت الأولى ، واعجب بها الزراع وراحوا يتسابقون فى جلب هذا الشجر من موطنه والاكثار منه ، فتحولت مراكز انتاجه من العالم القديم الى العالم الجديد .

مناطق النمو

وقد يدهش القاريء من أن هذا النبات لايزرع فى كل مناطق الشرق الأوسط مع انه غزا العالم الجديد بهذه السرعة الفائقة ! فاقول لهم إن هذا النبات لاينمو إلا إذا توفرت الظروف الملائمة لنموه ، وهو ينمو بنجاح في أي مكان فى المنطقة الحارة بين المدارين بشرط توفر خواص معينة فى التربة والحرارة والرطوبة . واصلح تربة لنموه هي التربة الغنية بعنصر البوتاسيوم ، ولذلك نجد ان زراعته قد ازدهرت على سفوح منحدرات بركانية . ومع أن هذا النبات ينمو فى درجات من الحرارة المرتفعة ، ، فانه يجب وقايته من لفحة الشمس ، بان يزرع فى كنف نباتات اخرى تسبقه فى النمو فتظلله وتحميه .

وجودة المحصول لا تتوقف فقط على نوع التربة التى انتجته ولا على حالة الطقس التى احاطت به ، بل ترجع كذلك الى طريقة جنيه وطريقة تجفيفه . وخير طريقة لجنيه هي ان تقطف الايدي ما نضج من ثمره عندما يصير لونه اسود او ارجوانيا ، وتدع مالم يتم نضجه ومايزال لونه ضاربا الى الخضرة والصفرة . وثمر الشجرة لا ينضج كله فى وقت واحد ، بل فى فترات متعاقبة . ولهذا كان أجود أنواع البن ، مالم يختلط الناضج منه بغير الناضج ، فان قليلا من هذا كفيل بان يفسد مذاق كمية كبيرة من البن الناضج . ولهذا سيبقى البن من المحاصيل التى يفضل جنيها بالأيدي لا بالآلات ، فان هذه لا تفرق بين الناضج والنيىء ولا بين الاسود والأخضر من حباته . اما طريقة تجفيفه فهي تعريضه للهواء والشمس . ولكن حيث لا تشرق الشمس اللافحة يلجا الناس فى تجفيفه الى الافران والمواقد ، وهذه تنال كثيراً من مذاقه ورائحته .

د. عز الدين فراج

دائرة المعارف القرآنية



فقد العالم الاسلامي فى الشهر الماضى عالماً جليلا هو الدكتور محمد البهي وزير الأوقاف وشئون الأزهر الأسبق فى مصر ، الذى كان قد خص مجلة الدوحة بهذا العمل الجليل منذ اكثر من عام ،والذى نوالي نشره ،حتى لا نحرم القراء من متابعة هذا العمل الكبير الذى تعرفنا من خلاله على أهم المفردات التى جاءت فى القرآن الكريم ، والتى وضعها الدكتور البهي تحت عنوان : دائرة المعارف القرانية .

بقلم : الدكتور محمد البهي

"البيع"

● ياتي : « البيع » فى بعض آيات القرآن الكريم ، ويراد به التبادل المعنوي اي القيام بامر ومباشرته فى مقابل جزاء متعادل معه . يقول الله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين : انفسهم واموالهم ، وبان لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقاً فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم ، وذلك هو الفوز العظيم » .. فسمت الآية هنا : الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال مقابل جزاء للمجاهد بالجنة فى الآخرة بيعاً : ووصفت الانسان المجاهد بانه بائع ، كما وصفت جزاء الله له بانه شراء وكان هنا صفقة فيها بيع وشراء ، وفيها بائع ومشتر .. وكان هنا عقداً بين طرفين :

فيه مبادلة متعادلة . وما تذكره الآية هنا على هذا النحو هو تقريب لوضع الجهاد ولكل عمل فى سبيل الله ، وتوضيح : انه لايمر بغير مقابل مجز من الله . بل ان الذى يباشره لو كان يتعاقد عليه مع آخر ويبتغى الربح من ورائه : لكان ربحه هنا من الله أعظم : « وذلك هو الفوز العظيم » .

ومن هنا جاءت : « المبايعة » . كما فى قوله تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » .. فالمبايعة هنا عطاء ، وأخذ .. هي عهد على الايمان بالله والنصرة له من جانب ، والوفاء بالجزاء على العهد من جانب آخر : « ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » .. واستعمال المبايعة هنا كذلك هو للتقريب والتوضيح ، واستبعاد : أن يكون هناك بخس فى التعادل بين المؤمن بالله وجزاء الله له .

● ويأتي البيع ايضاً فى بعض آيات القرآن الأخرى : المبادلة المادية والعطاء والأخذ ، والتسليم والتسلم الماديين . يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » .. فما أمر المؤمنون بتركه هنا وقت الجمعة : هو صنوف المبادلات المادية من أجل الرزق والمعيشة ، على أن يستانفوا بعد الصلاة كل وسائل السعي فى سبيل الرزق . ومنها المبادلة او التجارة .

● وإذا أخذ مفهوم البيع الآن : معنى المبادلة ، أي التبادل بين العطاء والأخذ ، والتسليم لشيء وأخذ شيء آخر بدلا منه .. فانه جزء من مفهومه كذلك : التعادل بين ما يعطى وما يؤخذ . يقول الله تعالى : «واحل الله البيع وحرم الربا » .. ففى تحريم الربا وهو الزيادة بين طرفي المبادلة : ما يعطى الصورة لطبيعة البيع الحلال . وهو قيامه على التعادل ، حسب استطاعة الانسان فى التقدير . وعلى الأقل : قيامه على عدم البخس الظاهر فى المعادلة والتعادل إذن إن كان السبب فى حل مبادلة البيع .. فالزيادة فى أحد طرفي المعادلة فى عقد الربا هي السبب فى حرمته . ولكنها زيادة مشروطة بانها ناتجة عن اكراه الحاجة وقبول المحتاج فى عقد المبادلة .

وهكذا : البيع كما ياتي فى القرآن تعبيراً عن مبادلة معنوية ، ياتي كذلك تعبيراً عن مبادلة مادية ، كصورة من صور التجارة فى الأخذ والعطاء فى سبيل تحصيل الرزق ولقمة العيش .

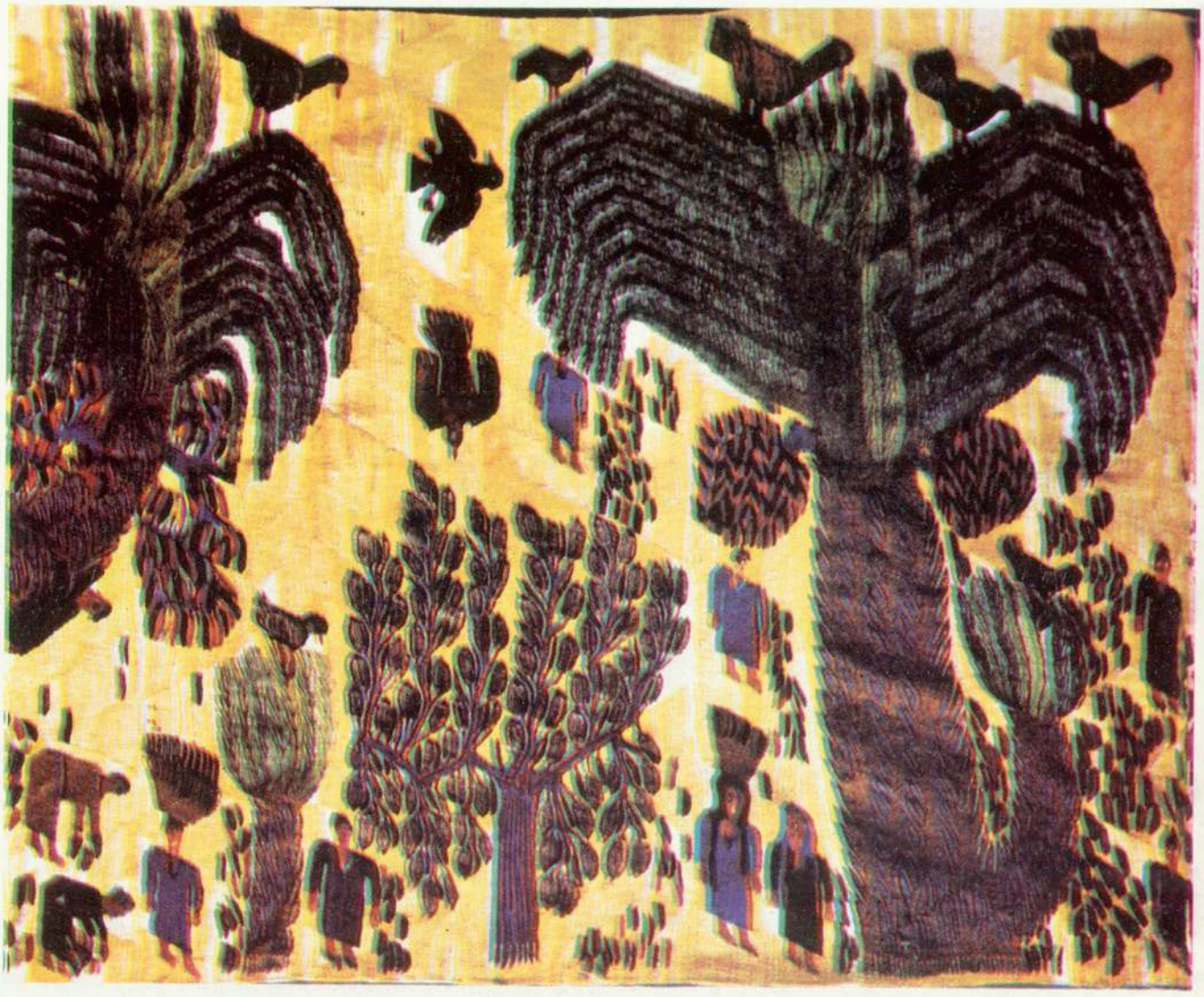


سجادة حائط مقاسها ٩٥ × ١٤٠ سنتيمتر ، وهي من إعداد الفنانة عطيات سليم التي اطلقت على العمل الفني اسم : الحديقة

الصناعات الشعبية العربية تغزو العالم

سجّاد الحرّانيّة
التجربة والأصول

بقلم : صبحي الشاروني



سجادة من اعداد الفنانة روحية علي .. مقاسها ١٥٠X٢٣٥ سنتيمتر .. وهي من النسيج اليدوي المشغول بزخارف أصيلة وقوية التعبير

الطريق من القاهرة الى « سقارة » ـ حيث آثار الدولة القديمة وهرم زوسر المدرج ـ يمر بقرية الحرانية تحت سفح الهضبة التى تحمل اهرام الجيزة الشهيرة .. اهل هذه القرية يعرضون على العابرين انتاجهم المتميز من السجاد والكليم المنسوج يدوياً والمشغول بزخارف ورسوم فطرية شديدة الاصالة والحيوية وقوة التعبير .

إن قرية الحرانية تدين بشهرتها فى هذا الميدان الى « بيت الفن » الذى انشاه المهندس المرحوم رمسيس ويصا واصف فى هذه القرية ، وظل قائداً ومنظماً لهذا الانتاج لمدرسته طوال حياته وبعد وفاته خرج عدد من تلاميذه من أهل القرية لينتجوا بأنفسهم لانفسهم ، بينما استمر بيت الفن فى الحرانية فى أداء رسالته فى استخلاص الكنوز الفطرية الكامنة فى أعماق نفوس الفلاحين المصريين .. بعضهم تجاوز الخامسة والثلاثين ولكنهم جميعاً احتفظوا بكل العناصر المتفوقة في فنون الطفل وقدموها فى لوحاتهم المنسوجة بخيوط الصوف . ذلك لأن قائد هذه المدرسة حرص على خلق دائرة فنية مغلقة معزولة عن المؤثرات الخارجية سواء التعليمية أو الثقافية أو الاعلامية التى تؤدي إلى اخراج هذه الفنون الفطرية عن نطاقها وعن براثنها الى نطاق فنون الكبار .

بداية التجربة

بدأ المهندس « رمسيس ويصا واصف » هذه التجربة عام ١٩٤٢ عندما قام بالاشراف معمارياً على تنفيذ مبنى مدرسة تابعة لاحدى الجمعيات الخيرية ، وخلال تردده على المكان اقترح أن يتولى تدريس مادة التربية الفنية بنفسه ، وقد أعطيت له الفرصة فلم يلجأ إلى الأوراق والألوان ، بل احضر عدداً من الأنوال البسيطة وكمية من الصوف صبغها بعدة اصباغ نباتية بدائية ، وبدأ الانتاج .. وعلى الرغم من أن كل انتاج هذه التجربة بيع في السوق الخيري السنوي للجمعية ، إلا أن هذه النتائج لم تقنع المشرف على المدرسة وطلب من المهندس المفكر أن يجعل التلاميذ يقومون بتكبير بعض التصميمات الخاصة بالنسيج القبطى الأثرى .. ورفض « رمسيس ويصا » ذلك الطلب وترك المكان .. وقد استمر معه فى هذه التجربة ثلاثة تلاميذ فقط .. هم فايق نقولا ومريم هرمينا



قطعة من سجاد الحرانية الذي استطاع ان يؤكد اصالة الفن التلقائي الشعبي بكل ما فيه من تراث وتعبير صادق عن البيئة



بعض انتاج تلاميذ « حبيب جورجي » الذي اول من خاض تجربة الفن التلقائي عند الاطفال المصريين

وفتنه فكري ..

وباستمرار نجاح التجربة فكر المهندس رمسيس ويصا ان يبنى مكانا مستقلا يستطيع ان يحقق فيه فكرته بحرية كاملة .. فاختار قرية الحرانية لتكون مكانا للتجربة بشكل اوسع عام ١٩٥٥ .

فى ذلك الوقت كان قد تزوج من « الانسة صوفى حبيب جورجي » ابنة الفنان المربي « حبيب جورجي » اول من خاض تجربة «الفن التلقائي عند الأطفال المصريين » وكان قد أعلن نتائج تجربة عام ١٩٥٢ فكان لها دوي عالمي فى أوساط المهتمين بالتربية الفنية .. فاستمر رمسيس ويصا فى مشروعه مستعينا ومستفيداً بنتائج تجربة سلفه الباهرة .

تجربة حبيب جورجي

« صبية فى سن السابعة .. أمام كل منهم قطعة من الصلصال ، واستاذ التربية الفنية الفنان حبيب جورجى يقول لهم : «اصنعوا اى شى ء» .. وظل الصبية فترة من الوقت لا يعملون شيئا .. وفجاة قال احدهم في رأيي أن أصنع أسداً ، فرد عليه الآخر قائلا : ان الاسد ياكل الناس .

ولم يكن الأطفال قد راوا الاسد من قبل ، ولكنهم أخذوا يصنعون أسوداً خيالية تشبه الى حد بعيد وحوش ما قبل التاريخ .

ثم استمروا .. فصنعوا أشكالا نصف انسانية ، وتحول الاسد الى انسان ثم الى انسان يصرع الأسد .. ثم تدرجوا الى صنع أكواخ تقى الانسان هجمات الأسود ، ووصلوا فى النهاية الى بناء القرى التى تحمي الانسانية .. ولقد خطط هؤلاء الصبية مراحل التاريخ من المخلوقات البدائية الى الانسان الذى يصرع الأسد منتهين الى المراتب الحديثة فى الحضارة المصرية بوحي من نور باطني يصعب ادراكه . ».

بهذه الكلمات بدأت « ايليتز مايكلسون » محاضرتها التليفزيونية التى نشرتها عام ١٩٦١ فى مجلة روزيكرشيان دايجست » فى انجلترا ولخصت فيها نظرية حبيب جورجي الفلسفية فى التربية بقولها : « فى نفس كل انسان يكمن نظام الخليقة الذى يحكم الوجود ، ولا تستطيع العوامل الخارجية أن تؤثر فى هذه النفس ما لم تكن هذه العوامل منطوية على نظام مناسب ، فكل نفس بشرية يكمن فى ذاتها طابع لا يمحى لنظام دائم هو الذى يؤثر فى الانسان منذ بدء الخليقة .

والانفعالات المستقرة في الأعماق هي التى تكيف الاحساس ، اما المؤثرات الخارجية العارضة فانها تمر دون أن تترك أثراً ، وعندما ينبع التعبير بالوسائل التشكيلية من النظام الكامن فى النفس ، يولد الفن . وتتبلور أصالة الفنان وحريته عندما تخرج الرغبة فى التعبير من هذا النبع الأصيل مجتازة صحراء الغريزة خلال الطبقات التى ارستها القوانين البدائية فى أعماق الانسان » .

وعلى أساس التخلي تماما عن الارشاد اللفظي أو توضيح كيفية تشكيل المادة .. مع مراعاة أن العمل يجب أن يخرج من نطاق التصور الذى تعكسه الاماكن المغلقة كلما أمكن ذلك ، ولا حاجة لشحن رؤوس الأطفال بالمعلومات فانها تخنق الابتكار .

وهكذا قام حبيب جورجي بعزل هؤلاء الاطفال بقدر الامكان عن المؤثرات الحضارية والتعليمية واكتفى بتلقينهم دروس القراءة والكتابة وراح يرقب النماذج التى حققت ابهر النتائج .

وعندما نشر نتائج أبحاثه واقام معرضا يوضح السبيل الذى سارت فيه التجربة بانجلترا وفرنسا قوبلت نظريته بالدهشة والشك ، وقد تحداه بعض النقاد فى الجانب الخاص بتعميم هذه النظرية على النطاق العالمي بعد أن وضعوا فى الاعتبار أن الأطفال المصريين من سلالة الفراعنة ولا يمكن تطبيق هذه النظرية فى أي بلد آخر .

وهكذا استقر فى ريف انجلترا ستة أشهر حيث أجرى نفس التجربة على أطفال لم يتأثروا بالدراسة الأكاديمية ، ونجحت التجربة هناك حيث أعطت نفس النتائج فأثارت ضجة كبرى فى جميع الأوساط التربوية ..

وهكذا تغيرت مناهج التربية الفنية فى جميع أنحاء العالم من العناية بتدريس الفنون القديمة الى الاتجاه لفتح



هذه السجادة قدمتها لنا الفنانة « سميحة احمد » وهي من ضمن الأعمال التى
تعكس بعمق صور الحياة فى منطقة الريف النائمة تحت سطح الاهرامـــات

« صنابير » العقل اللاواعى لدى الأطفال لتفيض بانتاج مذهل ينبع من اعماقهم المليئة الزاخرة .. وإلى جانب أعمال الطين المحروق قدم حبيب جورجي انتاج الأطفال من السجاجيد التى نسجتها أيد تتراوح أعمارها بين العاشرة والرابعة عشر وهي التى لقيت اعجاباً شديداً فى كل مكان .

ولكن حبيب جورجي لم يستمر فى تجربة السجاد على أساس فكرة فلسفية متعلقة بنظريته فى الفن التلقائي عند الطفل .. تتلخص هذه الفكرة فى أن الطين الطري يبدو وكانما وهب نفسه للتكوين ذى الأبعاد الثلاثة .. أي أنه أقرب الى الطبيعة المعبرة لأنه مثل جسم الانسان فى ليونته .. طيع سهل التشكيل . أما الرسم نو البعدين كالتصوير والزخرفة المتبعة فى المدارس التقليدية ، فانه يبدأ غالباً بفكر غير واضح يثير مشاكل فنية لاختلاف المسطح الفنى عن الواقع المجسم مما يؤدى الى التشكيك فى قدرات الطفل على الأداء .. فنحن نعيش فى عالم الأبعاد الثلاثة .

سجاد الحرانية

فى هذا الموقف من خامة التشكيل التى تقدمها للطفل يقع الخلاف والاختلاف بين حبيب جورجي وصهره رمسيس ويصا واصف الذى يرى أن صراع الطفل مع الخامة واستمرار تقدمه فى طريق السيطرة عليها يوماً بعد يوم ، وعملا بعد عمل ، يؤكد ويعمق ثقته بنفسه وبقدراته ، ويحميه من التقليد ، ومن تاثير الأشكال الفنية التى قد تواجهه خلال تعرفه على العالم الحضاري خارج قريته .. بعكس خامة الطين السهلة الطيعة المماثلة للواقع ذى الأبعاد الثلاثة .. انها تحرضه على افراز كل شحناته التعبيرية فى سهولة ويسر وبسرعة ، فيتحرك نحو الاكاديمية والنقل الحرفي عن الواقع بمجرد تخطيه سن المراهقة .. ولهذا حقق حبيب جورجي نتائج باهرة فى بحثه العلمي ولم يحقق استمراراً فى انتاج الفن التلقائي .. فى حين حقق رمسيس ويصا معجزة فى الانتاج الباهر لهذا الفن النادر الوجود دون أن يهتم بالابحاث ووضع النظريات التربوية ..

وقد سبق أن عرضت أعمال أطفال الحرانية فى جناح المعارض بمتحف اللوفر بباريس عام ١٩٦٥ ، كما شاهدها جمهور عدد من البلاد الأوربية منذ عام ١٩٥٨ عندما عرضت فى مدينة بال بسويسرا ثم بمتحف الفن الحديث فى ستوكهلم عام ١٩٦٠ وبعد ذلك فى هولندا والنرويج ثم ميونيـــخ والســـويد وتشيكوسلوفاكيـا وسويسرا مرة أخرى وفى لوزان عام ١٩٦٧ ثم السويد ولندن ... وكان آخر معرض اقامه « بيت الفن فى الحرانية » خارج مصر بعد وفاة مؤسس هذا البيت ضم ٣٧ سجادة وقطعتين من الباتيك وأقيم متجولا فى مدن المانيا الغربية مصاحباً لمعرض مجموعة الآثار الفرعونية التى عرضت هناك عام ١٩٧٨ تحت اسم « ملـــوك الفراعنة » .. وبعد هذه الجولة انتقل معرض سجاد الحرانية ليعرض فى مدينة نيس بفرنســـا ..

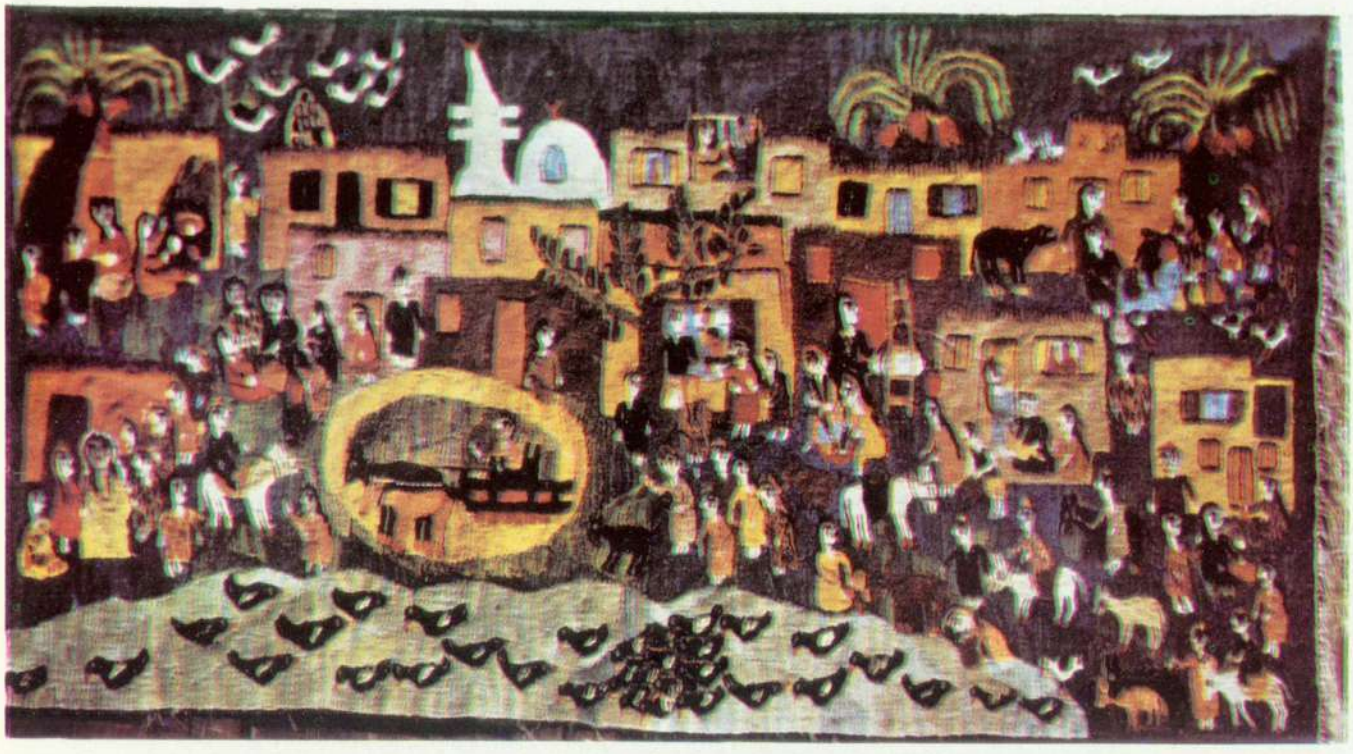
تقدير عالمي

تؤكد هذه التجربة الرائدة اصالة الفن التلقائي الشعبي الذى يحمل عراقة التراث القديم وروعة التلقائية المعبرة فى العصر الحاضر ..

وهي تمثل انطلاقة واعية موجهة للقدرات الفنية الطبيعية للشعب المصري

ويبالغ النقاد العالميون فى الاهتمام بهذه الأعمال الى حد اعتبارها معجزة فنية برزت فى السنوات الأخيرة فى مجال رسوم الأطفال ، وانها أصدق تعبير عن البيئة .. كما يرونها الى جانب ذلك بداية لانطلاق طاقات خلاقة كامنة يمكن استخلاص أهم النتائج من متابعتها والتعرف على سمات مراحل التطور التى تتـابع مع أعمار هؤلاء الأطفال .. وهم يجدونها أيضاً عاملا فعالا لقيام حركة حقيقية لبعث هذا الفن المصري الأصيل .. واعادة كيان الفنان المصري القديم (الفرعوني) المعروف فى أحفاده .

كل هذا التقدير يرجع الى النتائج الباهرة التى تحققت على أيدى أطفال الحرانية ، فهي تتضمن من الناحية



سجاد الحرانية
التجربة والأصول



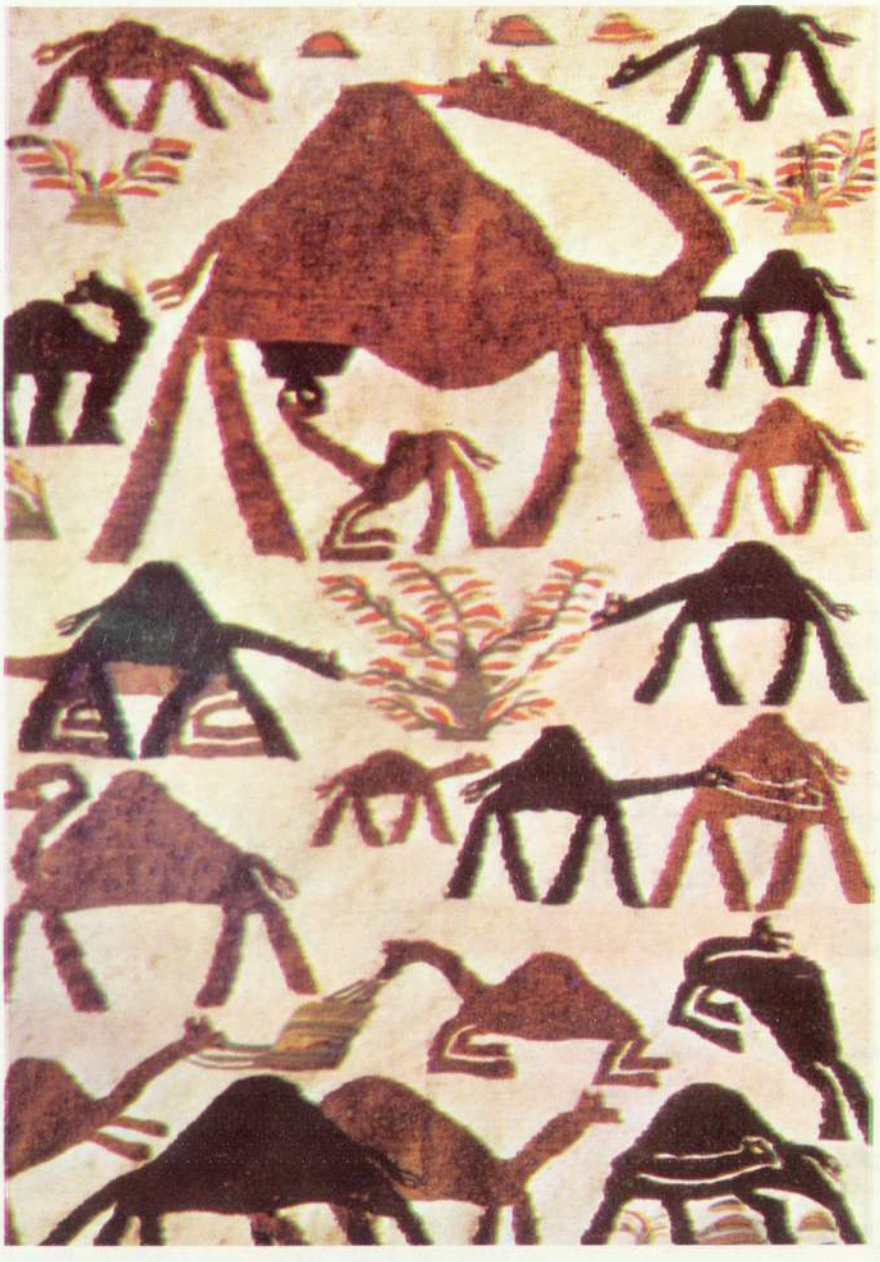
القرية .. هذا هو الاسم الذى اطلق على السجادة الصوفية التى اعدتها جارية محمود ثم نرى لقطة اخرى بعنوان : القطيع .. وهي لسجادة حائط مليئة بالحركة والحيوية

التنفيذية ثورة على الطريقة التقليدية لصناعة النسيج التى تعتمد على تطبيق رسوم هندسية او اشكال طبيعية مرسومة اصلا على الورق قبل تنفيذها على النسيج ولا يتحتم أن يقوم بتصميمها او تنفيذها شخص واحد بالذات ، وهي على هذا الأساس تفتقد الشخصية الفنية المتكاملة وحيوية وحرارة العمل الفني العظيم .

كما ترتفع الاهمية الفنية الخالصة لهذه التجربة بسبب طريقة تنفيذها التلقائية الفورية ، بغير تصميم وضع قبلا على الورق ولا شيء عند الطفل عندما يبدأ العمل غير الفكرة تتفاعل وتتصارع فى خياله وهي تنمو خلال التنفيذ فى تشعب على السطح الذى يعالجه الطفل باصبعه .. خلال مزج خيوط الصوف الملونة على نول النسيج مباشرة حتى تصل الى قمة الاكتمال .

أما الأسباب الكامنة وراء هذه الحفاوة العالمية بتجربة اطفال فلاحين مصريين ، فهى تكمن فى دأب واصرار راعيها المهندس الفنان رمسيس ويصا واصف صاحب هذه المدرسة .. فقد كان يؤمن ايمانا راسخا بالملكات والمواهب الفنية الخلاقة لدى اطفال هذه البيئة البسيطة فى الريف المصري وما تتضمنه من امكانيات واسعة بغير حدود فى الابتكار والخلق إذا أمكن سد حاجتها الاقتصادية وتوفير خامات التصنيع على أن توفر لها حريةاختيار الوسيلة الاكثر طواعية للتعبير .. وإذا أمكن اخر الامر توثيق العلاقة العاطفية بينهم وبين جميع مظاهر البيئة التى يحيون فيها ، وحمايتهم من زيف الثقافات التى تجرفهم الى هاوية التقليد : فان النتائج تكون مضمونة النجاح .

وبالنسبة لاطفال الحرانية بالذات يتأكد فى جميع الأعمال التى ينتجونها صدق التعبير وبعمق عن صور الحياة فى تلك المنطقة العريقة من الريف النائم تحت سفح الاهرامات ، وبشكل لا يمكن أن يحققه فنان اخر من الذين يتوقون الى تحقيق حيوية وبساطة الفن البدائى وجرأته



الجمال .. إنها سجادة حائطية أخرى بالغة الروعة .. من إعداد شحاته حمزة ... وفيها تظهر قدرات الانسان ودوافعه الفنية الطبيعية التى لا تتحقق إلا فى جو من الطمانينة والحرية

وسذاجته .. ولكنه يفشل بسبب قيود الدراسة الأكاديمية التى تحدد اندفاعاته الطبيعية وتعوقه عن تلقائية التعبير .

والسبب الآخر فى نجاح تجربة الحرانية يقوم على أساس الايمان بقيمة الانسان وقدراته ودوافعه الفنية الطبيعية التى لا تتحقق إلا فى جو من الحرية والطمانينة .. وقد اتيحت كل هذه العناصر الهامة لمجموعة من أطفال هذه القرية ، فقد توفرت فى مجتمعهم البساطة وسرعة الاستجابة للطبيعة .

وكانت مهمة رائد هذه المدرسة وزوجته السيدة « صوفى حبيب جورجي » ، بل وكان رائدهم عند اختيار دفعة من أطفال هذه المنطقة ، أن يعيشا معهم بكل طاقاتهما الانسانية وأن يزوداهم بشحنات التشجيع وغرس حب الحرية مع الصداقة والحب وحسن المعاشرة والمرح ودفعهم الى الاستمتاع بوقت فراغهم فى اللعب ثم توجيههم الى العمل الجاد بعد ذلك كمورد للكسب المحبب .. فتكون مهنتهم هي هوايتهم .. وقد أحضر لهم الأنوال ليعبروا من خلال خيوطها عن خيالاتهم وأحاسيسهم ، مع اعداد المكان المناسب الذى يتسع الآن لعشرات منهم ..

وقد وصلت التجربة إلى تمام نضجها بوصول هؤلاء الأطفال الى درجة عالية من التمكن وارتفاع الخبرة اليومية التى اصطنعوها بأيديهم ، مما ساعدهم على الوصول الى درجة مثالية من التعبير عن كل ما يدور حولهم .. فكانت لهم هذه الأشكال المنسوجة من واقع الطبيعة فى قريتهم ومن حكايات ذويهم الفلاحين البسطاء ، ومن الأساطير والمعتقدات التى توارثوها ، ثم التقاليد خلال الأفراح وغيرها من المناسبات .

وهكذا ظهرت لوحاتهم المنسوجة على سجاد الحائط بصور النخيل الذى يطاول السماء والمراعي ، والجنة والنار ، ثم الأبقار والجواميس والخراف والماعز والقط والكلب وغير ذلك .

وتكاد روعة وقوة التعبير فى أعمال أطفال الحرانية أن توحي للعين باستحالة تحقيق تلك الاعمال على هذا النحو المعجز وذلك بسبب المفهوم السائد عن عجز كبار الفنانين عندما يحد من ابداعهم التخوف من نقد الآخرين .

إنهم يقومون بتحقيق هذه الأعمال استجابة لدوافعهم الشخصية فى التعبير وليس اتباعاً لأحد المذاهب الفنية ، كما لا تفرض عليهم فكرة أو أسلوب،ذلك لأن الفكرة تاتيهم من خلال بيئتهم وحوادث حياتهم . أما الاسلوب فيتحقق من خبرتهم اليومية الخاصة وخلال استمرارهم في العمل .

وقد قال رمسيس ويصا واصف وزوجته صوفى ان :

« الفكرة من انشاء هذه المدرسة الفنية « الدار » هو اعتقادنا أن قيمة الحرية للانسان تاتي عندما يتاح له فى سن مبكرة لن يملكها ، ويشعر أنه قادر على مزاولتها لبناء كيانه ، وأن هذه الفكرة جديرة بأن توضع محل الاختبار وخاصة فى مجال التربية الفنية .

وقد أدخلنا هذه التجربة الى حيز التنفيذ مع أفراد قلائل فى انحاء مختلفة من مدينة القاهرة (يشير رمسيس ويصا الى تجربة الفنان الراحل حبيب جورجي والد زوجته التى بدأها عام ١٩٣٩) وبعد ذلك فكرنا فى الابتعاد عن المدينة والتوجه الى الريف ... »

إن كل زائر للقاهرة لا يتاح له أن يقضى خلال زيارته ساعة أو ساعتين فى دار الفن بالحرانية يضيع عليه الكثير ، حتى لو شاهد كل آثار القاهرة ومعالمها .. لأن فن أطفال الحرانية يقدم وجهاً للقاهرة فريداً ومعاصراً .. لن يتاح لزائر القاهرة أن يرى بديلا أو مشابهاً له فى أي بلد من بلاد العالم .

صبحي الشاروني



رسائل إلى المحرر

الوحدة أو الفناء

● قرأت فى العدد ٨٠ من مجلتكم الصادرة فى شهر اغسطس ١٩٨٢ م موضوعاً شد كل انتباهى ، ألا وهو الموضوع الذى كتبه درويش مصطفى الفار تحت عنوان «الوحدة أو الفناء» .

فالفكرة التى تضمنها الموضوع لاشك فى أنها فكرة مثالية أمينة متطلعة الى وحدة الصف العربى تحت لواء الاسلام حتى ولو أنها وضعتنا بين إختيارين أحلاهما مر . ومن هنا أقول له ان الأمة العربية لا تستطيع أن تختار الشتات والفرقة والفناء حتى وإن أراد البعض ذلك لما يربطها من أواصر العقيدة الاسلامية والأواصر السياسية ووحدة المشارب الثقافية وكثير من المصالح المشتركة فى شتى المجالات .

ولا يسعنى فى ختام هذه الرسالة إلا أن أقول لامتنا العربية خاصة والأمة الاسلامية عامة فيم التناحر والتنافر .

أليس من الأولى أن نتحد ونوجد لنا مكانة تاوينا وتحمينا وتجنبنا الشقاق والفرقة وتكفل لنا العيش الكريم . نحن نعلم أن ذلك ممكن ولكننا نسعى بانفسنا لحتفنا والانتحار هروب من الواقع فى عرف الناس وجريمة فى عرف الله .

عبد اللطيف خير الله خالد
السودان ـ الخرطوم

فرانسواز وليس فرانسوا

● سؤال عابر ومنكم نستفيد أعرف أن في الفرنسية «فرانسوا» هو اسم الرجل و «فرانسواز» هو اسم المرأة . ولكني لاحظت أن الدوحة غيرت الاسم فى مقالي حوار مع « فرانسواز سيجان » إلى « فرانسوا سيجان » فهل من سبب ؟ .

جمال الكناني



فرانسواز ساجان

● الحق ما قاله الاستاذ الكناني والخطأ من تحرير الدوحة ونؤكد أن صحة الاسم هو « فرانسواز » لا « فرانسوا » . « الدوحة »

أقدم لكم بعض الاقتراحات !

● رغم الجهد الجبار الذى تبذلونه لتخرج مجلة « الدوحة » على هذه الصورة الرائعة التى تعد مفخرة للثقافة العربية والأدب العربي ، إلا أني أستميحكم عذراً فى أن أبدي بعض ملاحظاتي وأقدم بعض المقترحات :

ـ لاحظت طغيان الفن القصصي على الشعر ، وهما فرعان من شجرة الآداب ، أرجو ألا يطغى أحدهما على الآخر .

ـ تتناول بعض مقالاتكم أحد جوانب القرآن الكريم بالشرح والتحليل ، فلماذا لا تنشر بعض المقالات أيضاً حول السنة النبوية الشريفة .

ـ لماذا لا يتناول أحد النقاد المعروفين القصص التى تنشر أو بعضها بالتعليق والنقد لتكون مدرسة لشباب الأدباء العرب .

ـ حبذا لو أدمج بابا « دوحة القراء » و « استراحة القراء » فهما يحملان مضموناً متقارباً .

ـ ألا يمكن أن يتفرغ أحد كتاب المجلة أو محرريها ليتفحص انتاج أصدقاء وقراء المجلة ثم ينشر منه ما يصلح مع تعليق وتوجيه .

السيد محمد بدوى
كلية دار العلوم ـ القاهرة

من أجل دعم الصلة الثقافية !

● أنشأنا بمنطقة « كركوج » الواقعة بالشاطىء الشرقي من النيل الأزرق ـ السودان ـ رابطة ثقافية ومن بين أهدافها تبادل الآراء حول القضايا الثقافية المختلفة . ودعم الصلة بالروابط والنوادي الثقافية ببلدان العالم العربي .

ونحن نوجه نداءنا ـ على صفحات مجلة الدوحة ـ الى اخوتنا فى أرجاء الوطن العربى الكبير والذين يهتمون بقضايا الثقافة والفكر من أجل أن نتبادل وإياهم الحوار تمهيداً لتبادل الزيارات بهدف خدمة الثقافة العربية .

وعنواننا كالتالي :
جمهورية السودان الديمقراطية
مديرية النيل الأزرق
منطقة كركوج
الرابطة الثقافية بمدرسة كركوج المتوسطة للبنين .

أين أبواب الشباب ؟

● أنا قارىء من عشاق «الدوحة» التى تعتبر بحق قمة المجلات العربية الآن ، وتضم موضوعات رائعة مثل السينما والرياضة والمسابقات .

ولكن باعتباري شاباً فاني أرجو أن تهتموا بتخصيص باب للشباب يناقش قضاياهم ويعرض بين صفحاته الموضوعات التى تهم شباب اليوم مثل الموسيقى والهوايات .

السيد عبد المجيد عبد المطلب
المحلة الكبرى ـ ج . م . ع

حول انتحار الشاعر خليل حاوي

● إن ما يدور على الساحة العربية ، يوجع القلب فعلا ، فاننا كعرب نتحول إلى حرق وجدنا ، وضرب عقولنا في الصميم ونعيش الياس القاتل، وما فعله الشاعر اللبناني « خليل حاوي » ، باطلاق الرصاص على نفسه ، ماساة شخصية وادبية ، وعربية وقومية ، وللأسف .. فان الانتحار ليس حلا والاسلام يامرنا بالجهاد .. ويسحب الرحمة عن المنتحر .

لم تتحرر (فيتنام) حين احرق الكهنة انفسهم في الشوارع .. احتجاجا على الغزو الاميركي لبلادهم .. وإنما بالجهاد ، بالاصرار والروح القتالية ! .

نشا المناضل الفيتنامي حين وضحت الرؤية له .. والطريق لحقوقه ! .. وعرف بوضوح كاف من هو عدوه الحقيقي .. ولم يضع في فلسفته (الممكن والمستحيل) ! .

وقد يكون العدو الشرس .. بيننا .. في واقعنا اليومي .. وفي طريقة تفكيرنا .. وفي تركيبتنا الاجتماعية .. وفي (التوليفة) التي تهدد حياتنا .. اكثر من هجوم القنابل العنقودية والطائرات إف ١٥ ، إف ١٦ .. وبقية الاسلحة المتطورة والمهلكة

وبعد .. رغم عدم اقتناعي ان (الأدب لن يحل مشكلتنا)وحده .. ولكني اقتنع ان الانسان بفكره يغير الدنيا .. والأدب مراه .. إذا



خليل حاوي

صدق .. وبشير .. إذا ارتفع لمستوى التبشير ..

ولذلك فانني كنت اتمنى ان يساهم خليل حاوي بانتاجه الفكري والأدبي في إذكاء الروح الوطنية وفضح همجية العدو ، بدلا من اللجوء الى الانتحار ! .

أحمد عبد الله متولي

● قرات منذ فترة وجيزة خبر انتحار الشاعر اللبناني « خليل حاوي » احتجاجا على الغزو الاسرائيلي الغاشم على بلاده .

وقد حاولت جهدي أن اتعرف اكثر بهذا الشاعر ، ولكن المصادر التي تحت يدي لم تيسر لي ذلك ، فرايت ان الجا إليكم لعلكم تستطيعون تقديم ترجمة كاملة لحياة هذا الشاعر مع نماذج من اعماله واشعاره .

ولقد حفزني لذلك المقال الرائع الذي نشرتموه بعنوان « لماذا نقتل الشعراء » ، واعتقادي الجازم ان ما حدث للشاعر «حاوي» وثيق الصلة بما يحدث الآن للشاعر الكبير « امل دنقل ».

اسماعيل عبد العزيز شطا
القاهرة

حول سيد قطب

● كتب الأستاذ محمود السعدني في العدد ٧٩ مقالا تحت عنوان «المعداوي بين رشدي صالح وسيد قطب» عقد فيه مقارنة بين الاثنين من حيث الثبات على المبدأ والتضحية من اجله ، وقد فوجئت بكاتب المقال يصف سيد قطب بانه كان «اشتراكيا اسلاميا» ، ومن خلال قراءاتي حول ما كتب عن حركة الاخوان المسلمين وعن زعمائهم فاني لم أجد أحداً قد وصف سيد قطب بانه اشتراكي مسلم لا من المؤيدين ولا من المعارضين للحركة ، ولا أعرف من أين ولماذا اتى الكاتب بهذه الصفة ليلصقها بالشهيد سيد قطب ؟ بالرغم من وضوح فكرته التي تنص على انه لا يجوز إلصاق صفة الاشتراكية او غيرها بالاسلام لانه منهج



سيد قطب

متكامل مستقل بفكره وشريعته كما لم يرد ذكر تقسيم الاسلام ـ في القرآن ـ الى يسار ولا الى يمين ولا الى اشتراكية او ليبرالية ولا الى غيره ، وإنما قال تعالى : ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه» وقال : «إن الدين عند الله الاسلام»، وهذا موضوع نوقش في مجالات أوسع وهذا ليس بمجال مناقشته إنما ردي هذا إنما هو توضيح وتاكيد بان الاسلام لا يسار فيه ولا يمين ، ولا اشتراكية ولا ليبرالية إنما هو دين واحد ومنهج واحد متكامل غير قابل للانقسام وغير محتاج للاضافات وهكذا كان سيد قطب مسلما موحداً ، يتميز منهجه بالفكر الصحيح النقي من اية شائبة ، ورحم الله سيد قطب فهو خير من ادراك هذه الحقيقة وعمل بها طوال حياته .

وكل مسلم واع يعلم علم اليقين ان هذه المصطلحات والالفاظ الغريبة إنما ادخلت على الاسلام بقصد تشويهه وتمزيقه وهي ما ليس منه ابداً .

ارجو ان ينشر ردي هذا للتوضيح ولي وطيد الامل فيكم .

عبد الله الريامي
مسقط ـ سلطنة عمان

ردود سريعة :

● القارىء : رأفت سليم عطية ـ طنطا ـ ج.م.ع

ـ باب « رسائل الى المحرر » هو نفسه الباب الذي تطلب استحداثه في المجلة . وآخر موعد لاستلام حلول المسابقات هو العشرون من كل شهر .

●●●

● القارىء : محمد محمد المنشليني ـ بنك القاهرة ـ الاسكندرية .

ـ ما أرسلته لنا بداية . اقرأ كثيراً من دواوين الشعر . المجلة تفتح صفحاتها دائما لكل انتاج جيد .

من تراثنا المعاصر

أشهر الجميلات

بقلم : الدكتور محمد منـــدور



سارة برنـــار .. كان مصـدر سـحرها الاول هـو موهبتهـا الخاصـة فى القـــاء الشـــعر !



كليوباطرة



اللادي هاملتون



مدام ريكاميه



سارة برنار



ايزادورا دونكان



تمثال بولين بونابرت

لعل المصادفة قد لعبت فى الشهرة بالجمال ، خلال عصور التاريخ المختلفة ، دوراً أكبر مما لعبته فى كافة أنواع الشهرة الأخرى ، وذلك لأن الكثيرات ممن احتفظ التاريخ بذكر جمالهن إنما أفلتن من طوفان النسيان الذى لا يبقى ولا يذر ، لأن حياتهن اتصلت بحياة عظيم من العظماء ، أو شاعر مدله أو نحات بارع ، أو مصور من الموهوبين ؛ وإن لم يخل الأمر من جميلات عرفت لهن مواهب أو أقدار كانت خليقة بأن تنقذ ذكراهن من الفناء .

ولو أننا أردنا الحديث عن الجمال المطلق لاستحال الحديث ، فلربما غلفت أغشية الزمن ، باحدى القرى المهجورة أو الصحارى الجرداء أو الجزر النائية ، فتيات لا يتسامى إلى جمالهن جمال ممن لانزال نردد حتى اليوم ذكراهن ، أو نستعرض صورهن ، كما خططها يراع شاعر أو ريشة مصور ، حتى لتعاود النفس تلك الفقرات الخالدة « لتوماس جراي » فى « مرثية فى مقبرة بالريف » : « كم من جوهرة نقية الشعاع ، صافية ، ظلت مخبوءة فى أعماق المحيط ؛ وكم من زهرة تتفتح بعيدة عن الأبصار ، ثم ترسل هدراً عبيرها الى بيداء الفضاء ! » .

بين الحقيقة والخيال

على أن النفوس الشاعرة ، وهي فيما نحسب مصدر الخلود لكثيرات ممن توقظ أسماؤهن فى النفس اليوم كافة صور الجمال وآياته ، لم تكن دائماً ـ بل قلما كانت ـ من نقاد الجمال وعارفيه بالمعنى المألوف . فكم من واحد منهم هام بامرأة لايرى فيها الناس جمالا إذا قيس الجمال بالأوضاع والنسب ، بل كم من واحد منهم أحب شبحاً صوره خياله ، ثم أعطى الشبح اسماً ، ولربما أعطاه جسماً ، فاختار امرأة ـ كائنة من كانت ـ على نحو ما فعل « دون كيشوت » يوم اتخذ له فتاة ، إحدى بنات قريته ، وأطلق عليها اسماً نبيلا رائعاً هو « دولسيني دي توبوزو » . ومادام مثل هذا الأسم لا يطلق إلا على النبيلات ، فقد كان فى خيال دون كيشوت ما يكفي لأن يقيم من الريفية دولسيني ، التى ينازل الأبطال إذا لم يقروا بجمالها عن يد وهم صاغرون !

لقد صاحت يوماً إحدى تلك النفوس القلقة الشاعرة بقولها وهي تستعرض سجل حياتها الحافل بالمغامرات : « أين تلك المرأة التى كانت موضع مغامراتي ؟ يخيل إلي أنها لم تكن واحدة بل مائة ! وان نفسي التى كانت تحلق عالية لم تتأثر باية واحدة منهن » . ومن يدرينا ، لعل كل واحدة من أولئك المائة قد كانت فى اللحظة الراهنة أجمل من تقل الأرض ، ولعل شاعرنا قد جمع فيها بخياله كل ما كان يحلم به من جمال .

ليلى أو الهوى العذري

وفي أدبنا العربي لفظ جميل هو لفظ ليلى ، الذى لا ندري من أين تأتيه العذوبة، أمن ليونة الأصوات التى يتألف منها ، أم من ذكريات الشعر الذى خلفه المجنون في العامرية ، وتوبة فى الأخيلية ، وأخيراً زكي مبارك فى ليلى المريضة بالعراق ، حتى نسلم من لسانه .

قال الشاعر :

كان القلب ليلة قيل يغدى
بليلى العامرية أو يراح
قطاة غرها شرك فباتت
تجاذبه وقد علق الجناح

وتساءل الرواة عن هذه الفتاة التى يعلق بها القلب فاذا به كقطاة هزمها الشرك



بولين بونابرت .. كانت تمثالا رائعا للجمال ، إلا انها لم توح لاحد بعاطفة دافعة او حب منتج !

أشهر الجميلات





كليوباطرة .. كان سحرها القوي يخالطه دهاء جعل انطونيو يبدو إلى جانبها وكأنه طفل صغير !







فأخذت تجاذبه تبغي الفكاك ، ولكن أنى لها به وقد علق منها الجناح ؟!

وأجاب الرواة بأنها كانت ليلى العامرية ، فيما يزعم البعض ، « وانها كانت من أجمل النساء وأظرفهن ، وأحسنهن جسماً وعقلا ، وأفضلهن أدباً ، وأملحهن شكلا . وكان قيس بن الملوح ـ المجنون ـ كلفا بمحادثة النساء ، صبا بهن ، فبلغه خبرها ، ونعتت له ، فصبا إليها ، وعزم على زيارتها ، فتأهب لذلك ولبس أفضل ثيابه ورجل جمته ومس طيباً كان عنده ، وارتحل ناقة له كريمة برحل حسن ، وتقلد سيفه وأتاها فردت عليه السلام ، وجلس إليها فحادثته وحادثها ، فأكثر ، وكل واحد منها مقبل على صاحبه معجب به ، فلم يزالا كذلك حتى أمسيا ، فانصرف الى أهله فبات باطول ليلة مشوقاً إليها ، حتى إذا أصبح عاد اليها فلم يزل عندها حتى أمسى ، ثم انصرف إلى أهله فبات باطول من ليلته الأولى ، واجتهد أن يغمض فلم يقدر على ذلك فأنشأ يقول :

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا
لي الليل هزتني إليك المضاجع
أقضي نهاري بالحديث وبالمنى
ويجمعني والهم بالليل جامع
لقد ثبتت في القلب منك محبة
كما ثبتت في الراحتين الاصابع

وذاع أمر حبهما في بني عامر كلها حتى خاف أبوها العار وقبح الأحدوثة فزوجها من غيره ، وبرحت بقيس آلام الحب المنكوب ، حتى طارت بصوابه ، فهام على وجهه في القفار ، وهو يهذي بأروع الشعر حتى وجده أهله يوماً في واد كثير الحجارة خشن ، وهو ميت بين تلك الحجارة ، فاحتملوه وغسلوه وكفنوه ، ولم تبق يومئذ فتاة إلا خرجت حاسرة صارخة عليه تندبه ، واجتمع فتيان الحي يبكون عليه أحر بكاء ، وينشجون عليه أشد نشيج ، وأبوها معهم ، فكان أشد القوم جزعاً وبكاء عليه ، حتى مارئي يوم كان أكثر باكية وباكياً على ميت من يومئذ . »

وباستطاعتنا اليوم أن نمعن البصر في أوصاف ليلى فلا نجد إلا أنها كانت من «أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن جسماً وعقلا وأفضلهن أدباً وأملحهن شكلا » كما قال الرواة . ولكن هذه كلها أوصاف عامة لاتحدد جمالا ولا تميز سحراً ، ومع ذلك تطرب النفس لذكر ليلى ، وما يتردد في القلوب صدى لما قيل فيها من شعر حتى تبتهج وتتراقص أمام البصر أطياف كأنها ورود الربيع . إنه الهوى العذري ! .

بلقيس أو مكيدة

ولو أننا أرسلنا البصر الى ملكة سبأ ، التي يسمونها بلقيس أحياناً ، ومكيدة Makeda أحياناً أخرى ، لما استطعنا أن نلمح منها غير الساق ، وحتى هذه الساق لم نلمحها إلا لأن لها قصة تستحق أن تروى لتكون رؤيتنا لها على بينة .

قالوا : عندما أتت بلقيس الى سليمان (قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) .

ويقول المفسرون : إن سليمان أمر قبل قدومها ، فبنى له قصر من زجاج أبيض ،

واجرى من تحته الماء ، والقى فيه من دواب البحر : السمك وغيره ، ووضع سريره فى صدره ، وهكذا انخدعت بلقيس فكشفت عن ساقيها .

ويضيف أهل الذكر أن الجن هم الذين تسببوا فى بناء هذا الصرح الممرد ؛ إذ أن أم بلقيس كانت فيما يقولون جنية ، وكان الجن يخشون أن يكون لسليمان منها ولد يفرض عليهم حكمه ، وهو الخبير بأسرارهم ، فيقسو فى ذلك الحكم ، ولذلك راحوا يزعمون لسليمان أن بلقيس امرأة شعراء ، ولكن سليمان أراد أن يستوثق من الأمر بنفسه ، فأمر ببناء الصرح ، وكشفت بلقيس عن ساقيها فاذا بهما أجمل السيقان ، ولا أدل على ذلك مما يرويه الأحباش الذين يزعمون أن سليمان كان له ولد من مكيدة ، وأن هذا الولد هو رأس الأسرة المالكة لبلادهم .

على أن جمال الساق له نظائره فى وصف الحسان عند القدماء ، فكم من مرة تحدث « هوميروس » عن « أندروماك » البيضاء الأذرع ، وعن « هيلانة » العميقة المنطقة أي الناحلة الخصر ، وكم من مرة وصف شعراء العرب فى الجاهلية محبوباتهم « بريا المخلخل » ... الخ .

وللساق – عند هواة النساء فى العصر الحديث والعارفين بأسرار جمالهن – قيمة خاصة ، حتى ليرون فى جمالها دليلا على جمال القوام كله وانسجام أوضاعه .

ولقد ألهبت قصة مثول بلقيس بين يدي سليمان خيال المصورين بنوع خاص ، وباستطاعتنا أن نتأمل اليوم فى متحف تورين لوحة زيتية رائعة « لبول فيرونيز » ، وصورة حائطية خالدة فى إحدى مقاصير الفاتيكان « لرافاييل » نفسه ، وفي الناشونال جالري بلندن لوحة زيتية أخرى « لكلود لوران » ، وفى كثير من الكنائس صور حائطية كثيرة ، تصور كلها نفس الأقصوصة الجميلة .

بين الطرفين

وإذا كان التاريخ لم يمكنا أحيانا إلا من أن نلمح فى جميلاته نظرات خاطفة ، فكم كنا نود لو استطعنا تسقط نغمات نفوسهن فى معارك العاطفة التى أشعلنها أو أكتوين بنارها ، ولكننا عندئذ نطلب فيما يظهر ماتأباه طبيعة المرأة التى يقول عنها بحق أحد كبار المفكرين : « إنها تلزم دائما الصمت الرهيب عن لحظات السعادة والألم المبرحين » .

وفى الحق إننا لا نملك للنساء «اعترافات» كاعترافات « روسو » ، ولا « أوراق حشائش » كأوراق « والدويتمان » ، حيث يطلعنا الرجال على أدق خفاياهم النفسية وأشد موجاتها جموحـــا .

ومن هنا كان باستطاعتنا مثلا أن نتحدث عن آلام « موسيه » وأغانيه أكثر من حديثنا عن آلام « جورج صاند » وأغانيها ، وإن تكن جورج صاند من الأمثلة النادرة التى نطقت فيها المرأة ، فكشفت بعض الشيء عن جوانب نفسها ، وباستطاعتنا أيضا أن ننقب فى « بيت الراعي » عن مأساة « الفريد دى فني » فى حبه العاثر للممثلة الشهيرة «مدام دورفال» ولكن أين نجد اعترافات تلك المرأة التى ألقت بالشاعر العظيم بين أحضان الطبيعة يلتمس فيها محراباً ينتظر العزاء بين رحابه ، ويود لو شاركته الحياة فيـــه « إيفا » – رمز دورفال – التى أضنت فؤاده وألهبت خياله ؟! .

انظر الى موسيه وهو يقص في « ليلة أكتوبر » تلك الذكرى الأليمة ، ذكرى انتصاره فى غسق الظلام لجورج صاند ، باحدى شرفات فندق فى البندقية ، موجها الحديث الى ربة الشعر :

« أذكر ، ربة الشعر ، اننا كنا فى ليلة محزنة من ليالي الخريف ، ليلة تكاد تشبه ليلتنا هذه ، وقد أخذت همسات الريح بحفيفها المضطرب المملّ ترنح فى عقلي المضنى حالك الآلام . وقفت بالنافذة أنتظر عودتها ، وقد رهف منى السمع . فاذا بضيق شديد يأخذ بالنفس وينذرني بخيانتها ، وكان الطريق قاعاً موحشاً إلا من بعض أشباح مرت وبيدها مشاعل ، والريح تهب من حين الى حين ببابي المنفرج قليلا ، فيصل الى نفسى ما يشبه أنين البشر .

لست أدرى عندئذ إلى أي هواجس أسلمت نفسي ، ولكني عبثا حاولت أن استجمع قواي المتخاذلة ، ودقت الساعة فسرت بي رعدة قوية ، ولكنها لم تعد . وظللت محني الرأس ، أقلب البصر بين الطريق وجدران المنازل . آه ! ذلك انني لم أطلعك على تلك النار القاسية التى أضرمتها تلك المرأة اللعوب بين جوانحي . لم يكن بقلبي حب غير حبها . وكان الموت أحب إلي من يوم لا أقضيه الى جوارها ، ومع ذلك أذكر انني حاولت بكل قواي أن أحطم أغلالي ، فدعوتها ألف مرة بالخائنة الحانثة ، وأخذت أعدد كل ماأنزلت بي من محن ، ولكن ذكرى جمالها – لسوء طالعي – ماكانت تمر بخاطري إلا هدأت جميع آلامي وتبددت محني . »

نعم ! انظر الى هذه الاعترافات وما فيها من شجاعة وصراحة لا تجد لها مثيلا في « أنا وهو » الذى حاولت جورج صاند أن تقص فيه تاريخ مغامراتها مع موسيه وتبرر غدرها به ، وكيف تريد من المرأة أن تقهر كبرياءها وتعترف بكل هذا الضعف ، بل الهذيان ، الذى اعترف به شاعرنا المسكين .

دور الجمال

ومع ذلك فهؤلاء الجميلات اللائي لم يستطعن – كنساء – أن يقهرن كبرياءهن فيكشفن للرجال عن حقائقهن النفسية ، قد اكتسبن بهذا العجز الغريزي الفطري ، أو الاجتماعي الطاريء أو الارادي المقصود ، قوة وسيطرة على الرجال الذين وقعوا في أسر جمالهن .

ولقد حفظ التاريخ من أسماء أولئك الجميلات الكثير . وما نظننا فى حاجة إلى أن نعود فنقص أنباء كليوباطرة التى احتالت لتعود من منفاها بالشام الى الاسكندرية ، حيث كان يوليوس قيصر ، وإذا بها تدلف بين يديه من سجادة مطوية، وإذا بقيصر الجندى الصلب الفؤاد يبهره جمالها الخارق ، وحركة نفسها الدائمة الغليان ، ونغمة صوتها الذى كان يفصح عن أدق الخوالج فى لغة لاتينية سليمة تزيدها جمالا نبرة اللغة اليونانية العذبة ، لغة كليوباطرة الأصلية .

والذى لاشك فيه أن طموح كليوباطرة ، الذى لم يكن يعرف حدوداً ، قد كان ذا أثر فعال فى تاريخ الامبراطورية الرومانية كلها فهي التى أغرت يوليوس قيصر على الملك ، وهي التى دفعت أنطونيوس من بعده الى نزعة الاستئثار بالأمر دون زميليه ، حتى انتهت به الى الهزيمة على صفحات المياه فى معركة أكتيوم الشهيرة ؛ وأخيراً ساقته إلى الانتحار .

لقد صدق « باسكال » عندمـــا قـــال في « الأفكار » : « لو أن أنف كليوباطرة كان أقصر قليلا مما كان لتغير وجه المعمورة » ، ولكن ما حيلتنا وقد كان أنفها خالياً من كل قصر ، بل كان – ولا يزال – مضرب الأمثال فى جمال الأنف الذى ينحدر فى محاذاة الجبهة ، والذى لا يزال حتى اليوم يوصف فى قاموس الجمال بأنه الأنف الأغريقي .

أي قوة كانت تنبعث من جمال تلك المرأة ؟ وأي دهاء كان يخالطه سحرها ؟! لقد بهرت أنطونيو يوم خفت إليه فى سفينته كأنها أقلت كل ما على الأرض من

من تراثنا المعاصر

أشهر الجميلات

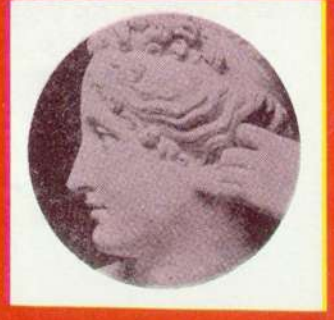












بذخ ، وقد اضطجعت فى مخدع حريري ، ومن حولها الوصائف فى غلائل كامواج البحر ، ليحكين رباته ، وغلمان كانهم جميعاً « كوبيدون » إله الغرام باجنحته الخفيفة الطائشة ! اي قوة كانت تنبعث من جمال تلك المراة ؟ واي دهاء كان يخالط سحرها ، يوم كانت تطوف باحياء الاسكندرية ، وإلى جانبها انطونيو ، احد حكام روما الثلاثة ، وكانه طفل صغير ، ليدقا معاً نوافذ وابواب المنازل ، ثم يهربا فى عبث دونه عبث الصغار ؟!

وما نظننا ايضاً في حاجة الى ان نعود فنقص تلك المغامرة الشهيرة التى كانت لامير بحر عظيم كنلسن ، الذى لم يكد يحرز فى سنة ١٧٩٨ اكبر انتصار حربي له على اسطول نابليون فى ابى قير ، ويعود الى ايطاليا ، حتى وقع فى حبائل اللادي هاملتون ، زوجة سفير انجلترا العجوز فى نابلي ، تلك المراة العجيبة التى لم تحل نشاتها خادمة في إحدى الحانات دون ان تتزوج سفيراً ، بعد حياة مليئة بالمغامرات ، ثم تسيطر على امير عظيم ، وإن يكن سوء الحظ قد لازمها فى اخريات حياتها ، إذ توفى زوجها سنة ١٨٠٣ ، ولحق به نلسن فى سنة ١٨٠٥ ، فاحتاطها البؤس بعد وفاتهما ، وضيق عليها الدائنون الخناق حتى انتهوا بها الى السجن سنة ١٨١٣ ، وتركت السجن الى كاليه بفرنسا حيث وافاها اجلها سنة ١٨١٤ .

هذه هي إما « اللادي هاملتون » التى لم تخلد لسيطرتها على نلسن فحسب ، بل لتلك الصورة الزيتية الرائعة التى رسمها لها مصورون خالدون « كرينولـــــدز » و « رومني » الذى يقول المؤرخون إنه قد اضنى خياله فى اختيار اوضاعها ، وتسجيل نفثات السحر التى كانت تنبعث عن جمالها .

وكم من جميلات غير كليوباطرة واللادي هاملتون قد الهبن مشاعر الرجال ، ففتقن من مواهبهم او اضنينها . ولعل امـــــراة « كمدام ريكامييه » لا يجدر ان يهمل ذكرها عند الحديث عن جميلات التاريخ ، فلقد كان لمجالس تلك السيدة بباريس أثر بالغ فى الحركة الفكرية بفرنسا فى اوائل القرن التاسع عشر . وكانت مدام ريكامييه ، التى تربت تربيتها الأولى فى احد الأديرة ، تعرف كيف تعامل الرجال فتلزمهم احترامها دون أن تجرح لهم احساساً او تشعرهم بغلظة . وباستطاعة القاريء ان يعود إلى قصة « مدام دى ستايل » المسماة « كورين » ليلم بالمعالم النفسية لمدام ريكامييه التى اتخذت منها الكاتبة الفرنسية بطلة لقصتها ، ومع ذلك فقد اصطفت من بين جميع المعجبـين بها كاتبين كبيرين همـا « بنجمان كونستانس » و « شاتو بريان » ، وكانت لها بهما أوثق العلاقات ، بحيث يمكن القول بان المتتبع لآثارهما الأدبية لابد واجد آثار تلك المراة الرائعة الجمال الساحرة الحديث ، تلك المراة التى خلف لنا المصوران « دافيد » و « جيرار » لوحات خالدة لملامحها .

الجميلات والجماهير

وثمة أثر آخر كان للجمال النسائي ، وهو أثرهن فى الجماهير ، نضيفه إلى اثرهن فى الأفراد لنلم بالجوانب المختلفة لذلك السحر الفعال .

لقد انبعث هذا التاثير من الممثلات والراقصات بنوع خاص ، ولعلنا نستطيع أن نكتفى بالاشارة هنا إلى اثنتين منهن ، طبقت شهرتهما الآفاق ، وهما الممثلة « سارة برنار » والراقصة الأمريكية « إيـــزادورا دونكان » .

لقد كانت سارة برنار ، ذات الوجه الجميل الدقيق الشاحب ، والشعر الذهبي المنتشر كالغلالة ، والقد المرن الممشوق ، تملك موهبة خاصة فى إلقاء الشعر ، لعلها كانت مصدر سحرها الأول ، حتى لقد وصف احد النقاد تلك الموهبة بقوله : « إنك لا تستطيع أن تمتدحها لأنها تجيد إلقاء الشعر ... لقد تجسمت فيها إلهة الشعر ذاتها ، ولم يكن للذكاء ولا للفن فى ذلك اي دخل . لقد كانت تقودها غريزة خفية . كانت تلقى الشعر كما يتغنى العندليب وتئن الرياح وتهمس المياه ، كانت تلقيه كما كان يلقيه لامارتين وهو في شيخوخته » .

ومن الغريب أن مظهرها الخارجي كان كله ينطق بالشعر ، حتى لقد وصف هذا المظهر فقال : « إنها كانت نفثة من دخان ، وهبة من ضباب . كانت لمحة خاطفة لملامح رقيقة تغطيها خصلات من شعر وغلائل كالسحب .»

هذه هي سارة برنار التي كانت تلوح للجماهير من فوق المسرح كعمود من ضوء . هذه هي التى سحرت المتزمتين انفسهم فرقت قلوبهم لـ « غادة الكاميليا » عندما تقمصت شخصيتها تلك الممثلة البارعة ، فاظهرت « الغادة » المسكينة فى ثوب النبل الذى كانت تستحقه بفضل ايثارها وتضحيتها ، وإن كانت الاقدار قد شاءت ان تسقط قبل ان تتعرف الى « ارمان » هذه هي التى لم تفقد سحرها فى الجماهير ، حتى عندما اقتضاها الفن ان تتنكر لتمثل دور ذلك اليافع الخالد ، دور « النسر الصغير » لـ « إدموند روستان » فكان نجاحها مدويا رائعا .

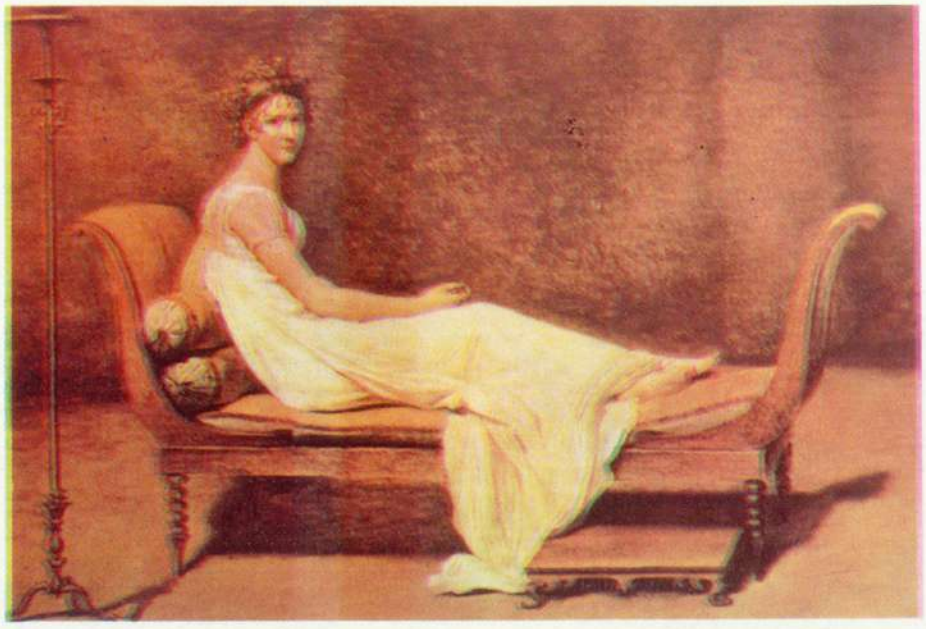
وأما ايزادورا دونكان فبالرغم من إحدائها ثورة فى الرقص الكلاسيكي ، وبالرغم من خروجها على كافة أوضاعه ، ونقلها لحركاته من أوضاع الجسم وانحناءاته الى خلجات النفس . نعم ، بالرغم من كل ذلك سحرت ايزادورا الجماهير فى نيويورك ولندن وباريس وفيينا وبودابست ، وفى كل عاصمة من عواصم العالم الكبرى التى حلت بها .

لقد ترجمت ايزادورا إلى همسات راقصة عيون الموسيقى التى ما كان احد يظن انها وضعت للرقص مثل : « بركتك يا ماريا » لـ « شوبرت » و « مولد المسيح » لـ « برليوز » و « السيمفونية السابعة » لـ « بيتهوفن » ، و « السيمفونية العاطفية » لـ «تشيكوفنسكي» بل و «المرسييز » نشيد فرنسا القومي ، الذى طالما رقصت على انغامه إبان الحرب العالمية الاولى ، والرجال يلفظون الحمم ، فالهبت القلوب واضرمت المشاعر .

تعلمت ايزادورا الرقص من محاكاة أمواج البحر ، إذ ولدت على شاطئه في سان فرانسيسكو ، ثم زارت بلاد الاغريق ، وتأملت تماثيلهم ، مما خلفوا من صور على أوانى الفخار ، واخيرا احبت الطبيعة وأولعت بجمال حركاتها كما تسقطتها فى خفيف الاشجار وتغريد الطيور وخرير المياه كل ذلك إلى موجات هي عندها العنصر الأول للرقص .

واستجابت الجماهير لنظرتها الفنية فسيطرت عليها الراقصة الجميلة سيطرة أوحت الى الكثيرين من النقاد والكتاب والشعراء والفنانين بالتعصب لها ، والانتصار لفنها فى المعركة الضروس التى خاضتها ضد الكلاسيكيين ، الذين كانوا يظنون ان فى استطاعتهم ان يطامنوا من نجاحها عندما كانوا يرمونهـــا بانهـــا رومانتيكية النزعة .

أما « بولين بونابرت » التى خلدت فى



مدام ريكامييـــه ... المـــراة الرائعـــة الجمـــال التى خلـــف لنـــا المصـــوران « دافيـــد » و « جيـــرار » لوحـــات خالـــدة لملامحهـــا

التاريخ باسم اميرة بورجيز ودوقة جاستالا ، فلم يكن خلودها لأثر احدثته فى الرجال الذين اتصلت حياتها بحياتهم ، فانها وإن تكن قد تزوجت في الحادية والعشرين من عمرها بقائد نابه من قواد نابليون هو الجنرال « لكلير » فى سنة ١٨٠١ ـ إلا أن زوجها لم يكـــد يهـــزم البرتغاليين ، ويستولى على جزيرة سان دومنج فى ثلاثة اشهر ، حتى اصيب بالحمى الصفراء ، فعادت بولين وحدها ارملة بعد اشهر من زواجها ، وإذا كانت قـــد تزوجت بعد ذلك بقليل من دوق بورجيز ـ رأس الأسرة الرومانية الشهيرة بهذا الاسم ـ فقد كان هذا الزواج غير موفق ، وإن يكن قد ترتب عليه انضمام زوجها الى الحزب الفرنسى ، والى الحرس القنصلي ، ثم حكمه هو وزوجته لامارة جاستالا ، ثم ولاية بيمونتى فى المدة التى اصبحت فيها تلك الولاية فرنسية ، أي من سنة ١٨٠٧ الى سنة ١٨١٤ .

وأما تاثيرها فى « نابليون » أخيها الخالد الذكر فلا يكاد يذكر ، وذلك لانها لم تلازمه إلا فى الفترة التى قضاها منفيا بجزيرة إلبا . وكل ما يروى من تاريخها عن تلك الفترة هو اصلاحها للعلاقة بين اخيها وبين « ميرا » زعيم الثورة المعروف ، تمهيدا لعودة نابليون ، تلك العودة التى لم تلبث أن انتهت بكارثة « واترلو » وأفول نجم ذلك الامبراطور العظيم .

لم يكن لبولين بونابرت إذن أثر واضح فى الرجال ، لأنها لم تـــوح لأحد بعاطفة دافعة أو حب منتج ، وإنما كانت بولين تمثالا رائعا للجمال والجانب الاكبر من شهرتها كامراة يرجع ـ بنوع خاص ـ الى اشراق هذا الجمال من جهة ، والى سهولة اخلاقها من جهة اخرى ، وذلك فى مجالس باريس وروما ، حيث كانت تتردد بالرغم من زواجها بدوق بورجيز الذى انفصلت عنه نهائيا سنة ١٨١٥ وانقضت المدة الباقية من حياتها فى فلورنسا حيث توفيت سنة ١٨٢٥ .

لقد كانت بولين إذن تمثالا رائعا للجمال وقد بددت سحر هذا الجمال بين الرجال . وتلك هي الفكرة التى أوحت بها الى المثال العظيم كانوفا فنحت لها هذا التمثال الرائع الذى يراه القراء مع هذا المقال .

●●●

والآن ، وقد استعرضنا بعض العناصر المتشابكة المتفاعلة من تاريخ الجمال والجميلات وسر شهرتهن الباقية على مـــر الزمن ، وما كان لأولئك الجميلات من تاثير فى الأفراد والجماهير ، نستطيع أن نطمئن الى صحة ذلك البيت الخالد الذى قالـــه « كيتس » : « الشيء الجميل بهجة أبدية » وذلك لأن الجمال ، وإن تسبب فى بعض الآلام ، إلا أنها آلام قلما كانت عقيمة ، فكم من مرة تفجرت عن انبل الأعمال وأجمل الشعر وأروع اللوحات وأرق نغمات الموسيقى .

د. محمد مندور

تقديم : لبنى الريدي

قلادة الحياة

ابتكرت إحدى الشركات الأمريكية سجلا طبيا على شكل قلادة يحملها المريض معه اينما ذهب . وهو عبارة عن اسطوانة طولها نصف بوصة مزودة عند طرفيها بعدسة مكبرة بينما تضم داخلها ميكروفيلم مسجل عليه تفاصيل الحالة الصحية للمريض بحيث يستطيع طبيب الطوارىء اتخاذ القرار المناسب فى حالة تعرض المريض لازمات مفاجئة .

ويضم هذا السجل المبتكر الذى يمكن وضعه فى سلسلة حول العنق بعض المعلومات الشخصية مثل اسم المريض وسنه وعنوانه واسم الطبيب المعالج بالاضافة الى المعلومات الطبية الحيوية مثل نوع المرض الذى يعاني منه الشخص والأدوية التى يتناولها موضحا جرعة كل منها وحالة ضغط الدم وفصيلته .

كما يذكر السجل إذا كان المريض يعاني من حساسية معينة تجاه انواع من الأدوية مثل البنسلين او السلفا . الخ ..

وقد يضم السجل ايضا معلومات اضافية كان يذكر استخدام المريض لعدسات لاصقة او درجة تجلط الدم إذا كان ممن يعانون من خطر سيولة الدم .

وبذلك يستطيع طبيب الطوارىء بمجرد النظر من خلال عدسة هذه القلادة معرفة كل المعلومات اللازمة لانقاذ المريض والتى قد تتوقف عليها حياته .



جهاز الفيديو يتحاور مع المشاهد



لم يعد جهاز الفيديو مجرد جهاز تسجيل واسترجاع للصورة والصوت . فلقد اصبح مزودا بنظم متطورة من التوجيه عن بعد وبرمجة تسجيلات الارسال التليفزيوني والبحث عن محطات الارسال مما قد يجعل عملية تشغيلة عملية معقدة بعض الشيء.

ولكن لا داعي للقلق فجهاز الفيديو الجديد يتحاور مع صاحبه موضحا له طريقة عمل اجهزة الضبط المختلفة والمفتاح الذى عليه استخدامه فى كل مرة . فهو يكتب على الشاشة كل وظائف واوامر التشغيل ، بل وطريقة تعديل الأوامر او حتى الغائه .

كما انه يساعد المشاهد على التاكد من عناصر العمل الذى يبرمجه ، فتظهر على الشاشة التعليمات الذى حددها لعملية التسجيل بحيث يمكنه مراجعتها قبل رقم الأسبوع ، واليوم ، وساعة التسجيل لكي يقوم الجهاز بالتسجيل اوتوماتيكيا ، بالاضافة الى اسم القناة التى سوف تبث الارسال وساعة انتهاء البرنامج .

ويتمتع هذا الجهاز الحديث بجميع المميزات التقليدية الاخرى مثل البرمجة على مدى اربعة اسابيع ولتسع برامج تلفزيونية مختلفة ، والبحث الاوتوماتيكي عن ١٦ محطة ارسال ، فضلا عن التحكم عن بعد باستخدام الأشعة تحت الحمراء .

جهاز يغنى عن اليوجا

فى هذا العصر يعاني اغلبية الناس من التوتر العصبي فيلجا البعض الى ممارسة اليوجا او انواع اخرى من رياضة التامل فى محاولة لتخفيف التوتر ووصولا الى الهدوء النفسي والصفاء الذهني المنشودين

إلا ان هذه الوسائل لا تناسب اماكن العمل وهي التى يحتاج فيها الشخص عادة الى مثل هذا الهدوء والصفاء . ولذلك فكر العلماء فى انتاج جهاز يحقق ذلك اطلق عليه اسم « رياضة روحية » وهو لا يحتاج الى تدريب او تعليمات معينة ، فهو عبارة عن جهاز صغير يولد نماذج من الأصوات كفيلة بازالة اي توتر . فما على الشخص سوى أن يضع سماعات الجهاز على اذنيه ويستمع لمدة عشر دقائق لدورة من الأصوات الالكترونية تبدا باشارات صوتية عالية تخف تدريجيا الى ان تصبح ناعمة مثل صوت المطر .

اما بالنسبة لمن يعانون من الأرق فان هذا الجهاز يساعدهم على النوم ، إذ لا تسبب سماعاته الصغيرة اية درجة من الازعاج بحيث يمكن الاحتفاظ بها طوال الليل .

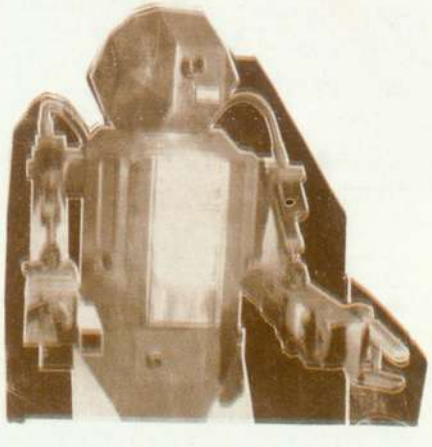
« ربوت »
يسمع ويرى ويتكلم :

بالرغم من تاكيد الخبراء على أن «الربوت» لا يشبه الانسان ، وبالتالي فان تسميته بالانسان الآلي ليست بالتسمية الصحيحة فان اليابان تقدم إنساناً آلياً ارتفاعه متر ومزود بذراعين وساقين . كما انه يسمع ويطيع الأوامر التى يصدرها له الانسان شفوياً ، بل ويتحاور معه بصوت الكتروني خاص بالاضافة الى تمتعه بنعمة البصر .

وعيون هذا الربوت عبارة عن زوج من المرايا التى تعمل بالكومبيوتر وتدور معاً للتركيز على الأشياء التى يقابلها فى مساره بينما تنقل الألياف الضوئية الرؤية الى شاشة فيديو لمراقبة حركته .

وتميز عيون الربوت الطريق حول المصنع بتتبع علامات على الأرض فى حين يقوم نظام للرادار بتحذير هذا الانسان الآلي من التصادم مع اي جسم أو شخص فى طريقه .

كما يستطيع حتى الآن التعرف على ٤٨ امراً مختلفاً ، فعندما يصدر إليه امر معين كان يتقدم الى الامام او يلتقط شيئاً بالذات فانه ينفذ الأمر على الفور . إلا انه قد يتوقف فى منتصف الطريق ليقول « لا أستطيع التقدم .. هناك عائق امامي .. احتاج الى امر جديد » . ولذلك يعتبره اليابانيون أول ربوت ذكي في العالم ، ومن المتوقع انضمامه الى القوى العاملة فى المصانع اليابانية بعد عامين .





كاميرا فيديو تحت المـاء :

نجحت كاميرات الفيديو فى الغوص فى اعماق البحار لتنقل لنا صورة حية لهذا العالم العجيب . فالكاميرا الجديدة تستطيع التصوير على عمق مائتي قدم تحت سطح الماء ..

وهي مزودة بميكروفون لالتقاط وتسجيل الأصوات فى قاع البحر . ولا تحتاج هذه الكاميرا من الغواص إلا الضغط على زرار لكي تسجل كل شيء أوتوماتيكياً ، كما تتيح له تصوير لقطات عن قرب ، والتركيز على ادق التفاصيل . وهي تضم مصباحاً للاعماق للقيام بدور الفلاش فى حالة عدم توفر كمية كافية من الضوء .

ولقد روعى ان تكون مادة هذه الكاميرا مقاومة للماء . وسوف يتم طرحها فى الأسواق مع بداية العام القادم .

نسيج يشفى الجروح :

قد يحدث ظهور الجيل الثالث من منتجات النسيج تغييراً لأسلوب حياتنا خلال السنوات المقبلة .

ويقصد بالجيل الأول النسيج الطبيعي من صوف وقطن وحرير .. الخ . بينما الجيل الثاني هو جيل النسيج الصناعي مثل النايلون والبوليستر ، أما النسيج الذى يتميز بصفات بيولوجية فهو يمثل الجيل الثالث .

ويعتمد هذا النوع من النسيج على مكونات من الجيلين السابقين ، تم تطعيمها بجزيئات خاصة مثلما يحدث بالنسبة لتطعيم الأشجار ، اي بان جعل الباحثون هذه الجزيئات الخاصة تنمو عليها . وبذلك نتج نسيج ذو مواصفات فذة ، فهو مضاد للماء بمعنى أنه لا يسمح بنفاذ الماء ، ولكنه يسمح فى الوقت نفسه بنفاذ الهواء . كما انه مطهر ومبيد لأنواع عديدة من البكتريا ، بل ومعالج ايضاً .

ومن ثم ، فان ارتداء قميص أو سروال من هذا النسيج كفيل بان يشفى الجروح والالتهابات .

وفى اليابان تلقى الجوارب المصنوعة من خيوط النايلون والمعالجة بمواد مطهرة لازالة الروائح الكريهة رواجاً منقطع النظير ، إذ تمتزج المواد المطهرة بخيوط النايلون وتظل ملتصقة بها حتى بعد أن يبلى الجورب .

المخرجون يثرثرون بحشا كلام في أفلام مثيرة

سينما.. ماوراء السينما



نور الشريف يتقمص شخصية يوسف شاهين في فيلم باب الحديد .

سينما

بقلم: رؤوف توفيق

إذا كانت مشاهدة الأفلام ، متعة لها سحرها الخاص ، الذى لم تفقده على مر السنين .. فان صناعة الأفلام فى حد ذاتها عملية أكثر متعة ، وأكثر غموضا للذين وهبوا حياتهم لهذا الفن ..

فقد أصبح التغلب على مشاكل التنفيذ .. والوصول الى تحقيق الحلم الذى تصوره المخرج فى فيلمه .. مسالة تزداد تعقيدا كل يوم ، وتتطلب من المخرج قدرا هائلا من الحكمة والوعي والصبر كي يمكنه التوفيق بين كل الأطراف المتضاربة .. والنجاة بفيلمه – وبنفسه أيضا – من هوة التنازلات .. والاستسلام القاتل للقوى الضاغطة . لهذا أصبحت عملية اخراج الأفلام ليست مرهونة فقط بقدرة المخرج على الخلق والابداع الفني بل أيضا مرهونة على قدرته في حل المشكلات الاقتصادية التى تتعرض لها صناعة السينما ككل .. وأيضا على براعة فى الافلات من ضغط المؤسسات السياسية ، والمحاولات المستمرة للوي ذراعه والرضوخ لأفكارهم ، ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد .. بل أصبح على المخرج أن يكون أيضا طبيبا نفسيا ، لكي يستطيع أن يتعامل مع النجوم والممثلين .. يذيب الخلافات التى تنشأ أثناء العمل ، وقد يكون سببها الغيرة الفنية ، أو الاحساس بالتفرقة فى الاهتمام والرعاية .. بالاضافة الى مسالة تشتت الممثلين بين أكثر من عمل فى وقت واحد .. مما يجعل مهمة المخرج فى اصلاح هذا الخلل النفسى ، وتهدئة الأعصاب المتوترة ، والمزاج المتعكر .. مهمة أكثر صعوبة من اصلاح أي خلل طاريء فى المعدات والأجهزة والمعامل !

فالتعامل مع البشر .. أكثر تعقيدا من التعامل مع الآلات .. خصوصا إذا كانت نوعية هؤلاء البشر من فئة الفنانين ، أو رجال المال الذين يتحكمون فى صناعة السينما ككل !! .

الكواليس والاثارة

ومن هنا .. كان ما يحدث وراء كواليس السينما ، وأثناء الاعداد لاخراج الأفلام .. مادة مثيرة للانتباه ، وغنية بالتفاصيل الغريبة ، ربما أكثر من موضوعات الأفلام نفسها .. ولهذا فكر بعض المخرجين فى تحويل هذه التجارب والمعاناة ، الى أفلام تحكي عما يدور خلف الستار !

وظهرت أفلام كثيرة عن الحياة الخاصة للممثلين .. وعن متاعب المخرجين .. وعالم شركات الانتاج .. ومراحل العثور على فكرة وبناء السيناريو والتعديلات الكثيرة التى تتم لارضاء كافة الاطراف .. وما يصاحب كل هذا من حالات انهيار عصبي او مادي .. أو نشوة الفرح وتحقيق حلم الشهرة والمجد . !

أربعة أفلام هامة

وفى هذا العام فقط .. شهدت السينما العالمية ، أربعة أفلام هامة تدور



لقطة من فيلم عاطفة الذى قدمه المخرج جان لوك جودار وفاز بجائزة التصوير .



للمخرج يوسف شاهين الذى اهتم النقاد بفيلمه « حدوتة مصرية » فى مهرجان فينيسيا الدولي

موضوعاتها داخل كواليس السينما .. وعرضت تلك الأفلام الأربعة فى أكبر مهرجانين للسينما .. وفاز ثلاثة منها بجوائز متميزة ! .

ففي مهرجان « فينسيا » السينمائي الدولي ، الذى عقد فى الأيام الأولى من شهر سبتمبر الماضى ، محتفلا بمرور خمسين عاما على انشائه .. أعطى جائزته الكبرى (الأسد الذهبي) للمخرج الألماني الشاب « فيم فاندرز » عن فيلمه « حالة الأشياء » الذى يحكي فيه عن حالة صناعة السينما الآن ..

وفى نفس المهرجان ، دخل مسابقته الرسمية الفيلم المصري « حدوتة مصرية » للمخرج يوسف شاهين ، الذى يحكي فيه عن تجربته مع السينما والمهرجانات .. وأثار الفيلم ردود فعل قوية .. واهتم به النقاد العالميون ، وافاضت الصحف الايطالية فى الحديث عنه .. وعن ممثله الأول « نور الشريف » .. ورشحوه لجائزة أحسن ممثل .. وخرج الفيلم من المهرجان بلا جائزة وإن كان قد ترك انطباعا مؤثرا لدى جميع من شاهدوه ..

وشهد مهرجان كان السينمائي الدولي – النصف الثاني من مايو هذا العام – فيلمين لاثنين من أكبر مخرجي السينما العالمية المخرج الايطالي « مايكل انجلو أنطونيوني » وفيلمه « التعرف على امرأة » الذى اختار أن يكون بطل موضوعه ، مخرجاً سينمائياً يعيش فى روما .. وكما يقول « أنطونيوني » عن النموذج الذى اختاره فى فيلمه : « إنه يبحث عن امرأة .. ليست امرأة نموذجية .. ولكنها وجه نسائي متميز ليلعب بطولة فيلمه .. وأفكاره مازالت مضطربة وغير واضحة .. وفى أثناء بحثه يتعرف على نموذجين مختلفين من النساء .. مما يزيد الاضطراب فى تفكيره .. حيث أنه من السهل أن تحول الحقيقة الى خيال .. ولكن من الصعب أن تحول الخيال الى حقيقة .. فهناك دائما بالنسبة لهذا المخرج صراع بين نفسه وبين المرأة التى اختارها .. وصراع بين نفسه وخياله .. وصراع بين نفسه وحياته ككل .. وهذا هو أساس الفيلم » .

وعندما سألوه هل هذا النموذج للمخرج فى فيلمك .. يشبه لك فى بعض أفكاره ؟ .. هز المخرج « أنطونيوني » رأسه موافقاً وقال بثقة واضحة : « بلاشك يشبهني أحيانا »

وقد أراد أنطونيوني أن يجعل فيلمه رحلة نفسية داخل المخرج .. أفكاره ..



(على اليمين) المخرج الامريكي « نيكولاس راي » مع المخرج « فاندرز » اثناء تصوير فيلم « أضواء على المياه »

المخرجون يثرثرون بمشاكلهم في أفلام مثيرة

شكوكه .. قلقه .. خوفه .. وقد فاز الفيلم بجائزة المهرجان الخامس والثلاثين .. وذكرت لجنة التحكيم فى بيان جوائزها .. أن المخرج « انطونيوني » قد استحق الجائزة « لروح البحث والمعاصرة الدائمة لمجموع أعماله » .

وفى نفس المهرجان أيضاً .. قدم المخرج الفرنسى « جان لوك جودار » فيلم « عاطفة » .. واختار أيضاً أن يكون بطل موضوعه مخرجاً سينمائياً بولندياً يصور فيلماً فى سويسرا ، مستلهماً من لوحات المتاحف ، تشكيلات بشرية تعيد من خلال التطابق الشديد فى الشكل والملابس والديكور ، نفس موضوعات اللوحات القديمة .. وفى نفس الوقت الذى يستعرض فيه مشاكل التصوير .. ومشاكل اقامة بعثة الفيلم داخل أحد الفنادق .. يربط الفيلم بين علاقة ممثلة بزوجها .. وعلاقة زوجها بالمصنع الذى يديره .. وعلاقة إحدى عاملات المصنع بالمخرج البولندى بطل الفيلم .. وتتشابك كل العلاقات لينتهي الفيلم .. وكل المشاكل معلقة بلا حل .. فتصوير الفيلم لا يتم .. والممثلة تنفصل عن زوجها . واضراب المصنع لا يصل الى نتيجة .. وكان كل شيء بلا نهاية .. والعرض مستمر !!

وليس من السهل تحليل مغزى الفيلم .. فالمخرج « جودار » لا يحب النتائج المحددة .. ويهوى تعقيد الأمور بالنسبة للمتفرج ، كأنه يضعه فى امتحان عسير .. وقد فاز الفيلم بجائزة التصوير « للمصور راءول كوتار » وهي الجائزة الكبرى التى أعطتها اللجنة الفنية العليا للسينما الفرنسية .

تحدى الانتظار

نعود الى مهرجان فينيسيا الاخير .. وسينما ما وراء السينما .. !

فالمخرج الألماني « فيم فاندرز » عمره الآن ٣٦ عاماً .. ويعتبر من أهم مخرجي السينما الألمانية الجديدة .. عاشق حقيقي للسينما .. عنده اصرار قوى للتغلب على كل مشكلات العمل بل وتحويل هذه المشكلات الى فن يستمتع به الجمهور !

ففى السنوات الأخيرة ـ وبالتحديد منذ أربعة أعوام ونصف ـ دخل فى مشروع اخراج فيلم بعنوان « هاميت » .

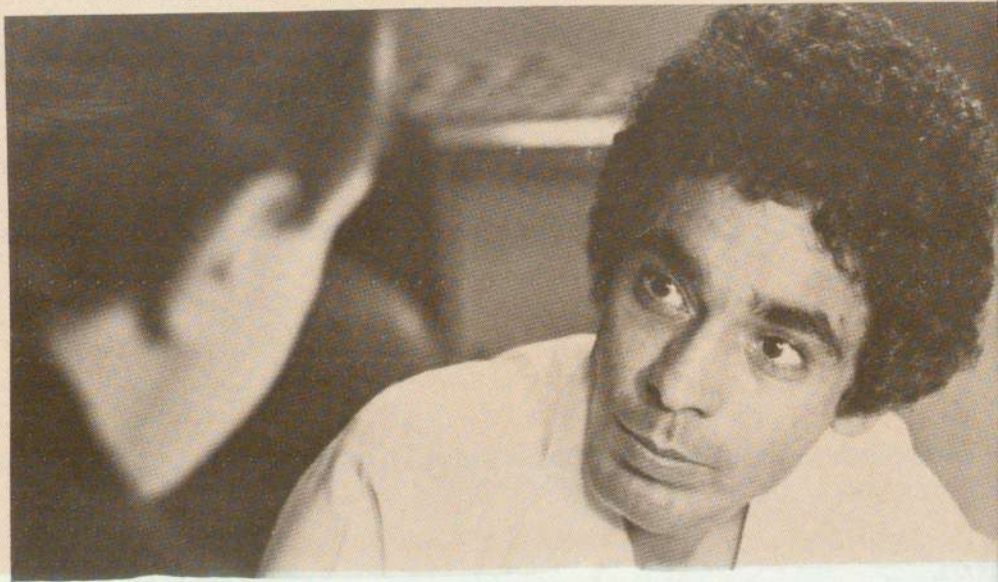
« وهاميت » كان مخبراً بوليسياً لعدة سنوات .. ثم بدأ يكتب القصص البوليسية فى مجلة « بيبول » ويتقاضى أجره بالكلمة .. وتدور أحداث الفيلم عام ١٩٢٨ .. و «هاميت» مازال كاتباً غير معروف .. كل أمنيته أن يعود مرة أخرى الى عمله كمخبر بوليسي .. والفيلم يبدأ بفكرة خيالية عندما تقتحم مكتبه إحدى شخصيات قصصه البوليسية لتناقشه فيما يكتب ، وتورطه فى جريمة ، ويجد نفسه مدفوعاً للعودة الى عمله الأصلى كمخبر تحيط به كل الشخصيات الخيالية التى خلقها فى قصصه .

والفيلم يخرج عن نطاق تسجيل حياة لكاتب ، يعتبر أول من بشر بالرواية البوليسية .. ليصبح الفيلم رؤية خيالية بين الكاتب وشخصياته .. وعندما تتحول السطور المكتوبة إلى لحم ودم .. ويحدث الصراع بين فكر ودهاء تلك الشخصيات في مواجهة دهاء المؤلف !

وقد تعرض هذا الفيلم الى مشاكل كثيرة فى التنفيذ .. ربما أهمها مشكلة البحث عن التمويل اللازم .. وتغير كاتب السيناريو أكثر من مرة مع تغير الجهة التى تعرض التمويل .. ولكن بقى المخرج « فيم فاندرز » مصمماً على اخراج الفيلم بالصورة التى يحلم بها .. حتى أنقذه أخيراً المنتج المخرج الأمريكي اللامع « فرانسيس كوبولا » الذى عرض القيام بتمويل وانتاج الفيلم .. إيماناً منه بعبقرية صديقه المخرج الألماني ، وتشجيعاً له على الاستمرار ! .

وبالفعل تم تنفيذ الفيلم ـ بعد مرور أربعة أعوام ونصف من الانتظار والقلق ـ وعرض الفيلم فى المسابقة الرسمية لمهرجان كان هذا العام .. وقوبل بترحيب شديد ، واعتبره النقاد واحداً من أهم الأفلام التى عرضت بالمهرجان .. ولكن لم

محمد منير .. اكتشاف مذهل فى التمثيل .. وهو صاحب صوت مميز فى أغنية البداية والنهاية لفيلم « حدوتة مصرية »



للمخرج « فاندرز » والجائزة الكبرى فى مهرجان فينيسيا



يحصل الفيلم على أية جائزة .!

اثير تماما فى شخصية المخرج الالماني الشاب « فيم فاندرز » انه استغل فترة تزيد عن العشر سنوات فى العمل فى الفيلم .. فى اخراج فيلمين اخرين على جانب كبير من الاهمية.

مخرج يواجه الموت

الفيلم الأول « أضواء على الحياة » – عام ٨٠ – يعرض فيه تجربة سينمائية فريدة فى نوعها .. حيث نعيش ما يقرب من السعتين – مدة عرض الفيلم – مع الأيام الأخيرة للمخرج الأمريكي الكبير « نيكولاس راي » وهو يصارع السرطان الذى انتشر فى جسده .. مستسلما بارادته الكاملة ، وبحب حقيقي أمام كاميرات وأجهزة الصوت التى وزعها المخرج الالماني « فاندرز » فى ارجاء المنزل الذى يقيم فيه .. ليسجل تفاصيل مواجهة الموت وآخر ما يفكر فيه المخرج الأمريكي .

يحكي المخرج الالماني « فاندرز » عن بداية العمل فى هذا الفيلم فيقول :

« فى عام ٧٨ وبدايات ٧٩ .. أجريت لنيكولاس ثلاث عمليات جراحية .. بعد أن تسلل السرطان من الرئة الى المخ .. وذهبت لزيارته عدة مرات فى المستشفى .. ولقد كانت مفاجأة لي أن أراه وهو يقاوم المرض بشجاعة .. ويحاول أن يحتفظ بتألقه ، وقد كان ذكيا ، لماحا ، شجاعا كما كان دائما .. ولكن كان واضحا انه لا يقوي على صنع أفلام أخرى .. وفى محادثة تليفونية معه جاءت فكرة أن نخرج فيلما سويا .. وبدأ كل منا يعمل فى موضوع مختلف .. ولكن ذات يوم بدأنا العمل فعلا .. خارج نطاق الحزن ، وبلا أي سيناريو جاهز ، وأيضا بلا نقود !!

فى ذلك اليوم صحبت نيكولاس الى كلية فاسر فى نيويورك ، حيث دعي لالقاء محاضرة .. وعندما بدأ التصوير كان واضحا أنه سيكون فيلما تسجيليا .. ولكن فى اليوم التالي قررنا أن يكون الفيلم روائيا .. وبدأنا الفيلم من خلال مناقشاتنا .. أن يكون الفيلم عنا نحن الاثنين .. وعدت مرة أخرى الى كلية فاسر وأعدت التصوير ، لم أصور المحاضرة .. ولكن ما حدث فى القاعة فى ذلك اليوم خلال المحاضرة ..

وكانت هذه هي البداية .. وهكذا أصبح الفيلم عن صانعي الأفلام .. ومع التدهور السريع فى صحة نيكولاس .. تحول الفيلم الى (رؤية لانسان يحاول أن يجمع شتات نفسه قبل أن يموت) كما قال نيكولاس عن نفسه فى الفيلم .. أما بالنسبة لي .. فلم أكن أشعر إلا برغبة نيكولاس واحتياجه للفيلم .. لكي يساعده على الموت !

وهكذا كان الفيلم .. لم يكن الفيلم حول موضوع .. ولكن الفيلم كان هو الحياة والموت » !!

هذا ما قاله المخرج الألماني « فاندرز » عن ظروف العمل بالفيلم .. وقد أتيح لي أن أشاهد ذلك الفيلم فى مهرجان كان ٨٠ .. وأعترف انه منذ اللحظة الأولى لبداية عرض الفيلم .. أصابني نوع من الانبهار لأسلوب تنفيذ المشاهد ، وتلقائيتها البارعة .. وبالتدريج تحول الانبهار الى شعور عميق بالمشاركة .. فالموضوع قريب من القلب ، وهذا المريض الذى يصارع الموت .. هو فى النهاية شخص نعرفه مر بهذه التجربة ولم نشعر به .. أو نقترب منه مثل هذا الاقتراب الحميم الذى صنعه الفيلم ! والمفاجأة الحقيقية هو فى الفيلم ذاته .. حيث لا ممثلين على الاطلاق .. فالمخرج الألماني الشاب يلعب دوره الحقيقي فى اخراج هذا الفيلم .. والمخرج الأمريكي العجوز .. هو المريض الذى يواجه الموت .. وهو الشريك أيضا فى اخراج الفيلم .. واخراجه من حيث إنه يصنع نفسه تماما بين المصورين ومسجلي الصوت وفناني المونتاج الذين يظهرون بشخصياتهم الحقيقية وهم يؤدون عملهم .. ويتناقشون فى التفاصيل .. والمريض يشترك معهم فى المناقشات وتحديد الزوايا للتصوير .. واختيار أفضل اللقطات التى صورت !!

والحوار تلقائي غير معد على الاطلاق .. فلا شيء جاهز قبل التصوير .. إنما العمل يتم لحظة بلحظة .. فكيف يمكن إعداد خطة عمل لانتظار الموت .. إن الموت قد يأتي فى أية حركة .. ومع أي نزيف مفاجيء ..

ويأخذ الفيلم فترة زمنية من ٨ أبريل ٧٩ الى ١٦ يونيو ٧٩ حيث مات « نيكولاس راي ».

ويتخلل مشاهد الفيلم .. لقطات لمركب صغير ، لا يركبه أحد .. يتهادى فى مياه نهر هدسون بخليج فرانسيسكو .. والمركب يتماوج تحت أشعة الشمس التى تسقط على المياه .. فتعكس أضواءها ..

إن هذا المركب .. هو الحلم الذى طالما تمناه المخرج الأمريكي « نيكولاس راي » ليبحر به الى الصين ليكتشف الأعشاب السحرية التى تشفى السرطان !

وينتهي الفيلم بمشهد المركب يتهادى فوق المياه المتلألئة بضوء الشمس .. ولكن فى هذه المرة ، يحمل المركب آلة تصوير سينمائي .. وآلة مونتاج .. ومجموعة من شرائط الأفلام تتطاير فى الهواء .. والمركب يمضي فوق المياه يبتعد الى الأعماق !

قطة من فيلم « هاميت » الذى استغرق اعداده اربع سنوات ونصف .



المخرج الفرنسي « جاك لوك جودار » اثناء تصوير فيلم « عاطفة » مع الممثلة « هانا شيجولا »



سينما

المخرجون يثرثرون بمشاكلهم في أفلام مثيرة



لقطة من فيلم التعرف على امراة



إحدى شخصيات « هاميت »



للممثلون يحاولون تقليد التشكيل المرسوم فى احدى اللوحات بالمتحف (فيلم عاطفة) .

ومن هذا المشهد الرمزي الذى يعبر عن رحلة هذا الفنان الامريكي فى الحياة والفن .. جاء عنوان الفيلم « اضواء على المياه » !

حالة الأشياء

اما الفيلم الثاني الذى اخرجه « فيم فاندرز » فى سنوات الانتظار حتى يتم مشروعه « هاميت » .. هو فيلم « حالة الأشياء» الذى فاز اخيراً بالجائزة الكبرى لمهرجان فينيسيا السينمائي .

وقد تم تصوير هذا الفيلم فى البرتغال .. بدون سيناريو مسبق .. بل كان الفيلم يكتب يوماً بيوم كما يقول المخرج .

الموضوع عن السينما .. أو حالة السينما الآن .. وبالذات السينما الامريكية .. حيث تتضخم المشاكل وراء الكواليس عن ميزانيات الأفلام وطرق التمويل واصرار بعض المخرجين على تصوير أفلامهم بالابيض والاسود احتجاجاً على معامل الأفلام الملونة بعد اكتشاف تغير الالوان مع مرور الزمن .. وإيماناً منهم أيضاً بان الأبيض والأسود يعطى امكانيات اكبر فى التصوير .

وقد تم بالفعل تصوير فيلم « حالة الاشياء » بالابيض والاسود .. وفى زمن قياسي وصل الى عشرين يوماً فقط .. ومن خلال حصيلة ما تم تصويره بدأ توليف الفيلم .. وكما يقول المخرج « فاندرز » :

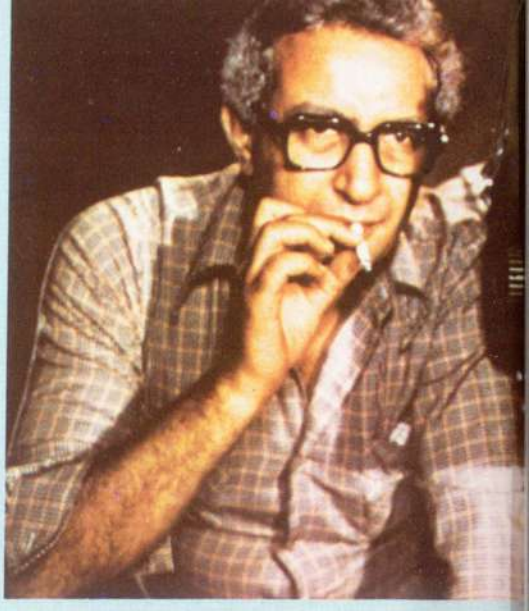
« إنه فيلم عن السينما .. وعن بعض تجاربي فى هوليود .. إنه ليس فيلماً خاصاً عن متاعبي فى صنع فيلم هاميت .. بل هو فيلم عن التجربة الأمريكية فى السينما » .

ويقول أيضاً : « إن تصوير فيلم حالة الاشياء بدون سيناريو .. سهل لنا الكثير من صعوبة العمل بعد ذلك فى فيلم هاميت .. حيث أتيحت لي فرصة اعادة التعرف على نفسي والتأكد من قدرتي على تحويل افكاري الكثيرة الى افلام سينمائية رغم نظم التصوير المعقدة فى الاستوديو » !

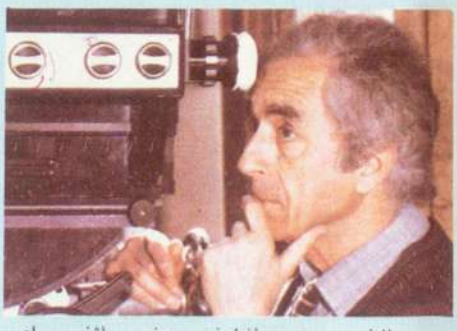
وقد علق بعض النقاد على قرار لجنة تحكيم مهرجان فينيسيا السينمائي بمنح فيلم « حالة الأشياء » الجائزة الكبرى بانه قرار من اشخاص يعانون نفس المشاكل فى السينما . والمعروف أن لجنة التحكيم ضمت سبعة من كبار مخرجي السينما العالمية .

يوسف شاهين والسينما

وفى مهرجان فينيسيا .. برز فيلم حدوتة مصرية للمخرج يوسف شاهين .. الذى اختار أن يستكمل مسيرته الذاتية بعد فيلم « اسكندرية .. ليه » .. ليبدأ فيلمه الجديد بلحظة الألم التى شعر بها يوسف شاهين أثناء اخراجه لفيلم « العصفور » .. وأكتشافه فيما بعد انه مصاب بالقلب ، وعليه أن يجرى جراحة عاجلة لاستبدال الصمامات التالفة .. وفى هذه اللحظات الحاسمة بين الحياة والموت .. يستعيد المخرج طفولته .. ويخضع لمحاكمة شاملة يقيمها الطفل الكامن فى اعماقه .. ومن خلال هذه المحاكمة .. يستعرض المخرج علاقاته مع والديه .. ومع زوجته .. وشقيقته .. وأحلامه الطموحة فى السينما من غزو هوليود .. الى غزو المهرجانات



نور الشريف يمثل دور يوسف شاهين كمخرج



المخرج « انطونيوني » اثناء تصوير فيلم « التعرف على امراة »



نور الشريف مع يسرا وهو يحزم حقائبه للسفر لاجراء الجراحة

السينمائية الكبرى .. الى قناعة خاصة بان هذه المهرجانات لعبة سياسية .. تدعمها الاتصالات والدعاية الباهظة ورصيد هائل من الأموال .. ويوسف شاهين فى هذا الفيلم .. يبدو فى افضل حالاته .. جريئا كعادته .. متميزا باسلوبه الخاص ..

وايضا مرتب التفكير لا يقفز فوق التفاصيل . ولا يدمجها فى تشويش .. بل يتوقف امامها بالتامل والحكمة والسخرية .

ولقد كانت سخريته شديدة المرارة .. شديدة الصدق فى نفس الوقت .. إنه يعترف فى إحدى مراحل حياته بعدم وعيه السياسي الذى يصل الى درجة الأمية ..

وكنه بدأ يدرك الحقائق وينضج على نار هادئة دفع ثمنها سنوات من عمره .. ورأى احلامه تجهض بشراسة .. وتحمل كل هذا باعصاب تحترق يوما بعد يوم .. وقلب ينوء بالاجهاد والقلق ..

وقصة الفيلم كتبها الروائي المتفجر دائما بالحيوية والشجاعة الدكتور يوسف ادريس بعنوان « أنا القاتل » .. وقد استلهم المخرج يوسف شاهين فكرة القصة ليلبسها حياته الشخصية وتجربته فى السينما .

ومن خلال جلسات مناقشة طويلة بين الدكتور يوسف ادريس والمخرج يوسف شاهين .. تبلور خط الفيلم .. فكلاهما خضع لجراحة دقيقة فى القلب .. وتعرض للحد الفاصل بين الحياة والموت .. وكلاهما يعرف كيف يستثمر هذه التجربة فنيا ..!

ولاشك أن اجتماع هاتين القمتين الفنيتين .. أثمر هذا العمل الممتع والمشرف للسينما المصرية .

واختار يوسف شاهين ممثليه بعناية شديدة .. ووضعهم فى قلب الحدث ، وراقب انفعالاتهم بحنكة المخرج المجرب .. فاعطوا نموذجا رائعا فى فن التعبير ..

لعب الفنان نور الشريف دور يوسف شاهين فى حياته .. أعطى كل ملامح الشخصية دون أن يتحول نور الشريف الى نسخة مكررة .. بل أعطى لمساته الشخصية فى براعة واستاذية .. إنه فنان قدير بلاشك كذلك قدمت سهير البابلي وماجدة الخطيب ويسرا معزوفات بلا نشاز فى لحن مكتمل .

وعلى الجانب الاخر نجد محمود المليجي ومحمد منير وسيف فى مباراة ليس فيها من الحرفية بقدر ما فيها من الصدق والاحساس . لقد جمع يوسف شاهين فى هذا الفيلم عناصر وجبة فنية راقية لها مذاق خاص .. ولكن كما تنبأ فى فيلمه .. وكما يبدو انه اقتنع بهذا .. أن المهرجانات ليست مقياسا حقيقيا للتنافس فى الفن .. وهكذا خرج يوسف شاهين بلا جائزة .

أعذب الأصوات

وبالرغم من كل العذابات الصغيرة والكبيرة فى عالم صناعة السينما .. يظل صوت حركة الكاميرا وهي تعمل .. أجمل واعذب الأصوات للذين وهبوا انفسهم لهذا الفن ..

ومهما كانت المتاعب .. إلا أن السينما لا تتوقف .. ونحن كمتفرجين لا نكف عن الذهاب الى دور العرض .. وهذا سحرها المتجدد .

« رءوف توفيق »

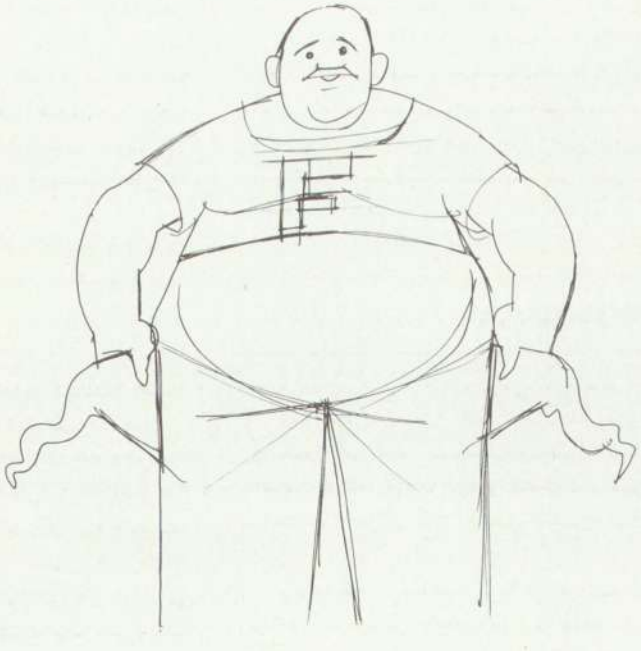


ضحكات الشهر مع

صلاح الليثي



خفير.. مين هناك .. حترد ..ولا اتكلم فى المليان ..؟!



ـ .. المخـرج عاوز كده .. !!





« أم العروسة »

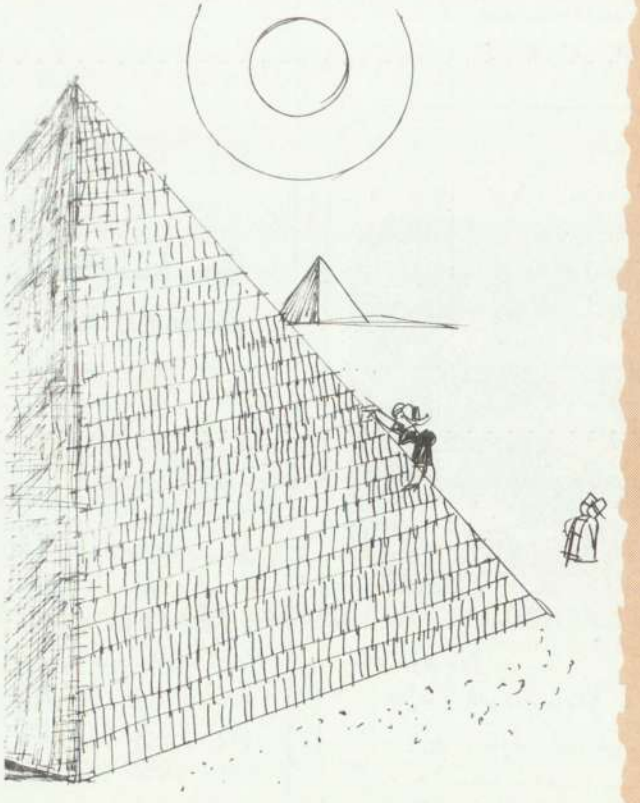
ـ مثل اعلانات الوظائف بالجرائد ...
فاضية ومشغولة .. !!



الست لجوزها ـ .. ٣٠ جنيه مواصلات فى
الشهر .. ليه ؟؟ ... فيليب حبيب .. !!



بدون كلام .. !!



ـ .. «طالعة» القرافة على الأسرة السادسة .. !!

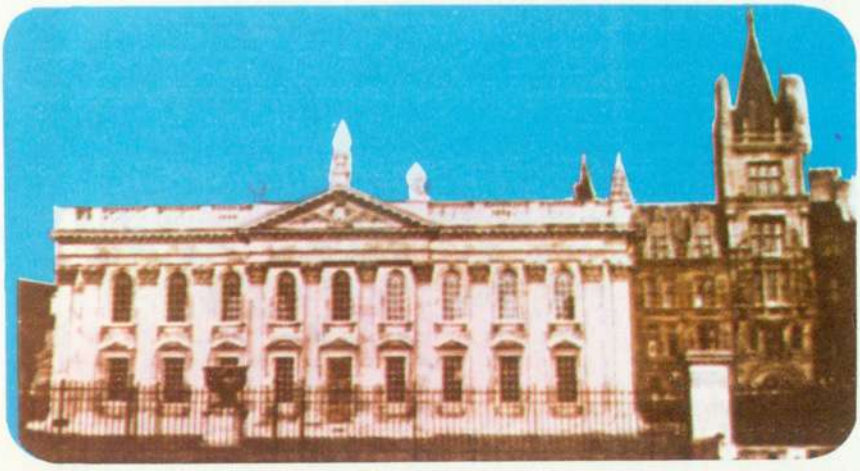


دوحة القراء

مسابقة الدوحة

يرجى من الاصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجي أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافات .

حاول أن تعرف



جامعة بريطانية تخرج منها كثير من ساسة العالم، انشئت عام ١٢٨١ ، وتتميز بنظام خاص بمقتضاه يشارك الطلبة فى ادارة كلياتهم ، كما لا تجبرهم على حضور المحاضرات .. وتمنح — درجة بكالوريوس فى الفنون ماسم الجامعة ؟ .



● من أعظم أطباء القرون الوسطى .. جمع بين علوم الطب والكيمياء ، واستخلص الكحول ، أهم مؤلفاته الطب الروحاني ، والحاوي وهو من أعظم كتب الطب التى ألفت حتى الآن ، وكتاب « الأسرار فى الكيمياء » .. من هو هذا العالم ؟

حل مسابقة

حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٨١



الصورة الأولى :

جزيرة قبرص وتقع شرق البحر الأبيض

١ — مروان نايف أبو نزابه — سوريا

٢ — بوميه محمد — المغرب .



الصورة الثانية :

الفنان الايطالي روفائيل سانزيو

١ — منى عبد الخالق ندا — مصر

٢ — نبيل على البلوشي — الكويت

الفيلسوف الضاحك

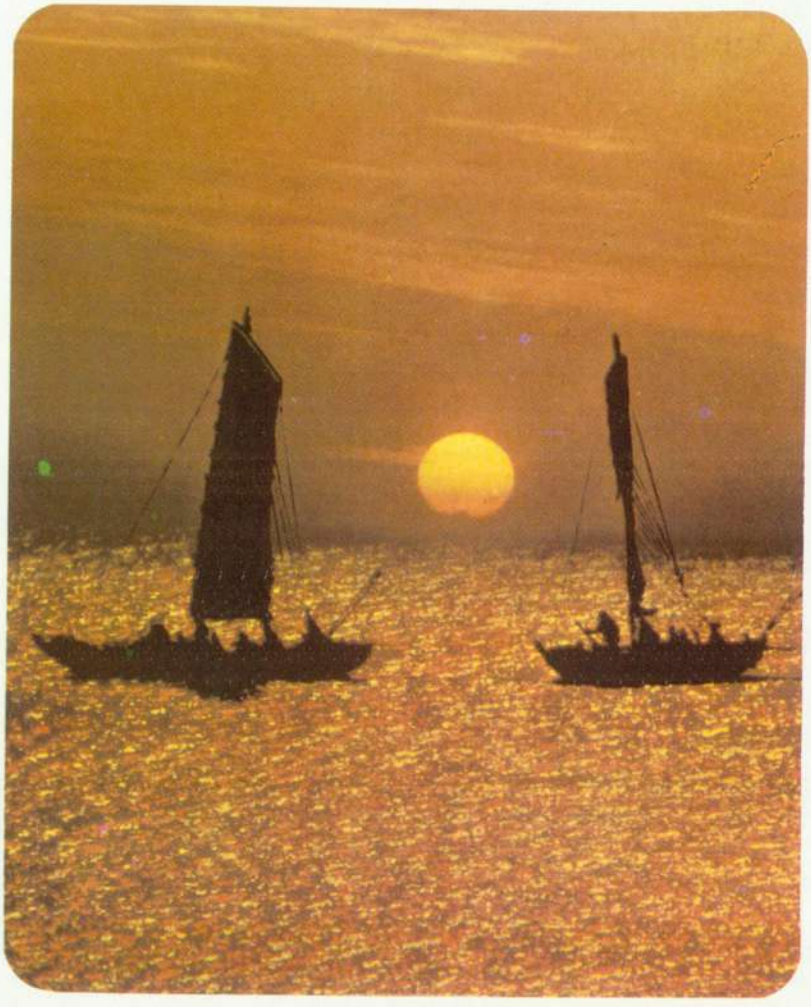


لا تكاد أمة تخلو من شخصياتها الأسطورية التى تعيش معها جيلا بعد جيل ، وكل جيل منها يرسم لنفسه صورها كما يتخيلها ، ويكسبها من الملامح النفسية والعقلية ما يجعلها تبدو وكأنها تعيش معه ، وتشعر بمشاعره وتفكر بأسلوب تفكيره ، فهي بالنسبة الى كل جيل صورة لشخصية هذا الجيل ، أو هي مرآة يعكس عليها صورته الخفية الباطنية .

ومن شخصيات الأساطير العربية شخصية منفردة تكاد تكون وحيدة فى مميزاتها وملامحها العقلية والنفسية وهي شخصية جحا (الفيلسوف الضاحك الساخر) الذى يقوم بتمثيل فلسفته فى قوالب تشبه المسرحيات ذات المغزى الواضح ، وهو في مواقفه التمثيلية ظريف دائماً .. مرح دائماً .. يبدو وكأنه مهرج ويتصرف أحياناً تصرفاً شاذاً عن المألوف حتى كأنه ذو لوثة من الجنون ، ولكنه يلمس الضعف الانساني ويكشف عن نواحي الظلم أو النفاق ، وهو أقرب الى الرثاء والمواساة منه الى الحقد . فشخصية جحا (ذات فلسفة انسانية) تختفي تحت المظهر الضاحك الساخر ، وقد نشأت من شدة الألفة العربية لشخصية جحا أن الشعب يتصورها وكأنها تعيش بينهم وتشاركهم وتفكر معهم فى شئون حياتهم.

خالد عبد الله السعدني
جامعة الزقازيق

لقطة الشهر



عودة الصيادين

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال .

القارىء رأفت فهمى ـ القاهرة .

نفس كبيرة !



كان يزيد بن المهلب مسافراً فى البرية مع ابنه معاوية ، فمرا بامرأة بدوية ذبحت لهما عنزة .. فلما أكلا قال يزيد لابنه .. ما يكون معك من النفقة ؟ .. قال مائة دينار .. قال اعطها إياها .. فقال له ابنه : هذه فقيرة يرضيها القليل وهي لا تعرفك . فقال يزيد : إن كان يرضيها القليل ، فأنا لا يرضيني إلا الكثير .. وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسى ؟ .

حمادة السيد
الاسكندرية

دوحة القراء

مسابقة الدوحة



مَن ؟

راهبة قتلها الرومان بالأسكندرية في القرن الرابع ، وسمي باسمها الدير الوحيد في العالم الذى يوجد بداخله مسجد للمسلمين فى المكان الذى يقال بان سيدنا موسى عليه السلام ناجى فيه ربه : الاسم من كلمتين فى عشرة أحرف :

١ ـ ٥ ـ ٨ ـ ٢ ـ ١٠ ثمل

٧ ـ ٩ ـ ٣ فاكهة مذكورة فى القرآن الكريم .

١ـ٦ـ٤ـ٨ بمعنى حاجز

أين ؟

مكان تقدسه الاديان الكتابية الثلاثة ، لايزال مجهولا جغرافياً رغم آلاف الكتب والمقالات التى تعرضت له ، وسوف يظل مجهولا إلى آخر الدهر . اسمه من خمسة أحرف :

٥ ـ ١ ـ ٤ ـ ١ قاعدة بناء

٢ ـ ٣ عملة نقدية معاصرة

ما ؟

طبع تنكره الاديان في حقيقتها جميعاً هو الذى دفع الأعداء الى قتل الآلاف من أخواننا وآبائنا وأمهاتنا وأخواتنا غدراً في مخيمات صبرا وشاتيلا كما سبق أن فعلوا فى دير ياسين ، الكلمة من خمسة أحرف :

١ ـ ٣ ـ ٥ نداء ظل يردده سيدنا الصحابي بلال ابن رباح وهو يعذب بالرمضاء

٤ ـ ٢ فعل أمر .

الإجابة الصحيحة

١ ـ أهم الأملاح التى تستخرج من البحر الميت هي املاح : البوتاسيوم ـ الليثيوم ـ السيزيوم

٢ ـ « يتكون وبر الابل مثل الياف القطن من مادة السليولوز » هل هذه العبارة صحيحة علمياً

٣ ـ « من يهن يسهل عليه الهوان أكمل هذا البيت وانسبه الى قائله

٤ ـ اول قطر عربي اكتشف فيه البترول فى أواخر القرن ١٩ الميلادي هو :

مصر ـ العراق ـ قطر ـ جيبوتي

٥ ـ تصدر مجلة « ناشيونال جيوجرافيك » الشهيرة في :

أوسلو ـ واشنجطون ـ بيروت ـ الأحساء .

٦ ـ الثعابين من جماعة الحيوانات المسماة :

الحشرات ـ القوارض ـ الزواحف ـ الديدان .

٧ ـ أحد الموسيقيين العالميين الآتية اسماؤهم أصيب بالصمم وانتج وهو أطرش أروع الحانه هو :

سيد درويش ـ بتهوفن ـ تشايكوفسكى ـ ابراهيم الموصلي

٨ ـ كانت المحاولة الاولى لاحتلال البريطانيين لمصر على يد الجنرال فريزر الذي هزمه المصريون شر هزيمة في دمياط سنة :

١٧٠٧ ـ ١٧٠٨ ـ ١٩٠٧

٩ ـ الحجاج الذى كان عاملا لبني امية على العراق ينتهي نسبه إلى قبيلة :

الحويطات ـ بلى ـ ثقيف ـ بني مرة ـ الهواجر .

١٠ـ الوزن الذري لعنصر الكالسيوم هو :

٤٠,٠٨ ـ ٦٥,٠٠٨ ـ ٧٧,٠٩٥

حل مسابقة العدد ٨١

من : عمر بن عبد العزيز

أين : القاهرة

ما : الاسراء والمعراج

الاجابة الصحيحة

١ ـ ٥٧١ م

٢ ـ هذه العبارة صحيحة علمياً .

٣ ـ احادية الفلقة

٤ ـ ابن عباد ـ ابن دراج القصطلي ـ ابن زيدون .

٥ ـ البسفور .

٦ ـ ابو بكر الصديق ـ عمر بن الخطاب ـ عثمان بن عفان ـ على ابن أبي طالب .

٧ ـ ١٩٣٢

٨ ـ ١٨٠ درجة

٩ ـ الامبير

١٠ ـ سقى وادياً بين العريش وبرقة ... من الغيث هطال الشابيب هتان .

قائلة البهاء زهير .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ خيال من : الزعيم جمال عبد الناصر

١ ـ حسن يوسف السليطي ـ قطر

٢ ـ عبد الناصر مفتاح شعيب ـ ليبيا

٢ ـ لوحة لم تتم : الشاعر أمل دنقل .

١ ـ حسن احمد نعمة ـ البحرين

٢ ـ عبد الله عبد القادر ـ السودان .

٣ ـ لعبة الظلال : رقم (٣)

١ـ محمد العيدة ـ الامارات المتحدة

٢ ـ عبد المنعم الطيب عمارة ـ السودان

٤ ـ لاقوياء الملاحظة فقط : القارب ـ الشراع ـ الشمس ـ الشمسية ـ البحر ـ الهلال .

أسماء الفائزين

● فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارئة:
ـ الدكتورة/ هناء مصطفى الصواف
القاهرة / جمهورية مصر العربية

● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارىء :
ـ صلاح الدين التكريتي
الوحة / قطر

● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القارىء :
ـ صالح سعيد درويش
الرياض/ المملكة العربية السعودية

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ خليل قطب محمد ابو قورة ـ مصر
٢ ـ محمد صبحي الناطور ـ سوريا
٣ ـ مجد محمد مراد ـ الكويت
٤ ـ توفيق رزق الله ـ السودان
٥ ـ زهير مصطفى ـ المغرب
٦ ـ رسمي ناجي حسان ـ الأردن
٧ ـ صوفيا شلوي ـ الجزائر
٨ ـ علاء الدين غنيم ـ مصر
٩ ـ زكريا عبد الله مبارك ـ قطر
١٠ ـ زيد رويعي النهالي ـ الامارات العربية المتحدة

ستراحة الدوحة العدد ٨١

١ ـ حسن على جعفر ـ سلطنة عمان .
٢ ـ اشرف احمد عبد الهادي ـ مصر
٥ ـ دوري الكاريكاتير : اللاعب رقم ١٠
١ ـ نجوان حبيب ـ سوريا
٢ ـ احمد بن ابراهيم ـ المغرب
٦ ـ يخلق من الشبه اربعين : رقم ٥
١ ـ مديحة عيد أبو العلا ـ مصر
٢ ـ هاشم احمد ابراهيم ـ السودان
٧ ـ المثل بيقول : ياواخد القرد على كترماله بكره يزول المال ويبقى القرد على حاله !
١ ـ ايهاب عبد الحليم كشك ـ مصر
٢ ـ قاسم ذيب الطوبرجي ـ الأردن

قرأت — علموا أولادكم الأدب !

امر الحجاج صاحب الشرطة ان يطوف ليلا ، فمن رآه سكرانا ضرب عنقه .. واثناء سيره وجد ثلاثة فتيان يتمايلون وعليهم إمارات السكر فقال لهم :
« من انتم حتى خالفتم امر الامير ، وخرجتم فى مثل هذا الوقت .. »
فقال اولهم :
انا ابن من دانت الرقاب له
مابين مخزومها وهاشمها
تاتيه بالرغم وهي صاغرة
فياخذ من مالها ومن دمها
فامسك عنه قائلا « لعله من اقارب امير المؤمنين » .. ثم سال الثاني « وانت من تكون ؟ » .. فقال :
انا ابن من لا تنزل الايام قدره
وإن نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس افواجا الى ضوء ناره
فمنهم قيام حولها وقعود
فامسك عنه وقال « لعله ابن اشرف العرب .. » .. ثم قال للثالث : « وانت من تكون ؟ » .. فانشد :
انا ابن من خاض الصفوف بعزمه
وقومها بالسيف حتى استقامت
وركباه لا ينفك رجلاه منهما
إذا الخيل يوم الكريهة ولت
فامسك عنه ايضا ، وقال فى نفسه « لعله ابن اشجع العرب .. » واحتفظ بهم حتى الصباح ، فرفع امرهم الى امير المؤمنين ، فاحضرهم وكشف امرهم .. وكانت المفاجاة .. فان الاول ابن « حلاق » ، والثاني ابوه « يبيع الفول » ، والثالث ابن « حائك » . . فتعجب من فصاحتهم وقال لجلسائه :
« علموا اولادكم الأدب ، فوالله لولا فصاحتهم لضربت اعناقهم » .

جمال سعيد غربال ـ تونس

سمعت — فراسة شعرية

حكي ان رجلا كثير المال ، اصطحب معه عبدين فى سفر له ، فلما توسط الطريق ، هم العبدان بقتل سيدهما وسلب امواله ، فلما ايقن السيد ماعزما عليه قال : اقسم عليكما إن كان لابد من قتلي ، ان تذهبا الى داري وتنشدا ابنتي هذا البيت .. قال العبدان وما هو :
فقال : من مبلغ بنتي ان اباهما لله دركما ودر ابيكما
فقال احدهما للآخر : مانرى فيه من باس ! ـ فلما قتلاه ، وبعد عودتهما الى ديارهما ، ذهبا الى بيته وقالا لابنتيه : إن اباك قد لحق به مايلحق بالناس ، وإنه امرنا ان نخبركما بهذا البيت من الشعر ، وانشداه .
فقالت الصغرى وكانت اديبة لبيبة .. هذان العبدان قتلا ابي يامعشر العرب .. قالوا .. وما الدليل ؟
قالت .. المصراع الاول يحتاج الى ثان .
والثاني يحتاج الى ما يكمله ، ولايليق احدهما للآخر .. قالوا : فما ينبغى ان يكون ؟ . قالت : ينبغي ان يكون هكذا
من مبلغ بنتي ان اباهما
امسى قتيلا بالفلاة مجندلا
لله دركما ودر ابيكما
لايبرح العبدان حتى يقتلا

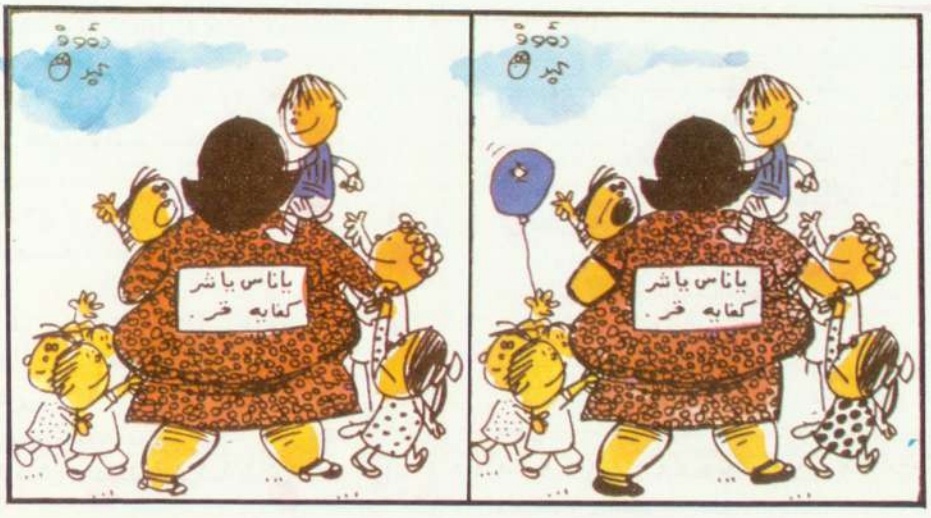
نهيد محمد ـ تونس

استراحة الدوحة



مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة: رووف

أصل وصورة



بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا)

لوحة لم تتم!



هذه اللوحة لبطل عالمي مسلم تربع على عرش رياضته فترة طويلة ...
مشكلة اللوحة انها لم تتم .. هل يمكنك اكمالها والتعرف على شخصية هذا اللاعب في انتظارك جائزة (٦٠ ريالا)

يخلق من الشبه أربعين



● الصور الأربع المنشورة تحت صورة الفنان شكري سرحان لأربعة أشخاص شديدو الشبه به .. لكن واحداً منهم فقط يشبهه تماماً .. هل تستطيع التعرف عليه .. ؟ الجائزة ٦٠ ريالا

هات أجمل تعليق :



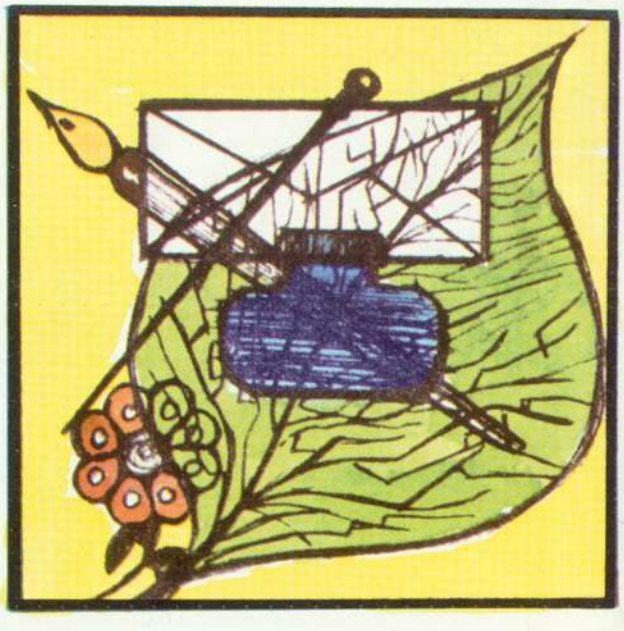
حاول أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري . فقد يسعدك الحظ وتفوز بالجائزة (٦٠ ريالا)

لعبة الظلال



هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى معرفة ظله الحقيقي ؟ الجائزة (٦٠ ريالا)

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك ستة أشياء متداخلة . هل تستطيع أن تتعرف على كل منها .. إذا عرفت ارسل الحل .. (الجائزة ٦٠ ريالا) .

المثل يقول



● إن هذه الصورة الساخرة ... تعبر عن مثل شعبي .. حاول معرفته ولك (جائزة ٦٠ ريالا) .

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القاريء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :

اللغويات النظرية والتطبيقية - الآداب والآداب المقارنة - الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية - الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية - الدراسات التاريخية - الدراسات الجغرافية - الدراسات التربوية - الدراسات حول الفنون (الموسيقى - التراث الشعبي - الفنون التشكيلية - النحت ... الخ) - الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .

- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :

البحوث والدراسات - مراجعات الكتب - التقارير العلمية - المناقشات الفكرية .

- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني - نيسان - تموز - تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس

للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
- للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
- للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
- للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :-

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة) الكويت - الشويخ - ت : ٨٢١٦٣٩ - ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣



إرو عَطشَكَ مَع

تيم


الحَرَم الابراهيمي بالقدس
للفنان : عزيز إسماعيل
إصدار : دار فلسطين
دار فلسطين
Palestine Publications House